

سحر الفيروز



سحر الفيروز

بقلم / أحلام سعد

جميلة هي كاسمها
 ساحرة كزيتونة عينيها
 سليمة الحسب والنسب
 ابنة الأصول ومدللة أبيها
 لم يهينها مرض
 ولم تفقد لها ظلمة عيناها رونق
 غريبة هي كلو حاتها
 تجمع بين الجمال والجنون
 إنها هي ..
 فيروز مكي الدين أبو العز ..

Des.Sabreen ElDeeb

ملخص

من الحب أحياناً تُولد كراهية

ضغينة..

حقْد..

وربما وحدة وظلام..

رغبة بالانعزال..

ومن الحب أحياناً يولد ضعف

استسلام يكن بذرة جيدة لانتقام

فقدان براءة وانتهاك روح

وربما من الحب يولد ضياع

تخطيط

نشوة إدمان تخدر آلام الواقع

وربما يولد من الحب قوة

مثابرة

رغبة في امتلاك المستحيل

وربما من الحب يولد أنانية

جفاء

طوفان

من الحب ربما يولد نهاية

وربما بداية..

حكمة آمنت بها مؤخرًا:
«خلف كل شر خير وخلف كل خير شر.»

المقدمة

لماذا لم تسطع الشمس؟

اليوم كان الجو من أسوأ ما يكون .. مطر ورعد وبرق وعواصف والأصعب ما يحمله بداخله من مخاوف .. هناك شعوراً يراوده بأن ذلك اليوم لن يمر بسلام. فكر بعدها .. يريد للشمس أن تسطع .. أن ينتهي ذلك اليوم فربما غداً يأتي بالأمل وتحسن ولو قليلاً.

تلك المرة ليست كالمرّة السابقة .. رغم الأيام الصعبة التي عاشوها أثناء حملها بفيروز إلا أن حملها تلك المرة كان أسوأ بكثير.

أخبره الطبيب بأنهم لم يعد يملكون شيء لها سوى الدعاء ومنذ ذلك الحين وهو يذهب لغرفتها كل دقيقة كي يطمئن بأن أنفاسها مازالت محلها..

ما هذا العذاب الذي لا ينتهي، وما الذي ما زال ينتظره بعد؟

أهل من العدل بعد كل المعاناة التي عانوها حتى يتم زواجه منها أن يفقدها بعد تسع سنوات فقط .. ومن أجله هو؟!

لم؟! .. لأنها أحبته أكثر من نفسها وقررت أن تخاطر بحياتها كي تمنحه صبيّاً ظناً منها أن كل رجال الشرق يفضلون الذكور وخافت أن ذلك يقلل من مكانتها لديه.

وضعت حياتها مقابل سعادته ورحمت كفته.

لو كان يعلم لمنعها .. ألا تعلم معزة فيروز لديه! .. ألا تعلم كم يعشقها بل يعبدها!

وكيف لا أليست هي ابنته منها .. ثمرة عشقه الثمينة .. ابنته المدللة ومالكة قلبه .. سكر حياته وسبب سعادته .. نسخة حبيبته المصغرة ..

حبيبته التي لم يستطع أن يستبدلها بأخرى .. حبيبته التي جال فرنسا بحثاً عنها ولم يفقد الأمل بأن يستعيدها.

حبيبته رغم أنف كل الظروف والتعقيدات..

خرج من دوامة أفكاره عندما وجد سيجارته قاربت على الانتهاء وكادت أن تلامس أصابعه .. ألقاها وقبل أن يخرج الأخرى أنه الخادمة مهرولة:
- محي بيه.

سقطت السيجارة من يديه وقال لها بنبرة مذعورة:
- فيه إيه؟

مسحت دموعها على عجل وألصقت بها ما تريد:
- الست هانم عاوزاك.

هرول إليها بينما كان يشعر بثقل كبير على قدميه وأطرافه .. فتح الباب بينما أنفاسه كانت قد وصلت لأقصاها .. ناجى دموعه الحبيسة ألا تتنازل وتسقط أمامها.. دخل وجلس على الأرضية بجانبها .. ضم يديها الباردة بأصابعه بينما يقول:
- حبيبتى .. حاسة بإيه دلوقتي؟

سقطت الدموع من عينيها على أثر رؤيتها له فمسح دموعها الهاربة بطرف إصبعه بينما يردد متصنعاً الحماس:

- أزمة وتمر .. فاكرة فيروز تعبنا ازاي لحد ما شرفت!.. وأهو البيه بسلامته أو بسلامتها

أما يجي هنفكر الأيام دي زي ما افكرنا اللي قبلها..
فاجئته لتقول:

- محي .. أنا حبيت أنت كثير..

قالتا بهوان وبصرية ركيكة ولكنها كانت لها أثر بالغ للغاية على مسامعه.
كاد قلبه أن ينفطر حزناً .. أراد أن يتحدث ليطمئنها أنها ستتحسن .. ليخبرها بأنها لن
تركههم وليس هناك داع لكلامها الذي بات أقرب إلى الوداع.
ولكنه لم يستطع أن يتفوه بكلمة ولم يستطع أن يغالب دموعه أكثر..
- ما تبكيش .. عشان خاطر أنا ..

قالتا له بصعوبة بالغة قبل أن تسعل بشدة .. التقطت جويل أنفاساً متلاحقة وبات
سعالها من أسوأ ما يكون وقبل أن تشهق شهقتها الأخيرة قالت بصعوبة:
- روز أمانة عندك محي .. روز يا محي.

الفصل الأول

غيمة سوداء عمت على منازل محي الدين أبو العز وحزن عميق سكن روحه قبل عيناه ..
بدا عليه الهم والحزن وكأن أعواماً أضيفت إلى عمره .. محي الدين يمتلك منزلان بل
والأدق قصران لا يفصلهما سوى حديقة .. بالقصر الأول تسكن زوجته حورية وابناءه
الثلاث وبالأخر كانت تسكن جويل مع ابنته فيروز.

جویل! دمعت عیناه عندما تذكرها .. حتی وإن كان يأخذ العزاء فیها فهو من داخله لا
یتقبل فقدانها .. کل شيء كان سریع للغاية حملها ومرضها وعلمه بخطورة حالتها .. فقدھا
وفقد معها کل جمیل .. حتی فیروز الآن یتهرب من مقابلتها.

فیروز! اااااااااا یافیزوز.

مع أن العزاء بالمنزل المقابل ولكنها لم تعتد على الذهاب إليه وهو بدوره أكد على مريبتها ألا تغادر غرفتها أبداً .. مريومان على وفاة جويل وهي لم تعلم بعد .. ظل يفكر كيف سيخبرها بل ما الذي سيقوله من الأساس .. جويل لن تعد موجودة بعد الآن .. جويل رحلت للأبد .. كيف ستحمل طفلة بالثامنة من عمرها خبراً كهذا؟! كم كانت الحياة مختلفة منذ شهر فقط! .. كانوا دوماً يلقبونه بـرجل الحظ.. ولكن هل هناك ما يعرف بالـحظ حقاً؟

محي الدين أبو العزأمام المجتمع والناس رجل أخذ من الحياة كل شيء..

زوجة مصرية آية في الطاعة ..

زوجة فرنسية آية في الجمال..

وهل هناك من يضاهيه حظًا!

فالآن جميع الأجار قد عادت لمكانها.

- هو ده مش عزا طنط جويل؟ ليه بابا عمله عندنا في الفيلا كان يعملہ عندہم ہما!

قالت لها حورية بنبرة أكثر هدوءًا:

- عشان أختك فيروز كده هتعرف وأعصابها هتتعب وتعيط.

وأجابتها الأخرى بضيق وتلقائية:

- يعني أعصابنا إحنا اللي نتعب؟

- وبعدين معاكى بقا .. بابا لو سمع كلامك هيزعل .. كلها بكرة والعزاء يخلص.

قالت الأخيرة بنبرة أقل حماسًا.. هي تعلم بأن هذا الأمر لن ينتهي أبدًا.. محي لا يتحدث

ولو تحدث سيتحدث عنها هي.. الدموع حبيسة بعيناه وحالة القهر مُسيطرَة عليه وهو

يجادل حتى لا ينهار أمامهم..

يجب أن تقبل بالحقيقة.. هي لم تكن موجودة بحياته ولن تكن موجودة أبدًا.. هي بالنسبة

إليه وعاء يحمل له أطفال وذرية بينما مشاعره وقلبه وروحه كانوا معها هي فقط ويبدو

أنهم رحلوا معها وتركوا لها جسد لا ينبض سوى بذكرياته معها.

حتى وإن رحلت فلن يتغير شيء بالنسبة إليها.

خرجت حورية من شرودها على صوت ابنتها الكبرى بشرى تتسائل:

- ماما هي أسما (أسمهان) فين؟

- أختك طلعت تمام .. يلا روجي نادي ابراهيم واطلعوا ناموا انتو كان تعبتموا من

امبارح.

ذهبت بشرى لحتى تنادي إبراهيم كما أمرتها والدتها بينما كانت من داخلها تقسم أنها لن

تبحث عنه كثيرًا فلا طاقة لديها ولكنها نست أمره عندما وجدت عادل جارهم الجديد

بحديثه.

ابتسمت .. مازالت تلقبه بالجار الجديد رغم أنه انتقل للعيش بجانبهم منذ أكثر من ستة أشهر..

عادل طفل ذو بشرة حمرة وعيون بنية لامعة، يبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً كأخيه إبراهيم .. ليس طفل ففي تراه شاب فحسده يظهره أكبر من عمره.. يكفي أنه يتفوق عليهم جميعاً بسباق الخيل وحتى السباحة يجيدها جيداً.

شردت وتذكرت تلك المرة التي كانت ستغرق فيها بالبحر وهو من أنقذها، حملها بين ذراعيه وظل يسبح بها حتى أخرجها للشاطئ وحينها فقط انتبه الجميع لها وركضوا نحوها.. لم يكن أحدهم منتبه لغيابها ولولا عادل لماتت غرقاً دون أن تجد من يبحث عنها.. عادل فقط من يهتم لأمرها فالجميع كانوا يتابعون فيروز وشقاوتها وحركاتها المضحكة أما هو وحده من كان يتابعها بنظراته ..

بالتأكيد لو ما كان يتابعها ويهتم بأمرها فكيف كان سيصل إليها بتلك السرعة؟ خرجت من شرودها وقررت بسعادة وب عقل مراهقة صغيرة أنه طالما هو هنا فلن تنام الآن .. ستذهب إليه وتقضي معه بعض الوقت .. ستحدث معه بكل الأمور.. ستروي له عن حالة المنزل التي تبدلت بعد وفاة زوجة أبيها .. ستحكي له عن أبيها الذي ابتعد عن المنزل منذ أن علم بمرضها وعندما عاد أصبحوا لا يسمحون لها بالذهاب إليه!! كم شعرت بالوحدة تلك الفترة ولولا عادل لكانت انفجرت.. عادل فقط من يستوعبها، من يتسمع إليها دون كلل .. يا إلهي إنها تشعر بالراحة بمجرد أن تتحدث معه!

خرجت من الفيلا متجهة نحوه ولكن استوقفتها حالته الغريبة!.. كان ينظر حوله يمينا ويسارا وجفاة أسرع بخطواته مبتعدا عن الأنظار ومتجها نحو الفيلا المجاورة .. نحو منزل فيروز!

ظلت تراقبه من خلف شجرة ..جلس بين الأشجار المقابلة لمنزلها وأخرج دفتر المدرسة من حقيبته وأخذ بينما ينظر لشرفتها يكتب بعض الكلمات.. ظل هكذا لوقت طويل يكتب كلمة ثم يمزق الورقة حتى بات دفتره على وشك الانتهاء. شعرت وكأنه يأس .. أو كأنه نجعل من شيء ما.

قام بعدها من وسط الأشجار ولملم بقايا الأوراق الممزقة ووضعها في صندوق القمامة ثم رحل لمنزله دون أن يفعل شيئا آخر..

رحل!

ولكنه ترك لها ذلك الصندوق الذي يحمل بقايا أسرارهِ .. تملكها فضول قاتل لذلك قررت ألا تنتظر أكثر.

التقطت أول ورقة وفتحتها وتجد قلبها عندما قرأت محتواها..

كان عادل قد كتب عادل بخط طفولي مشرد:

روز ... أنا بحبك!

وتناولت واحدة تلو الأخرى.

أنا عارف طنط جويل بالنسبة ليكي كانت ايه بس ما تخافيش أنا جنبك.

روز أنا قلقان عليكي ودادا كريمة مش ساحالي أشوفك.

روز المدرسة وحشة أوى من غيرك.

فيروز أو روز كما كانت تنادىها أمها ..

أجمع من رآها على أنها أيقونة للجمال..

ملاحم فرنسية خالصة، وجه أبيض ناصع، وشفاه وردية لامعة وعيون خضراء بلون

الزيتون الناصح الذي يعكس إضاءة على سلاسل شعرها الذهبي..

من الفتيات التي تغرم بها بمجرد نظرة وتود أن تأكلها!

محبوبة هي للجميع وصاحبة أجمل ابتسامة .. فتاة صغيرة ولكنها كبيرة في قلوب من

حولها .. هي هكذا خلقت ومن دون أسباب..

كانت فيروز جالسة على الأرضية مفترشة الأقدام الملونة حولها ومنهمكة في عملها ..مر

عليها وقت طويل وهي بتلك الوضعية ولكن من كثرة التركيز لم تنتبه بأن عمودها

الفقرى بات يؤلمها..

اقتربت منها مريبتها لتقول:

- جبتلك عصير الفراولة اللي بتجبيه.

كانت نبرة صوتها داكنة للغاية ويغلفها الحزن والتأثر الشديد حتى أن فيروز قد

استشعرت ذلك ولكنها لم تفسره على أنه أمرًا مهم فما تفعله الآن بوجهة نظرها هو الأهم

من كل شيء..

- دادا شوفي أنا خلصت.

- وريني كده .. الله .. إيه ده بقا؟

أجابتها فيروز ببراءة:

- دي أنا ودي مامي.
- تحشرجت صوت الآخري وأجابتها بصوت باهت مرعدة:
- حلوة أوي يا حبيبتى.
- سعدت فيروز كثيراً واخذت لوحها الصغيرة وهمت بالوقوف بينما الحماس كان يقفز من عينيها:
- أنا هروح لبابى .. مامي اتأخرت أوي ووحشتني هاقوله يوديني عندها.
- مامي فى المزرعة.
- عقدت حاجبها قبل أن تتحدث بإحباط واضح:
- بقالكم أسبوع بتقولولي فى المزرعة طب هي ليه سابتنى لوحدي وبابى كان مش بشوفه خالص.
- بابى مشغول شوية.
- بدا على ملاح فيروز الضجر وأصابها اليأس تساقطت دموعها قطرة تلو قطرة ثم تبعها بالرجاء والمحايلة.
- أنا عاوزة مامي .. خديني عندها.. se il vous plait (من فضلك).
- جاهدت كريمة كثيراً ألا تسقط دموعها أمام الصغيرة .. تنهدت ثم قالت لها بحماس:
- الوقت اتأخر .. أوعدك أوديكي بكرة لو سمعتي الكلام.
- بس إحنا لسه بالنهار.
- وأجابتها كريمة تلك المرة بحدة:
- وبعدين معاكى يا فيروز قلنا بكرة ماتزعلنيش منك.

جلست على الأرضية وسط أقلامها الملونة قائلة بإحباط بالغ:
- حاضر.

أحبك!

هل كان يقصدها حقاً؟!
ما بالك بشرى وهل لها معني آخر؟
ذلك المراهق الصغير يعشقها سراً .. لم تكن مُنتبهة لذلك الأمر من قبل أو ربما هي من
كانت لا تريد أن ترى.
شعرت بوخزة .. ما أصعب أن تجد أحلامها هاربة لأخرى !
وما الجديد؟

أليست فيروز تأخذ كل ما تحبه منها.
ألم تأخذ من قبل أبيها ومن بعده أخيها؟
ألم يحبوها أكثر منها ؟
ما ذنبها إن كانت هي أجمل منها ؟
ما ذنبها أنها ليست ابنة جويل ؟
ما ذنبها بأن القدر جعلها أختها لتعاني دوماً !
وتوصلت لنتيجة واحدة:

"ليست هي المذنبه بل فيروز .. هي من تأخذ كل ما تحبه من بين يديها."

خرجت من شرودها وعادت للواقع من جديد وانتبهت بأنها مازالت تحمل بيديها رسالة عادل السخيفة ،ألقته مرة أخرى بالمكان الذي تستحقه..
صندوق القمامة!

لمعت في رأسها فكرة ستشفي بها غليلها وتطفأ بها النار التي بصدرها..
دقت الباب وانتظرت حتى يفتح بصبر أوشك على النفاذ .. ابتسمت ابتسامة مصطنعة
لتقول:

- دادا ازيك.

- أهلا يا حبيتي .. تعالي اتفضلي.

- أنا جيت أشوف فيروز وأطمئن عليها .. هي لسه معرفتش؟

- لا لسه .. تعالي سليفها شوية لحسن طلعت عيني .. بس مش هوصيكي بابا قال محدش
يجيب ليها سيرة دلوقت هو هيمهدلها واحدة واحدة.

- ما تخافيش يا دادا أنا هطلعها بقا.

ثم التفتت لها عندما وجدتها تتبعها:

- دادا أنا جعانة أوى .. انتي عارفة الفيلا زحمة والعزا و...

- عنيا .. اطلعي انتي وأنا هاحضر الغدا حتى تفتحوا نفس بعض.

دخلت بشرى إلى غرفة فيروز بحذر بالغ ووجدتها نائمة بسريرها محدقة بالسقف ويبدو
عليها الضيق الشديد ولكن ما إن شاهدت بشرى على الباب اعتدلت مسرعة متجهة

نحوها .. لم تكن علاقتهما قوية بالقدر الكافي حتى تركض نحوها بتلك الطريقة ولكن شعورها بالوحدة جعلها بحاجة لأي شخص يشاركها بنفس الدماء .. وإن كان ذلك الشخص هو بشرى!

احتضنتها بشرى بقوة وبعدها تصنعت بكاءً طفولياً لا يمرؤ سوى على طفلة مثلاً.
قالت لها فيروز مرتعبة:

- بتعيطي ليه؟

- فيروز انتي عارفة حتى لو طنط جويل مش هتكون موجودة ثاني فإحنا كلنا بنحبك.
حاولت فيروز فك شفرات كلامها وربطه بكاءها ولم تستطع الفهم .. قالت لها بتلعم:
- مامي .. مامي راحت المزرعة.

- هما خبوا عليكي عشان ما تزعليش.
واقتربت منها لتقول بنبرة أكثر وضوحاً:

- مامتك ماتت .. **مقتولة!**

حل المساء بسرعة كما الصباح .. بكجميع الأيام التي تعيشها بذلك المنزل .. كم تغيرت حياتها منذ أن تزوجت.

أخبروها أن الزواج نعمة .. ولكن لم كتب عليها هي الشقاء.

بعد زواجها بقليل اكتشفت أن محي كان قد تزوجها من أجل أبيه .. تزوجها حتى ينسى بها حبيبته الفرنسية ويبدأ مع الحياة صفحة جديدة .. باع حبه واشتراها هي من أجل طاعة أبيه فهي هو سيتزوج ابنة أخيه المتوفي وسيهتم بها.

وبعد زواجهم بأربع سنوات تُوفي أبيه ورخص هو نحو ما أرادها قلبه..
ولكن ما ذنبها هي بكل هذا؟!

ظلت تثقل على مهدها الفارغ يميناً ويساراً ولم تستطع النوم .. ربما تأثرت قليلاً بثثرة النساء بالعزاء .. بالفعل هي لم تفعل أي شيء حتى تسترده منها .. كانت تشعر دوماً بأنها لو خاضت تلك الحرب فلن يكون هناك خاسراً سواها .. وهو لا يعلم بتلك الأفكار التي تتصارع بعقلها .. ظن أن الأمر لا يهمها .. وكيف لا يهمها فهل هناك من يسكن قلبها غيره؟ ولكن كيف سيعلم إذا هي لم تخبره.

هي أمام الجميع لم تفعل سوى أن تجعله ينحرف نحو عشقه الأول أكثر.. أعطته ثلاثة أطفال ولم تعطه الحب .. أعطته الطاعة والسكينة ليفتقد معها لذة الشوق .. حتى عندما يكون معها بجسده عقله كان معها .. جويل كانت غيرها .. كانت بكل لحظة تخبره أنها تعشقه .. بأنها لا تستطيع العيش من دونه .. بأنها ضعيفة وضائعة سواه .. أما حورية فهي منذ البداية تعلم بعشقه الأول وراوضها أملاً بأن تنسيه إياه ولكن عبثاً.
حتى عندما أخبرها بقرار زواجه لم تثور أو تغضب .. وكأنها كانت تعلم ولم يفاجئها قراره ..

ربما بكت بسرّها أياماً.
ربما كانت تصرخ وحدها.
ولكنها لم تحاول منعه!.

لم ترفض .. لم تتوسل وخرجت من الغرفة بسلام .. كانت ترى أنه منذ البداية وروحه معها فما الفارق إذا؟

ولكن الوضع قد تغير الآن .. جويل ستصبح ذكرى .. وهي الآن الحقيقة الوحيدة .. قالت لنفسها:

"أما آن الوقت أن يعلم بعشقتك الذي تاه وسط رماد قلبك المحترق؟!"

كان يجلس بالمكتب وحيداً ممدداً قدميه على الكرسي وكأنه قرر عدم النوم سواها .. حالته تلك باتت مؤلمة لها أكثر منه .. ظلت واقفة على الباب تعض على شفتيها .. اللعنة إلى متى سيظل يفكر بها؟

رآها .. كانت تبدو طلعتها غريبة .. الدموع تسكن عينيها ولم تكن حُمره وجنتاها نجلاً .. كانت غضباً .. اعتدل في جلسته مشيراً لها بأن تدخل وهي بدورها تصنعت ابتسامة تخفي بها كم الأمواج المتلاطمة داخلها ..

جلست مقابله ومررت يديها على قدميه بينما تقول بنبرة حانية :

- ما تعملش في نفسك كده .. عشان خاطري .

تعجب .. بالفعل أصابته الدهشة .. كم تفاجئه دوماً ردود أفعال تلك المرأة .. أتواسيه على فراق امرأة أخرى!

قال لها بعد فترة لا بأس بها من الصمت:

- ايه اللي مصحكي لحد دلوقت؟

أجابته بنبرة عاشقة توتر هو على أثرها:

- أنا عمري ما نمت إلا لو كنت نايم جنبي .. أما كنت بتسافر .. أما كنت بتيجي متأخر وتنام في أوضة تانية .. أما كنت بتبات عندها أنا عيوني مكانوش ييشوفوا النوم. أغمض محي عينيه بينما يردد بإنهاك:
- أنا تعبان أوي .. أوي يا حورية.
- لم تفهم لم تملكها السعادة هكذا؟! .. حتى وإن كان سبب تعبته هو أيضاً سبب شقاءها ولكن فليكيفها أنه للمرة الأولى يخرج من دائرة صمته ويشاركها همومه .. شعرت أنها هكذا تسير بالإتجاه الصحيح .. طريقها لقلب زوجها.
- نهضت من على كرسيها لتخلع عنه جاكيتته ثم تركته جانباً .. ظلت تدلك عضلات كتفيه ورقبته الملتشجة بينما تخبره بحنو:
- حاول تنام شوية لسه بكرة يوم طويل.
- شعر محي براحة غريبة تحت أصابعها .. أمسك يديها مقبلاً إياها ثم لحقها بالقول ممتناً لها:
- شكراً.
- التصقت به متسائلة بينما عيناها كانت مرتكرة بعينه:
- على ايه؟! ..
- شكراً لإنك وقفتي جنبي في العزا .. من امبارح وانتي بتستقبلي الناس .. واحدة غيرك كانت
- وضعت يديها على فمه بينما تقول ودموعها على وشك السقوط:
- انت متعرفش جرافي ايه لما شوفتك في الحالة دي ..
- واستطردت بنبرة حانية:

- صدقني أملك هو ألي .. وجعك هو وجعي..
- وقبل أن يتحدث هو فاجئتهم الخادمة مُقْتَحمة غرفة المكتب بفرع شديد:
- محي بيه الحقنا.. الست فيروز!

الفصل الثاني

غضب شديد!!.. لا بل كانت حالة صدمة..

نفور من الجميع..

شعرت وكأنها في أكثر لحظاتها ظلمة ووحدة ومع ذلك لا تفضل أن يكن أحدهم بجانبها!

هل تلك هي أعراض الموت الشهيرة؟!

عرق لا ينضب، شبه إختناق، روح يبدو أنها ستتركها، حرارة مرتفعة علمت بها من سخونة أنفاسها و... ودمعة تسكن عين أبيها وبعدها وكأنها سمعته يهمس:

"يارب أنا مقدرش استحمل تروح مني هي كان".

مازالت تتذكر.. كان في حالة يرثى لها.. حملها بينما يصرخ بالجميع بالإبتعاد عنها، وضعها داخل حضنه بالقرب من تجويف قلبه وأسرع بها راکضاً نحو المشفى ليخبره الطبيب أن صغيرته في حالة صدمة عصبية شديدة أدت إلى إصابتها بأزمة تنفسية مزمنة..

واليوم ورغم مرور خمسة عشر عاماً على وفاتها إلا أنها مازالت تشعر بنفس الغصة ونفس الألم.. رغم الحنان الذي يغمرها به الجميع إلا أن رائحة أمها مازالت بأنفها.. يا إلهي كم تشاق لحضنها؟!

ترقرقت الدموع في مقلتيها ولكن سرعان ما ترجمتها على وجهها بإبتسامة رائعة..

اليوم لن تستسلم فلقد قررت وستكمل للأخير..

هذا اليوم لن يظل ذكرى لوفاة جويل وسيكن ابتداءً من العام القادم عيد زواج أخيها

الأكبر.. اليوم سيحتفل الجميع بزفاف أخيها وكل عام..
هي من قررت وحتماً ولا بد أن تكن على قدر مسئولية قرارها..
اليوم ستفرح.. اليوم ستحتفل من أجل أبيها ومن أجل حورية، من أجل أخوتها ولتبقى
تلك الغصة بقلبها وحدها.. يكفيم حزناً فذلك اليوم تحديداً من كل عام تشعر وكأن
قطعة من أبيها تهترء بل تحترق بالكامل..
اعترض أبيها في البداية.. أخبرها بأنه لا يتذكر جويل يوماً واحداً بالسنة بل كل يوم وكل
ساعة ولكنها أصرت على موقفها..

**فلتتوقف أقداح القهوة السادة وتحل محلها أقداحاً ملونة..
فليكن من الآن ذلك اليوم ذكرى سعيدة للجميع..**

مسحت دمعة حائرة خرجت من عيونها بطرف يديها وأخرجتها من دوامة أفكارها التي
لا تتوقف.. مازالت على حالها من الصباح بنفس المكان.. أمامها لوحة بيضاء ويديها
فرشاة حتى أنها لم تخلط الألوان بعد!
آلها عمودها الفقري فوضعت الفرشاة وحامل الألوان جانباً واستلقت بجانب اللوحة
البيضاء لترتاح وتفكر...

فكرت .. ما كانت تود أن ترسم؟
أغمضت عينها واسترخت وكأنها وجدت أن تلك اللوحة البيضاء هي أفضل تعبير عن
حالتها وقررت ألا تفرض بألوانها عليها شيئاً آخر!
داخلها تملك اللوحة.. فراغ ولا شيء ..

خرجت مرة أخرى من حالة شرودها ولكن تلك المرة على صوت رنين هاتفها.. التقطته

وأجابت قبل أن تستلقي مرة أخرى مرددة:
- ألو ..

- جهزتي؟

نظرت إلى الفستان الذي يفترش مهدا وقالت قبل أن تنهد:
- تقريبا ..

- تحبي أعدي عليكي أخذك؟

- عادل!

وقبل أن تبدأ وصلة تدمرها أخبرها:

- انتي بس وحشتيني.

- عارفة .. بس انت كمان لازم تقدر إني مش عاوزة أزعل بابي ..
أجابها بيأس:

- هنفضل كده كثير؟!

تنهدت قبل أن تخبره وربما كانت تقولها لنفسها..

- لازم نصبر..

صبر! .. يالها من كلمة.. تبدو سهلة وصعبة.

- انتي بتطلبي مني المستحيل .. عارفة كده؟

- صدقني عليا أنا كمان..

وقالت لتهيء المكالمة قبل أن تضعف أكثر من ذلك:

- اتأخرت .. لازم أقفل ..

- طب بوسيلي نفسك وأوعي تخلي حد يبصلك في الفرح.
ابتسمت وقالت بينما تغلق المكالمة وتضع الهاتف بجانبها:
- كان ناقصني مجنون..

"Do you speak English?"

"هل تتحدثين الإنجليزية؟"

كان هذا أول ما خرج من فاهه بعد أن خرج من حالة الذهول التي تملكته منذ أن رأى تلك الشقراء الساحرة.. شعر ذهبي طويل مسترسل على سلسلة ظهرها، قد ممشوق وعيون خضراء زيتونية وبشرة بيضاء وردية ورائحة عطر تخللت أنفه ومن قوتها أصابته بالدوران ..

- افندم؟!

والتفت نحوه لتسائل:

- بتكلمني أنا؟

رمش بعينه عدة مرات ليتأكد مما يسمعه ويراه محاولاً التفكير للحظة قبل أن يقول:

- انتي ازاي مصرية؟

كان محقاً.. فمن يراها لا يتوقع أبداً أن لتلك الملاح أصولاً شرقية ولكنها قد خالفت بل أطاحت بتوقعاته، نخلت تلك الملاح الأوروبية روحاً مصرية جداً وينقصها لتأكيد مصريتها شيء واحد فقط وهو كيفية معرفة الفارق بين مصطفى وحسين فهمي.. ظل محققاً بوجهها لفترة من الوقت.. مازال غير مصدقاً، بل مصعوقاً منها! تنتابه فكرة

جنونية أن يذهب ويلبسها ليتأكد أنها حقيقية ومتواجدة أمامه بل وتحديثه بالعامية بإجادة.. أم أنها من صنع هلوساته؟! .. كان يعلم أن كثرة القهوة التي يتناولها ستفقده عقله ذات مرة ..

- أنا آسف بس أول مرة أشوف واحدة حلوة أوي كده..

تجاهلته ونظرت أمامها دون أن تجيبه بينما تتم بكلمات غير مفهومة .

"ما بال هذا المصعد لا يعمل؟، ألن يصل ويخلصها من ذلك ثقل الدم!"

- انتي زعلتي ولا ايه؟، والله أنا مش بعاكس ودي مش عادي بس مش عارف جوالي ايه انهاردة..

وكأن لسانه يعتمد إحراجه .. يخرج كلاماً رغباً عنه ويضعه بموقف سخيف.. ماذا ستقول عنه الآن بحق الله .. مراهق .. متحرش!

لوحث بوجهها بعيداً عنه ودخلت المصعد ثم استوقفته بيديها مانعة إياه من الدخول وقالت:

- أنا هسيب الأسانسير متعلق لو حضرتك مستعجل ممكن تطالع على السلم وعلى فكرة أنا بعت البواب يشتري حاجات وصعب يجي قبل نصف ساعة..

وأغلقت باب المصعد في وجهه وتركته مصدوماً من طريقة حديثها معه ..

أدرك بعدها الحال الذي آل إليه وتملكه الغيظ منها .. بسبب تلك الحمقاء سيصعد عشرة أدوار على قدميه.. اللعنة !

أقسم أن يلقيها درساً .. ظل يركض حتى يلحقها بينما في كل دور يصل إليه يتابع حركة المصعد .. انتبه أنها توقفت بالدور العاشر بينما هو ما زال بالدور الخامس وكاد نفسه أن

يتوقف ويخرج زفيراً بلا رجعة..

ماذا.. الدور العاشر! .. انه نفس الدور الذي يقطن به .. هل هي تقرب جيرانه الجدد؟
ربما هي العروس وأتت من أجل أن تشرف على تجهيزات المنزل .. أصابته خيبة أمل
لحظية.. هل ستتزوج تلك الشقراء عن قريب؟ .. ضرب جبينه.. ما بالك ياسر لقد
تعرفت بالفعل على صاحب الشقة وعروسه.. حسناً هدأ داخله الآن ولكن تبقى سؤالاً
دون إجابة..

"من تلك؟! "

ومع الأسف ظل هذا السؤال بعقله لأسابيعاً أخرى فبمجرد أن وصل لباب شقته لم
يجدها .. اختفت .. ربما دخلت شقة جيرانه الجدد وربما ذهبت لمكان آخر لا يعلمه ..
أو ربما كانت من نسج خياله!.. فبفعل القهوة المرة السوداء نسج عقله امرأة حلوة
المذاق!

وجدها .. لم تكن خيال بل حقيقة ..
أروع حقيقة ..

كانت قادمة من بعيد متأبطة ذراع رجل خمسيني .. مرتدية الأحمر وكأنها متعمدة أن تثير
جنونه فمن بجمالها ليس بحاجة للأحمر أبداً.. ما غفره لها هو أنها سبجت شعرها بتصفيف
بسيط فلو كانت تاركة إياه خلف ظهرها لسقط المدعويين صرعى من قوة جمالها الفتاك..
سكن للحظة وتزايدت ضربات قلبه بعد أن وجدها تتجه نحو الطاولة التي يقف أمامها..
ظل ينظر خلفه.. فليس من المعقول أن تأتي إليه هو؟!

خرج من أحلامه على صوتها وكانت تتحدث مرردة:
 - ابراهيم حبيبي بجد ألف مبروك معلىش أتاخرت وكان أخرت بابي معايا..
 - كنت متوقع حتى في فرح أخوكي الوحيد متأخرة.. ما فيش فائدة..
 لكزته بذراعه موبخة إياه بينما كانت تقول:
 - خلاص بقا عديها لي عشان خاطري.
 نظرت بجانبها عندما انتهت أن هناك شخصاً ما يقف بجانب أخيها ويتابعها بنظراته..
 حاولت أن تتذكر.. لقد رأت ذلك الشخص من قبل.. تلك العينان المميزة رأتهما من قبل.

حينها تدخل ابراهيم منهاً حيرتها:
 - فيروز أختي.. ياسر جارنا وتقدرى تقولى كده بقينا صُحاب..
 خفضت فيروز ناظرها عندما تذكرته فلذلك هو نفسه السمج الذي قابلته ببنائة أخيها..
 ابتسمت بعد أن لاحظت الحرج الواضح على ملامحه وقالت بعد أن نظرت له بنخبث:
 - تشرفنا أستاذ ياسر.. للمرة الثانية.
 ثم نظرت لإبراهيم أخيها موضحة:
 - الحقيقة احنا اتعرفنا قبل كده.. أنا هروح أشوف الضيوف وهو بقا يبقى يحكيك..

نظر ابراهيم لياسر مستفهماً..

وهو بدوره ارتبك وتلعثم..

أتلك الشقراء تلاعبه؟

ماذا سيقول له بحق الله؟ بأنه قد كان يتغزل بجمال أخته!!
انقذت حورية ياسر دون أن تدري من هذا الموقف السخيف بعد أن نادى لإبراهيم
بينما تقول:

- حبيبي اطلع هات عروستك .. المأذون وصل ..

- شايفها وشها أصفر إزاي؟.. طبعاً مش مصدقة انها تتجوز واحد زي ابراهيم.
نظرت أسما إليها بتعجب واضح ثم سألتها:
- ليه بتقولي كده؟

- انتي مش شايفة مستوى أهلها فين؟ .. ياااي هي مكاش باين عليها انها من الحضيض
أوي كده.

أجابتها أسما بهيام ولحسن حظها لم تنتبه بشرى لها:
- الحب مبيعرفش فوارق ولا طبقات.

رمقت بشرى أختها بنظرة مستنكرة قبل أن تتسائل:

- لحد دلوقت معرفش بابا ازاي وافق يناسب عيلة زي دي؟!
ضايقتها طريقة حديث بشرى فهي مُصرة بأن تتحدث عن الأصل والنسب بينما هي
تتحدث عن الحب.. الحب يا بشرى ألم نتعرفين عليه بعد؟!

- انتي عارفة بابا شخص مختلف مبيفكرش كده وأهم حاجة عنده راحتنا وكان عيلة
فريدة ناس بشوشين وفي حالهم وقرابين من القلب.

نظرت إليها بشرى بضيق والاستنكار تمكن من نبرة صوتها:

- واضح اني هفضل علطول الفرع الشرير اللي في العيلة.. كفاية نتظاهروا بالمثالية وانزلوا على أرض الواقع شوية.. يا بنتي حطي الكلمتين اللي هقولهم حلقة في ودانك.. الجواز لازم يكون فيه تكافؤ وإلا مش هيستمر.. صعب عيلتنا وعيلة فريدة يندمجوا مع بعض عشان احنا وهما زي الزيت والمية.. بصي كده على وشها وانتي تعرفي بزمتك ده شكل عروسة في فرحها!
واستطردت بحماس:

- واضح انها فهمت ده.. لقت نفسها قاعدة في مكان واحد مع ناس ما تحملش تمسحلهم الجزمة..

تغيرت ملامح أسما وبان عليها الغضب الشديد وقالت لها قبل أن تنصرف:
- انتي .. انتي بجد معنديكيش قلب.. صعب الواحد يتفاهم معاكي.. مفيش فائدة أبداً هتفضلي كده طول عمرك.. اسمعي بقا من أختك الصغيرة النصيحة دي مش كل حاجة تتحسب بالورقة والقلم يا بشرى.. في حاجات لو حسبتها ييبقى ملهاش طعم.. بتبقى ماسخة.

لم تفهم بشرى ما الذي جعل أسما تنفجر بهذا الشكل.. شعرت أنه هناك شيئاً آخر هو من جعلها بتلك العصبية .. هناك شيئاً متغير بها .. شيئاً لا تعلمه ولا بد أن تعلمه..

قاعة فايف ستارز أو ربما أكثر.. بوسترات لها هي وإبراهيم معلقة بكل الحوائط .. زينة ملونة وأضواء عاكسة على وجوه المدعوين ابتسامة عريضة بينما هي في عالم آخر..

شاردة .. كانت تنظر إلى الخاتم الماسي الذي يتلأأ بيديها اليسرى متعجبة ..
تساءل...

أصبحت بالفعل زوجة وله؟

كانت سعيدة.. ولكن بمجرد أن انتهى عقد القران شعوراً غريباً سيطر عليها.
أندامة؟! أأشتاقت لمن تركته خلفها؟

لا لا.. ليس لتلك الدرجة تلك الصفحة انطوت من حياتها.. هي تُحب إبراهيم ويجب أن
تجبه فهو من تمسك بها وهو من أعطاها قيمة.. هو من أقنع أهله وأهلها بأن لا وجود
للفوارق الاجتماعية إذا كان هناك حب حقيقي..

حب حقيقي؟! .. شردت بأعماق عقلها..

أتجبه أم تحب حبه لها؟!!

أتجبه أم تحب واجهته الاجتماعية أكثر؟

أتحب إبراهيم أم إبراهيم محي الدين أبو العز؟

وما الفارق فكلاهما واحد ..

لا هناك فارق كبير هكذا أخبرها هو بالأمس!

ماذا يحدث لك فريدة؟ لقد أثر بها ذلك اللقاء اللعين لدرجة أنها تردد نفس أسئلته؟ ..

ما كان يجب عليها أن تتحدث معه فما الذي استفادته من ذلك الحديث سوى أن

شوشت عقلها وسمحت لتلك الذكريات السخيفة بأن تطاردها..

انتبهت لتحديق الجميع بملاحمها فافترشت ابتسامة عريضة وخاصة عندما لمحت شقيقات

إبراهيم تتهامسن ونظراتهن تتجه نحوها بلمحات مقلقة حتى ويبدو كأنهم تشاجروا لترحل

واحدة وتترك الأخرى تنظر لها بنظرات غريبة وكأنها تخبرها بأنها كشفت سرها.
 تنهدت وابتلعت دمعة كانت تود أن تخرج وتفضحها..اليوم عرسها.. اليوم سيكون أفضل
 يوم بحياتها ولن تجعل أفكاره تسيطر عليها.. لن تسمح له بأن يدمرها مهما يكن.
 إبراهيم وحده من يستحقها.

انتبهت ليدته تمسك بيدها وفجأة وجدته يقرب تلك اليد من فمه ويلثمها برقة وسعادة
 تنطق بها ملامحه:

- مبروك يا أرق وأجمل عروسة.

ابتسمت.. لم تعلم بماذا تجيب وربما ابتسمت لتسخر من حالها فلو علم ابراهيم ما يدور
 برأسها لقتلها وستكن تستحق.

وجدته واقفاً أمامها بينما يمد يديه لها:

- يلا نرقص.

قامت وتمسكت بيده بثقة وابتسامة حقيقية تلك المرة.. لقد شعرت حينها وكأنه الجسر
 الذي سيرسو بها إلى شاطئ الآمان.. هو من سينتزعها بحبه من مستنقع الماضي وستكن
 خير الزوجة والحبيبة له هو فقط..

أمسك كلتا يديه بيديها وكانت تتمايل معه بجسدها بسعادة وخاصة عندما بدأ في الغناء
 مع الأغنية وهو ينظر لها بهيام.. رباه لقد استشعرت كل كلمة فيها.. السعادة التي على
 وجهه كانت تخبرها بأن تلك الكلمات من أعماق أعماق قلبه..

كل حاجة حلت بيها انهاردة أنا شوقتها

لما جيت ومليت حياتي يا حبيبي
كان في بالي دُنيا حلوة عشت أجمل منها
نفسى أقولك كلمة أغلى من حبيبي ..

كان ترقص معه برشاقة بالغة.. بحماس تود أن تثبت به للجميع بأنها تستحق أن تكون
زوجة إبراهيم محي الدين أبو العز.

كل كلمة حب منك اتقالتى سمعتها
طمنتني وفرحتني قلت اااااااااااه
ده اللي جرب حبك انت كان هيعرف وقتها
اللي ضاع من عمره وانت مش معاه

ومن فرط سعادته اقترب منها هامساً لها بأذنها:
- شكلي هرجع في كلامي واشطب الفرح بدري.

خرجت لخارج القاعة حينما شعرت بصعوبة في التنفس.. لم تكن أعراض الأزمة بل
كان ضيق في صدرها.. أرادت أن تهرب من كل الأعين التي تراقبها وأولهما كريمة
وأبيها فلم تعد تحتمل أكثر ولم ترد أن يرى أحدهم الحزن في عينيها فيحزن من أجلها
وهذا ما لن تقبله أبداً.

ظلت نتصنع الفرحة لفترة طويلة ومع الوقت بدأ يبدو لها ذلك الأمر سخيفاً.. كم هو صعب أن يدرك المرء أنه يكذب على نفسه؟!.. هي ليست سعيدة.. إلا بتسامة وحدها لا تكفي فلو لم يكن ذلك الأمر نابعاً من داخلها فليس له قيمة.. لن تستطيع الهرب كثيراً.. الحقائق لا تُحَى على حسب رغباتنا

والحقيقة التي أرادت هي الهروب منها أنها في مثل هذا اليوم ماتت جويل وتغيرت حياتها بالكامل.

جويل!!.. سقطت دمعة عندما تذكرتها، ترى هل هي باتت غاضبة منها الآن لأنها قررت إنهاء الحداد عليها؟

ابتسمت.. كم سخيف هذا السؤال؟!.. هي تعلم أن أمها لو بإستطاعتها فعل ذلك لفعلته منذ زمن.

اجشمت في البكاء.. ما الذي حدث لها هي نفسها لا تعلم.. كل ما تشعر به هي نفس تلك الغصة.. كم تشتاق لصوتها!! كم كانت بحاجة لأن تشاركها فرحتها بأخيها الأكبر وأقربهم إليها!!

لقد ضغطت على نفسها وأجبرت نفسها على ارتداء قناع القوة حتى انفجرت.. وفجأة.. فجأة وجدت يداً تقربها منها وتضعها بحضنها ثم مسحت على ظهرها وكتفها كي تهدأ.. لم تستوعب في البداية ما حدث.. كل ما شعرت به بأن ذلك جعل بكاءها يزداد قوة..

رفعت أهدابها المبللة وقالت بصوت مبحوح من أثر البكاء:

- بابي..

شعرت وكأن عضلاته متيبسة وضربات قلبه كانت سريعة ..

لم يقل سوى:

- ربنا يرحمها..

وهي لم تزد

رغم المرح والصخب والأصوات العالية.. رغم ضحكتها المرتفعة كان هناك صوتاً آخر لم تستطع إخراسه.. صوتاً جاعلها طول الوقت تتحدث حتى لا يسمعه أحد غيرها.. لماذا ظهر أمامها وبالليلة التي تسبق عُرسها؟ ألم تطوي صفحته معها منذ شهور طويلة وهو كان يبدو عليه تقبل الأمر؟

ما كان عليه أن ينتقم منها بتلك الصورة البشعة وبذلك اليوم تحديداً..

كانت قد خرجت للتو من جلسة العناية بالبشرة استعداداً للزفاف وكان إبراهيم معها على الهاتف يتحدثها..

- استنيني هاجي أخذك.

وهي عارضته على الفور:

- لأ مش هينفع.. انت عقبال ما تجيلي من المهندسين في الزحمة دي فيها ساعة وأنا ورايا ألف حاجة.

أخبرها بهمس ونبرة جعلتها تبسم نجلاً:

- ما تجهديليش نفسك.. بكرة ورانا رقص للصبح..

وأجابته هي ساخرة منه:

- طبعاً مهو أنت رايق مين أدك..

واستطردت:

- مضطرة أقفل ماما بتستعجلني ها كلمك أما أوصل البيت.. لا إله إلا الله..

ونظرت خلفها تلقائياً.. لا تعلم لم كانت تشعر اليوم بأنها مراقبة ولكنها بالأخير قررت عدم الاكتراث فأني عروس بالعالم تنتابها تلك الليلة آلاف الهواجس.. ولكن بعد ثوان شعرت وكأنها اشتمت رائحة عطره.. رائحة سكنت غرفات قلبها الأربع لتجعلها تنسم مكانها.. التفتت خلفها ووجدته تلك المرة.. بالفعل هو يسير خلفها وليست هواجس كما كانت تظن..

خافت أن تراه أمها فابتعدت عدة خطوات متصنعة بأنها تتحدث إلى الهاتف وعادت إلى أمها للتحدث بآلية واضحة:

- ابراهيم مصر إنه يبجي.. روي البيت انتي يا ماما وأنا وهو هنجيب الحاجات الناقصة ونحصلك..

ولم تجد أمها سوى أن تقول بسلامة نية:

- طيب يا بنتي ربنا يسعدكم.

انتظرت حتى تأكدت أن أمها قد رحلت تماماً ونظرت خلفها ووجدته مازال يقف بنفس المكان وسانداً على عمود الإنارة.. ذهبت إليه وبعينها غضب من العالم بأسره وانعكس ذلك على نبرة صوتها الزاعقة:

- ماشي ورايا ليه؟

وأجابها بثبات كان الأغرب عليها:

- خلاص هتجوزيه؟

واستطرد وكأن الكلمة قد كانت عالقة بحلقه:

- بكرة؟!

ابتلعت ريقها قبل أن تجيبه:

- انت جاي ليه؟

تهد ثم اقترب منها للغاية غير مكترث بكل الأعين الفضولية التي تتابع المشهد.. كل ما كان يهيمه بتلك اللحظة هو تلك العيون التي ينظر إليها وهي من كثرة ارتباكها بالكاد تميز أنه يقف قبالتها ..

مد يده إليها بينما يتحدث بطريقة مختلفة كل الاختلاف عن هذا الرجل الذي عرفته
بيوم من الأيام..

- أنا جاي أقولك دي فرصتنا الأخيرة.. تعالي نهرب من كل حاجة قبل ما يجي وقت
ونندم كلنا.

نظرت إلى يديه الممدودة لها!

لم تبكي ولم تصرخ

لم تصفعه

لم تلقي بنفسها بأحضانها

ولم تذهب معه

فقط ظلت تنظر نحوه بصمت.. وكأن أحدهم قيد لسانها بسلسلة حديدية.

- تعالي نبدأ صفحة جديدة.

جملته الأخيرة هي ما أخرجتها من حالة الخرس.. صفعتها لتذكر ما كانت قد تناسته.

- فات الأوان.. روح.. بلاش نفتح الدفاتر القديمة.

أجابها بنبرة أهدأ من المعتاد:

- انتي بتكذبي.

احمرت وجنتاها من الدهشة ووجدتها تنتظر حركة شفاهه ليكمل ما بدأه:

- الدفاتر ما اتقفلتش.. بتضحكي على نفسك وعليه.

واقترب منها أكثر جعل أنفاسها تقفز من صدرها هاربة منها:

- قدرتي تنسيني؟ .. أنا مش قادر أصدق.

- دي مشكلتك.

ردها كان أتوماتيكياً، حمداً لله أن تلك الحنجرة قد فادتها أخيراً..

استطردت دافعة كل جملة محشورة بزواياها:

- تصدق أو ما تصدقش دي مشكلتك.. أنا بحب إبراهيم وفرحنا بكرة .. صفحتنا اتقفلت

من زمان.. افهم بقا.

وقالت الأخيرة بنبرة مرتفعة.

- بتحبيه ولا بتحيي فلوسه؟.. بتحيي ابراهيم ولا ابراهيم محي الدين أبو العز ..

وقال قبل أن يتركها ويرحل:

- لو قدرتي تجاوبي على السؤال ده انتي عارفة هتوصيلي ازاي.. بس يارب ميكونش

الوقت ساعتها فات.

رحل وترك لها اسئلته.. شوشت على عقلها ولم تعد تعلم ما هو الصواب وما الخطأ.. من
الظالم ومن المظلوم؟!

احتضنت زوجها بشدة.. لم تنتبه لكلمات الأغنية بقدر ما تستمع لنبضات قلبه وقلبها..
خانتها عيونها تلك المرة وسقطت دمة تاركة إياها بموقف لا تحسد عليه.. فقد رأى
أحدهم تلك الدمة.. بماذا إذا سيفسر رؤيته لعروس تبكي بينما هي في حضن زوجها؟
.. شخص من نظراته لها كانت ترى الكثير من علامات الإستفهام؟
والتأنيب أيضاً!

لا تقع في حب امرأة تقرأ
 امرأة تحس بمشاعرها أكثر من اللازم
 امرأة تكتب
 لا تقع في حب امرأة مثقفة، هذيانية، مجنونة
 لا تقع في حب امرأة تعرف كيف تطير
 امرأة تعرف كيف تحول لهما إلى روح
 والأهم من ذلك .. لا تقع في حب امرأة تحب الشعر
 امرأة تقف أمام لوحة فنية فترة طويلة
 ولا تستطيع أن تعيش بدون موسيقى
 لا تقع في حب امرأة قوية وغير خاضعة
 لن ترغب أن تقع في حب امرأة كهذه
 لأنك إذا وقعت في حبها
 وبغض النظر عن بقاءها معك أو لا
 ولا عن حبها لك أو لا
 فمن هذه المرأة .. لا أحد يرجع .. لا أحد يعود !!
 " مارتا ريفيرا "

الفصل الثالث

كانت جالسة بزاويتها المفضلة بالنادي على حمام السباحة ويديها رواية يبدو أنها لن تنهيا بسهولة فلقد لازمتها لأكثر من عشرة أيام حتى الآن ..

هناك خطأ ما بها!

لا تستطيع التركيز بالقراءة ولا أصبحت القراءة تعطيها المتعة التي تنشدها حتى لوحتها الأخيرة كانت عبارة عن معركة حربية تصف الهمجية التي اتسمت بها مشاعرها والزحام الذي استأجر رأسها لأيام..

لم تعد تعلم على ماذا تحزن!

على أخيها الذي رأت حياته تنتهي بدمعة تسقط من عين زوجته ومتى؟! باليوم الذي ظن أنه البداية .. تحادثه يومياً وتكاد نبرة صوته تقسم لها أنه بخير وسعادته لا تتسع لها الكرة الأرضية ولكن..!

ما فائدة السعادة إذا علمنا أنها مؤقتة؟!!

مزيفة وستنتهي صلاحيتها يوماً ما !

سعادة كاذبة تداري خلفها حقيقة مُرعبة .. مُرعبة لدرجة أنها جبنّت على التحدث فيها مع أي مخلوق حتي فريدة نفسها .. فقط تلاقت أعينهم وقتها .. أخبرتها فيروز بصمت تام أنها رأت تلك الدموع الهاربة وأخبرتها فريدة بنفس ذات الصمت وبعيون نجمة أنها آسفة ..

ويا له من أسف؟!!

وليته الشيء الوحيد الذي يعكر صفو رأسها .. هناك عادل .. يضغط عليها .. والآن وصمها بتهمة جديدة .. قاسية ..

أنها.. لا تهتم...

أهي لا تهتم لأنها لم تُرد أن تكن طرفاً بينه وبين أبيها؟! .. أن تخسر أحدهما من أجل الآخر فكلاهما وضعها بين المطرقة والسندان .. قلب وعشق وأب وسند خرجت به من تلك الدنيا ولا تتحمل غضبه منها ..

وعادل لا يصبر .. ينتظر رد فعل منها وجواباً صريحاً يحدد وضعهم الحالي وكأنه لا يفهم أن المشكلة ليست بها فما ذنبها هي لحتى يغضب منها ويتركها ثلاثة أياماً دون أن يتحدث معها ومتى؟! .. بأكثر وقت هي تحتاجه بجانبها ..

مازلت ذكرى وفاة والدتها تؤثر بها وعقلها تشوش خوفاً على مصير أخيها الوحيد فبالنهاية هو تزوج من لا تُحبه وسينتهي به الحال حتماً إما بزواج محكوم عليه بالإعدام أو انفصال وكلاهما دمار .. ووسط كل ذلك يتشاجر معها ويطلب منها أن تتخذ موقف وتخبره بقرار وعندما طالبتة بالصبر خرج القرار من طرفه بمعاقبته!

تريد أن تصرخ بوجهه ..

ما ذنبها؟

أهي من ترفض الزواج منه أم أبيها؟

أهي من زرعت المشاكل بين أبيها وأبيه بالعمل لينتهي الأمر بفض الشراكة وخسارة كادحة لكلاهما .. خسارة أدت إلى عداوة وضغينة بين العائلتين يبدو أنها لن تنتهي

بسهولة!

هكذا أخبرها بآخر مكالمة بحزم ..

هو أو أبيها؟

على ماذا يُخبرها .. بين قلبها وروحها؟ موتها وموتها؟ هو يعلم أنها تعشقه وتريده ولكنه

لا يكتفي ولن يكتفي إلا بتنازل ..

تنازل؟! أي تنازل يطالبها به!

من الممكن أن يتنازل هو عن أبيه وكل عائلته من أجل خاطرها ولكنه لا يفهم طبيعة العلاقة بينها وبين أبيها .. أبيها ليس مجرد أب تحمل إسمه ونقوده وبعض الشكر والتقدير .. أبيها هو كل حياتها .. هو أبيها وأما .. سندها .. هو من كان يمسح دموعها دوماً .. هو من كرس حياته من أجل خاطرها .. من كان بحياتها بالسراء والضراء .. هو شمعتها التي تنير ظلمة دروبها ..

ويأتي هو بقرار وبساطة يخبرها أن تختار .. يطلب منها أن تُحي ثلاثة وعشرون عاماً قضتها في أحضان أبيها .. أيحكم عليها بسعادة منقوصة وذنب إذا فعلته لن تسامح نفسها أبداً؟! مع الأسف لا خيار لها .. هي تريده وتريد أبيها ولن تتنازل على عكسه هو لا يمتلك مصطلح الحرب والإرادة .. ينتظر منها الفعل ولا يجرؤ هو على فعله .. ألا يوجد لديه حل آخر .. حل يقنع به أبيها ويكسب به ثقته .. هي حاولت من قبل أن تلح لأبيها ولكنه صرخ بوجهها وأخبرها أن تنسى الموضوع برمته ولكن لا يبدو هناك مجال للنسيان..

الحقيقة أنها ضائعة من دونه .. تفتقد مزحه وجنونه .. تشتاق إليه .. يا إلهي ماذا تفعل ؟ أغلقت تلك الرواية التي فقدت الأمل في إنهاؤها فعقلها مشوش ولا طاقة لها بالإستماع لحكايات عن غيرها .. فيكيفها حكايتها ..

نظرت إلي الهاتف ووجدته على حالته .. لا اتصال منه ولا رسالة عتاب.. تلك المرة هو اتخذ قراره ويبدو أنه لن يتراجع وهي أيضاً قررت بتلك اللحظة بعناد أن أبيها خط **أحمر** وليفعل ما يحلو له فلقد سمّت ..

شعرت بحدة شمس اقتحمت عيناها فجأة، وضعت النظارة الشمسية فوق عينيها بينما تنادي على النادل قائلة :

- محسن هاتلي الكابتشينو بتاعي ..

وفاجئها صوت آخر وقف مقابلها ليقترح صوته خلوتها:
 - خليم اتنين يا محسن .. ولا أقولك خليم اتنين صودا بلهون ..

كان يتابعها من بعيد لفترة لا بأس بها ، كان يبدو له أنها تتشاجر مع ذرات الأكسجين المحيطة بها .. مُمسكة بكتاب تحتار في وضعيته فتارة تُغلقه وتارة تفتحه ويالها من حيرة !..
 الواضح أن مزاجها ليس على ما يرام .. عصبيتها واضحة على وجهها وحركة قدميها المتوترة ..
 فقد الأمل في أن تهدأ عاصفتها قليلاً فقرر أن يقترح خلوتها ..

- خليم اتنين يا محسن .. ولا أقولك خليم اتنين صودا بلهون !
 نظرت له بحدة ولكن تخللها نظرة دهشة من ذلك المتطفل الذي لا تعلم من أين ظهر ..
 وجدته يجذب مقعداً ويجلس مقابلها ليتحدث أيضاً ويالها من وقاحة:

- المنبهات هتعصبك زيادة .. الجو ده محتاج لمون ينعش ..
 تحشرجت الكلمات في حلقها بينما تحاول أن تقول :
 - انت .. انت ازاى تجرؤ ..

قاطعها هو مشيراً لها بأصابعه العشرة :
 - إهدي بس واسمعي ..

واستطرد :

- أولاً أنا آسف مرتين .. مرة عشان يوم ما اتقابلنا أدام الأسانسير ولو إنك خدتي حقك تالت وملتت ..

وأكملت هي عوضاً عنه بتأفف وسخرية :

- والثانية ؟! .. عشان قعدت جنبي وكمان بتطلبي على مزاجك !
 أغمض عينيه وفتحها مبتلعاً ريقه وانتبهت هي للتو أنها رمادية ..

- لآ .. عشان أنا كتبت اسمك في ال Art Gallery (معرض الفنون) وهتشاركي
معانا ..

كانت واقفة بالمطبخ بشورت أزرق قصير وترتدي فوقه قطعه قطنية بيضاء بحالة واحدة
بينما كانت نائرة شعرها بعشوائية مثيرة .. تحمل بإحدى يديها عصارة البرتقال وباليد
الآخري ما تبقى من البرتقالة ..
شردت للحظة ..

هل من الممكن أن يكون المرء سعيد لهذا الحد؟
وأجابت في نفسها :

بالطبع إذا كان إبراهيم بالأمر فلا هناك حدود للسعادة وأكثر ما يسعدها أنها تأكدت
أن ما حدث ليلة الزفاف من تشوش كان نتيجة المفاجئة ليس إلا .. مجرد سراب وانتهى
أمره ..

مخطئين من قالوا أن الحب الأول لا ينسى ! .. فالحب عملية معقدة لا وجود بها لمنطق
أو مستحيل !

لجأة تقع وتحب وتتبدل حالتك دون أي مقدمات وهذا ما حدث معها .. أنساها بحبه
الصادق لها الماضي والحاضر والمستقبل .. وجدت نفسها تلقائياً تابعة له .. لا تريد سوي ما
يرضيه .. تمنى أن تظل تتمتع بملاحه التي حفظتها عن ظهر قلب .. لجأة تحولاً من مدير
وموظفة إلى أصدقاء يتقاسمون الهموم ..

نادراً ما تجد شخصاً تشعر أنك تريد أن تسكب كل ما بقلبك له لترتاح وكان هذا
الشخص لها هو إبراهيم وله فريدة ..

وصداقة كلك لن تدوم ..

تحول الأمر إلى اهتمام ثم عشق وخطبة وزواج .. وحمداً لله أنه حدث ..

هي الآن سعادتها لا توصف .. تريد أن تصرخ من فرطها .. أن تجن وتفقد عقلها .. أن تركز في الشوارع والطرق ..

ولكنها قررت أن تحضر له بنفسها مشروبها المفضل وكل قطرة تصب بذلك الكوب يقابلها تنهيدة عاشقة ونبض قلبها الذي يردد حروف اسمه..

حاصرهما من الخلف بذراعيه بينما يقول وهو مستند بوجهه على ظهرها ويبدو على صوته آثار النعاس:

- إيه اللي مقومك من جنبي ؟

واعتدل بينما ينظر لما تحمله بين يديها ليسألها بدهشة:

- إنتي جبتي العصارة دي منين ؟

واستطرد بدهشة أكبر :

- طب العصارة لو افترضنا انك كنتي جايها معاكي .. جبتي البرتقان ده منين ؟ أجابته بدلال :

- ما ينفعش أكون جايهاهم معايا بردك ؟

عقد حاجبيه متعجباً :

- جبتي برتقان عشان تعصريه في روما ؟!

وانفجر هو ضاحكاً لدرجة أن ملامحها هي تبدلت وأخذت تنقر بديها على صدره لحتى يتوقف بينما احتل الدلال أحبالها الصوتية:

- بطل بواخة واسمعي .. حبيبت أدخل المطبخ ..عاوزه أحس اني في بيتي .. إني في

مصر ..

توقف عن الضحك للحظة قبل أن يستأنف مرة أخرى مردداً بسخرية:

- وهو البرتقان اللي هيحسك إنك في مصر ؟

قالت هي بتمرد طفولي :

- أه ..وتصدق بقا مش هشربك منه ..
واستدارت قبل أن تترك المطبخ :
- على فكرة العصارة طبيعي تكون موجودة في أي شقة مفروشة..
واستطردت :
- والبرتقان كان جيبته من سلة الفاكهة مش معجزة هي ..
استوقفها على باب المطبخ بذراعه ليحتجزها داخله:
- انتي عاوزه ترجعي مصر ولا ايه؟
فكرت قليلاً قبل أن تجيبه:
- هو أكيد ماما وبابا وحشوني بس لسه شهر العسل ما خلصش ..
غمزها بطرف عينه لتتورد وجنتها ثم سأها:
- طب إيه؟
ابتسمت عندما فهمت مقصده وقالت بغنج :
- يا هيم يا حبيبي احنا بقالنا عشر أيام مخرجناش فيهم غير مرة .. عاوزه ألف البلد كلها
شبر شبر ..
- بدا على ملامحه الضجر وقال لها بنبرة أكثر هدوءاً :
- أنا بقول نقعد نشرب العصير بتاعك أحسن ..
ليتركها هو تلك المرة تنفجر من كثرة الضحك ..
- *****
- كانت تنظر له بحدة دون حراك .. لم تتحدث ولم يكن هناك داعٍ فالنظرة التي توجهها له
تحمل الكثير من الدهشة والغضب والتوعد أيضاً ..
قطع حاجز صمتها بقوله:
- اهدي بس كده وروقي واسمعيني قبل ما تتحولي ..

لتخبره هي بتأفف:

- أستاذ .. ؟

أجابها بنبرة هادئة:

- ياسر..

- أستاذ ياسر بليز أنا أصلاً مش رايقة لأي هزار من أي نوع ..

وقال هو مؤكداً بينما يتعمق في عينيها:

- بس أنا مش بهزر ..

واستطرد:

-أنا متأكد إنك لما تعرفي أهداف المعرض مش هتعتري و.....

قاطعته بحدة :

- وحضرتك بأي صفة تقرر عني ..

صفة ! .. اااااااا لو تعلم ما يدور في رأسه فهو منذ الدقيقة الأولى التي رآها بها ولا يتنى

سوى أن يكن وحده صاحب كل الصفات ولا يحق لمخلوق سواه مجرد الحديث معها

..يعترف ..لقد استسلم للفيروز .. تملكته .. أصبحت شقرة خصلاتها محط إهتمامه ..

شغلت تفكيره وأصبحت لا تفارق صحوه ومنامه .. بالتأكيد سحرته .. أسرته .. أختبر معها

مشاعر لم يشعر بها من قبل .. تأكد من أن تلك الشقراء هي فتاة أحلامه ونصفه الآخر

بتلك الدنيا .. هي ستكون أم أطفاله وزوجته وكل ما لديه ولن يرضى بغير ذلك ..

خرج من حلم اليقظة على صوتها بينما كانت تتساءل:

- بس أنت إزاي عرفت إني برسم أصلاً ؟

استند على كرسيه للخلف بينما يقول ببرود أثار حنقها ..

- إبراهيم .. شفت عنده لوحة ليكي وعجبتي ووالي إن أخته فنانة .. على فكرة أخوكي

يجبك أوي ..

إبراهيم ! ... تنهدت .. ياترى كيف حالته الآن ؟ .. هل ما زالت تلك تخدعه بعشقها المزيف ؟ .. هي واثقة ان تلك الدمعة التي سقطت من عينيها كانت ندم وتلك النظرة كانت أسف .. ربما هي على علاقة بشخص آخر وتزوجته من أجل أمواله وحينها دأمتها صحوه ضمير .. ربما تأمرا عليه واستغلوه وجوده بروما .. يا إلهي ربما أصابوه بأذى ؟ لو ما كانت خائفة أن يشك من كثرة إتصالاتها به لجعلت الهاتف موصولاً به حتى تترك تلك الهواجس عقلها ويطمئن قلبها ..

وضعت يديها على شعرها مرجعة إياه وتنهدت بينما أكوأب الصودا ترص أمامها ونظرت لياسر بينما هو يتحدث:

- ها قولتي إيه ؟ هتشاركي معانا .. أنا كتبت إسمك عشان نكسب وقت إنما لو حابة تنسحي ده قرارك .. في الأول وفي الآخر ده عمل خيري .. لم تفهم كلامه وشعرت بأن لا طاقة لها بالحديث . أي قرار تطلبه منها وهي بتلك الحالة وما أكثر القرارات التي يطالبوها بها تلك الأيام!

لماذا تطالبي بما هو ليس بمقدرتي عادل ؟!

باللحظة التي تذكرت بها عادل وجدته أمامها .. يقف مقابلها وينظر بإتجاهها هي والذي جالس أمامها .. اتسعت بؤبؤة عيناها .. مؤكداً سيفهمها خطأ .. سيظن أنها تخون حبه .. سيغضب منها ..

توقفت عند الأخيرة .. أليست هي الغاضبة منه ؟ .. أليس هو من تركها وحيدة حتى يعاقبها ؟ .. فليعتقد ما يعتقد لم يعد يهمها الأمر .. نظر عادل إلى ياسر مرة أخرى ثم وجه سؤاله لها:

- مين الأستاذ ؟ مش هتعرفينا ؟

وقالت له فيروز بتحدي وغضب ظهر على وجنتيها ليزدادوا حمرة ..

- ياسر .. صاحب إبراهيم ..

واستطردت لتستفزه :

- وأنا كان ..

وتجاهلت نظراته الحارقة تماماً وقالت لياسر:

- معاك عريية ولا نروح بعرييتي ..

"أنا مش خايفة من الموت .. أنا خايفة اسيبك نتعذب لوحداك "

" الموت مش هياخدك مني "

في البداية شعرت " أسمهان " بضيق وثقل على مشاعرها وفي النهاية قررت ختمها ب " حبيبي دائماً " وكومة من المناديل الورقية وعين وأنف تورما من فرط البكاء .. تنهدت بحركة ..

ذلك هو الحب الذي تتمناه فحتى الموت لم يتغلب عليه .. لم يستطع أن ينهيه.. تأملت نفسها .. ما تلك الحالة التي هي عليها؟.. ماذا أصابها؟ ربما خوف!

وكيف لا تخاف .. فما أصعب الحب تلك الأيام؟ وخاصة مع مستقبل مجهول ورجل غامض لا تستطيع تحديد مشاعره .. تارة يقترب وتارة يبتعد ..

تارة يُضحكي ويُفاجيء وتارة يتجاهل ..

رجل معه تكون كل يوم امرأة جديدة تتشكل على حسب أحواله المزاجية .. رجل يستطيع بلمسة منه أن يأخذها إلى السحاب أو يسحبها لقاع الأرض.. إلى متى سيظل ذلك الأمر هكذا!!

هو يقرر وهي تستقبل ..تفرح وتحزن على أهواءه ..

لقد ملت تلك الوضعية ...

واليوم قرر هو ألا يجيب علي مكالماتها واكتفى برسالة

" مشغول .. ها كلمك بعدين "

أي انشغال هذا بحق الله ؟ .. أريد أن يختبر الدلال عليها؟

لم يكن الحال هكذا بالسابق .. مازالت نتذكر كيف كانت البداية ..

كانت شرارة الحب تنطلق من عينيه حتى أحرقتها فازدادت تعلقاً به وهامت به..

ابتسمت عندما تذكرت لقاءهم الأول وياله من لقاء ..تذكرت باقات الورد والشيكولاتة

البيضاء وما أقوى تأثيرهم على قلب أي فتاة.. لقد مر على تعارفهم أربعة أشهر وخمسة

أيام وثلاث ساعات ولكنها تشعر أنها تعرفه منذ أمد بل قبل ولادتها ..

وضعت علبة المناديل جانبها وأغلقت حاسوبها فلقد أجهدتها البكاء كثيراً .. والحمد لله

هدأت هي الآن وتشعر برغبة في نوم عميق بلا إزعاج ..

ولكن ..؟

كل شيء تقررته وأي شيء تخطط له يذهب سُدى بمجرد أن تلمح اسمه على هاتفها ..

نسيت غضبها منه بل ونسيت نفسها وتوقف الزمن كله عليه بالنسبة إليها ..

وضعت الهاتف على أذنيها قائلة بسعادة حاولت إخفاءها قدر الإمكان ..

- مروان !

وأجاب الآخر بجملة واحدة :

- إنزلي أنا مستنيكي أدام الفيلا ..

كانت فيروز تنظر للشوارع شاردة ، هائمة وبالعالم آخر وهو احترام صمتها ولم يتحدث ولكنه أصابه الغضب الشديد منها .. صغرت أمام نفسه ولم يكن ذلك فقط ما ضايقه بل ذلك الشخص الآخر فلقد كان يبدو من طريقة حديثهم أنهم على علاقة وتشاجرا !
يجب أن نتقبل .. الفيروز مفتاح قلبها مع غيرك .. لقد تأخرت ياسر .. تأخرت كثيراً ..
انتبه لصوتها تصرخ به بعدما وضعت يديها على صدرها محاولة السيطرة على تلاحق أنفاسها:

- براحة .. كده هنعمل حادثة .
- ونظر هو لقدميه وانتبه للتوبأنه كان يقود السيارة بسرعة جنونية فتنهد ثم أخبرها:
- آسف .. كنت سرحان ..
- ولم تجيبه بسوى:
- ممكن تروحنى ..
- واستطردت بإصرار:
- من فضلك عاوزه أروح ..
- فاستدار هو مستسلماً لها من أول دوران قابله متجهاً إلى العنوان الذي قادت إليه ..

- إنزلي أنا مستنيكي أدام الفيلا ..
- تلعثمت قبل أن تجيبه :
- مروان انت اتجننت ؟ .. أنزل فين!
- وفتحت نافذة غرفتها ووجدته يقف على الجانب الآخر من الشارع واضعاً يديه على صدره .. أشار لها بدوره أن تأتي له وهي كانت تشير له بالإتجاه المعاكس .. كي يرحل .
- يا مجنون .. امشي قبل ما حد يشوفك ..

أشار لها نافياً برأسه فابتسمت هي وألقت الهاتف بجانبها وتسلفت من الباب الخلفي بخفة
وحمداً لله لم يستوقفها أحد ..

أخذته بجانب السور حتى لا يراها أحدهم من الشرفة بينما تقول :

- ايه اللي جابك هنا مش خايف بابا يشوفك؟

أجابها بنبرة عاشقة جعلت داخلها يقشعر ..

- وحشتيني ..

كتفت صدرها بذراعيها وقالت له بتحدي :

- كنت قلت انك مشغول ..

واقترب هو منها بينما يخبرها :

- مشغول بيكي ..

عقدت حاجبها ثم سألته:

- انت قاصد تجنني صح!!

وابتسم هو قبل أن يجيبها :

- كنت عارف انك زعلتي عشان كده جيت أصالحك .

وأكمل:

- عندي خبر حلو .. عملت انترفيو انهاردة ..

سكنت ملاحظها قبل أن تتساءل :

- هاه وبعدين ..

- اتعينت بقيت محصل ضرايب أد الدنيا.. وأخيراً مش مصدق وكان هستلم شغل من
بكرة..

احتضنته أسماً تلقائياً ولسانها يتحدث بسعادة:

- حبيبي ألف مبروووك مش قولتلك كل حاجة هتبقى كويسة ..

نظر إليها مروان ليصطدم بدموعها التي كانت تسقط دمعة تلو الأخرى.. احتضن وجهها بكلتا يديه ومسح دموعها وسألها بتعجب:

- بتعطي لي؟

وقالت له بتلقائية وبراءة أشعرته بكبر ذنبه:

- دي دموع الفرح .. أي حاجة تخليك مبسوط هي أحسن حاجة ممكن تحصل بالنسبالي..

توقف أمام الفيلا دون أن ينظر تجاهها أو يتحدث وانتبهت هي للتو أنها قد جرحته عن غير قصد، استخدمته كوسيلة لتعاقب عادل ودون أن تأخذ موافقته، وضعت بموقف محرج وحتى لم تعتذر له بالشكل المطلوب ..

وضعت يديها على مقبض باب السيارة ثم تراجعت .. نظرت له قائلة بنجل ورجل :
- أنا آسفة ..

وتخنحت لتكمل بحرج بين:

- يعني عشان اللي حصل في النادي .. صدقني مكنتش اقصد استغلك كل اللي كنت بفكر فيه اني عاوزة أهرب من المكان ده ..

ابتسم هو حينها بينما لسانه يردد ببعض الدهشة:

- مكنتش أعرف انك بتعرفي تعتذري..

عقدت حاجبها والعصبية قد تملك من نبرة صوتها:

- على فكرة أنت اللي دائماً بتستفزني .. متوقع مني أعاملك ازاى !

وضع يده مشيراً لها بالصمت بينما يقول:

- خلاص أنا غلطان سحبت الكلمة ..

لتبتسم هي في النهاية:

- واحدة قصاد واحدة .. كده اتصافينا ..
- ثم أخرجت قلم من حقيبتها وكتبت رقم هاتفها على منديل ورقي..
- كلمني عشان أفهم منك حوار المعرض ..
- واستطردت قبل أن تغلق باب السيارة:
- على فكرة انت فيك شبه من ابراهيم أخويا ..

- كان مروان ينظر لها متأثراً ببراءتها تلك .. أي قلب تملك بحق الله! .. يعلم أنه يحزنها كثيراً وهي لا تعاقبه سوى بالغفران..
- قال لها بتأثر:
- أسما .. أنتي بريئة أوي .. أوعي نتغيري ..
 - خرجت من بين أحضانه متسائلة:
 - واتغير ليه؟
 - وأجابها إجابة لم تكن تتوقعها:
 - عشان الدنيا وحشة أوي ..
 - نظرت لعينيه متسائلة بعدما تسلل الخوف داخلها:
 - ليه بتقول كده؟

ولم يجب .. فقد اتجهت أنظارهم للسيارة التي توقفت أمامهم .. لم تكن سيارة تخصهم وأسما تعلم ومع ذلك لم يقل خوفها ..

ظلت منتظرة حتى رأت فيروز .. خرجت من السيارة وأشارت لصاحبها بالرحيل ولم ترحل هي فلقد رأت مروان ونظرت نحوهم متعجبة بينما أسما قد جف حلقها .. ما كان يجب أن تسمح له بأن يظل .. كان لابد أن تصرّ على رحيله .. ماذا ستقول وكيف

ستبرر؟ من الأفضل لكلاهما أن يبقى أمرهما سرّاً حتى تستقر أمورهما وحينها ستواجه الجميع فهي لا تريد أن تبدأ تلك الحرب الآن فأَيُّ منهما ليس بمستعد لها ..
 اقتربت منهم فيروز وعينيها تحمل ألف سؤال. نظرت لأسمهان لثوان محاولة الفهم ثم
 تبعته بسؤال حتمي:
 - أسما!

واستطردت بينما علامات الدهشة كانت قد شكلت ملامح وجهها:
 - مش هتعرفينا؟

الفصل الرابع

كم مر من الوقت ؟

دقيقتان أو ربما ساعتان ..

وما الفارق ؟

فالوقت لم يغير شيء فهي الآن عليها أن تجد حل وبسرعة ..

أين الحل ؟ يا الله بل أين ذهب عقلها! .. ماذا ستقول وكيف ستشرح ؟!

كيف ستواجه ؟!

استيقظت من حالة الثبات تلك على صوت مروان والذي مد يديه لفيروز مصافحاً إياها:

- مروان .. زميل أسما في الكلية ..

واستطرد بلباقة:

- معلش جيت فجأة بس عندنا امتحان بكرة وأنا ناقصني شوية محاضرات..

لم تهتم فيروز كثيراً ولم تستشعر كذباً بكلماته فأساساً هي مجهدة بما يكفي لجعلها تستلقي

على أول أريكة تقابلها.. بالفعل يحتاج رأسها لهدنة.. قليل من السلام النفسي للروح

والعقل ..

فقالت بإبتسامة ودودة:

- فرصة سعيدة استاذ مروان .. اتفضل جوة الفيلا اشرب حاجة ما يصحش تقف

كده على الباب ..

وحينها تدخلت أسما بعجلة:

- معلىش هو مفيش وقت ..
- واستطردت بخفوت:
- يعنى عشان الإمتحان ..
- استسلمت فيروز لما تريده في النهاية قائلة:
- تمام .. ربنا معاكم ..
- ونظرت لأسماء قبل أن تخبرهما:
- أنا هادخل بقا تصبخوا على خير...

زفرت زفرة حادة .. انتهى الموقف بسلام .. حمداً لله لم تشك فيروز بشيء .. فتحت
عينها المغلقة ووجدته أمامها ..

أمازلت هنا ؟!

كانت تقريباً تدفعه دفعاً ولكنه كان مازال بمكانه ينظر إليها مبتسماً ومعجباً بحالتها المتوترة
تلك ..

قالت له بلهجة آمرة:

- امشي بقا لحد تاني يشوفك ..
- وأكلت بينما تدفعه عليه يتحرك:

- إنت لسه واقف!

فضحك بينما يخبرها:

- حاضر براحة ما تزقيش ..

واستطرد بينما كان يشير لسيارة أجرة قادمة:
- هستناكي بكرة في البيت محضرك مفاجئة هتعجبك أوي ..

مجنون ...

تعشق مجنون .. وما باليد حيلة ولا في هذا الأمر تمتلك حلول ..
عشقه مرض استوطن خلاياها واحتل عقلها ويكانها .. لا هناك أمل بالشفاء ولا
خيارات أخرى أمامها .. خيارها الوحيد أن تعشقه وتعشقه دون توقف ..
اتوماتيكاً قلبها ينبض برؤيته ويتوقف عن الخفقان بغيابه .. إذا أحرزها يسكنها الظلام ..
تتوجع .. تضع ..

ما بال اذا تركها ورحل ؟!

دائماً يطاردها هذا السؤال وهي محقة فتصرفاته معها تصنع بعقلها علامة استفهام كبيرة
.. أحياناً تظن أيضاً أن تخليه عنها سيكون سهلاً وأحياناً تشعر أنه لا يحبها كما تحبه هي
ولكن بمجرد أن تصل لتلك المرحلة من اليأس يفاجئها .. يشعرها بأنوثتها .. يدلها كالمملكة
ويخاف عليها وكأنها طفلة .. يخبرها بأنه لا يستطيع العيش من دونها ثانية واحدة ..

هو لغز ..

غامض ..

مخيف ..

مجنون ..

ومع الأسف تعشقه بمجنون ..

كانت تسير بطريقها لداخل الفيلا بينما عقلها يشغله تلك الأفكار .. لم تنتبه من شرودها واصطدمت بشجرة كادت أن تفقدها توازنها .. توقفت لتلمم نفسها وأفكارها وبينما عقلها يؤكد لها حقيقة واحدة ..

" ذلك الرجل سيصيبها بالجنون يوماً ما "

انتبهت لصوت غريب فتوقفت .. في البداية لم تستوعبه تماماً فقررت أن تستمر بطريقها حتى سمعته مرة أخرى ..

- بسسسسس .. بسسسسسسس .

تقدمت عدة خطوات حتى تثبت ما خلف الظلام .. ركزت بعينها ثم قالت باستغراب:
- عادل ؟!

واستطردت:

- انت بتعمل ايه هنا؟

أجابها هو بهدوء:

- ايه يا أسما انتي نسيتي اننا جيران!

تلعثمت قبل أن تقول:

- معلش أنا اتخضيت .. ايه اللي موقفك في الضلمة كده ؟

وسأله بعد ان ابتلعت ريقها:

- أنت كويس ؟

أشار برأسه نافياً وعاد يرفع رأسه مرة أخرى بينما يقول لها مترجياً :

- أسما أنا محتاج مساعدتك .. روز مش بترد على تليفوناتي وعارفها كويس مش هترد ..

زعلانة مني..

وأكل بضيق :

- بتعاقبني ..

توترت أسما ثم قالت له بعجلة:

- عادل بليز ما تدخلنيش في الموضوع ده ..أصلاً بابا لو عرف هيهدلني أنا مش ناقصة مشاكل ..

اقترب منها بينما يقول لها مترجياً:

- أنا مش طالب منك غير انك تعرفيها أني مستنيها هنا..

تهدت أسما وذهبت حتى تناديها .. لا خيار آخر لديها فهي أيضاً عاشقة ولا تتحمل فراق الأحبة ، تعلم الحب وعذابه ، وجعه وستفعل أي شيء حتى لا يعيش أحدهم ذلك الشعور .. هي بطبيعتها لا تحب التدخل بحياة فيروز أو أي شخص ولكنها لا تنكر فلقد شفقت على عادل وكثيراً ..

ذهبت بإتجاه الفيلا الأخرى التي تسكنها فيروز مرغمة .. ولا تعلم ماذا ستخبرها وكيف ؟!

بمجرد أن أغلقت باب الفيلا شعرت بإنهاك غير طبيعي ، كانت في طريقها للغرفة تتخلص مما ترتديه واحداً تلو الآخر، بدأت بجاكيته ثم حذاءها وكانت ستكمل لولا أن استوقفتها كريمة ..

- روز؟!

- ابتسمت ثم استدارت ناظرة إليها لتقول ببعض الدلال عليها:
- دادا حبيبتى أنا آسفة بس بجد هموت وأنا م هبقى أشيل كل الكركبة دي أما أصحى..
- اقتربت منها كريمة لتقول بعصبية بالغة:
- مش بنادي عشان هدومك..
- واستطردت بعصبية:
- كنت هموت من القلق عليكي ..حضرتك ما بترديش على تليفونك ليه؟
- قالت فيروز بينما تنظر لها تفهما:
- تليفوني! انتي اتصلتي بيا صدقيني مخدتش بالي..
- كالعادة طبعاً جملتك المشهورة "مخدتش بالي" وبعدين انتي مش وعدتيني ما تسوقيش العربية لوحدة .. ماخذتيش السواق معاكى ليه ؟
- عضت فيروز شفيتها نجلاً ثم قالت :
- طب ممكن نأجل الموضوع ده لوقت تاني ؟
- لا مش هنأجل .. أنا شوية وكنت هتصل ببابكي ..
- قالت فيروز بضيق :
- دادا انتي مكبرة الموضوع جداً .. ايه المشكلة ل....
- قاطعتها كريمة لتقول :
- انتي عارفة لما مكنتيش بتردي جيه في دماغى ايه ؟ انك جاتلك الأزمة وانتي لوحدة
- .. أنا كنت هتجنن ..
- اقتربت منها فيروز لتحتضنها عندما شاهدت قطرات من الدموع قد بدأت في النزول على

وجنتها ..

- دادا حبيبي ما تخافيش ..البخاخة علطول في شنطتي وكان أنا بقالي فترة طويلة مش بتجيلي الحمد لله..

وقالت متوسلة إليها:

- يا خبر والله مكنتش أقصد أقلقك كده .. بليز ما تزعليش أنا مستحملش زعلك ..
ابتسمت رغماً عن دموعها لتقول :

- أعمل ايه ؟ .. ما بعرفش أزعل منك ..

ومسحت دموعها لتقول فجأة وكأنها تذكرت للتو:

- استني هتنامي من غير عشا .. أنا هروح أعملك أي حاجة تاكليها ..

كانت فيروز بتلك اللحظة تفتح فاهها من أجل أن تعترض .. أي طعام يؤكل بتلك الساعة ومن أين ستجلب له شهية ! .. هي الآن لا تشتهي سوى النوم والهروب من تلك الحياة ولكنها لم تتحدث فقد قاطع حديثهم صوت جرس الباب ..
قالت فيروز بسعادة بينما كانت تركض باتجاه الباب :

- ده أكيد بابي ..

وفتحته على مصرعيه لتفاجئ بأسماء أمامها ..قالت بعد أن تخطت المفاجئة فنادرًا ما تزورها
أسماء أو بشرى ..

- أسماء !

وأشارت لها بالدخول بينما تقول مبتسمة:

- واقفة عندك ليه ؟ ادخلي ..

ثم تسألت عندما وجدتھا لا تتحرك :

- مالك يا أسما .. فيه مشكلة حصلت ؟

قالت أسمھان مؤكدة لها بنبرة متوترة :

- لو مجتیش معايا صدقيني ھتحصل مشكلة .. عادل مُصرّ انه يشوفك ده ممكن يبات في

الجينة وانتي عارفة بابا لو شافه

قاطعتها فيروز وقالت بينما تلتقط جاكيتها من ع الأرضية:

- مفهوم مفهوم .. أنا طالعاه ..

كان مستلقياً على الأريكة يحرك سلسال المفاتيح لا إرادياً ويديه الأخرى يحمل المندیل

الورقي الذي سجلت عليه رقم هاتفها.. شاردًا هائماً وغير منتبه لمن يدق جرس الباب

بسبب صوت التلفاز العالي.. في الحقيقة هو غير مدرك لوجود تلفاز أو غيره فعقله تركه

خارج المنزل .. عقله معها .. لا يستطيع أن سوى أن يفكر بها وكلما يراها يزداد تعلقه بها

..

ولكنه الآن محبط .. حزين .. الطريق صعب بل مستحيل .. الفيروز قلبها يدق لغيره وهو

شيء واضح مثل الشمس .. عصبيتها وغضبها وثورتها عليه .. هروبها بتلك الطريقة معه

والدموع التي كانت سجينة عيناها كل هذا يبرهن علي شيء واحد أنها تعشق هذا

الشخص الذي قابلهم بالنادي وغاضبة منه ..

أحمق ..

كيف طاعه قلبه أن يُحزنها ؟!

تلك الرقيقة لا تستحق سوى الدلال ..

بتلك اللحظة ازداد رنين جرس الباب لدرجة جعلته ينهض مفزوعاً من مكانه .. فتح الباب سريعاً ثم قال:

- صدقي !

وأكل موبخاً:

- فيه ايه يا ابني حد يرن الجرس كده ؟

دخل "صدقي" للداخل بينما يبرر له:

- أعملك ايه بقالي ساعة على الباب .. أنا لولا شفت عريبتك كنت قلت أنك مش هنا

..

تنهد ياسر قبل أن يخبره:

- مش كفاية أن اسمك صدقي وكان رخم .. ايه محدش قالك انه فيه اختراع اسمه

موبايل ؟!

جلس صدقي على الأريكة بينما يردد :

- يا أخي انت علطول لازم تفكرني بمأساتي .. منه لله بابا صمم يسميني على إسم جده

الكبير ..

جلس ياسر ليكمل عوضاً عنه تلك الإسطوانة التي حفظها عن ظهر قلب:

سأله صديقه بينما يلکزه بذراعه :

استند ياسر على الأريكة بينما يقول :

- وهو اللي يعرفك يرتاح ؟

ثم تلاشت ابنتامته وفاجئته بسؤال لم يكن ياسر نفسه يتوقعه :

- صدقي .. هي لو واحدة قالت لواحد انت شبه اخويا ده معناه إيه ؟

أجابه الآخر بتلقائية لا يعلم وقعها على قلبه :

- معناها انها ارتاحتله بس زي أخوها

قال ياسر بعد أن تغيرت ملامح وجهه وتملكه الضيق:

[illegible]

كانت تشعر أنها تتحرك بفعل نبضات قلبها لا خطوات قدميها .. كانت ثائرة .. غاضبة ولكنها مع حركة شعرها المتطاير كانت فاتنة .. حمداً لله أن الظلام رأف بعادل وحجب

عنه رؤيتها بينما كانت تتقدم نحوه ..

وقفت مقابله لتقول ناهرة إياه:

- انت أكيد مش في وعيك ..

وأجابها هو بصوت هاديء للغاية وكأنه خرج من شخص يبعدهم بمسافة..

- بسببك ..

كررتها فيروز متعجبة:

- بسببي أنا ؟!

سألها :

- اتصلت بيكي كثير مش بتريدي ليه ؟

أجابته بتحدي :

- وأنا مش تحت أمرك تكلمني وقت ما تحب وتقاطعني وقت ما تقرر ..

واستطردت :

- من فضلك امشي دلوقت ..

كان تقريباً لا يسمعها وقال لها بعد فترة من الصمت :

- مين ياسر؟

أجابته فيروز بهدوء لا تعلم من أين حصلت عليه :

- عادل يمكن جيه الوقت اللي لازم نحسم فيه الموضوع ..

ازدادت ضربات قلبه .. تلك الجملة عادة لا تحمل سوى الكوارث .. وتلك النبوة

الجديدة التي بصوتها لا تعجبه .. أي موضوع تود حسمه بحق الله !

- لاً ..

وضعت يديها على شعرها لتزيحه للخلف بينما التوتر قد تمكن من نبوة صوتها وأطرافها:

- أنا تعبت وانت بتضغط عليا زيادة مش قادر تفهم اني مش ممكن أخسر بابي أو أخليه حتى يزعل مني ..

بتلك اللحظة تحديداً خرجت منها دمة ودت أن تحاسبها لأنها هربت من مقلتها دون إذن منها .. لم ترد أن تظهر ضعيفة أمامه أو أمام أي شخص ..
مسح دموعها بينما يقول:

- أنا آسف .. مكنتش أقصد أزعلك .. بس اتصرفت كده عشان بحبك ومش ...
قاطعتة مؤكدة:

- عشان بتجيني لازم تفهمني وتقف جنبي مش تعاقبني وتحملني ذنب معملتهوش ..
اقترب منها أكثر ليحتضنها:

- قلبك أبيض بقا .. وبعدين أنا كنت بعاقب نفسي مش بعاقبك ..
وتملصت هي من بين ذراعيه ثم أخبرته:

- ابعد عني ..

نظر إلى شفيتها العذراء وود أن يقتحمها بقبلة يسيطر بها على مشاعرها ولكنه لم يستطع أن يتبع خيالاته .. لا يستطيع أن يخمن أو يضمن ردة فعلها .. ربما ستصفعه .. ستوبخه .. ربما ترحل بعيداً وربما لا تفعل أي من هذا ولكن معها لا مجال للمجازفة ..
اقترب منها ليهمس بحنان :

- روز قلتك آسف .. خلاص ما يبقاش قلبك أسود ..

كانت تعض على شفيتها وعينيها على الأرض وهدوءها أشعره بأنها على وشك الإستسلام والسماح فأخبرها :

- بحبك ..

رمشت بعينها عدة مرات قبل أن تجيبه:

- ما تسبنيش تاني ..

اقترب منها ليحتضنها تلك المرة بعد أن سمحت له ليقول:

- توبة ..

هل قُتلت من قبل؟

ذُبحت وكنت الشاهد الوحيد على نهايتك !

سُلبت كل احساس بداخلك وتحولت إلى صخرة !

جمرة تحترق ..

هذا كان شعورها تحديداً بينما هي تشاهدهم من خلف شجرة ..

هي تدلل وهو يطلب السماح ..

هي تثور وتدفعه بعيداً ..

تصرخ ..

تحاول الإبتعاد ..

وهو يتوسل ويطلب قربها .. يخبرها بأنه عاشقٌ لها ..

لا يستطيع التفريط بها ..
وهاهي تمنحه السماح أخيراً ..

لماذا لا يحصل كل منا على ما يريده فيرتاح الجميع ؟
ألأنها دار الشقاء ! .. أم أننا بني آدم نطلب ما هو مستحيل ؟

ابتلعت تلك الغصة التي بحلقها.. يا إلهي هل ستظل نتعذب كل حياتها !
هناك في الكون جنة ونار .. وجنتها عادل ونارها فيروز .. كم مر من عمرها .. هل ستنتظر
خمسة وعشرون عاماً آخرون على أمل أن يشعر بها ؟!
إلى متى ستظل ذليلة هواه ؟

لا ولن يحدث .. لن تكن تلك بشرى إذا فعلتها .. يجب أن تفعل شيء كي توقف تلك
المزهلة ..

فليتغير ذلك الوضع ولتبقى هي صاحبة القرار .. ولتذهب هي معه إلى الجنة أو يأتي معها
هو إلى الجحيم ..

فليحترق الجميع لا يهم ..

المهم ألا تخسر وحدها ..

خرجت من شرودها على صوت أسما اللي تركض ناحيتهم مرتعبة بينما تخبرهما:
- فيروز بابا جيه ..

ونظرت لعادل لتقول له بتوسل:

- وانت ياريت تمشي دلوقت..

ابتسمت بشرى في نفسها مرددة بسخرية اختلطت بمرارة:

" حتى أسما انضمت لرابطة عشاق الفيروز "

عندما تسعد يحافيا النوم وعندما تحزن يصبح النوم صديقها المخلص والوحيد ..
من يصدق أنها نفس هي تلك التي كانت منذ ساعة تطلب من كريمة تأجيل الحديث
لأنها لا تستطيع فتح عينيها من شدة الإرهاق ..

من أين جاءت تلك الحيوية وذلك النشاط ؟!

كانت مستلقية بفراشها ممسكة بهاتفها وترسل رسالة على " الواتس أب " كان محتواها:

" أون لاين ليه يا استاذ في نص الليل اوعى تكون بتحب عليا ;) "

ابتسم هو عندما وصلته الرسالة ليجيب على رسالتها ..

" وهو اللي يحبك يقدر يحب عليكي ^_^ "

" طبعاً فكر بس تعملها وهتلاقي الساطور على رقبتك عدل ☺ "

" O:o المرأة والساطور الجزء الثاني "

" لأ .. صدقني الجزء بتاعي هيكون مختلف تمامًا "

" O: لا ياستي الطيب أحسن "

" يلا اعترف كنت صاحي بتعمل ايه ؟ "

" بفكر في حل لمشكلتنا "

صمتت هي للحظات قبل أن تجيبه

" عادل الحل الوحيد إن أونكل مدحت يروح لبابي ويعتذر منه "

" غير كده بابي مش ممكن يوافق على علاقتنا "

" انتي عارفة أن ده مستحيل "

" طب ممكن نأجل الكلام ده ليوم غير انهارة أنا مزاجي رايق ومش حابة اتضايق "

" حاضر "

" بحبك <3 "

وقبل أن تجيبه قاطع حديثهم اتصال من رقم غريب لا تعلمه .. ترددت في البداية

ولكنها أجابت بالأخير قائلة بتوجس:

- ألو ..

تنح الطرف الآخر قبل أن يجيب :

- آنسة فيروز .. أنا آسف اني اتصلت بيكي في وقت متأخر بس الموضوع ضروري ..

- مين معايا ؟

- ياسر ..

- ياسر ! .. خير !

- لازم بكرة تتقابل .. المعرض معاده اتحدد كان يومين ولازم تختاري اللوحات اللي

هتشاركي بيها وكان الأفضل تكوني حاضرة معانا التجهيزات من بدايتها ..

تلعثمت قبل أن تجيبه :

- بكرة ! .. أنا لسه مفكرتش حتى هشارك بإيه ..

واستطردت :

- عامة أنا هشارك بشغل جاهز .. ابعطي العنوان اللي متجمعين فيه برسالة وأنا أول ما

أحضرهم هجيهم وأجيلكم ..

- تمام .. حلو جداً ..

وابتلع ريقه قبل أن يخبرها:

- مستنينك ...

أسماء .. رقيقة .. حنونة .. ودودة .. تحمل قلب طفل .. بريئة بدرجة مزعجة ..

يعترف كانت سهلة .. سيلتهمها هي والطعم والسنارة وربما تشكره في النهاية .. هي رائعة بنظره وعيها الوحيد براءتها .. تلك البراءة تقتله .. ذلك الحب الذي تكنه له يخبره كم أصبح حقيراً .. تلك الدموع الذي تذرفها من أجله لا يستحقها .. تلك العيون الصادقة تذكره لأي درجة وصل هو من الندالة والخسة .. ولكن ليس كل ما نتمناه ندركه هناك حسابات يجب أن تنتهي .. هناك نارٌ داخله لا يستطيع التعايش معها والتأقلم عليها .. تذكر .. كيف خطط من البداية .. كيف وضع لها الطعم وهي ابتلعت به بسعادة .. استأجر فرداً بسيارة واختار من هو يحمل ملاح مُرعبة ..

تبعها بسيارته ثم بدأ يتحرش بها لفظياً وهي لم تفعل سوى أن ظلت تُسرع بالقيادة لتبتعد عنه .. فوجئت بعدها أنه يلاحقها .. ارتعبت منه بالفعل .. كانت تدخل من حارة لأخرى عليها تتخلص منه .. ظل قلبها يدق بسرعة وعقلها ينتفض من مجرد تخيلها عن الذي من الممكن أن يفعله ذلك الشخص إذا استطاع الإمساك بها .. كانت ترتعش والعرق غطى جبينها وحتى لم يكن هناك فرصة كي تلتقط هاتفها وتطلب النجدة من أحدهم .. أن تصرخ حتى .. كل ما كانت تفكر به أن تهرب بسيارتها بعيداً عن ملاحه الكريهة التي ستفقدوها الوعي .. ولكن ..!

حدث ما خافت منه ووقعت بالمحذور .. استطاع أن يتقدمها ويسد عليها الطريق والأفطع أنها لا تعلم أين أخذتها سيارتها .. فقط هو وهي والخوف و ذلك الظلام .. تركت السيارة وركضت بينما كانت تصرخ بأعلى ما فيها من قوة ولم تستمع سوى لصدى صوتها ..

" اللعنة إلى أين ذهبت أنا؟! .. منحته بغباء ما يريد "

كانت تركض بينما تنظر خلفها ولكنه كان أسرع منها ويقترب منها شيئاً فشيئاً .. شعرت

وكأنه لامس حافة شعرها وكاد أن يحكم عليها السيطرة ولكنها هربت لتترك له بعض خصلاتها بيده وحتى لم تشعر بأي ألم .. لا تشعر سوى بذلك الخوف الذي سيتوقف قلبها على أثره .. ابتعدت عنه عدة إنشآت ولكنه مع الأسف استطاع الإمساك بها .. حاصرهما من خصرها وظلت هي تتملص من تحت يديه كقطعة مذعورة .. تارة تخربشه وتارة تركله بقدميها حتى أنه قامت بعضه ولم يفيد ذلك أيضاً ..

لك أن تتخيل قطرة بيد كلب مسعور .. الأمر محسوم ..

شعرت وكأنها بدأت تفقد قوتها حتى صرخاتها كانت حلاوة روح .. بالتأكيد ستموت .. ستنتهي تلك الليلة .. ليتها يقتلها الآن قبل أن يفكر بإتهاكها .. ليت الأرض تنشق وتبلعها .. ليتها تختفي فما تشعر به الآن أقوى من قوة احتمالها .. وفجأة اليد التي كانت تكتم فيها ابتعدت والنفس الكريه الذي كان محيطاً بها زال عن أنفها ..

فقد جاء دور المنقذ .. شجاع الشجعان .. انقذها من براثنه وظل يضربه بقوة أطرحته أرضاً ثم أخذ القطعة مبتعداً بها عن دائرة الخطر ..

فكرة قديمة ومستهلكة بالأفلام العربية ولكنها مجدية .. مجدية جداً

ومن ذلك اليوم وأصبح هو بنظرها ذلك الفارس .. فتى أحلامها الذي كانت تنتظره .. كم هي حمقاء ! فزمن الفروسية قد ولى ..

ألا تعلم أن فارس ذلك العصر قد قتل جواده ؟!

غداً ستأتي لمنزله وستنتهي تلك اللعبة السخيفة .. سيتخلص من شعوره بالذنب تجاهها وللأبد ..

كل شيء جاهز حتى كوب العصير الذي سيضع فيه المخدر .. لن يشفق عليها حتى وإن
توسلت .. لن يكن هناك مجال كي يتراجع .. لن ينقذها أحدهم من براثن الذئب
الحقيقي ..

فهي من ستدخل للقفس بقدميها والقانون لا يحمي المغفلين ..

الفصل الخامس

الليل ، يختلف تقديره على حسب الأحداث التي ننظرها ...
 أسما كانت ترى الليل لا ينتهي .. الدقيقة تمر عليها وكأنها ساعة
 من فرط سعادتها لا تستطيع النوم ومن كثرة الاشتياق لا تقبل بالانتظار .. ليته تقضي
 كل دقيقة بعمرها بجانبه فهي معه فقط تحيا ..
 أما فيروز كاد الليل أن ينقضي بأكمله بينما هي لم تستقر بعد ، تفاضل بين لوحة وأخرى
 وبالنهاية لا قرار..تمددت على الأرضية بعدها من كثرة اليأس ولكنها نهضت عندما
 تذكرت أن لا وقت لديها لذلك التردد ..
 لم تفهم حالتها!!! ضربات قلبها تتزايد بالإتفاق مع بطنها المتألم وكأنهم على تواصل بالفعل
 .. نفس شعورها وقت الامتحان الشفهي أيام الجامعة..
 فسرت ذلك على أنها للمرة الأولى ستخرج من دائرة الهواة للاحترافية بعد أن يشاركها
 غيرها ألوانها وشخصياتها المرسومة ..حتى وإن كان ذلك معرض بالمجان فللفن معايير
 أخرى غير ملهوسة .. نعم غير ملهوسة ولكنها محسوسة وكأنها هالات تنتقل من شخص
 لآخر..
 قامت بعد جميع اللوحات اللاتي من وجهة نظرها الأفضل ووجدتهم ثمانية .. قررت أن
 تشارك بهم جميعاً عدا واحدة لن تفرط بها مهما كان الثمن .. تلك التي يفضلها عادل
 وأسماءها على اسمها ..

فيروز اللوحة تختلف كلياً عنها فتلك الفتاة الريفية بشرتها سمراء على عكسها تماماً ولكنه أخبرها أنها تحمل نفس صفاءها، عيونها بنية ولكنه يقول أنها نتطلع للحياة بحب مثلها، تبدو ساكنة وخاضعة ولكنه أخبرها أنها تدخر داخلها عواصف أمشير كالتي تملكها أوقات عصبيتها.. أخبرها أن في تلك اللوحة سحر وتلمس شغاف قلب من يراها مثلها والسحر لديه يكمن في حروف اسمها فمنحها شرف لقبها..

وضعت اللوحة برفق مكانها بعد أن قبلتها ونظرت إلى الساعة فوجدتها تخطت الرابعة فجراً .. أدركت أن عليها الذهاب لمهدا فقد تبقى فقط ثمان ساعات على موعدها مع ياسر بالجمعية.. ذلك المكان التي لا تعرف عنه شيئاً حتى الآن سوى عنوانه وبعض التفاصيل الناقصة.. و.. رجل غريب الأطوار لا تعلم كيف طاعته حتى الآن !

ثمان ساعات قضتهم أسما بفراشها الوردي الوثير وكأنها نائمة على جهرة من نار وما أن يغالبها النوم وتستسلم له حتى تستيقظ مرة أخرى تتساءل!

ترى ما هي مفاجئته الكبرى؟
تلك المرة الأولى التي يطلب منها الذهاب لمنزله..
هل سيعرفها على أهله؟

وابتسمت عندما خطر ببالها شيء فاليوم تحديداً حصل على وظيفة جديدة واستقرت أموره إلى حد ما فربما قرر أن يفاجئها ويعرض عليها الزواج غداً بطريقة رومانسية كما تشاهد بالأفلام الأجنبية..

يا له من شيء جميل مجرد التفكير به جعل قلبها ينتفض من السعادة..
ويا لها من سعادة !

دفنت رأسها بالوسادة وتهدت منتظرة لقاء الغد بلهفة وفرحة بالغة..

كانت أسما تقف أمام سيارتها التي تعطلت للتو بعد خروجها من الفيلا بعدة دقائق
ودون سابق إنذار وكأن مقولة " **كلما تعجلت .. تعطلت أكثر**" هي الأوقع على الدوام ،
حملت أغراضها وظلت تتابع الطريق منتظرة سيارة أجرة تخرجها من تلك الورطة
..الساعة قد تخطت الثانية عشرة ظهراً ومروان يتصل بها كل نصف ساعة ويخبرها أنه
قام بإعادة تسخين الفطور ثلاثة مرات حتى الآن!!
هي بالفعل تأخرت ..لا تعلم كم فستاناً بدلت وكم تصفيفة شعر غيرت وكأن ما ينقصها هو
عطل السيارة اللعين..

انتبهت لسيارة توقفت أمامها وأعطتها إنذاراً ..تغيرت ملامحها في البداية متعجبة ثم قالت:
- روز!

فتحت فيروز زجاج السيارة ثم أخبرتها:

- العربية عطلت ولا إيه ؟

قالت أسما بضجر:

- معرفش جراها إيه .. فجأة وقفت وأبداً حالفة ما تمشي ..

قالت لها فيروز مبتسمة:

- اركبي ونبقى نكلم حد من الفيلا ييجي يشوف مالها..

- لا متأخريش نفسك.. أنا هاخذ تاكسي..

قالت لها فيروز بعدم صبر:

- يالا يا بنتي اركبي مش هتأخر ولا حاجة وكم ان عاوزاكي في موضوع..

ركبت أسما السيارة بجانب فيروز بعد أن وضعت أغراضها بالمقعد الخلفي فتعجبت فيروز

من العلبة الكرتونية المميزة التي كانت تحملها لتخبرها بشك:

- شكك مش رايحة الكلية ..

وأجابتها أسما بارتباك لاحظته فيروز على الفور:

- لأ .. رايحة مدينة نصر عند واحدة صحبتي..

فقال لها فيروز متسائلة:

- مش كان عندك امتحان ؟!

- امتحان!.. أه اتأجل الدكتور حصله ظرف طارئ وسافر..

وسألته كي تغير دفعة الحديث:

- كنتي بتقولي عاوزاني في موضوع .. خير!

صمتت فيروز قليلاً لتدخل بعدها بالموضوع مباشرة..

- كلمتي إبراهيم قريب!

- كلمناه أنا وماما امبارح ..

- كويس!

- عادي لسه لمض زي ما هو..

فتسائلت تلك المرة بقلق واضح :

- متعرفيش هيرجع امتي؟

خرجت الإجابة من فم أسما بنبرة تخللها التعجب من طريقة حديث فيروز فلقد باتت تشعر وكأنها تستجوبها:

- مسألنا هوش بس هو قال شهر والشهر قرب يخلص خلاص وبابا كان تقريباً بيكله كل يوم عشان يرجع ويتابع الشغل..

ثم سألتها:

- هو فيه حاجة ولا ايه؟

فتجاهلتها فيروز متعمدة:

- قولتيلي العنوان فين في مدينة نصر؟

وأردفت بعد أن غمزتها بنظرة خبيثة:

- عنوان صحبتك ..

توترت أسما على أثرها والتزمت بالصمت طوال الطريق..

"بوتيك" مشهور بأرقى أحياء القاهرة تملكه سيدة مجتمع توبخ عاملينها على الدوام .. وكأنها افتتحت هذا المكان ليس من أجل كسب المال بل من أجل تفريغ طاقة مكبوتة لديها.. ربما تركها رجل وجرح كرامتها يوماً ما ولكن تلك الشمطاء لا يبدو أنها من النوع الذي يستقطب رجالاً إلا إذا كانوا طامعين بالطبع.. أو ربما هي كانت تعيش بزمان المعجزات ولكنه لم يتحمل لسانها اللعين هذا فهجرها بكل تأكيد.. هذا ما كان يتردد داخل رودينا عن تلك المرأة التي أجبرها الزمان على تحمل سخافتها من أجل لقمة عيش ومصاريف

منزل ومسئولية طفل..

نظرت رودينا نحو منار زميلتها بالعمل ثم سألتها بخوف:

- إيه الأخبار؟ مزاجها رايق!

حركت منار رأسها بضيق لتخبرها بعدها:

- تؤ.. مش رايق خالص..

تسمرت رودينا مكانها للحظات وقالت بعيون دامعة:

- أنا رايحة أقولها واللي يحصل يحصل..

حاولت أن تستوقفها منار محذرة إياها:

- استني.. عندها ضيوف..

ولكن رودينا دفعتها من طريقها قائلة بعصبية:

- وأنا مش هقدر أستني أكثر من كده وممكن فجأة ألاقها واخدة شنطتها ومروحة واحتاس أنا..

طرقت رودينا باب مكتب شهيرة هانم صاحبة "البوتيك" وافتتحت الحديث بنبرة تخللها بعض الارتجاف..

- مدام .. كنت عاوزة حضرتك في موضوع..

نظرت إليها شهيرة ببعض الضيق قائلة لها بتجاهل:

- بكرة .. أنا مش فاضية دلوقتي..

ثم استطردت:

- هاتي فنجان قهوة تاني لبشرى هانم..

ابتلعت رودينا ريقها .. هي لا تعلم أهي بائعة أم عاملة أم سكرتيرة أم أنها قد وظفتها من أجل توبخها وتهينها فقط!

استجمعت رودينا شجاعته فهي بالفعل لا تملك أي خيار آخر والوقت لا يسعها .. كما أنها لا بد أن تذهب لأخذ طفلها من الروضة فلقد تأخرت عليه وكثيراً وتلك المرأة التي تجلس بصحبته لن تذهب الآن بكل تأكيد فأقصر زيارة لها كانت تقرب الثلاث ساعات يقضون الوقت فيها في التحدث عن فلان وعلان وصوت ضحكاتهم العالية المستفزة يدوي في الأرجاء ويملاً المكان بالصخب والضوضاء..

أصرت على استكمال ما بدأت وأخبرتها:

- الموضوع ما يستناش لبكرة..

قرأت المرأة احتياجها في عينيها ولمحت نبرة التوسل في صوتها فقررت التمتع بذلك حتى آخر قطرة:

- بشرى هانم مش غريبة لو عاوزة حاجة اتكلمي أدامها..

ستفعلها وتحدث أمام الغرباء.. فهل لديها حل آخر!

وهل هناك بقايا للكبرياء في نفسها التي يكسرها الزمان على الدوام!

- أنا عاوزة سلفة ..

ثم أكملت بنجل:

- خمس آلاف جنيه وأخصمهم من مرتبي كل شهر..

ضحكت الأخرى بخلاعة تسببت في ميلاد الدموع بعيون رودينا..

- هو أنا فتحاها جمعية خيرية يا عنيا..

فقلت رودينا بتوسل:

- لو مكنتش محتاجهم مكنتش هضايق حضرتك .. صاحب البيت أداني مهلة لبكرة لو مدفعتش الإيجار المتأخر هيرميني أنا وابني في الشارع ومعنديش حد غيرك أطلب منه يساعدي ..

قلت لها شهيرة بعد أن أشارت لها بإصبعها كي ترحل :

- بس كفاية..حلي مشاكلك بعيد عني أنا مش رايقة للكلام ده..

بتلك اللحظة لم يعد تبقى لرودينا أي شيء تخاف من أجله ..

دمرت كبريائها وأغلقت جميع الأبواب في وجهها..

هجمت عليها وكانت ستبرحها ضرباً ثم تجذبها من شعرها المجعد لولا أن بشرى أوقفتها وتدخلت بالوقت المناسب.. أتلک هي رودينا الودیعة الصبورة أم أنها تحولت فجأة؟ .. لا نتعجب .. فأكثر امرأة يجب أن تحذر منها هي التي أغلق بوجهها كل أبواب النجاة..

قلت لها شهيرة صارخة:

- أنتي اتجننتي ولا جرا لعقلك حاجة؟ أنتي متعرفيش أنا ممكن أوديكي في ستين دھية.. وأجابتها رودينا صارخة والتي لولا وجود بشرى كحائل بينهم لكانت مزقتها بأسنانها تلك المغرورة المتبجحة:

- هو أنتي بتبيعي وتشتري فينا على إيه؟ ..الخمسة آلاف جنيه دول مش هيجوا تمن جزمة ممكن تشتريها ومتلبسيهاش..حسبي الله ونعم الوكيل .. اللي زيك ملوش قيمة غير في شوية الفلوس اللي مخلياه يتأمر على خلق الله..

والأخرى بادلته الصراخ ..

- إطلعي برة ..

ثم أمسكت الهاتف صائحة بموظف الأمن:

- انت يا بني تعالى طلع البتاعة دي من هنا قبل ما أرتكب جريمة..

فأبعدت رودينا يد بشرى عنها بقوة قائلة:

- سيبوني أنا ماشية .. سيبهالك مخضرة..

وخرجت حتى دون أن تنتبه بأنها ما زالت مرتدية ملابس العمل "اليونيفورم" فكل ما

كانت تشعر به هو تلك الشمطاء التي تتمني أن تراها تحترق أمامها كي يهدأ داخلها الذي

قد وصل بالفعل لمرحلة الغليان ..

بتلك اللحظة ووسط كل الضوضاء وتجمهر الجميع على أثر شجارهم الحامي أمسكت بشرى

حقيبة يديها وخرجت خلف تلك الرودينا مستوقفة إياها لتقول لها:

- تعالى نقعد في مكان وتكلم..

أهدتها رودينا نظرة غاضبة من خلف أهدابها المبللة ثم تفوهت ببطء وترقب:

- لازم أجيب ابني من الحضانة..

نظرت لها بشرى بثقة وأشارت لها للأمام:

- عرييتي مركونة أدام شوية .. نروح نجيب الولد وبعدين نتكلم..

فقالت لها رودينا بعصبية:

- بس أنا مش عاوزة أكلم حد..

فأجابتها بشرى بنخبث ملأ ملاح وجهها:

- حتى ولو قتلتك إن حل مشاكلك كله عندي أنا!

- إيه ده ؟!.. فول وطعمية وبطاطس .. أنا أتضحك عليا..
 اقترب منها مروان ساخراً:
- طبعاً حضرتك كنتي متوقعة بيض بالمارتيدىلا ، كراوسون، مربة توت كده يعني..
 وأجابته بتحدي:
- لا طبعاً مش عشان كده .. عشان أنت عمال تقولي محضرك الفطار بإيدي وفي
 الآخر طلعت مشترية من المطعم اللي تحت البيت ..
- اقترب منها أكثر تلك المرة وبشكل مفاجئ لدرجة أفزعها ثم أخبرها:
- عملتلك عصير برتقان .. مش كفاية!
- ابتلعت ريقها من أثر حركته المفاجئة ثم قالت:
- خضتني..
 واستطردت :
- أكيد كفاية يا حبيبي طبعاً..
 ثم أخذت العلبة الكرتونية الضخمة من جانبها وأردفت:
- بما أني أول مرة أزورك في بيتك فقولت أجيبلك حاجة تفكرك بيا..
 كم تُصعب عليه تلك الحمقاء الصغيرة مهمته! .. أهل هي مصره أن تجعله يكره نفسه ؟
 هل يصفعها؟
 هل يتراجع؟
 هل هناك عودة ؟

وكيف يعود؟!.. فهم أغلقوا بوجهه كل الطرقات..

فن لم يرحم لا يرحم.. والبادئ أظلم..

علبة داخل علبة داخل علبة ثم بالأخير وصل لمحتواها.. أخرجها ثم قال بدهشة:

- ماريونت!

وسألها:

- مش فاهم..

اقتربت منه قائلة بجدية:

- الحب عبارة عن لعبة وإحنا الماريونت فيها.. لو عاوز تستمع بالحب سييه يتحكم فيك

ويقلب كيانك..

وأكلت:

- أنا من ساعة ما قابلتك وأنا مسلماتك قلبي ومشاعري وكل حاجة.. بقيت ماريونت

مروان ونفسي أنت كمان تكون ماريونت أسما..

وأضافت بينما تشير نحو قلبه:

- نفسي أبقي هنا.. أنا وبس.. نفسي أحس ده يا مروان..

ثم أخذت الماريونت وقامت بتعلقها على بأحد أركان الصالون وعادت لتجده ينظر لها

بجمود..

تعجبت ألم يتأثر!

ظنت أن تلك الطريقة التي ستكسر بها عشقه المتكبر..

هل بالفعل ابتسم الآن أم أنها تخيل؟ .. هل يسخر منها؟

أيراها طفلة!.. تتحدث بأشياء غير منطقية..

اعتدل في جلسته بهدوء مريب وكأنهم فجأة وضعوا أمامها شخص مختلف.. قال لها:
- أشربي العصير..

وأمسكت هي الكوب وظلت ترتشفه بشفاة مرتجفة..

نعم هي تشعر بالخوف منه الآن ..

قلبا يحمل ألف سؤال وبداخلها ألف شك من ردة فعله الغريبة على كلماتها ورغم ذلك
ظلت متمسكة بثقتها به وعشقها الكبير له..

ولكنها الآن مشتتة وضائعة بين العشق والخوف من المستقبل..
الطريق صعب..

هي من أول يوم تشعر بأن طريق هذا الحب مفترش بالأشواك..
بأنها لن تخرج في النهاية مثلما دخلت ..

ولكنها فعلت ما يريد وأنت كعب العصور بالكامل فهي من البداية اختارت أن تكون
عروس الماريونت بذلك السيناريو وتمسكت بذلك لآخر لحظة..
حتى لحظة الهلاك .. الانتهاك..

حتى نهايتها..

نهاية طفلة .. وميلاد ظلام..

والأسوأ أنها ستكون الشاهد الأول والآخر على تلك النهاية.

زفرة .. اثنان .. ثلاثة ..

وقبل الرابعة كانت تحمل أغراضها ناوية الرحيل..

ألا يعلم أبسط قواعد الذوق؟

يجعلها تنتظره أكثر من ساعتين وبمكان لا تعلم فيه أي مخلوق...

لقد وصلت روحها إلى أنفها ولن تنتظره دقيقة أخرى..

سترحل ولن تشارك في ذلك المعرض اللعين عله يتعلم أن يحترم مواعيده..

أخذت بعض اللوحات كي تنقلهم للسيارة ثم تعود لتأخذ البقية وقبل أن تخرج من

البوابة اصطدمت بأحدهم وسقط كل شيء.. كانت تحملها بيديها.. انحنت لتجمعهم دون

أن تنظر أمامها ولكن استوقفها صوته:

- رايحة فين؟

رفعت ناظرها لتنظر نحوه بضيق .. لقد كان ياسر..

جمعت بقية الأغراض ثم قالت بينما كانت سترحل بالفعل:

- أنا مروحة البيت..

استوقفها ياسر بينما يقول:

- أنا آسف والله عارف اني أتأخرت جامد ..

أخبرته فيروز بحق واضح:

- أنا مستنية هنا بقالي ساعتين..

وأجابها ياسر بطريقة قللت من غضبها بعض الشيء:

- غصب عني .. جهاز إنذار الحريق معرفش جراه إيه فجأة اشتغل وقلب المهندسين

كلها..

- واستطرد مازحاً عندما وجدها مازالت عابسة:
- ما تخافيش شقة أخوكي زي الفل .. وأنا بخير الحمد لله مولعتش لسه.. الجهاز كان معلق بس وعمل دوشة فظيعة ويدوبك كلمت الشركة جت صلحته وجيت .. وقال لها بعدما وجدها لم تجيب:
- ما تخافيش عليا والله أنا كويس..
- وأخبرته هي مخفية ابتسامتها قدر الإمكان :
- وأنا أخاف عليك ليه !.. هو أنا أعرفك أصلاً..
- عقد ياسر حاجبيه بينما يسألها بتعجب ساخر:
- كل ده ولسه متعرفيش ؟.. عامة تعالي نشوف الناس اللي أنا متأخر عليهم دول ونبقى نتعرف على مزاج..

الغاز..

تتحدث بالغاز..

- وعود ووعود وهي لا طاقة لها لكثرة الحديث..
- أساساً هي عقلها بصاحب البيت الذي ربما ألقى بأغراضها خارجه الآن..
- همست لصغيرها بأذنيه قائلة:
- كوكي حبيب ماما روح ألعب بالمراجيح شوية وأنا جايلك..
- أجابها كريم بعدما عقد حاجبيه الصغيرين:
- تَوّ .. مس أوز مراكيح ..

ياسر الحريري ..

ثمانية وعشرون عاماً..

أيقونة للنشاط..

تختلف رسمة ملامحه حسب الموقف.

من يصدق أن الشخص المرح الذي لا يتوقف عن المزح يمتلك كل تلك الجدية أثناء العمل.. لم تراه مبتسماً ولو لمرة!

ظل لمدة ثلاث ساعات يتجول وسط الجميع ولديه بصمة ورأي بكل تفصيلة دقيقة تخص المعرض..

يتمتع بكاريزما خاصة ويبدو أنه محبوب لدي الجميع..

رغم أنه تركها وحيدة بمكان لا تعرف فيه أحد غيره إلا أنها لم تشعر بالملل أبداً .. كانت تتابع التنظيم بحماس وبدأت في المشاركة معهم ..

رتبت وضعية لوحاتها واختارت معه طريقة عرضها ..

والآن وبعد أن انتهت من أمر اللوحات لم ترد العودة للمنزل وفضلت أن تمكث معهم لفترة أطول ..

ولكن مع ألم الرأس الذي يلازمها منذ الصباح فالوضع بحاجة عاجلة إلى كوب من القهوة الساخنة..

كان ياسر يتابع تحركاتها على الدوام دون أن تنتبه هي.. حتى أنها استمع إليها وهي تطلب من عامل البوفيه أن يصنع لها كوباً من القهوة وأكدت عليه أن تكون " سكر زيادة " .. رآها وهي تحمل كوبها إلى خارج الجمعية وظلت واقفة أمام بابها مستمتعة بنسمات الهواء

التي تداعب شعرها ..

أخذ هو أيضاً كوب قهوته واتجه نحوها .. وقف بجانبها بينما يقول:

- لوحاتك تجنن ..

ابتسمت فيروز من مجاملته لتتحدث بعدها:

- ميرسي أوي .. وبجد المكان كله طالع يجنن أنا متوقعتش كده خالص ..

قال لها ياسر:

- عشان قتلتك جمعية خيرية فقلتي هنعملها في السيدة طبعاً ..

أجابته فيروز مبتسمة :

- الصراحة آه .. مش هنكر.

فقال لها بجدية تلك المرة:

- المعرض ده أحنا بنعمله للناس اللي تدفع فعشان كده لازم نخليهم يدفعوا بشي كة،

بس فلوس المعرض كلها بنتبرع بيها ..

- كل شيء رائع .. فكرة حلوة أوي بجد أحييكم عليها ..

- هي الصراحة فكرة واحد صحي وعملنا جروب على الفيس بوك وبقالنا سنتين لحد

دلوقت .. شوية معارض على كتب على رحلات يعني أهو بنحاول ..

سألته فيروز:

- هي دي شغلتيك .. قصدي يعني هو ده مجالك ..

هز ياسر رأسه نافياً ثم قال:

- لا لأ .. كلنا هنا متطوعين .. أنا يا ستي كنت شغال صاحب شركة سابقاً ..

تسأل فيروز بدورها:

- خسرت؟! -

- لا رجعتها لصاحبها اللي هو بابا يعني .. ملقتش نفسي في مود البدلة والموظفين وأصلا كنت ماسكها عشان خاطره وبعد فترة مقدرتش استحمل..

قالت له فيروز مبتسمة:

- أنا برده بابي حاول معانا أنا وأخواتي ومحمدش انسجم فينا.. أنا واحدة خريجة فنون جميلة وبحب أعيش في روقان إنما عقود شغل ومكنّ ومشاكل مش بتخلص مقدرتش.. مفيش حد فينا رفع معنويات بابي غير ابراهيم ودلوقت بقا هو اللي ممشي الشغل وعارف كل كبيرة وصغيرة وبقا يحتاس من غيره..

واستطردت متسائلة:

- ودلوقت بعد ما رجعت الشركة لباباك بتشتغل إيه؟

- رجعت لمجال دراستي.. programmer (مصمم برامج) .. مرتاح وبشتغل من البيت وعلى مزاج .. أنا ولا ب توبي ولس..

قالت له فيروز منبهة:

- واااااااا.. على كده أنت بتكسب كتير بقا..

ضحك ياسر ثم قال:

- احنا هنقرر ونحسد من أولها .. لا يا ستي مش للدرجة دي بما إني لسه جديد في الكار وبحاول أعمل اسم لنفسي لسه.. يعني بعمل شغل وبديه للشركات الكبيرة وهي تسوقه ولسه فين وفين على ما يطلبوا مني جديد بقا..

أخبرته فيروز:

- أنا بابي كان دائماً يقول حاجة.. طول ما أنت مبسوط وراضي عن اللي بتعمله أنت كده نجحت..

واستطردت شاهدة بعدما نظرت لها تفها الجوال:

- يا خبر أنا لازم أمشي.. اتأخرت ..

اقترب منها ياسر للغاية في تلك اللحظة لدرجة أنها لم تتحرك وتسمرت مكانها من شدة التعجب .. قال لها مشيراً لثغرها:

- في شوية قهوة هنا..

ومسحهم بإصبعيه دون أن ينتظر إذن ولا تفكير....

أساساً لا عقل يظل برأسه طالما تكن هي بهذا القرب منه..

توترت فيروز من اقترابه الزائد عن الحد وأخرجت محرمة ورقية من حقيبتها ومسحت فيها ثم قالت بنجل:

- شكراً .. أشوفك بكرة في الافتتاح إن شاء الله..

سألها ياسر بصوت قد تأثر بسحر الفيروز:

- أجي أوصلك؟

وأجابته بينما كانت قد رحلت بالفعل:

- معايا عرييتي..

هدوء قاتل عم على الأجواء وتكاد تقسم هي أن وتيرة تنفسه تصنع لحناً خاصاً به.. كان كل شيء مميز.. مريب.. محسوب..

قالت له بالأخير:

- مروان.. فيه إيه؟ بتبصلي ليه كده؟

نظر لها مطولاً فتوترت أكثر..

كان هو يتخيلها بعالمه الآخر..

تبكي.. تتوسل.. تلحق قدميه طالبة الغفران..

تخيل صرخاتها التي تعم أرجاء المكان..

للحظة شفق عليها..

ولكنهم لم يشفقوا عليه..

ذبجوه قبلها وهو سيدبجها كي يذبجهم..

سيكسر قلوبهم ربما حينها تختفي جروحهم من قلبه..

ربما تكتب له بداية وربما سيوقع نهايته بيديه..

ولكن حتماً لا تراجع..

وقد حان وقت التنفيذ..

نهضت أسما من على كرسيها بترنح بعدما تملكها الخوف من نظراته المريبة ثم قالت:

- أنا أتأخرت وهمشي..

واستطردت بعدما ازداد شعورها بالدوران:

- أنا.. تعبانة..

اقترب منها ممسكاً إياها من خصرها:

- اسندي عليا..

فقالت بهمس:

- أنا داينة..

وأضافت بصوت باهت:

- مروان .. الحقني.

واستسلمت تماماً واستلقت على ذراعيه..

لم تفهم ما الذي حدث معها .. ثقل في منتصف رأسها وكان العالم يدور حولها والآن

حتى خاصية النطق قد فقدتها ..

هل تعرضت لأزمة قلبية ؟. هل تموت الآن؟

أين ذهب صوتها ؟.. بل أين ذهبت أطرافها ؟ .. ماذا يحدث بحق الله؟

نادته بصمت كي ينقذها:

- مروان !

تلك النظرة المخيفة التي لمحتها بعينه بينما هو يضعها على السرير قتلتها .. أهل هذا كابوساً ؟

.. ليتها تستيقظ منه الآن فلم تعد تحمل ذلك الخوف الذي يرتعد صدرها بسببه أكثر..

اقترب منها ملتماً عذرية شفيتها بعنف .. بالتأكيد هي تحلم .. مروان لا يفعلها .. لن تن

عليه .. حتماً لن يؤذيها..

فك أضرار فستانها وعندما تعثر عليه مرق فتحة صدره، التهم رقبتها التهاماً بينما يديه

تعبث في بقية جسدها بعشوائية، انتهك حرمة جسدها بحقد بينما هي كانت متخذة

وضعية المشاهدة الصامتة ..

وكأنها اشتمت رائحة خوفها .. وكأنها استمعت لصرخاتها ..

وكأنها رأت روحها تخرج من جسدها المشلول كي تدافع عنها ..

روح تمت أن تحميها من حبيب خان ثقتها ودمرها ..

حبيب يقتلها ببطء ولم يبدو على وجهه ولو ذرة ندم .. حبيب ظنته في يوم ما حبيب وسند ..

حبيب يسلب منها الآن بخسة ألوانها الوردية ويضع محله أطنان من السواد ..

حبيب ظنته يوماً ما فارس أحلامها ..

عذراً لقد انتهى عصر الأحلام والآن سيبدأ عصر الكوايبس ..

كانت أصابعه التي تركت بصماتها على كافة أنحاء جسدها بالنسبة إليها كأشواك الصبار

تخدشها وتترك محلها جروح لا إلتئام لها .. شعرت وكأنها تنزف من كل خلاياها هذا غير

روحها التي مُزقت منذ أن رأت تلك النظرة المخيفة بعينه ..

وكل هذا لم يكن كافياً بالنسبة إليه ..

نزع قميصه وألقاه بعيداً ثم انحنى مقترباً منها بل ملتصقاً بها .. جردها من ملابسها دفعة

واحدة وألقاهم ليتخذوا أماكنهم على الأرضية بجانب قميصه ..

لن تراه وهو يسلبها عذريتها ..

لن تكن شاهدة على نهاية برائتها ..

لن تحترق روحها على يد من أحبت ..

وكان عقلها الباطن قرر حمايتها أو هي من شدة الصدمة لم تعد تحتل أكثر ..

لم تستطع أن تميز أكثر ..

دخلت في غابة من السواد حيث اللا وعي .. اللا عقل .. اللا ألم
وبعد أن أفرغ ما بداخله من حقد وأنهى ما بدأه معها جلس بجانبها يتأمل جسدها العاري
الساكن المستسلم وجفونها التي تبدو منتفخة وكأنها تحبس داخلهما فياضانات من الدموع ..

خيل إليه أنها جالسة أمامه وتحاسبه ..

تسأله ..

هل انتهيت الآن؟

هل انطفأت نارك بعد أن حققت انتقامك؟

لم فعلت بي هذا؟

ماذا فعلت لك كي تدمرني؟

من أنت ؟

وكانه استمع لسؤالها فكرره داخله ..

من أنت ؟!

أنا خيط مقطوع من كُتر الشد ..

وهزار التحول فجأه لجد ..

وسؤال ملهوش بالمنطق رد ..

وأنا حد التحول فجأه لحد

" محمد إبراهيم "

من أنتِ

أنا نجمة ونور في السما ببيان

أنا وردة تعطر أي مكان

أنا رقة وحب هدوء وجناااااا

أنا بنت عادية مرسومة أحلامها بالألواناااااا..

من...شوق، وحنان ..

وفارس جايلي ع الحصان

أحلام وردية لقيتها مجموعة في إنسان ..

عطر أيامي بالريحان

قربني منه .. وفي حضنه حسيت بالأماناااااااااا

وفي لحظة !!!!!!!

باع...غدر... وخاااااا

قداامي ملاك والأصل شيطاااااا

ملكته مني وخليته للثقهعناااااااااا

وجريت برجلي على المكاااااا

وفي نور الشمس ... كان الى كان ...

بإرادته دبجني ... ومش ندمااان

وفي لحظة !!!!!

باع... غدر... وخااان

وبقيت مجرد

وردة.....اتقطفت م البستان!!!!!!

" أسما "

إهداء المبدعة أماني عبد العظيم

الفصل السادس

تعلقت فيروز أثناء عودتها للمنزل بزحام مروري نتج عن هطول مفاجئ للأمطار وها هي

الآن قد استسلمت بعد أكثر من نصف ساعة تحركت فيها بالكاد خطوتان للأمام

وظلت نتأمل أجواء الشتاء القاسية ،استنشقت رائحة المطر ساحمة لها بالعبور داخلها حتى

وصلت لرئتيها ثم لقلبها موجعة إياه بقسوة..

رائحة المطر متعة .. ولكن حتماً ليس بالنسبة إليها..

رائحة المطر تحرقها .. تفتت داخلها..

بعد دقائق معدودة من توقفها بالسيارة بدأ عرض متبادل بين الرعد والبرق تسبب في

تسلل الخوف داخلها..

تذكرت عندما كانت طفلة صغيرة كم كانت تخشاهم وبمجرد أن تسمع لصوت الرعد تركز سريعا إلى حضن أمها محتمية بها وناشدة حمايتها..

أمها!

بمجرد أن تشتم رائحة المطر نتذكرها وكأنها رائحتها أو رائحة موتها فالיום الذي علمت بوفاها كانت الأجواء مشابهة تقريبا..

وليت هذا فقط فتلك الأجواء أيضا تذكرها أيضا بجملة نُقشت بعقلها ولن تنساها أبدا..
جملة أخبأتها داخلها ولم تخبر حتى الآن أي مخلوق عنها..

" مامتك ماتت مقتولة "

لقد لفظتها بقسوة حتى أنها تتذكر مازالت ملامحها.. كانت جامدة بشكل غريب ولم تلاحظ بهم أي ذرة تعاطف أو حنان.. ملامح جعلتها تشعر بوحدة لم تفارقها حتى الآن ..
لقد كانت صغيرة للغاية على استيعاب كل هذا فقد شعرت بالعجز لأنها لم تستطع حماية أمها كما كانت تفعل هي معها على الدوام وشعرت بخوف شديد تسلل إليها بمنتهى البرود ففوت الأم يعني فقدان الأمان والسند .. كان عقلها أصغر من أن يستوعب وقوتها أقل من تحمل كلمة موت وقتل ففقدت الوعي في الحال ولم تستيقظ إلا داخل حضن أبيها والذي أكد لها أن أمها بمكان أفضل تراقبهم منه وأنها على خير ما يرام وأخبرها أيضا أنها ستحزن إذا رأتها على تلك الحالة ومنذ ذلك الحين هي قررت أن تكون أن قوية لأجلها،
كي لا تحزنها وكي تفتخر بها..

رباه لولا أبيها ما كانت ستعيش فهو من منحها الحياة بخوفه عليها وعشقه لها وحنانه

الكبير الذي غمرها به ..

ولكن بعد أن مرت السنوات وأصبحت فتاة ناضجة تستطيع وزن الأمور علمت أن ما قالته بشرى لها ليس بحقيقة وما كان إلا انتقام منها .. انتقام لا تعلم سببه حتى الآن ولكنه أوصلها لنتيجة واحدة..

أختها تكرهها وتحقد عليها وتتمنى تعذيبها..

نتيجة آلمتها وأبعدتها عن أختها ووثق شعورها كونها دخيلة على حياتهم وعلى ذلك المنزل .. حسناً حورية امرأة طيبة القلب تعاملها بلطف ولكنها لم تشعر بخنانها كأم ، لم ترى في عينيها تلك اللفظة التي تخص بها أختها ولم تحتضنها بقوة ذات مرة مثلما كانت تفعل معهم..

أصبحت مع الأسف والمحزن لا تشتهي الطعام إذا تناولته معهم ولا تستمتع بالأوقات التي تقضيها معهم ..

فهم عائلة وهي الدخيلة..

مع الوقت اختلف الوضع قليلاً والفضل يعد لأخينا إبراهيم .. هم بالفعل صلبة وهو الأقرب منهم لقلبها .. كان قبل أن يذهب لقصرهم لابد أن يمر عليها كي يسأل عنها ويطمئن عن أحوالها حتى أنه روى لها هي فقط عن فريدة وهي من شجعتة على التقرب منها والارتباط بها..

أما أسما فهي تشعر أنها معها منقسمة لنصفين نصف تلقائياً يريد حمايتها ويهتم بأمورها فلامحها وتصرفاتها منذ الصغر تدفعك دفعاً لذلك والنصف الآخر يشعر بأن مازال هناك الكثير كي يصلوا لتلك المرحلة لذا علاقتهم تظل جامدة بمكانها ولا تتقدم، ولكنها على

الأقل تحبها ، تشتهي التقرب منها ، وتتمنى أن تكن لها أختاً كبرى وصديقة تستشيرها وقت الحاجة على عكس بشرى.. حتى تلك اللحظة لم نتذكر أنها نظرت بعينها.. تخشاها وتتحاشى التعامل معها قدر المستطاع .. لا تجبذ التواجد معها بمكان واحد فكأن تلك الجملة تراها مكتوبة على جبينها.. لا تعلم إن كانت قد وصلت معها لمرحلة الكره ولكن بالطبع هي ليست مُحبة لها..

خرجت من حاوية الذكريات على صوت رنين هاتفها ويا للعجب إنها هي **بشرى**.. تنهدت وانتظرت قليلاً كي تتمالك أعصابها ووضعت سماعة الهاتف في أذنيها مرددة ببعض الضيق:

- ألو..

أجابتها بشرى بتنهد:

- أخيراً حد منكم رد في اليوم ده .. روز شوفي أسما فين وهاتيها وتعالوا على شقة إبراهيم .. بابا قالي أتصل أقولكم..

قالت فيروز بتعجب:

- شقة إبراهيم!

- أه .. جاي انهاردة الساعة ١ بليل وإحنا هنفاجئه بحفلة في البيت وكله هيكون موجود أهل فريدة وإحنا وصحاب إبراهيم وفريدة..

سألها فيروز:

- وهو إيه اللي خلى إبراهيم يرجع فجأة من شهر العسل؟

أجابتها بشرى على مضض:

- مش عارفة بقا .. بابا بيقول في اجتماع مهم لازم يحضره.. المهم دلوقت شوفي أسما فين اتصلت بيها خمسين مرة تقريباً مش بترد ويدوبك أنا وماما لسه هنشترليهم هدايا ووزين البيت مفيش وقت وهناخد معانا دادا كريمة تساعدنا..
 قالت فيروز سريعاً:
 - تمام تمام .. أنا هاكلها أشوفها فين ونحصلكم على هناك..

حمقاء .. ستظل حمقاء..

رباه إنها لا تستيقظ أبداً..
 ما كان يجب أن تسير الأمور هكذا .. اللعنة يقلبها يمينا ويساراً ولا تستجيب.. مرر على أنفها عطر نفاذ ولا جديد..
 ماذا يفعل معها وكيف يتصرف الآن؟
 حملها وانتبه للتو أنها دون ملابس، أسرع نحو الخزانة وأخرج منها فستاناً آخر كان قد اشتراه لها، أجلسها واضعاً خلفها وسادة ثم أمسك الفستان مقترباً منها كي يلبسها إياه ولكن.....توقف..

رؤيته لها وهي على تلك الحالة جعلت العرق ينصب من جبينه رغم برودة الجو، ارتعشت أنامله وجف حلقه وتوتره زاد عن الحد المسموح به..
 أهو نجل منها ومما فعله بها أم أنه يريد لها مرة أخرى هو نفسه لا يعلم! ما يعلمه هو شيء واحد أن الأمر أصبح أصعب بكثير مما كان يتخيل..

تنهد .. زفر بجدة..

استجمع نفسك يا رجل ستموت بينما أنت مازالت تتأملها .. بحركة سريعة ألبسها إياه وكأنه لا يريد أن يعطي لنفسه فرصة كي يفكر بأي حماقة غير مضمونة العواقب، حملها وقبل أن يخرج من باب الغرفة توقف مرة أخرى..

إلى أين سيذهب بها؟ إذا دخل بها أي مستشفى وهي بتلك الحالة سيخرج منها مقيداً بالأغلال..

حاول معها مرة أخرى ولكنها كانت شبه ميتة، وضعها على السرير مرة أخرى وركض كي يبحث عن أي طبيب ..

سيضرب الأرض ويخرج منها أي طبيب بتلك الساعة..

فهي يجب وحتماً ولا بد ألا تموت...

نظر إليه الطبيب نظرة متفحصة ثم بادر بسؤاله بينما كان يقوم بفحص عينيها..

- هو إيه اللي حصل؟

ماذا يقول وكيف يشرح ما حدث؟ أنها فقدت وعيها بينما كان يغتصبها هو! شعر بحقارته ولكن فلتكتمل الصورة الدنيئة التي أصبح هو عنوانها فحتماً لا بد أن يجد سبب مقنع كي لا يشك الطبيب بالأمر..

تنحج مروان قبل أن يقول بوقاحة:

- عرسان جداد بقا وفهمك كفاية..

رمقه الطبيب بضيق ثم سأله:

- إيه آخر حاجة أكلتها؟
- مكلكش شربت عصير بس..
- قام بقياس ضغط الدم وجده ٧٠/٥٠ والنبض كان أضعف ما يكون..
- أخبره الطبيب:
- لازم تروح مستشفى .. ضغطها واطي..
- قال مروان على عجلة:
- لأ ..
- واستطرد سريعاً بتوتر:
- أخاف تنزل في الجو ده نتعب أكثر.. أعملها اللازم هنا يا دكتور وأنا تحت أمرك في
- اللي تطلبه..
- أخرج الطبيب ورقة وقلم ثم كتب له على عدة أدوية ومحاليل ثم أخبره:
- محتاجين الحقن دي والمحاليل وكانيولا ..
- أخذ مروان الورقة من يديه قائلاً له:
- دقيقتين وراجع..

هل نتمد أن نثير حنقها!.. جنونها!

لمدة ساعة تقريباً كانت لا تتوقف عن الاتصال بها ، أرسلت أكثر من رسالة ولكن لا رد .. تباً الساعة قد اقتربت من منتصف الليل وهي لا تعلم عنها أي شيء ، كاد قلبها أن يتوقف من شدة القلق عليها لا تعلم ماذا تفعل أو كيف ستتصرف ، كانت ستتصل

بأبيها وتخبره لولا أن أسما قامت بإلغاء مكالمتها منذ دقائق فعنى هذا أنها ربما على الطريق أو أنها لا تستطيع التحدث معها في الوقت الحالي ..

والآن هاتفها خارج نطاق التغطية!!

تأفقت فيروز قبل أن تلقي بهاتفها قائلة بتذمر:

- وأخبرتها معاذي يا ست أسما..

في نفس اللحظة أتاها اتصال من أبيها .. أمسكت الهاتف مرعدة بتلعثم:

- بابي..

أخبرها أبيها سريعاً:

- إيه يا روز أنتو فين اتأخرتوا؟ .. يلا تعالوا وبقولك إيه ما تسوقيش العربية في الجو ده

خلي رجب يوصلكم ..

تباً هو يظن أن أسما معها .. ماذا تقول له وهي لا تعلم أي شيء من الأساس! هي منذ

الصباح كانت قد شكت بتصرفاتها..

كانت متوترة .. متعثرة بالكلام.. تكذب عليها وتخفي شيئاً..

ومعها هدية مغلفة!

ماذا تفعل هل ستصارع أبيها بأنها لا تعلم عنها أي شيء..! ولكن لا.. فلتنتظر قليلاً لا

داع لخلق مشكلة من لا شيء فهي ستأتي الآن دون شك..

قالت فيروز لأبيها بصوت منخفض:

- حاضر..

اختطاف أنثى

تخديرها ثم اغتصابها

وهتك عرض

كم من العمر سيقضي بالسجن كي يفي تلك العقوبة؟

لقد فشلت خطته بسببها، كان كل شيء يسير حسب ما خططه تماماً ولكن الآن قد

تعقدت الأمور وخرجت عن محيط سيطرته فذلك الطبيب من الممكن أن يكون قد

شك بأمره ويخرج من هذا المكان على قسم الشرطة.. يجب ولا بد أن يترك الشقة فور

رحيله تحسباً للأمر فلا يمكن المجازفة بأمر كهذا..

لن يقبل أن تنكشف فعلته الحقيرة للعيان أبداً..

فكر بعائلته كيف سيتقبلوا أمراً كهذا!!.. تخيل أمه وهي تبصق بوجهه نجلة من ابنها الذي

يغتصب الفتيات ويأخذهم عنوة ..

لا يمكن أن يتحمل شيئاً كهذا..

تباً مروان هل مازالت تتذكر كل هذا للتو!

حينها شرد بخياله أو ربما كان شيطانه قد أخذه لنقطة لا يمكن التغاضي عنها فربما

تستيقظ الآن وتخبّر الطبيب بكل شيء ..

تذكر للتو أنها من الممكن أن تُنهيه إذا أرادت..

بالطبع ستريد .. هي الآن لا تحتفظ له بحب بل بحقد وانتقام ورغبة في تدمير.. هو يعلم

شعورها جيداً الآن فقد عاش كل تلك المراحل حتى بات لا تلقائياً لا يشعر..

انتبه للطبيب يحادثه فأخرجه من دوامته التي يبدو أنها لن تنتهي .. كان يخبره:
- أهي فاقت الحمد لله ..

ارتعشت عضلات قلبه وكأنه إعلان واضح منه عن رغبته من الخروج من صدره .. ظل يراقبها لعدة دقائق..

رباه هل هي كذلك قد استعادت الوعي أم أن فقط عيونها مفتوحة؟
كانت كطير جريح لا يقوى على الطيران ولا حتى يحاول أن يطير، نظراتها مشردة ضائعة.. مذعورة ..

نظراتها مؤلمة والأكثر عليه..

رباه إنها لم تكن تستحق أبداً.. اللعنة عليك يا مروان..
قام الطبيب بإعادة قياس الضغط ثم نظر إليه مردفاً حديثه:
- الضغط اترفع ..خليها تكمل المحاليل دي وبعدين خليها تاكل..
ثم أخبره ببعض التأكيد أو اللوم:
- وانت خد بالك منها شوية..
تجاهله مروان مخبراً إياه:

- متشكر جداً يادكتور.. تعبنا حضرتك..

قام مروان بتوصيله إلى باب الشقة ثم عاد إلى أسما ووجدها على حالها..
جامدة الملامح متوقفة الأحاسيس وكأنها تقمصت دور صخرة وأتقنت الدور بحرفية لدرجة جعلته يتأثر بها ويندم على ما فعله معها...

هي لم تره حتى الآن ، مازلت منطوية على نفسها ومنكمشة كطفل صغير في رحم أمه

يتشبث بها ولا يقبل الخروج للحياة..

تساءل.. كيف شعورها الآن!.. كيف أصبحت تراه بعقلها!

هل تحتقره وهل تشتهي قتله!

وضع يديه على أذنيه وكأنه يريد أن يسكت ذلك الصوت الذي برأسه والذي حتماً سيؤدي به في النهاية إلى أن يحتضنها عله يخفف عنها آلامها التي كان هو المتسبب بها..
 عله يعيدها إلى الحياة مرة أخرى! .. عله تنسى ما حدث..

ماذا يحدث مروان؟ هل ستضعف أمامها! .. لا .. لن يقبل بذلك أبداً ولن يتراجع بعدما وصل لتلك المرحلة..

اقترب منها وأوقف المحلول ثم نزع " الكانيولا " من يديها بقوة قائلًا لها بحدة وحنق
 وهروب أيضاً من مواجهة:

- يلا قومي عشان أروحك بيتكم..

وكانها للتو استعادت وعيها المفقود.. بمجرد أن رآته واستمتعت لصوته تذكرت.. تذكرت ما حدث اليوم جملة وتفصيلاً بداية من كوب العصير وحتى لحظة انتهاكها .. لحظة نحرها
 بنصل بارد..

انتفضت مذعورة واهتزت بقوة جعلت قلبه ينتفض لها بالمقابل، كانت ستصرخ لولا
 أنه لحق بها في آخر لحظة مكمماً فمها بيديه..

قال لها بعد أن جذبها من شعرها:

- عارفة لو نطقتي بحرف هاقتلك..

وحينها نظرت إليه هي كجرو مذعور وقع للتو في فخ المصيدة .. وصمتت بعجز وقلة حيلة
ورغبة في انتهاء كل شيء..

كررها بعد أن اقترب منها أكثر:

- هاقتلك سمعتيني..

بمجرد أن فُتح الباب أضيئت الأنوار وامتلاأت الأجواء بالصياح والفوضى .. قال بعدها
الجميع بصوت موحد:

"حمد لله على السلامة .. يا جاي من السفر"

انهال عليهم الجميع بالتبادل بالأحضان والقبلات وبعد أن انتهت فقرة الترحيب اشتعلت
الأجواء من جديد بموسيقى أعياد الميلاد..

اقترب إبراهيم من فريدة ممسكاً يديها ثم ضغط عليها بقوة تساوى مشاعره تجاهها مردداً
بحب كان واضح وضوح الشمس بعينه وابتسامته لها:
- كل سنة وانتى طيبة..

وضعت فريدة يديها على فمها بعدم تصديق قائلة بعيون دامعة:

- إبراهيم هو إحنا جينا بدري مش عشان شغلك عشان...
قاطعها قائلاً:

- الاجتماع المهم اللي قولتلك عليه صحيح بس لسه أدامه يومين.. حبيت تقضى عيد
ميلادك مع كل اللي بتحبهم..

أخبرته فريدة بهيام:

- حبيبي ده أحلى عيد ميلاد اتعملي عشان أنت معايا..
وبتلك اللحظة استمعت لإحدى صديقاتها تقول وحمدًا لله أنه لم يستمع إليها أحدٌ غيرها.

" على أساس أنه اتعملك عيد ميلاد قبل كده "

رمقتها بازدرء ثم احتضنته نكابة بها قائلة له:

- ربنا يخليك ليا يا حبيبي..

وحينها اقتربت منهم بشرى بملاح حانقة:

- جوز العصافير مش كفاية بقا ونروح نطفي الشمع ولا إيه؟

ابتسمت فريدة ابتسامة صفراء قائلة لها بعد أن جرت على أسنانها:

- ازيك يا بشرى..

وأجابتها بشرى بنفس الابتسامة الغير الصادقة أبدًا:

_ أهلاً..

لقد زاد الأمر عن حده

ستخرج وتبحث عنها في الشوارع حتى ستذهب إلى المكان الذي أوصلتها إليه بالصباح
وتسأل عنها بعقار عقار وشقة شقة ولكن أن تظل هكذا بالمنزل هو الجنون بعينه..
أخذت مفاتيح سيارتها وحقيبة يديها وخرجت من باب الفيلا وقبل أن تصل للفيلا
الآخري رأت أسما قادمة من بعيد تترنح في مشيتها..

جف حلقها من رؤيتها على تلك الحالة الغريبة، كانت تسير دون وعي حتى أنها تبدو وكأنها ضلت طريق المنزل..

والآن .. رباه ستسقط على الأرض.. ! .. تنهدت .. حمدًا لله باللحظة الأخيرة تماسكت واستعادت توازنها..

ركضت نحوها فيروز ممسكة بيديها الباردة كقطعة ثلج وقالت بشعر فاهر:
- أسما!

تأملتها للحظة، كان شعرها غير مرتب ووجهها أصفر كالليمون، عيونها منتفخة ولونها أحمر كالدم، هيئتها وكأنها قادمة من عراق حاد وملابسها!
هي لم تكن مرتدية تلك الملابس في الصباح..

سألتها فيروز مرتعبة:

- أسما إيه اللي حصل!

ولم تجب .. فقط كانت تبكي بطريقة تمزق أوتار قلب كل من يراها..

نظرت أسما بتلك اللحظة للخلف وكأنها تود أن تتأكد أنه ليس خلفها.. انتفض جسدها فجأة وكأنها تخيلت أن السكين خلف ظهرها.. سيقتلها حتمًا سيقتلها كما أخبرها..

نظرت فيروز هي الأخرى بنفس الاتجاه، راقبت الأجواء ولكن لم تجد أي شيء.. لا سيارة ولا مارة بالطريق ولا حتى هرة..

أمسكت أسما بعد أن قامت بهزها عنف وكررت سؤالها:

- أسما حصل إيه!

ولكن أسما كانت لا تسمعها ولا تدرك أي شيء من الأساس سوى قلبها الذي يرتعد

داخل صدرها خوفاً ورعباً منه..

كانت فريدة تقف في الشرفة بوجه ظهر عليه ملامح الضيق.. مازالت كلمة صديقتها ترن في أذنيها.. ماذا تقصد!.. هل هؤلاء يريدون فضحها أمام عائلة إبراهيم! اللعنة عليهم لقد أصبحوا حاقدين عليها تماماً..

سألت أمها:

- ماما هو مين اللي عزم صحابي؟

فأجابتها في حينها:

- أنا..

وقالت لها فريدة بنبرة يشوبها بعض اللوم:

- وليه يا ماما تعلمي كده؟

- جوزك اللي قالي أعزمهم..

ثم استطردت متسائلة:

- حصل منهم حاجة ولا إيه؟.. حساكي متضايقه..

أجابتها فريدة :

- ولا حاجة يا ماما..

قاطع حديثهم إبراهيم الذي جاء نحوهم متسائلاً:

- واقفة هنا ليه؟.. ادخلي صحابك بيدوروا عليكي عشان نتصوروا سوا..

ابتسمت فريدة قائلة له:

- ماشي.. ماما بس كانت وحشاني فقعدنا ندردش شوية..

ثم تساءلت:

- هي أسما و روز فين مجوش لحد دلوقت!

- بابا كلم روز دلوقت وقالته إن أسما بتقول عندها امتحان ومخلصتش مذاكرة فمش

هتقدر تيجي وهي هتقعد معاها.. هتبقى تيجيلنا بكرة عشان تسلم علينا..

أجابته فريدة بابتسامة وودعها هو أيضاً بابتسامة قبل أن يرحل للداخل كي يهتم بالضيوف..

ظلت فريدة بمكانها ولم تتحرك كما طلب منها إبراهيم .. لا تريد أن ترى أصدقائها من

الأساس.. أليس كان من الأفضل أن يسألها قبل أن يدعوهم!

لقد فسد اليوم بسببهم وبسبب غيرتهم منها وحقدهم عليها..

بتلك اللحظة لفت نظرها أخوتها الصغار الذين يركضون بكل اتجاه تقريباً .. تابعتهم لفترة

من الوقت بضيق منتظرة أن يتوقفوا ولكن دون جدوى.. وجدت أخيها يفتح عبوة

الشيكولاة ويقتنص منها أكثر من قطعة راکضاً بهم بعيداً عن الجميع.. شعرت بالدوار

لقد فضحوها تماماً أمام عائلة إبراهيم ذات الحسب والنسب المرموق والله أعلم ما يقولونه

هم عنها الآن!

نادت عليهم بالأخير قائلة بعصبية:

- محمد .. معاذ.. انتو مش صغيرين اقعدوا في مكانكم عيب كده..

ووسط كل هذا كانت هناك عيون تتابعها بعدم تصديق وكأنها تود أن تتعرف على تلك

الواقفة أمامها بينما عقلها يؤكد لها حقيقة واحدة..

لقد تغيرت ابنتها وأصبحت تخجل من أصلها ومنهم..

أدخلت فيروز أسما لداخل الفيلا بحرص بالغ فكانت تشعر أنها كقصاصة ورق إذا تركتها ستسقط منها على الفور.. لم ترد أن تخبر أحدهم بوضعها كي لا يندعروا فلتتماسك قليلاً وبعدها تشرح لهم ما حدث معها وما الذي جعلها بتلك الدرجة من الوهن .. صعدت درجتين وقبل الثالثة كانت قد وقعت على الأرضية فاقدة الوعي.. صرخت فيروز منادية :

- يا زينب اتصلي بالدكتور ونادي رجب عشان يشيلها معايا بسرعة..
حملها رجب السائق ووضعها على مهدا بينما ظلت فيروز تمرر يديها على وجهها بقلق ودموعها كانت تسقط منها رثاءً على حالتها التي يرق لها الحجر..
مسحت دموعها ثم نادى على الخادمة قائلة لها بأمر وبصوت مخنوق:
- غيرليها هدومها عشان ما تخدش برد ولبسها هدوم ثقيلة وأنا هنزل استعجل الدكتور..
- أمرك يا هانم..

أغلقت الخادمة الباب خلفهم ثم شرعت في تبديل ملابسها، شهقت عندما وجدتها ترتدي فقط ذلك الفستان ثم لاحظت بعض الكدمات بأجزاء متفرقة من جسدها وقالت داخلها بعدما ملأت رأسها بعض الظنون..

" استغفر الله العظيم.. ربنا يستر على ولايانا "

بمجرد أن دخل عادل غرفته فوجيء بوالدته تفتح الباب بهدوء وتقول له مبتسمة:

- ممكن أدخل!

خلع عادل جاكيتته وجلس على سريريه مجيباً إياها بتعجب فكان يشعر أن هناك شيء ما تود قوله له ..

- تعالي يا ماما..

جلست بجانبه بتردد وكأن هناك بعض كلمات محشورة بحلقها وحائرة إن كانت تخرجها أم لا ، ظل عادل مترقبا لحديثها حتى قالت بالأخير:
- أنا عندي ليك عروسة تجنن..

عقد عادل حاجبيه ثم كرر كلامها باستنكار:

عروسة !

وحينها قالت له أمه بحنان :

- حبيبي إحنا معندناش غيرك وعاوزين نفرح بيك بقا .. ومقولكش البنت جمال إيه وأخلاق إيه .. بنت اللواء شاكر عبد الحميد تعرفها!

هل هي تمزح؟..ربما ولكن لا يبدو الأمر كذلك أبداً..

قال لها بسخرية:

- بابا عنده مصلحة مش عارف يخلصها معاه إلا بجواز ولا إيه؟
وبخته أمه حينها قائلة:

- إنت إزاي تتكلم عن باباك بالشكل ده!

نهض من مكانه مخبراً إياها بعصبية وغضب:

- عروستي موجودة مفيش داعي لتعب حضرتك..

سألته بلوم:

- انت لسه راكب دماغك!.. مفيش فايده أبدا!

وأجابها هو بتساؤل:

- هو اللي باعتك! بابا مش كده؟.. يجس نبضي وعاوز يطمئن أنني خلاص شلت

الموضوع من دماغي..

واستطرد:

- روحي بلغيه إن المشاكل اللي بينه وبين أونكل محي متخصناش .. أنا وروز هنتجوز

دلوقت أو بعدين ..

جوازنا أمر واقع

فتحت فريال ثغرها على آخره من صدمتها فأكل هو:

- ولا أقولك أنا اللي هقوله..

ركضت خلفه بينما كانت تناديه:

- عادل ..عادل إهدى واستني ..عادل!

ولكن لا حياة لمن تنادي

اقتحم عادل غرفة مكتب أبيه قائلاً له بهدوء بدا مصطنعاً بعض الشيء:

- أنا مش هتجوز غير فيروز محي الدين أبو العز حبيت أبلغ حضرتك بنفسي وياريت

تحترموا قراري..

أكفهر وجه أبيه فلقد أصبح سماع اسم محي الدين بالنسبة كفيّل بإشعال الحرائق داخله

فقال له بغضب مستعر:

- انت اتجننت ازاي تدخل عليا المكتب بالشكل ده!

واستطرد صارخاً بوجهه:

- والبنت دي تنساها فاهم..

وقف عادل أمامه قائلاً له بتحدي:

- ولو محصلش..

أجابه أبيه في حينها:

- يبقى تطلع برة ومشوفش وشك تاني وتنسى إن ليك أهل..

تدخلت فريال قائلة بتوسل:

- مدحت! مش كده اتفاهموا براحة..

فنظر إليها قائلاً لها:

- استني إنتي .. دلوقت حالاً تختار إحنا ولا هما..

ساد الصمت للحظات كان الترقب فيها لردة فعل عادل هو سيد الموقف..

تردد .. خوف .. قرار صعب ولكن بالمقابل سيُحرم من **سحر الفيروز**

لن يتحمل..

بالأخير رمق أمه بنظرة وداع ثم خرج باتجاه الباب فاستوقفه أبيه قائلاً له بمجود:

- استني.. سيب مفاتيح عريبتك والفيزا وكل الفلوس اللي في جيبك قبل ما تخرج..

عاد إليه عادل واضعاً كل ما يحمله بجيبه ثم خرج صافقاً الباب خلفه..

انهارت فريال وارتمت على أقرب أريكة وظلت تبكي بحرقة ثم أخبرتها بلوم:

- حرام عليك يا مدحت هتبيت ابنك في الشارع..

فأجابها مؤكداً لها:

- متخافيش هيرجع ..

بينما عقله يشك في هذا فهو يعلم كم ابنه عنيد وخاصة بما يخص تلك الفتاة...

ظلت فيروز تتابع أسما بعيونها والتي بعد أن أعطاها الطبيب حقنة مهدئة نامت بهدوء

واستسلام ..

يا إلهي كم تبدو متعبة؟ .. ماذا حدث لك اليوم يا ملاك العائلة!

قام بقياس درجة حرارتها ووجدتها ثمان وثلاثون درجة فابتسم قائلاً لفيروز:

- لا الحمد لله الحرارة أي نزلت ومع المحاليل دي لحد الصبح مش هيكون فيها حاجة إن

شاء الله..

سألته فيروز بخوف:

- هي عندها إيه يا دكتور؟

أجابها بلغة الأطباء المعتادة:

- الممرضة هتبات معاها وبكرة هتسحبها عينة دم وبعد التحاليل هيبان كل حاجة..

- حضرتك شاكك في حاجة معينة!

فتهد مردداً:

- أنا شاكك إن الموضوع نفسي مفيش أعراض قدامي تقولي أن ده سبب جسماني..

واستطرد:

- خلىنا نستنى التحاليل زيادة اطمئنان والحقنة اللي خدتها هتخليها تمام كويس لحد

الصبح ولو فيه أي حاجة اتصلي بيا..

أرشدته فيروز إلى الطريق بينما تحدثه:

- متشكرة أوي يا أونكل تعبناك معانا..

وهو أجابها بإبتسامة:

- ولا تعب ولا حاجة وإحنا عندنا كام أسما!

قامت فيروز بتوصيله لباب الفيلا ثم عادت إليها ودثرت نفسها بجانبها في الفراش .. احتضنتها بقوة تضاهي خوفها عليها بينما كان يمر أمام عينيها أحداث اليوم بأكمله ..

توقفت بالأخير عند شيء لا تستطيع نسيانه أو تمريره..

هي لم تكن مرتدية تلك الملابس في الصباح..

الفصل السابع

يقولون الأطباء، يقررون بثقة وعدم شك، ولكن وصفاتهم الطبية قد لا تنجح على الدوام.. ربما يرفضها جسد المريض أو ربما قد يكون جرحه أعمق من فاعلية أي دواء.. لقد أجزم الطبيب أنها لن تستيقظ سوى بالصباح... والحقيقة أنها تستيقظ كل خمسة دقائق تقريباً.. تصرخ، تبكي بهستيرية، ترتعش لا يملكها جسدها الضعيف المنهك وبعدها تحتضنها فيروز بقوة قبل أن تسقط على ذراعيها وتستسلم للنوم مرة أخرى أو بالمعنى الأدق تهرب من الواقع بكل تفاصيله..

والآن الساعة قد تخطت السادسة صباحاً وأهل المنزل مازالوا خارجه وفيروز وحيدة ولا تعلم ماذا تفعل وكيف تتصرف.. بالفعل أنهكتها تلك المسؤولية وشعرت أنها أكبر منها فتلك المرة الأولى التي تشعر فيها بالعجز لتلك الدرجة وكانت أطول ليلة مرت عليها وكأن الثانية فيها تعادل ساعة..

أخيراً قامت مساعدة الطبيب بحقنها بجرعة مهدّئ إضافية قبل أن ترحل لتنام هي بهدوء وتغط في سبات عميق..

شعرت فيروز ببعض البرودة فدفرت نفسها بجانبها محتضنة إياها ولا تدري إن كانت تمنحها الدفء والأمان أم تأخذهم منها..

غطت في النوم ولا تدري كم مر الوقت ولم تستيقظ إلا على عيون تحدقان فيها بشدة أربكتها....

بمجرد أن عادت من منزل ابراهيم هي وأما طلبت منها الأخيرة أن تذهب وتوقظ أختها إن كانت نائمة كي لا يفوتها موعد امتحانها ولكن عندما فتحت باب غرفتها دون استئذان كما اعتادت فوجئت بصورة مختلفة تماماً..

أسماء بحضن فيروز والاثنان غارقتان بالنوم!! متى توطدت علاقتهما لتلك الدرجة!

تسمرت وكأنها تحفظ ذلك المشهد بعقلها أكثر عليها تستوعبه..
شعرت بالغليان لقد وصلت فيروز لمنزلهم .. للغرفة المقابلة لها.. لأسماء..
ماذا تبقى لم تأخذه منها بعد!

جزت على أسنانها بضيق محاولة أن تستحضر بعض الهدوء ولكن دون جدوى فقد شعرت أن داخلها يتأكل من شدة الغضب.. حتماً ستموت يوماً ما بسببها ..
بتلك اللحظة فتحت فيروز عيونها المغلقة وكأن حرارة نظرات بشرى الحارقة قد وصلت إليها وأخرجتها من سباتها..

نهضت فيروز واعتدلت جالسة مستندة على الوسادة، أرجعت خصلات شعرها التي كانت تلامس جبهتها للخلف بسبب توترها..

نظرات بشرى مخيفة.. تقريباً لا تحيد نظرها عنها.. والأغرب أن تلك النظرات موجهة لها وحدها..

تنحنحت ثم قالت كي تسحب بعض الشحنات السلبية من الهواء:

- صباح الخير...

أجابتها بشرى على مضض:

- صباح النور.. ماما قالتلي أصحي أسماء عشان الامتحان..

واستطردت متسائلة بحماسة:

- انتي كنتي بايئة هنا؟

نزلت فيروز من على سرير أسما..ارتدت حذاءها ثم أجابتها بتوتر:

- أسما تعبانة شوية..

حينها دخلت حورية للغرفة والتي كانت مارة من جانبها ولكن كلمات فيروز اخترقت قنواتها السمعية وجعلتها تتوقف،هرعت نحو ابنتها النائمة متممة بقلق:

- ما لها!

لك أن تتخيل فجأة وبلحظة واحدة وجدت فيروز كل العيون موجهة نحوها مرسلين إليها اتهامات خفية وأسئلة لا حصر لها ومن المفترض أن تجيب عليهم جميعاً بينما هي لا تعلم أي شيء...

تنحنحت فيروز وقالت بصوت متحشرج :

- هي جت من برة تعبانة وأغمى عليها ..

قالت حورية بشدة ولوم :

- إزاي تخي علينا حاجة زي كده؟

ومررت يديها على وجه أسما الدافئ متعجبة من عدم استيقاظها حتى الآن رغم أصواتهم العالية فسألت فيروز بخوف جلي:

- هي ما لها ومش بتتحرك ليه كده؟

أجابتها فيروز بعد فترة من التردد:

- هي واخدة مهدئ ونائمة.. دكتور أشرف شاكك انه انهيار عصبي بس قال هيعدي

انهاردة و....

اتسعت عيون حورية على آخرها وتبادلت النظرات مع بشرى ثم قالت مقاطعة إياها:
- بتقولي ايه؟ .. ليه؟.. أنا بجد مش قادرة اتخيل انتي ازاي ما اتصلتيش بينا وعرفتنا
.. كنتي مستنية إيه أما تروح مننا خالص..

حورية تهذي من الصدمة ولا تدري ما يتفوه به لسانها ولا كيف كان وقعه على قلب
فيروز التي تلجمت من الموقف وشعرت أنها بقفص الاتهام ولا أحد يقبل حتى أن
يستمتع لمبرارتها..

دمعت عيناها.. هي فقط أرادات ألا يندعروا .. أرادت أن تسمع لأسماء أولاً.. هي لم
تقصد شيئاً سيئاً فلم ينظرون نحوها هكذا..

قالت بشرى بتحدي:

- احنا عيلتها .. يعني أول ناس هتكون هي عاوزاهم جنبها..

والآن بشرى تلمح .. بشرى تقول كلاماً خفياً قد فهمته هي .. بشرى تطعن بالكلمات..
بشرى تتعمد جرحها..

أتقصد أنها ليست من العائلة وهم الأقرب إليها منها!

واستطردت بحنو مصطنع:

- بس بجد شكك منمتيش .. روعي نامي وارتاحي وإحنا هناخد بالها منها وأما تفوق
هنقولها إنك كنتي بايئة معاها طول الليل مشكورة..

قالت حورية والتي كان عقلها فقط بوجه ابنتها الشاحب:

- أنا هنزل أكرم الدكتور مش هقدر استنى أكثر من كده..

انتظرت بشرى رحيل أمها ثم قالت لفيروز بحدة:

- تقدرني تفضلي ..

سألتها فيروز بعد أن استوعبت الصدمة:

- بشرى هو انتي بتطرديني!

قالت لها بشرى بقسوة وفاجئت فيروز للمرة الأولى بكلام تردد صداه في أذنها لدقائق بعدها:

- احنا كلنا محافظين معاكي على مسافة معينة واضح انك اتخطيتها.. عملتي نفسك مسئولة عن أسما ومتصلتيش بابا وقولتيله عن تعبها وكان كذبتى عليه.. مش فاهمة الصراحة انتي عاوزة ايه بالضبط؟

مسافة!.. عن أي مسافة تتحدث؟.. بل عن ماذا تتحدث هي بينما شقيقتها بحالة مزرية ولا يعلم أحد سبب ذلك!

كررت فيروز كلمتها:

- مسافة؟؟

رفعت بشرى رأسها لتقول برأس مرفوع:

- بصراحة انتي بالنسبة لينا بنت اللي سرقت منا بابا..وماما بتشوف فيكي جرح عمره ما هيتقفل لإنك ذكرى منها وكان شبهها.. فياريت كفاية أوي وتسبينا في حالنا..

بعدها تاهت كل الكلمات وانحشرت كل المعاني واختفت الثوابت من حولهما.. فيروز يبدو أنها فقدت لسانها وعيونها وكأنها تجمدت تماماً بينما بشرى كانت مستمتعة بالصدمة التي اعتلت ملامحها الناعمة.. لم يهمها أنها أعلنت الحرب عليها بوضوح فالأهم أن النار

التي كانت قد نشبت داخلها جراء رؤيتها محتضنة أسما بتلك الصورة قد نحدث الآن
وسكن محلها راحة وهدوء نفسي..

ماذا هل ستفقدن الوعي بسبب بعض الكلمات !!.. تلك البداية فقط يا حضرة الأميرة
المدللة ومازال هناك الكثير والكثير ينتظرك بعد ..

هل شعرت يوماً أنك عبارة عن كتلة من الدخان حرارتها من الممكن أن تحرق .. تفجر
ربما.. ذلك كان شعورها بينما كانت تتحرك باتجاه فيلتها بجسد حاضر وعقل غائب ..
عقلها توقف على جملة واحدة تأبى الخروج من رأسها فيتخذ قرار .. وقلبها يتدخل مناشداً
بالتراجع..

ولكن لا من أجل كرامتها فلتدهس علي ذلك القلب بقدميها..
قررت ..

من تلك اللحظة هي لا عائلة لها سوى أبيها.. أبيها فقط..

لن تنتظر منهم أي شيء فهم بالأصل لم يكونوا لها أي شيء مثلها هي بالنسبة إليهم لا
شيء..

دخلت إلى غرفتها مباشرة دون أن تأبه بكريمة التي كانت تنادي عليها وأغلقت باب
الغرفة بالمزلاج ثم أغلقت هاتفها..

هي لا تريد أي تواصل من أي نوع الآن..

ظلت تدور بالغرفة يمينا ويسارا..

حسناً لم تذرف من عيونها دمعة ولكن ليها تسقط عليها تقلل من طاقة الغضب التي

توغلت داخلها نكلايا سرطانية.. لقد شعرت وكأنها اشتمت رائحة اشتعال دمها المغلي داخل أوردتها فقد كانت بالفعل تحترق تماماً..

لمحت بطرف عينيها صورة جماعية جمعهم جميعاً بحفل زفاف ابراهيم وهي بكل حماقة وضعتها بجانب سريرها كي يكونوا ونيس لها، كي تشعر بأنها جزء من عائلة تبادلهم الحب ويبثوها الطمأنينة..

كم هي غبية!

أمسكت البرواز وألقته أرضاً بقوة ثم ظلت تضرب عليه بكعب حذاءها حتى حولته إلى فتات ...

ولم يهدأ داخلها أيضاً...

قامت بشد مفروش التسيريحة حتى سقط كل ما عليها على الأرضية، تداخلت روائح عطورها وصنعت مزيج غريب اخترق أنفها بقوة جعلتها تسترد بعض من الوعي... تنهدت وجلست على حافة سريرها تلتقط أنفاسها بسرعة ..

شهيق .. زفير .. شهيق .. زفير..

أغمضت عيناها .. كيف تسترد هدوءها بحق الله!

انتبهت إلى طرق الباب وخلفه امرأة تقول بحنو وقلق بالغ:

- فيروز حبيبتي افتحي الباب.. إيه اللي يحصل؟ فيكي إيه؟

وفيروز لا طاقة لديها للرد.. لا صوت تمتلك ولا حنجرة..

وازداد الطرق بقوة لم تتحمل فيروز بعدها أكثر..

- روز حبيبتي عشان خاطري افتحي الباب...

أجابتها فيروز كي لا تنذر أكثر وطمأنتها من شفقتها عليها:
 - دادا أنا كويسة محتاجة بس أقعد مع نفسي شوية.. عشان خاطري سيبيني لوحدي
 وبليز ما ماتكلميش بابي..
 صمتت كريمة قليلاً ثم قالت لها بنبرة متوترة:
 - طب قوليلي مالك .. افتحي الباب ده..
 قالت فيروز بتوسل:
 - دادا من فضلك ...
 استسلمت كريمة ثم قالت :
 - خلاص اللي يريحك.. مش هضغط عليكى أكثر..

هل تعتقد أن ثمان ساعات ونصف من الممكن أن يغيروا هيئة انسان؟؟
 لقد دخلت إلى تلك الغرفة بشخصية وخرجت منها شخصية أخرى تماماً..
 كانت بالصباح غاضبة، حانقة، الشياطين تتراقص أمام عيونها.. والآن....!
 ملابس قصيرة نوعاً ما، أناقة فاقت الحد المسموح بها، فستان أسود بتطريز بسيط، ميكاج
 صارخ، شعرها قد جمعته على هيئة جديدة من جانب واحد وأسدلته على كتفها الأيمن..
 وضعت الفرو على كتفها وارتدت حذاءها ثم قبلت كريمة والتي قد فتحت ثغرها على
 آخره باندعاش قائلة لها:
 - باي ياداداد..

سألها كريمة باستنكار بالغ من مظهرها المبالغ فيه وبشدة:

- انتي رايحة فرح!

أجابتها فيروز ببساطة :

- رايحة افتتاح الجمعية الخيرية ..

ثم قبلتها بشدة جعلت كريمة قلقة حد الذعر ثم أخبرتها:

- أشوفك بعدين بقا...

استوقفتها كريمة متسائلة:

- هترجي امتي؟

ولم تجيبها فيروز فقد كانت بالفعل قد ركبت سيارتها وطارت بها...

وصلت لحفل الافتتاح متأخرة نوعاً ما، ترجلت للداخل بثقة هزت جميع الأرجاء ،

كانت كل العيون مركزة عليها وقلبت كل الموازين بظهورها رأساً على عقب ووصلت

تعبيرات الإعجاب ليس لأذنيها فقط بل لياسر أيضاً والذي بمجرد أن لاحظ تأنقها الذي

تعدى كل الحدود أسرع باتجاهها وبداخله طاقة غضب تود أن تقتلع كل العيون الذي

تنظر نحوها من جذورها.. أمسك يديها وقام بجرحها معه بطريقة تعجبت لها هي..

فقال له هي:

- ياسر سيب إيدي.. فيه إيه؟

ولم يجيبها.. أدخلها للركن الذي خصصه لعرض لوحاتها ثم أحضر لها معقداً وأخبرها

بحزم:

- ما تتحركيش من هنا.. والفورير الي لابساه ما يتقلعش مفهوم..

ابتسمت فيروز ولا يعلم هو إن كانت ابتسامتها ساخرة..

سألته مرادة:

- وده ليه إن شاء الله!

وقف هو أمامها بتحدي ثم أجابها:

- ده لو حضرتك مش عاوزة تبوظي اليوم ده ويعدي على خير...

وتركها ورحل .. هو غاضب منها للغاية.. يود أن يقوم بكسر رأسها العنيد هذا.. لو تزوجها

سيغلق عليها كل الأبواب والنوافذ ولن يترك حتى الهواء يمر إليها..

ما هذا الذي فعلته!

رحل لأبعد مكان عنها بينما عقله ظل يردد كلمة وحيدة:

- ما كان يجب أن تكن جميلة هكذا اليوم...

انهيار عصبي حاد..

ما سببه وما الذي بدل حال ابنتها هكذا لا تعلم أي شيء ولا تفهم!

هي منذ أن استيقظت لا تتحدث معهم.. تظل شاردة .. عقلها يبدو أنها تركته بمكان ما

وانضمت لعالم قررت الذهاب إليه وحدها..

حتى أنها أصبحت لا تبكي وكأن منبع الدموع لديها قد جف تماماً..

وأما معها منذ الصباح تارة تحتضنها ولا تجد منها أي رد فعل وتارة تعطيها الطعام عنوة

ولا تستقبله معدتها وتارة تستسلم ولا تفعل أي شيء..

خرجت من غرفتها بعد أن شعرت أنها لن تتحمل أكثر وذهبت إلى غرفة بشرى سائلة

إياها:

- كلمتي بابا كي ؟

والآخري أجابتها:

- مايردش بردك..

- غريبة .. طب كلميه على الشركة ..

ثم نظرت إلى الساعة المعلقة على الحائط ووجدتها تخطت الساعة مساءً ثم أكلت:

- ولا أقولك خلاص متكلميهوش هو أصلاً زمانه جاي...

أغلقت الباب خلفها بينما قلبها يتحسر على ابنتها التي تبدل حالها ولا تدري ماذا تفعل لها

كي تخفف عنها.. كم تشعر بالعجز وقلة الحيلة حيالها.. رباه فلتحمها من أي مكروه..

بتلك اللحظة وجدت الخادمة تمر من أمامها متجهة إلى السلم الخلفي الذي يؤدي إلى

المطبخ مباشرة فاستوقفتها منادية إياها:

- زينب استني..تعالى عاوزاكي..

ذهبت إليها الخادمة منكسة الرأس.. لقد كانت تتحاشي الظهور أمامها منذ الصباح كي لا

تسألها عن أي شيء هي لا تريد أن تجيب عنه ولكن يبدو أن ما نخشاه لا بد أن يحدث

تلك القاعدة..

وقفت أمامها مرددة:

- أمرك يا هانم..

سألتها حورية مباشرة:

- انتي كنتي هنا أما أسما رجعت من برة؟.. إيه اللي حصل تعرفي أي حاجة!

ابتلعت ريقها.. ما خافت منه قد حدث .. هي أخبرت زوجها عن ما رآته وعن

شكوكها وحذرهما هو ألا تتحدث كي لا تخسر وظيفتها.. أخبرها أن هؤلاء هم طبقة الأغنياء وتلك حياتهم وهذا أمر عادي بالنسبة إليهم ولكن إن تحدثت هي ستركون كل شيء ويمسكون بتلابيبها...
وقال لها بالحرف والكلمة...

"إحنا مش أد الناس دي يا زينب ما لناش دعوة بأي حاجة فاهمة واللي سمعته ده مسمعهوش منك تاني"

ابتلعت ريقها ثم أخبرتها ببعض التردد:
- أنا معرفش أي حاجة يا هانم.. أنا جيت على صريخ الست روز وهي بتقولي اتصلي بالدكتور بسرعة وهي كانت واقعة على الأرض ومش دارية بحاجة..
وأكلت:

- الجو كان وحش أوي برة وهدومها كانت مبلولة من المطرة يمكن خدت برد ولا حاجة..

هزت حورية رأسها بتفهم ثم أخبرتها:
- خلاص.. روعي على شغلك انتي دلوقت...

"مين قال إن شهر العسل يخلص؟"

تلك كانت إجابته عليها بكل بساطة بعد وصلة من التذمر والتوسل بأن يقوم بمد أجازته فترة أخرى..

قالت له مجيبة إياه:

- ياسلام.. هو أنت كده ثبتني صح !

وأضافت:

- على أساس إني مكنتش شغالة معاكم في الشركة وعارفة انك تقريباً بتقيم فيها..

وأخبرته بدلال بعدما تمددت على قدميه:

- إبراهيم عشان خاطري .. أنا لسه مخدتش على حياتنا الجديدة عشان أقعد لوحدي كل

ده.. وبعدين انت عارف أنا لازم أصحي الصبح ألاقك جنبي وإلا أتجنن...

داعبها هو من وجنتها الممتلئين ثم طبع قبلة على شفيتها مخبراً إياها:

- واضح إنك بتدلعي..

حينها نهضت هي من على قدميه وسألته بحاجب مرفوع:

- أنا بدلع! ولا إنت اللي مستخسر فيا حتى شهر العسل تقضيه معايا كامل!

أخبرها بعدما عقد حاجبيه مقلداً إياها:

- أنا ولا بابايا.. بصي أدامك التليفون لو تقدري تكلمي الحاج محي وتقنعيه أنا معنديش

أي مانع..

حينها هي تنهدت باستسلام ثم نهضت من على الأريكة وقالت له:

- أعمل اللي انت عاوزه .. بص انت ممكن تنزل تروح من دلوقت مش لازم تستني لبكرة

على فكرة...

وجذبها هو إليه بحركة مفاجئة أرعبتها ،أجلسها على قدميه ثم قال لها بنبرة تحفظ هي ما

يحدث بعدها عن ظهر قلب:

- لسه بدري على بكرة .. هنتكلم فيه من دلوقت فاضل ١٢ ساعة وربع و٣ دقائق..

وحينها هي اعترضت:

- ياسلااام ..

أسكتها هو بإصبعيه ثم قال:

- كده بقوا دقيقتين..

ثم سقط بها على الأرضية مكملًا:

- وأنا مش هضيع أي دقيقة أكون فيها معاكي...

وغاب معها في قبلة عميقة تاهت هي فيها قبل أن يتوه هو

"تلك الشقراء يبدو أنها قد وجدت بالحياة كي تفقده ما تبقى من عقله"

ألا يكفيها أنها بدلت أحواله من أول نظرة والآن يبدو أنه على وشك أن يرتكب جريمة بسببها...

لم يستطع أن يبتعد عنها كما زعم بل ظل قريباً منها قد المستطاع يتابعها بعين والعين
الآخرى على الحفل ...

ظل يراقبها ولم كان الأمر ممتع ومن الغريب أنها كانت مطيعة ولم تتحرك من مكانها قط..
لاحظ أن ابتسامتها التي كانت مرسومة على ثغرها قد زالت بعد وقت قصير من رحيله
عنها .. ظلت تشرد بعدها من فينة لأخرى والآن هناك دمعة قد ترقرت بعيونها ..
يعلم لن تسقط تلك من عيونها.. هي ستقاومها.. لقد أصبح يعرفها أكثر من نفسها..

وقد كان محققاً .. التقطت هي نفساً عميقاً كي تبتلعها وعادت الابتسامة المزيفة تعلو ثغرها

عندما جاءت إليها فتاة تطلب منها أن تحدثها عن لوحة من لوحاتها...

وشرد فيها هو أكثر .. وغرق أكثر .. وضاع أكثر بعيونها الزيتونية..

خرج من هالتها على صوت رنين هاتفها... استأذنت من الفتاة اللي كانت تتحدث معها
وخرجت للخارج بعيداً عن الضوضاء..

تلقائياً حملته قدميه خلفها وظل واقفاً خلفها يتابعها..

كانت تقول:

- أنا لسه فاتحة موبايلي من شوية .. كنت تعبانة انهاردة وقضيت اليوم نوم..

ثم أضافت بقلق:

- ليه هو كان حصل حاجة؟

وتغيرت نبرة صوتها لآخرى غاضبة .. مستنكرة بشكل كبير..

- عادل إنت إزاي تعمل كده؟

حينها هو أحكم قبضته لدرجة أنه استمع لقطقة أصابعه..

أي لعنة قد حلت بحياته!

هو يحبها وهي متعلقة بجمال آخرى يتحكم بها رجل غيره!

بدأ يشعر أنه سيقتلها بالأخير ولا محالة..

ازدادت وتيرة تنفسه بعدما سمعها تخبره:

- عادل الأمور ما تمشيش كده .. قولتك طول ما احنا متمسكين ببعض في الآخر

محدث هيقف قصادنا.. انت كده فتحت علينا نار مش وقتها خالص.. وفي البيت

عندي الجو مش ...

ولم تكمل فيبدو أن ذلك قد قاطعها...

أكملت بعد فترة قصيرة:

- أنا كل خوفي لبابي يوصله الموضوع ده ساعتها ممكن فعلاً يجبسنني في البيت .. انت مش عارف هو بيتحول ازاى بمجرد أنه يلح بس سيرة الموضوع ده..
وأضافت:

- عامة اللي حصل حصل .. انت فين دلوقت؟
وأجابته:

- أنا في مصر الجديدة بس الصراحة معرفش أقول العنوان أنا عرفته كده بالوصف
وقعدت أسأل..

ثم استدارت فجأة لتجد ياسر يقف خلفها ويبعد عنها فقط مجرد خطوات!
أنزلت الهاتف من على أذنيها من أثر المفاجأة.. تلاقت أعينهم وكان هو يتحدثها بصمت
وهي تحاول أن تفهم ..

لم يقف خلفها ولم ينظر نحوها بتلك الطريقة الغريبة؟
ابتلعت ريقها وتخطت المفاجأة ثم اتجهت نحوه متسائلة:
- خضتني.. واقف ليه كده؟

ولم يجيب..

واستطردت هي:

- أنا كنت داخله جوة أدور عليك كويس أنك هنا..

وأجابها هو باختصار:

- خيرا!

- ممكن تدي عنوان المكان هنا لعادل .. خده أهو معاك..

ووضعت الهاتف في قبضة يده حتى أنه أحكم أصابعه عليه بينما كان لم يستوعب الأمر تماماً بعد..

قالت له موضحة:

- ياسر.. معلش هتعبك هو عاوز يجي وأنا في حوار العناوين ده ضايعة خالص..

ابتعد عنها عدة خطوات أغلق فيها الاتصال حتى من دون أن يضع الهاتف على أذنيه ثم عاد إليها مرة أخرى ليضع هاتفها في يديها.. أخبرها بنبرة كانت مختلفة عليه قبل أن تكون عليها وقال لها:

- الخط قطع.. أكيد رصيده خالص..

ثم استطرد:

- لو اتصلتي بيه تاني قوليله ما يجيش .. هنا مش كازينو العشاق ولا احنا جاين نهرز ..

صمتت من دهشتها.. وكأن شفتها قد اتصلا ببعضهما البعض ومنعاها من الكلام..

ما هذا اليوم ؟.. هل اتفق الجميع عليها؟

تنحنت كي توبخه .. كي تصفعه .. كي تفعل أي شيء..

ولكن جسدها لم يساعدها على اعطاء أي ردة فعل...

رحلت من أمامه تاركة خلفها أنفاس حارة قد لفحته في وجهه .. أخذت سيارتها

وانطلقت بسرعة بينما كان هو يتابع رحيلها واستوعب للتو أنه قال لها أشياء كان يجب

ألا تقال...

ضرب يده على الحائط بينما يردد داخله:

" غبي وأحمق "

وليس لأنه تفوه بكلام جارج بل لأنه تركها تذهب إليه...

دخل محي إلى المنزل فجأة ودون مقدمات وكأنه يداهمه ، كان يزقق ونبرة صوته

الغاضبة قد وصلت إلى حورية التي كانت تجلس بغرفة ابنتها الصامتة..

نظرت حورية نحوها بشفقة فهي لا تتأثر بأي أصوات حولها ثم خرجت إلى الخارج كي ترى زوجها الثائر..

يغيب عنها طوال اليوم على الرغم من اتصاها المتكرر به والآن قد أتى حاملاً معه عواصف أمشير!!

هي غاضبة منه حتى لا طاقة لها بأن تسأله عن سبب ثورته ولكن قلبها الأحمق جعلها تقلق عليه وتركض إليه كالعادة..

تظل هي تفكر بأحواله وتخلق له الأعذار وهو تركها بأكثر يوم هي احتاجته بحياتها..

نزلت من على الدرج درجة درجة بهدوء ينافي ما تحمله من ضيق وطاقة غضب موجهة له وحده ووقفت أمامه تسأله:

- فيه إيه يا محي؟ بتزقق ليه كده؟

دار هو بمكانه إياباً وذهاباً ثم أخبرها متسائلاً:

- شوفتي روز إنهاردة؟

حينها ظنت هي أنه قد علم ما حدث لأسما بشكل ما وسبب غضبه الآن وثورته تلك لأنها لم تخبره عن الأمر ..

قالت له:

- كانت هنا الصبح مع أسما.. هي أكيد مكنتش تقصد

قاطعها هو:

- رocht الفيلا الثانية مش موجودة وكريمة بتقول أنها في حفلة.. أكيد هما بعض .. واستطرد:

- آخر حاجة كنت أتوقعها إن بنتي أنا توطي راسي قدام الحيوان اللي اسمه مدحت .. أنا يقولي أبعد بنتك عن ابني وإلا مش هيحصل كويس! بيهددني عيني عينك... كان بيتكلم كأننا بنجري وراه ..

وأمسك هاتفه متصلًا بها ثم ألقى الهاتف بعدها بعصية قائلاً:

- ما بتردش بردك...

ظل يهرتل ببعض الكلمات دون أن يأبه لتلك الصامتة أمامه التي تراقبه بذهول ..

أم لأنها صامتة على الدوام فهو لم يتعجب من أمرها الآن..

أم لأنه اعتاد أن يقول وهي تنفذ واعتادت هي أن تخفي ما بداخلها فيرضى...

أي مسلسل وأي سيناريو يعيشونه سوية منذ أكثر من ثلاثون عاماً ...

وهي قد ملّت.. سأمت من الأمر برمته...

قالت له بلحظة صارخة بوجهه ولا تدري إن كان ذلك صوتها أم أنين قلبها..

- كفاية يا محي.. كفاية...

التفت هو نحوها متعجباً منها فأكلت هي:

- بنتك فوق بتموت مننا جبتلها أكثر من دكتور محدش طمني وقالي فيها إيه وأنت حتى مش بترد على تليفونك ..

واستطردت:

- بجد مش عارفة أنت مقلقتش خالص .. مفكرتش أننا ممكن نكون في مشكلة ومحتاجينك ..

وأضافت بقهر:

- ودلوقت جاي البيت عمال تزعق .. جاي هنا تسأل على بنتك واللي فوق دول إيه مش بناتك بردك!

ازدادت ضربات قلبها وأكلت بصوت غابت بعض ملامحه:

- كفاية يا محي .. الدنيا مش فيروز وبس ...

وأغمضت عينيها مرددة بألم بالغ:

- الدنيا مش جويل وبس....

كفي عن الابتعاد حبيبي .. رفقا بقلبي الصغير..

أنت مهلكة القلوب وأنا .. بقلبك عابر سبيل..

أنت مليكة قلبي وأود أن أصير بقلبك أمير..

أنا لست بارعاً في الغرام .. بكلمات العشق لساني فقير..
 لكني سأخبرك القليل..
 أنتِ آية في جمالك .. والسبيل لودك طويل ..
 هل لي أن أخبرك بسر خطير..
 أنا مغامر كبير.. لا يرضيني في حبك الطريق السهل القصير..
 أنتِ لؤلؤة في سمائي ولأجل ضيك بدون أجنحة..أطير..
 السبيل لوصلك عسير وأنا لا أرضي في عشقك.. بغير التحدي بديل.. فلتصبري معي يا
 عشقي الأول والأخير يا ذات السحر الفيروزي ..
 أنا في سحر عينيك يا حبة القلب أسير!!!
 عادل
 إهداء الرائعة أماني عبد العظيم

الفصل الثامن

هناك كلمات تخرس صاحبها أولاً قبل أن تصل حتى لغيره...
ما فعلته أنها أخرجت مخزون سنوات بدقيقة واحدة .. كم كان الأمر صعب عليها! ،لقد شعرت وكأن تلك الكلمات قد جرححت حنجرتها أثناء خروجها من فمها فشعرت بطعم الدماء في فمها..

أصبحت وكأنها تشحذ الحب والاهتمام منه وما أصعب ذلك على امرأة أثرت الصمت
عن الكلام كي تحافظ على كرامتها.....
والآن حتى تلك الكرامة قد وضعتها تحت قدميه...

وظل الوضع على ما هو عليه.. هي تنظر إليه بحدة امرأة جريحة وهو ينظر نحوها بدهشة
رجل يستنكر...يقلب الكلام داخل رأسه...

هو ليس سيء بهذا القدر الذي تتحدث عنه...
حسناً اليوم كان أب سيء .. لم يجب على هاتفه أو حتى لم ينظر نحوه بسبب مقابلته
السخيفة مع غريمه مدحت والذي بدوره قد أخرجه عن صوابه ولكنها لم تتحدث عن
اليوم فقط تتحدث عن العادي والمتوقع منه..

رفع نظره إلى الأعلى ووجد بشرى تقف بالطابق الثاني ويبدو أنها حضرت الشجار من
بدايته...

وكانها بنظراتها نحوه توثق كلام أمها.. أتخبره أنه أهملها من أجل فيروز! أتخبره أنه بسبب
زواجه في الماضي ممن يحبها قد دمر عائلة بأكملها!

أم أن أبيه السبب لأنه قد وقف في طريق حبه ووضع أمامه حورية!
 أم أنه قد أهداها إياها! فهو بالفعل لا يستطيع الاستغناء عنها..
 ما بينه وبين حورية لم يكن عشقٌ جارف ولكن عشرة واحترام وصدر دافئ يرمي عليه
 هموم اليوم بأكمله...

هي امرأة كاملة في نظره تشربت الأمومة حتى النخاع...
 ترك لها مسئولية أبناءهما ليس قلة اهتمام بل ثقة بأنه في وجودها لن ينقص عليهم أي
 شيء..

أو هكذا كان يظن هو فيبدو أن لها وجهة نظر تتعارض معه ...
 قال لها بعد أن ابتلع ريقه:

- بناتك في حضنك يا حورية بس هي ملهاش غيري...
 ونظر للأعلى مواجهاً عيون بشرى:

- أولادي كلهم عندي واحد.. أنا عمري ما فكرت أفرق بينهم في المعاملة وانتي لو
 بصيتي من ناحيتها هتلاقي بناتك محظوظين عنها كثير..
 وأضاف:

- من انهاردة مش عاوز حد يجيب سيرة الموضوع ده تاني مفهوم.
 قال تلك الكلمات ثم ركض على الدرج متجهاً إلى غرفة أسما...

بمجرد أن دخل الغرفة هربت بعينها للجهة الأخرى لا إرادياً .. ربما لأنها تشعر بالخل منه
 فهي من ستتسبب بكسر ظهره وانحناء رقبته أمام الناس بعد أن أصبحت فتاة بلا

شرف وربما لأن هناك حواجز نفسية قد زُرعت بينها وبين كل الرجال وإن كان أبيها..
رفع هو رأسها المنكسة فأغمضتها..

احتضنها فبكت بحرقة..

ماذا بها!

سألها بصوت غلبه نبرة القلق عليها:

- مالك يا أسما؟ حصل إليه؟

وكأنها تملك خاصية التحدث.. وكأنها تستطيع أن تخبره عن أي شيء.. هي تشعر بأن
القدرة على الحديث أصبحت بالنسبة إليها شيء صعب المنال..

هي لا تعرف كيف تخبرهم بشيء كهذا.. وهل بالأساس هذا شيء يذكر!
شعر بارتجافها بين يديه فضمها إليه أكثر..

- إيه اللي حصل يا أسما؟.. متقلقيناش عليكي..

نظرت أسما إلى أمها وكأنها تناجيا فوجدتها غارقة في نوبة بكاء حادة أيضاً، نظر إليها محي
بدوره وهي الآخري فعلت..

لا تعلم إن كانت تبكي لأنها تأثرت بسبب احتضانه لأسما أم لأنها تفوهت بأشياء تسببت
في انزعاجه منها..

ظلوا هكذا لفترة قصيرة.. حورية تتجدد دموعها وأسما لا تتحدث ولن يبدو أنها ستحدث
بأي شيء وبعينها نظرة دعر لم يستطع أن يفسرها هو..

قال بالأخير:

- أنا هسيبك مع ماما يمكن تحكيها عن مشكلتك وصدقيني ما فيش مشكلة ملهاش

حل..

ابتسمت داخلها بحسرة..

فكل المشكلات لها حل عدا مشكلتها.. لا حل لها..

حينما رآته ارتمت في أحضانه وكأنها تختبئ داخله مما هو أسوأ أو ربما كي تناشده بأن يخرج من داخلها السموم التي استقرت في قاع قلبها...
الجميع كان اليوم ضدها .. بشرى وحرورية وحتى ياسر من اعتبرته صديقاً طعنها بالكلمات...

هنا مش كازينو العشاق ولا احنا جاين نهرز!

لقد شعرت بقطرات الإهانة تتساقط من حروف كلماته ووثقها بنظراته نحوها...
كيف تجرأ بأن يتحدث معها هكذا؟
قلبت جميع الأمور برأسها وفي النهاية لامت نفسها..
كان يجب عليها أن تصفع ياسر وتقتل بشرى لا أن تنسحب من أمامهم هكذا..
رفع عادل وجهها ثم سألها:
- انتي كويسة؟

هزت رأسها دون أن تتحدث ثم قالت بنبرة قلقة:

- المهم انت .. قاعد فين وعائش ازاي؟

أجابها بعد أن تشربت ملامحه الجدية:

- كنت بايت في الفندق وبما إن الفلوس الي كانت في جيبى قربت تخلص ففروح أقعد

في شاليه واحد صحي في الساحل الشمالي ..

وأكل بنبرة داكنة:

- كان لازم أدور على شغل...

قالت فيروز مستنكرة:

- الساحل الشمالي في الجو ده؟!!

ضم شفتيه بمعنى أنه لا يوجد حلول أخرى أمامه وهي نظرت له مطولاً ثم قالت:

- أنا بحبك ..

وهو لم تنبت شفتاه بكلمة.. تلك المرة الأولى التي تخرج منها "أحبك" بكل هذا الصدق

وتلك المشاعر.. كان يشعر على الدوام أنها تهرب من مشاعره نحوها ولم يفهم ولا يفهم

الآن أيضاً ولا يبالي سوى بتلك الكلمة التي صدها ما زال يتردد داخل قنواته السمعية...

شعوره تجاهها بتلك اللحظة أصبح من المستحيل وصفه..

أضافت هي بعد أن لمعت عيناها بدموع تلالأأت داخلها:

- أوعى تجرحني في يوم صدقي مش هستحمل .. أوعديني..

شعرت بشيء يهتز داخلها جراء خيانة لسانها.. قالت ما شعرت به دون أن تفكر ولا

تحسب .. لقد كسب ثقتها بتخليه عن كل شيء من أجلها.. جعلها تشعر بالأمان لأول

مرة بحياتها وانتصر على الصراع الذي يسكن قلبها وعقلها ..

كانت تعيش بمعضلة منعها من تكوين أي صداقات حقيقية حتى الآن

كانت ما بين الرغبة في مشاركة مشاعرها مع من حولها وما بين الخوف من المستقبل..

من الألم والفراق ومزيد من الأوجاع وهي مشاعرها برقة نسيمات الهواء فلن تتحمل..

ولكن بوجود الثقة تختفي جميع المخاوف ويفرغ القلب جميع مكنوناته ...

قالت ما بداخلها وشعرت براحة غريبة وحينها هو ضمها إليه بقوة امتصت توترها ،احتضن وجهها بكفيه وشرد بعيونها للحظات ثم قال:
- أوعدك...

ربما يكن الحب حياة وسبب سعادة جارفة وربما يكن سبب شقاء ووصمة عار وثن تظل تسدده طوال العمر..

وهي كان عشقها نقمة وبالأخير يخبرونها بأنها السبب فهي من أساءت الاختيار.. فطلما هي كانت غارقة بالحب وطلما أن مرآة الحب عمياء وبما أنها كانت في سن لا يسمح لها بتقييم الأشخاص جيداً فلم لم يحذرهم أحدهم ولم لم ينصحوها بالابتعاد عنه!
ابتسمت بمرارة...

فهي بالفعل وحيدة... منذ أن توفي والديها معاً في حادث سيارة وقدر الله أن تخرج منه دون خدش واحد علمت أن حياتها الوردية قد انتهت بموتهم وجاء وقت استكشاف معادن البشر..

الأقارب ببلدة أخرى وجميعهم اكتفوا بمنازلهم ومسئولياتهم والوضع لن يتحمل مسؤولية جديدة وأما عن ضميرهم فكانوا يخرسوه بمكالمات هاتفية اختفت مع الوقت..

وكبرت الوردية واعتادت الوحدة وتحولت إلى ثمرة حان موعد قطفها...

حام حولها الخطاب الطامعين بجمالها وإرثها وتزوجت هي أحدهم هرباً من الوحدة ولم تعلم أنها هربت من نار إلى جحيم إلا عندما جردها من كل ما تمتلك وبعدما صارت

عديمة الفائدة بالنسبة له طلقها وترك لها طفل لم يكمل حتى عامه الأول..

تراجيديا وصدمة كبيرة عاشتها طفلة لم تكمل العشرون ربيعاً بعد، زاد عمرها الضعف فجأة ، تذوقت العلقم وتحملت ما لا يحتمل من أجل طفلها والآن باتت مقاومتها توازي صفراً بعدما خسرت مسكنها وعملها بنفس الوقت...

نظرت إلى طفلها النائم على قدميها .. ما ذنبه؟ هي تعلم ذنبها جيداً لأنها لم تحسن اختيار من كان زوجها وأعمى بصيرتها بكلامها المعسول .. هي تتقبل العقاب ولكن لا تقبله عليه هو..

فهو نور حياتها واليوم هو من يتحمل إثمها..

تذكرت عرض بشرى وللحظة وسوس لها شيطانها بأن تحدثها ولكن سرعان ما تراجعت وشعرت أنها إذا رأتها الآن ستوبخها مرة أخرى..

كم كانت ورقة معها.. أخبرتها دون تجمل ما كانت تريده منها وأعطتها مهلة للتفكير ورودينا صرخت بوجهها ثم وبحتها ورحلت..

خرجت من دوامة أفكارها التي تتجدد دون توقف على صوت طفلها يقول:
- ماما عشان (عطشان) ..

وهي أزاحت رأسه من على قدميها ووضعتة برفق على السرير ثم توجهت للمطبخ بهدوء كي لا تزج أهل المنزل فهي من غير شيء تشعر بالخل الشديد منهم.. استوقفها صوت قريب ورغماً عنها توقفت عندما سمعت صديقتها تنفوه باسمها..

- ماما رودينا مش من النوع ده اطمني .. هي معايا في الشغل بقالها أكثر من سنة مشوقتس منها حاجة وحشة..

ضحكت أمها باستنكار ثم قالت لها موبخة إياها:

- افهمي البنت حلوة والرجالة عينهم زايدة.. بعد ما تقع الفاس في الراس ما تبقيش تيجي تعيطيلي ..
وأكلت:

- حد يحط النار جنب البنزين ويستنى يشوف هتولع ولا لأ.. حبيتي دي متطلقة
وعندها ولد صغير وملهاش حطة تقعد فيها يعني من الآخر هتموت وتتجوز واحد يشيل
عنها وجوزك فرصة...

قالت منار بعد أن هزت رأسها بنفي:

- جوزي مش بتاع الكلام ده .. بيديها السلام وعينه في الأرض هو أنا اللي هقولك يا
ماما...

اقتربت منها أمها أكثر ثم أخبرتها:

- عارفة يا حبيتي وعشان كده بقولك خلي بالك .. وفيه حاجة انتي مش واخدة بالك
منها انتولسه مش عندكم عيال يعني جوازكم مبقاش ليه جدر تنسدي عليه وكان قلبه
ممکن يحن لابنها وساعتها هيروح ومش هتعرفي ترجعيه...

وحينها تحركت عيون منار يمينا ويسارا كدليل على تأثرها بكلام أمها

أما عن رودينا فهي تراجعت من الصدمة مستندة على الحائط .. هل هي نتوجع أم تنازع
في الرmq الأخير!

وما الفارق فهل كان يشعر بها أحد أو سيدشعر بها أحد!

واليوم قد اكتشفت أنها تحولت بالأخير لنقمة أو جرثومة يعاملونها بحذر ويخافون على

أزواجهم منها!

عادت للغرفة دون أن تحضر الماء لطفلها.. جلست بجانبه بينما كانت قدميها ترتجف من شدة الغضب.. ترقبت قدوم منار وها هي قد دخلت بالفعل للغرفة بعد أن طرقت بابها.. ابتسمت ابتسامة نجل ثم جلست بجانب رودينا وقالت:

- ماما مصرّة اني أروح معها وأقضي يومين .. مش عارفة أقولك إيه حبيبتى أنا بجد مكسوفة منك...

ابتسمت رودينا ممتنة لها فعلى الأقل لم تفتوه بكلام جارح.. تطردها بأدب.. قالت لها بتوسل:

- ممكن أسيب كريم عندك للصبح؟ صدقيني هاجي الصبح أخده ومش هضايقك تاني.. فقالت لها منار بتلعثم:

- رودينا أكيد طبعاً هيكون في الحفظ والصون .. وأكملت متسائلة:

- هتروحي فين؟

أخبرتها رودينا برأس مرفوع وعيون قد امتلأت رغباً عنها بدموع تنتظر أمر الخروج..

- هتصرف متخافيش عليا خلى بالك بس من كريم..

أوقفها منار من رسغها ثم أخبرتها بعيون آسفة:

- خليكي مع الولد والصباح رباح...

خيبة الأمل..

الشعور بالرغبة في اعتزال كل شيء..
الغضب الذي بإمكانه أن يحرق الأخضر واليابس..

ذلك كان شعوره بتلك اللحظة قبل أن يركل سيارته بإحدى قدميه، لقد تمكن منه
الغضب لدرجة شعر فيها أنه لا سيطرة بعدها فاعتذر من أصدقاءه وغادر من الحفل
سريعاً هارباً من أسئلة هو لا يريد الإجابة عليها..

كاد عقله أن يشت .. اللعنة

من شغلت قلبه قلبها مشغول بغيره ..

حسناً كان يعلم من قبل ولكن أن يشهد بعينه على ذلك الحب شيئاً آخر..

تمنى أن يقتلها وبعدها يقتل نفسه.

تملكه شعور سيء .. مقيت.. تعدى مرحلة الغيرة بكثير..

بينما كان يفتح باب سيارته شعر وكأنه سيقوم بخلعه.. قبل أن يركبها تجددت كل
أوصاله على صوت أنثوي يحفظ نبراتة عن ظهر قلب..

كانت تناديه:

- ياسر!

توجه بنظره نحوها بعدما وجد أن لا بديل أمامه.. تأملها .. لم تتغير كثيراً سوى أنها
اكتسبت القليل من الوزن زاد من هالتها الضئيلة.. كانت قد تخلت عن حداثها ذو
الكعب العالي فوصلت لمستوى صدره تقريباً.. خصلاتها اكتسبت بعض الخصلات
الشقراء ولكنها لم تمنحها سحر الفيروز أبداً.. وبذلك اللحظة لمح دموع استقرت بعينها

السوداء فزادت من درجة لمعانهم...

ظل هو على حاله لم يتحدث فاستطردت هي:

- الحفلة كانت حلوة أوي طول عمرك عارف بتعمل إيه وبتعمله إزاي..

رمقها بنظرة ساحرة أم غاضبة ليس هناك فارق كبير .. الأزمة أنها جاءت في وقت

حالك لن يتحمل فيه ذبابة تطير حول وجهه..

كان سيركب السيارة ولكنها أمسكته من ذراعيه قائلة له بنبرة كان بها الكثير والكثير

من التوسل:

- أنا لسه بحبك ..

وأكلت ببعض من العتاب:

- رغم كل اللي حصل..

تأفف ثم ابتسم ثم ضحك بهستيرية..

هل أصابته نوبة من الجنون الآن!..أساساً من الجنون أن تأتي هي إليه بعد كل هذا..

قال لها بالأخير:

- وإيه المطلوب مني؟ اطلبي يا شهد مانتكسفيش.. قولي جاية ليه بعد السنين دي كلها..

شبكت إصبعها في إصبعه مثلما كان يفعل معها .. لم يسحب يده من أمامها ولكن لم تهتز

له شعرة..

أجابته ببعض الدموع :

- ساحني ..

أمسكها من ذراعها بقوة وأبعدها بعيداً عن سيارته .. وعنه..

قال لها بحسم:

- حاجتين مقدرش أسامح فيهم.. الخيانة والكذب وانتي عملتي الاتنين..

وأكل بجمود:

- مش فاهم إزاي لسه ليكي عين تيجي وتكلمي!

قالت له بعدما تساقطت من عيونها سيل من الدموع الحارة:

- كنت طائشة.. فاكرة الدنيا كلها تحت أمري .. صدقني أما سبتني اتعلمت درس كبير

والدنيا لطشت فيا بالقوي .. على أد ما كنت محتاجالك على أد ما عرفت إني غبية لأنني

خسرتك .. غبية لأنني ضيعت حب عمري من أيديا..

واقتربت منه بعدما أمسكت يديه مرة أخرى:

- سامحني ...

جذب يديه منها سريعاً ونظر نحو الأرضية ثم أخبرها بهدوء ينافي عاصفة الغضب التي

تملكته بهذا اليوم:

- ربنا اللي بيدسامح...

لا حل .. لا طريق.. لا خلاص..

ستموت بعد أن يتمكن منها شعور القهر..

وطالما ستموت بالنهاية فلتمت من الآن ولينتهي ذلك العذاب..

ظلت تفكر لوقت ليس بالكثير.. أساساً هي لا تمتلك رفاهية الاختيار..

هو قتلها وهي ستكل ما بدأه..

الأمر بسيط وفقط سيكلفها بعض الدماء.. بعض الدموع.. قليل من الحسرة وكثير من الراحة بعدها..

في الحياة الأبدية لن يكن هناك خديعة.. لن يكن هناك ذئاب بشرية.. لن يكن هناك حقد ولا ضغينة ولا استغلال ولا ظلم..
هناك ستجد العدل وهي فقط أرادت العدل..

كسرت كوب من الزجاج كان متواجد بالقرب منها، تلفظت بالشهادة ثم أغمضت عينيها، أمسكت بحافة الكوب الحادة ثم شرعت في قطع شرايينها ليتدفق منها شلال من الدماء صنع بركة حولها.. كانت قد فقدت الوعي عندما دخلت حورية عليها ووجدتها بذلك الحال..

أسما سابحة في بركة من الدماء والأفطع أن دماءها لا تتوقف..
صرخت بأعلى ما تمتلك من قوة:
- أسما أسما.. محي إلحقني..

الصباح رياح ولكن ليس الأمر سيان على الجميع،

لم تم حتى تستيقظ.. كانت تشتبي عدم حلول الصباح فبعدها تخرج الشمس من مشرقها يجب هي أن تحزم أمتعتها وتخرج من ذلك المنزل..

ماذا ستفعل بعدها؟ وكيف ستقضي ليل باردة في الشوارع بصحبة طفل صغير! إن كانت عليها فهي آخر ما تفكر به.. وإن كان ذلك قدرها فهي متقبلة أي شيء على

نفسها طالما طفلها لن يتأثر بشيء..

وضعت ملابسها هي وصغيرها في نفس الحقيبة التي جاءت بها للمنزل صديقتها منذ يومين فقط.. استيقظ هو حينها سائلاً إياها بعد أن فرك عينيه بقوة:

- صباح الخير (صباح الخير)

ابتسمت هي واحتضنته بقوة ثم انهالت عليه بالقبل مرددة:

- صباح النور يا روبي..

سألها:

- إحنا رايمين فين؟

قالت بعدما ضربته على مؤخرته:

- قوم عشان أغسلك وشك وبعدها نلبس ونروح الحضانة..

عقد حاجبيه ليقول:

- مش أوز أروح..

شردت هي للحظات.. من أين ستدبر المال؟ كيف ستعيش؟

لقد شفقت على حالها صاحبة الروضة ولم تطلب منها المال هذا الشهر ولكن إلى متى

ستتحمل وضع كهذا!

أجابته بعدما رسمت على شفيتها ابتسامة:

- لازم تروح.. ماما وراها شغل مهم..

واحتضنته مرة أخرى مشتمة رائحته بقوة ثم قالت:

- ويارب يحصل زي ما بتمنى..

الصباح رباح ولكن ربما للمحظوظين فقط

كانوا جميعهم بالخارج.. يتوسلون للخالق.. سيكون بشدة.. أقصى امنياتهم أن يخرج أحدهم من تلك الغرفة الكثيبة المغلقة ويطمأنهم بأي شيء..
لا يستطيعون أن يروا سوى أكياس الدم التي تدخل إليهم كل فترة وأخرى وحالة خرس عام أصابت طاقم المشفى بأكمله وكأنه عرض عام..
ماذا حدث؟ وكيف تطورت الأمور لدرجة فلتت بها كل الزمام هم لا يعلمون ولا يفهمون ولا يستطيعون التفسير..
مؤكدًا هذا هراء.. مزحة ثقيلة..

فتاة في عمر الزهور تتنازل عن روحها بسهولة! ماذا حدث لكل هذا؟
شردت حورية بعقلها حتى وصلت لبعض التوقعات..
طفلتها عاشقة ومؤكداً خذلها ومنح قلبه لأخرى وربما تجرعت مرارة الخيانة ولم تتحملها..
طفلتها أخذت منها ملامحها وطباعها ويبدو أنها حملت نفس قدرها..

الصباح رباح .. وربما يحمل معه بعض المفاجآت السارة جداً

كانت للتو قد شرعت في تناول فطورها ، أخذت شريحة توست ووضعت عليها بعض الجبن المالح مع كوب قهوة مقاوم للنعاس والكسل ، قضمت قطعة ولم تأخذ غيرها، شعرت برتابة المنزل ورتابة حياتها في غيابه..
لقد غادر المنزل قبل بزوغ الفجر فجأة ودون أسباب مقنعة ومنذ ذلك الحين لم يخبرها

بأي شيء يُرضي فضولها فقط كل ما يخرج من شفثيه " ها قولك بعدين"..
 أمسكت صحيفة تناسب كلاسيكية فطورها وبدأت في قراءة بعض سطورها ولم يستهويها
 الأمر أيضاً..

جلست على الأريكة وقامت بفتح التلفاز، تأملت المنزل فقد بدأت تعم به بعض
 الفوضى والوضع بحاجة إلى خادمة تساعدنا بترتيب أموره.. ستطلب من إبراهيم وحتمًا
 هو سيلبي طلبها على الفور بكل امتنان..

انتبهت لرنين جرس الباب، ارتدت مئزرها وفتحت الباب بهدوء لتفاجئ بشخص يطلب
 منها استلام باقة ورد أنيقة.. ابتسمت فالورد رؤيته باعثة للبهجة وإن كانت لا تعلم من قد
 أرسلها إليها.. أغلقت الباب وعادت لتجلس مكانها بعث طفولي.. شرعت في قراءة
 البطاقة المصاحبة لباقة الورد الرائعة وتلاشت ابتسامتها تدريجيًا بعدها..
 كان مكتوب على ظهر البطاقة

" كل سنة وانتي طيبة .. السنة دي هتكون سنة مختلفة علينا كلنا"

ذلك الخط بالنسبة إليها علامة مسجلة فهي تميزه من بين ألف خط..
 والكلام يبدو رائعًا ولكن هناك تهديد صريح لا يفهمه سواها..
 ظلت تحتضن البطاقة بين يديها لأكثر من ساعة كان عقلها قد أصابته هستيرية تفكير..
 تارة تشرد بذكريات قد أقسمت يوماً أن تناسها كمن ستنساه..
 وتارة تنحو إلى فترة من حياتها كانت هي ذروة سعادتها..
 وتارة تخاف وناقوس الخطر يدق برأسها..
 لقد وصل لمنزلها.. أرسل إليها باقة ورد .. هدهدها بشياكة ..

ماذا يريد منها؟ وكيف بإمكانها أن تطوي تلك الصفحة من حياتها!
 انتبهت إلى رنين جرس الباب مرة أخرى .. لا تعلم ماذا حدث لها انتفضت من مكانها
 وركضت كي تخفي معالم خطيئتها..
 دفنت البطاقة وسط ملابسها ووضعت باقة الورد بالمزهرية.. فتحت الباب بهدوء لتفاجئ
 بطرد يحمل اسمها.. وقعت على الاستلام وأغلقت الباب بعد انصراف العامل ثم أخذت
 نفساً عميقاً..
 حقاً إنه يوم المفاجآت..
 شرعت في فتح العلبة الكرتونية بأصابع مرتجفة.. أغمضت عينها استعداداً لما ستراه وآخر
 ما توقعته أن ترى ما تراه الآن..
 " قطع ملابس ساخنة جداً وغلالة حمراء لا ترتديها سوى عاهرة "

الفصل التاسع

وما بين حُبِّ وَحِبِّ.. أُحِبُّكِ أَنْتِ..

وما بين واحدةٍ ودَّعَتْنِي..

وواحدةٍ سوف تأتي..

أُقَتِّشُ عَنْكِ هُنَا.. وَهَنَا..

كَأَنَّ الزَّمانَ الْوَحِيدَ زَمَانُكِ أَنْتِ..

كَأَنَّ جَمِيعَ الْوَعودِ تَصُبُّ بِعَيْنِيكِ أَنْتِ..

وبين الجميلات من كل جنسٍ ولونٍ.

وبين مئات الوجوه التي أَقْنَعَتْنِي .. وما أَقْنَعَتْنِي

وما بين جرحٍ أَقْتَشُ عَنْهُ، وجرحٍ يُفْتَشُ عَنِّي..

أفكرُ في عصرِكَ الذهبيّ..

وعصرِ المانوليا، وعصرِ الشموع، وعصرِ البخورِ

وأحلم في عصرِكَ الْكَانَ أعْظَمَ كُلِّ الْعُصورِ

فماذا تسمينَ هذا الشعور؟

وكيف أفسرُ هذا الحُضورَ الغيابَ، وهذا الغيابَ الحُضورَ

وكيف أكونُ هنا.. وأكونُ هناك؟

وكيف يريدونني أن أراهم..

وليس على الأرض أنثى سواك..

"ياسر"

"نزار قباني"

كان يظنها حب عمره ولم يتوقع يوماً أن تكن خيبة أمله..

لقد عادت ومن الجيد أنها عادت فلقد كان يتخيل مراراً وتكراراً ماذا سيحدث إذا قابلها

مرة أخرى وبعدما جاءته بقدميها لم يشعر بأي شيء فعلي ما يبدو أن غضبه منها دمر

كل المشاعر الجميلة التي كان يحملها لها يوماً ما..

باللحظة التي طلبت منه السماح فيها كان فعلياً يتمنى ازهاق روحها..

كم كان الأمر سخيلاً!

يجرحوننا ويمزقون أرواحنا ثم بكل بساطة يطلبون العفو..

أخبرها بثبات كان الأغرب عليها:

- ربنا اللي بيسامح..

وحينها أخبرته بحدة عله يسمعها .. عله يراها.. عله يمنحها حريتها من ذنب أثقل كاهلها..
- ياسر أنا ههاجر ومش طالبة منك غير أنك تسامحني وبس صدقي..

وأضافت:

- أنا اتعذبت كثير وقبلت أن يكون ده عقابي على استهتاري معاك.. اتأكدت إني غبية
أوي لما ضيعتك بعد ما اتجوزت واحد كان بيعرف عليا بالتلاتة والأربعة في وقت واحد
ويوم ما اعترض كنت مبلاقيش منه غير الضرب والإهانة..

في تلك اللحظة ازداد معدل انهمار دموعها لدرجة شفق هو عليها بها حتى إن كان لم
يستطع أن يبدي لها ردة فعل غير الجمود..

استطردت بعد أن مسحت بعض دموعها ولم ينقص ذلك منها بالعكس فقد بدأت
تتجدد مرة أخرى:

- ولما ربنا خلصني منه كان لازم أجي أطلب منك تسامحني على الأقل أهاجر وأنا قلبي
مرتاح من حمل تقيل أوي..

كانت مازالت تتحدث أما ياسر فقد كان على حاله ولم تتحرك حتى شفتاه من باب
المحاولة ..

حسناً قد تأثر بالفعل وصدقها رغم أنه أقسم أنه لن يصدق امرأة في يوم من الأيام
ولكن ما تطلبه لا يمكنه تحقيقه بتلك السهولة التي تتحدث عنها..

فكلما كبر الحب زاد عمق الجراح وقلت فرص الشفاء ..

وهي كانت حبه الأول .. حب عمره التي ظل يعاني من جرحها لسنوات عدة .. كيف ينسى ما قد فعلته؟

لا يعلم لم الآن تحديداً تذكر طلة فيروز الأولى يوم أن سرقت قلبه ووجدانه ففي حضرتها وأيضاً في غيابها تختلف مكايل الأمور وخاصة بالنسبة إليه..

قرر من أجلها وحدها أن يتخلص من أي أثر للماضي داخله وأخبر شهد قبل أن يركب سيارته

- مسامحك..

خرج من دوامة أفكاره على صوت الباب.. فتحه بنصف عين وفوجئ بعامل طرود يحمل علبة كرتونية مغلقة .. تعجب وشرد بأحلامه لدرجة لا توصف بأنها ربما تكن مهداة من متمرده..

ابتسم.. فإن كانت هي من أرسلتها كانت ستضع بها بعض المتفجرات بكل تأكيد.. سأله الموظف:

- ده بيت فريدة جابر؟

قال له ياسر بعد أن ضحك بالفعل ..

- الشقة اللي قصادنا..

شلل .. صمم .. عمى .. غثيان..

ذلك كان شعورها بمجرد أن فتحت تلك الهدية الملعونة ..

كيف تجرأ على تلك الوقاحة ؟ وماذا إن كان إبراهيم هو من استلم الطرد بنفسه؟
كارثة ..

ذلك الرجل بمثابة قبلة موقوتة ستفجر منزلها وتهدم حياتها..
 أمسكت هاتفها وقامت بالاتصال به بأنامل مرتعشة ، قالت له بنبرة غاضبة تخللها بعض
 الارتجاف والخوف أيضاً..

- إنتَ وفتح..

وحينها استمعت لضحكته العالية المستفزة.. قال بعدها بسخرية:
 - متشكر..

- اسمعني كريس .. أنا ست متجوزة وبحب جوزي أبعد عننا وإلا هتندم..مش فاهمة
 أنت لسه عاوز مني ايه؟
 وأخبرها هو بوقاحة:
 - عاوزك..

وهي اختفى صوتها وقدميها على ما يبدو لن تتحملها أكثر، جلست على الأريكة التي أمامها
 ولم تنفوه بعد بكلمة فقرر أن يتحدث هو:
 - إيه اتصدمتي ؟ على فكرة مش هتفرق انتي متجوزة واحد وبتي واحد تاني.. خيانة
 بخيانة بقا..

قالت فريدة سريعاً كي تنفي اتهامه لها:

- أنا بحبه..

وأجابها هو بمنتهى البساطة .. بمنتهى الهدوء .. وبمنتهى الحقارة.

- اثبتيلي..

- يعني إيه؟

- نتقابل وأشوف هتعرفي تحطي عينك جوة عيني وتقولي مبعثش أحبك..
قالت فريدة صارخة:

- إنت مغرور والي بتقوله ده مش هيحصل إلا في أحلامك..
أخبرها:

- حتى لو قتللك الطرد الجاي هبعته على الشركة!

بعد أن قضت أكثر من ثلاث ساعات تبحث عن وظيفة بكل محلات الألبسة دون
جدوى وقعت عيناها على إعلان ميزت حروفه بالكاد..

"مطلوب للعمل فتاة حسنة المظهر"

وبعدها كانت الأمور أسرع من إدراكها فقد تم تعيينها بنفس اللحظة التي قابلت فيها
صاحب المكان دون نقاشات..

أريد العمل .. حسناً تم تعيينك..

لا تعلم إن كانت تلك ابتسامة القدر أم أنها ابتسامة صاحب العمل الودعة التي تفحصت
كامل جسدها بدقة واحدة..

وهي لم تكثرث وليس لديها تلك الرفاهية.. وافقت والمسمى الوظيفي : نادلة أو جرسونة..

تقوم بأخذ الطلبات من الزبائن وتعيد توصيلهم إليهم.. الأمر بسيط..

مرت ساعتين كانت تحاول فيهم الاعتياد على الوظيفة الجديدة وكان الوضع على أفضل حال ولكن قبل الساعة الثالثة بالعمل ضايقها أحد الزبائن بالكلام ثم بالفعل ولمس خصرها بينما كانت هي تضع أمامه ما طلبه من طعام.. انتفضت ورغماً عنها أو ربما هي تظاهرت بذلك وأسكبت على قدميه طبق الشوربة الساخن مما تسبب في حرق فخذه.. صرخ من الألم ثم زعق بها :

- انتي اتجننتي!

وهي قبل أن توبخ.. أن تدافع.. أن تأخذ حقها من ذلك المتحرش وجدت صاحب العمل يقف أمامها ويتساءل عما قد حدث.. سمعت الرجل يقول:

- حضرتك طبعاً سرحانة ومش مركزة في شغلك واحنا مطلوب منا نتحمل.. هو كان يعلم أنها ألقته عن عمد ولكنه قرر أن ينتقم منها بشكل مختلف دون أن يخسر هيئته أو مكانته بالمكان وهي بالطبع ستظل صامته ولن تتحدث فذلك هو الوضع الطبيعي والذي اعتاده من كل النساء هو يُخطيء ولهن العار..

أمسكها صاحب العمل من ذراعها بقوة ثم تركها بعد أن دفعها للأمام بالقرب من الزبون صاحب المشكلة قائلاً لها بأمر:

- اعتذريله..

وهي تلعثمت وتشنجت قدماها وتجمعت الدموع في عينيها وتذكرت طفلها وتاهت عن أي قرار ثم أخبرته بمرارة:
- أسفة ..

وهو كان مازال غاضب يزعق يسب ويفتعل فضائح..
سأله صاحب المحل كي ينهي المشكلة:
- ايه اللي يرضيك بس يا باشا قولي..
- تمشي..

وصرفها بنفس اللحظة فهناك قاعدة لدى أصحاب الأعمال أن الزبون دائماً على حق..

عادت أرواحهم إلى أجسادهم بمجرد أن تفوّهت الممرضة بجملته
" فاق الحمد لله .. مبروك" ..

قفز إليها محي وتبعته حورية ثم الجميع..

قال لها بقلق :

- نقدر نشوفها؟

وأجابته سريعاً قبل أن تتركه وترحل لتتابع عملها..

- الدكتور مستني حضرتك في أوضته..

هل تعلم تلك اللحظات الباردة التي تسبق النحر؟ أن تكن على قيد الحياة وبنفس الوقت

غير مدرك لشيء من حولك .. تلك كانت حالة محي بالتحديد بينما كان يجلس أمام الطبيب وهو يخبره:

- لازم تتحجز في مصحة نفسية .. خروجها من هنا على البيت خطر..
قال محي بعد أن أصابته هستيرية بكاء ظل يضرب بعدها رأسه وكأنه كان يكم داخله
وبداً للتو يستوعب أنه كان ربما يفقدها للأبد..

- مش فاهم .. إيه السبب؟ ليه تعمل كده؟ مش قادر استوعب .. حصل إيه؟
ربت الطبيب على كتفيه ثم قال:

- هي محتاجة دكتور نفسي يساعدها تتكلم عن مشكلتها ولحد ما تتكلم لوحدها ياريت
محدث يحاول يضغط عليها ويسألها ده ممكن يجيب نتائج عكسية وفي الوقت الراهن لازم
تدخل مصحة ..

أجابه محي بقله حيلة:

- أعمل أي حاجة تشوفها يا دكتور.. أنا أديها روعي وأشوف الضحكة تنور في وشها من
تاني.

قال الطبيب بعملية:

- خليها تبات انهاردة هنا لحد ما تشوف مصحة كويسة ..
سأله محي:

- اقدر أشوفها؟

قال الطبيب بأسف:

- ممكن أخليكم تشوفوها بكرة الصبح حالياً صعب..

صدقوا حينما قالوا أن الليل ستار .. مخبأ للدموع وكاتم الأسرار..

وهي سيئة الحظ تبكي في وضخ النهار.. تشفق.. تنهار وجميع المارة يتأملون وجهها .. فضول أو شفقة أو أسباب أخرى ليس مهماً ..

فالأهم الآن ما الحل؟ هي قد وصلت مقاومتها للقاع..

جلست أمام النيل تتأمله وتحسده على هدوءه فداخلها كموج البحر الثائر في نوة شتاء..
بكت.. لا حل .. لا مفر..

لا بد من بضعة تنازلات ..

قررت ستقلعها من أجل طفلها.. لن تقبل أن يقضي ليلة واحدة في هذا الطقس البارد
دون مأوى ودون غطاء ولن تقبل أن تتضور معدته جوعاً يوماً ما وإن كانت هي الثمن..
انتظرت حتى حصلت على بعض الهدوء ثم أمسكت هاتفها.. قامت بالاتصال بها فلقد
حفظت رقمها في هاتفها وكأنها كانت تعلم أنها سترسخ لها بالنهاية..

قالت بعد ثوان معدودة:

- ألو بشري هانم .. أنا رودينا..

من حسن حظها أنها لم ترى الابتسامة التي علت وجه بشرى بعد أن علمت أنها هي من
تحدث إليها..

كانت بالنسبة إليها لحظة زهو .. انتصار.. فهي الأذكي وحتماً ستفوز بالنهاية..

تحدثت معها بشرى بعد أن ابتعدت عن أمها بمسافة كافية:

- سامعاكي..

وأغمضت رودينا عيناها وجزت على أسنانها ثم أخبرتها بخفوت:
- أنا مواقفة..

لا تعلم ما الذي حدث لها بتلك اللحظة.. فجأة ارتجفت يديها وشعرت بحرارة تنبعث من داخلها تسببت في تصبب العرق من جبينها وبالنسبة لألم معدتها فقد وصل لأقصاه وأما عن ضربات قلبها فأصبح من الصعب تتبعها..

حاولت رودينا التماسك بصعوبة رغم الهوان التي تملك منها ثم أضافت:
- بس عندي شروط..

وأجابتها بشرى بعد أن نظرت خلفها كي تتأكد أن لا أحد بإمكانه سماعها:

- ماشي ماشي هنتكلم.. أنا اليومين دول عندي ظروف وصعب أشوفك هبقى أكلهمك..
قالت ردوينا سريعاً قبل أن تغلق الخط:

- لأ مش هينفع.. أنا لو ابني نام ليلة في الشارع انسي كل كلمة قلتهالك مش شوية..
تأففت بشرى.. هي لا تملك مزاجاً يتحملها.. لم تتم منذ البارحة وروحها استقرت بأنفها بسبب قلقها على أسما..

زفرت واستحضرت بعض الهدوء ثم أخبرتها:

- قوليلي انتو فين وهابعتلكم حد ياخدكم لمكان تستقروا فيه مؤقتاً..

بعد شهر...

لك أن تتخيل.. شهر كامل دون أن يراها! دون أن يأخذ جرعة الحياة من عيونها

المتمردة.. دون أن يشهد ميلاد ضحكها ودون أن يراقب جنون خصلاتها ..
شهر كامل دون فيروز.. يالها من حياة لا تحمل..

كان يدفن نفسه بالعمل، يصمم البرامج المطلوبة منه ويسلمها قبل الموعد المتفق عليه وعلى
أتم ما يكون وبالوقت المتبقي يتابع أمور الجمعية ويظل فيها لأوقات متأخرة من الليل..
كان يريد ألا يعطي لنفسه أي فرصة حتى يفكر بها ولكن المثير أن طيفها كان يزوره في
أكثر أوقات انشغاله..

لا مفر من الفيروز فكلمها ظننت أنك تباعد عنها تجد نفسك تدمنها أكثر..

ماذا يفعل؟

لقد وصلت درجة اشتياقه لها لدرجة لا يمكن تحملها .. لن يستطع الانتظار دقيقة واحدة
أخرى.. ذهب إلى أمام منزلها ومن حسن حظه أنها كانت تخرج من البوابة بال لحظة التي
وصل بها فهي تقريباً بالأونة الأخيرة لم تطأ قدماها خارج المنزل.. ظل يتبعها بسيارته
حتى توقفت أمام مصحة نفسية!

تعجب.. حاجبيه اتصلا ببعضهما البعض.. جف حلقه من خوفه عليها..

أغلقت باب سيارتها وعبرت من البوابة الرئيسية للداخل بينما شعرها الأشقر كان يسبق
تحركاتها..

شعرها هذا يثير جنونه ..يجعله يشتهي أن يشتم رائحته.. شعرها يقتله..

هل هناك أمل بالشفاء من تعويذتها يوماً ما؟

فكر ألف مرة بالهجرة وتراجع ألف أيضاً..

قرر أن ينساها مليوني مرة وكأنه يملك القرار..

تمنى مليار مرة أن يقتل هذا العادل ثم يختطفها ويمسح ذاكرتها ويحفر بها اسمه وحده ..
حتى أصبح هكذا حائراً بين شقي رحا لا يملك حق الاقتراب ولا صلابة الابتعاد..
يعلم مصيره .. سيكون بالنهاية بمصحة نفسية كلك أو على الأغلب بمشفى العباسية ويعلم أنه
لن يتذكر..

فكم يشتهي أن تكن نهايته على يديها وحدها..

عشقه لها مختلف وغريب حتى هو نفسه يتعجب نفسه ..

هو عادة شخص متوازن.. لا يشتهي أي شيء كان من نصيب غيره.. يتبع على الدوام
قاعدة " إذا أردت شيئاً بشدة أطلق سراحه" ..

هو هكذا بكل الأمور وهي وحدها من استطاعت أن تقلب موازين أموره..

قرر بتلك اللحظة وربما كان قراراً أهوجاً غير مضمون العواقب ولكن ليس مهماً فبمجرد
أن تخرج من هذا المكان سيتغير كل شيء..

سيصارحها بما يحمله لها من مشاعر حارقة وبعدها يختفي من حياتها للأبد..

طرقت فيروز باب غرفة أسما بالمشفى بعد شهر كامل لم تستطع زيارتها فيه ولو مرة
واحدة بأمر من الطبيب المعالج.. ترددت كثيراً قبل أن تذهب إليها ولكنها منذ اليوم
المشثوم الذي قررت فيه التخلي عن روحها لم تستطع النوم بأريحية وإن غفت تكن هي
بطلة أحلامها..

تحمل نفسها الذنب لأنها ابتعدت عنها في وقت أسود كانت هي فيه بحاجة لموازة الجميع
وبحاجتها.. فكرت في كرامتها وفي غضبها من بشرى وفكرت في عادل وفي الجميع عداها

وانشغلت عنها..

تنهدت وابتلعت ريقها ثم دخلت إليها .. وجدت لديها ممرضة تعطيها بعض الأدوية وهي بدورها أخبرتها قبل رحيلها ألا تزيد مدة الزيارة عن خمسة عشر دقيقة كما سمح الطبيب.. ظلت واقفة مكانها مبتسمة لأسما والآخرة ابتسمت لها..

وكأنها تبدو أفضل .. متماسكة أكثر.. جيد فعلى ما يبدو أنها تستجيب للعلاج..

سألتها فيروز:

- عاملة إيه؟

وأجابتها أسما بأن حركت رأسها دون أن تتحدث..

فقال فيروز:

- بابي وطنط حورية وكلهم يبسلوها عليكي ويقولولك أول ما الدكتور يسمح لزيارة جماعية هيجوا سوا ولو أن شكل كده مش هنحتاج لده الدكتور طمني وقالي ممكن تروحي البيت قريب..

راقبت ملاح أسما وشاهدت تسرب القلق إليهما .. قالت بالأخير كي تروي ظمأ قلبها الذي يتلوع من شدة قلقه وخوفه عليها..

- كويس..

بتلك اللحظة لم تتحمل فيروز أكثر .. ركضت نحوها واحتضنتها وظلت تبكي بشدة مما جعل أسما تبكي هي أيضاً معها..

أخبرتها فيروز بألم بعد أن هدأت نوبة بكاءها:

- أسما أن عرفت إيه اللي حصلك...

ولم تجد منها أي ردة فعل واضحة .. فقط أعراض صدمة..

الخسارة تبدأ بجولة..

والخطيئة تبدأ بخطوة..

والشاطر من يحسب خطواته أولاً..

وهي لم تحسب أي شيء ولن تحسب فهل منحها هو اختيار..

اختفى لفترة طويلة ظنت أنه قد نسي أمرها واستطاعت التقاط أنفاسها ولكنه بالأخير عاد بقوة وأخبرها بوعيد إن لم تأتي لن يرسل فقط لزوجها أشياء مثيرة بل سيرسل معها صورهما معاً..

الحقير يلعب بأعصابها..

سألها بعدما لم يجد منها رد:

- جوزك عارف إنك كنتي مرتبطة قبله!

وقالت له فريدة بحدة وتوتر كشف أمرها:

- أنا مش بخبي عنه أي حاجة..

وقهقه هو من الضحك مثيراً حنقها ثم أخبرها بهدوء مبالغ فيه:

- نبعثله الصور ونأكد يمكن تكوني نسيته تقويله حاجة كده ولا كده..

جلست على الأريكة باستسلام بل انهيار ثم سألته:

- عاوز إيه؟

وأجابها هو :

- أشوفك ..

- مقدرش ..

- اللي تحبيه ..

كان سيغلق الخط لولا أن أخبرته بتوسل ..

- استنى .. أقابلك فين؟ بس مكان عام ..

وحينها هو تظاهر بالاستسلام وأخبرها:

- اللي تؤمري بيه .. أقابلك بكرة الساعة ١١ في نفس المكان ويارب يكون أد المقام ..

وأكل بسخرية:

- أه بس ابقى خدي بالك وبصي وراكي مش يمكن متفق مع جوزك وعاملك كمين ..

ومن تلك اللحظة التي ألقت بهاتفها على الأرضية من غضبها على الأرضية وحتى تلك

اللحظة التي استقلت فيها سيارة أجرة كي تذهب إليه وهي مازال داخلها يرتجف وتنظر

خلفها كل فينة وأخرى خائفة من أن يكون ابراهيم لم يصدق حجتها بأنها ستذهب لزيارة

صديقة مريضة وربما كانت خائفة من أن هذا نكاحاً ووقعت فيه بالفعل ..

ولكن لا مجال للتراجع أو العودة ..

دخلت إلى الكافتيريا التي اعتادت أن تأتي إليها معه بالفترة التي كان قلبها وعقلها ملكه

هو .. رباه مازال كل شيء على حاله .. الكراسي والمناضد وحتى الزبائن ..

وكأنه لم يتغير بالمكان سواها .. نعم هي نفسها ولكن بثياب باهظة الثمن تخشي عليهم أن

يتسخوا من رداءة المكان وأما عن رائحة عطرها الفواحة فحدث ولا حرج فبسببه

تجمعت كل الأنظار نحوها..

قالت فريدة بتوتر بعد أن جلست مقابله:

- قولي عاوز مني إيه ؟ معنديش وقت..

- ليه خايفة تتأخري على جوزك!

حينها هي تأملته بدهشة بالغة .. مَنْ ذلك الشخص الذي يجلس مقابله؟ وكأنه تبدل فيه

كل شيء.. نظراته باتت مخيفة تحوي الكثير وتصرفاته يبدو أن لا مجال للسيطرة عليها..

أجابته بصوت باهت:

- انت عمرك ما كنت كده يا **مروان**...

سألتها أسما بترقب وحلق جاف:

- عرفتي إيه ؟

وقالت لها فيروز ببعض الثبات:

- أنا من اليوم اللي رجعتي فيه البيت على حالتك دي عرفت بس كنت بكذب نفسي

ومستنياكي تفوقي واقول أكيد دماغى راحت لبعيد وأسما عندها تفسير لكل ده.. اللي

خلاني أشك أكثر أنك رجعتي بهدوم تانية غير اللي كنتي لابساها وبعد أما انتحرتي

ربطت كل الأمور ببعض وملقتش غير تفسير واحد بس..

وقطعت حديثها بعدما لاحظت ارتجاف أسما وكأنها تستعيد تلك اللحظات من جديد ..

نادتها بلهفة:

- أسما!

وأكلت بعد أن احتضنتها بقوة:

- مينفعش حاجة زي دي تشيلها لوحك وأوعدك محدش هيعرف غيري..

وسألته بعد أن قامت بهزها عدة مرات:

- اسمه إيه؟

وبعدها أجابته أسما ببعض الشهقات والكثير من الدموع:

- مروان..

كما قال ميكافيلي " إذا كان لا مفر من أذية أحد فلتؤذه بقسوة تجعلك لا تخاف من

انتقامه"

وهو كان انتقامه من أبشع ما يكون وهي لم تكن تستحق أبداً..

أصبح كلما يتذكر تلك البريئة يحتقر نفسه أكثر..

لقد غطت رغبته بالثأر قدرته على التفكير وكأن عقله تبرمج على شيء واحد .. الانتقام..

لا يعلم ماذا يحدث معه.. يتخبط وكل يوم يسقط بالقاع أكثر..

وكأنه يقود سيارة وهو مغمض العينين ومنتظر حتفه، وكأن هناك غشاوة على عقله

وقلبه وتمنعه من مواصلة حياته بصورة طبيعية..

لقد تحول إلى ككلة من الدخان.. أصبح عبارة عن قبلة قابلة للانفجار في أي لحظة..

كالذئب المسعور يبحث عن ضحية تلو الأخرى..

والآن وبعد كل هذا من كانت سبباً بقتل الانسانية داخله تسأله لماذا تبذلت هكذا!

منتهى الهراء..

قال لها مروان بأسف بعد أن أشعل سيجاره:

- البركة فيكي..

وأخبرها بنبرة مخيفة:

- على فكرة أنا ممكن اخليكي متشوفيش جوزك تاني..

وأكل بعد أن اقترب منها أكثر:

- ممكن أخدرك دلوقت وأخطفك مثلاً..

الفصل العاشر

كان ما قد كان.. مات.

كان في عينيك حلم.

خاني وسط الطريق..

حين صار الموج وحشاً..

لم يعد يرحم أنات الغريق..

كان في عينيك حلم..

يعزف الألحان في عمري. وعمرك..

أغنيات للطيور.

كيف صار اللؤلؤ المسحور..

أججارا على الطرقات حائرة وفي هلع تدور!

كيف صار الموج في عينيك شيئاً كالرفات؟

كيف مات الطهر فينا؟

كيف صرنا كالأماني الساقطات؟

آه من عينيك آه..

لست أدري في رباها غير عنوان

أراه الآن ينكرني

قلت يوماً. إن في عينيك شيئاً لا يخون

يومها صدقت نفسي.

لم أكن أعرف شيئاً في سراديب العيون

كان في عينيك شيء لا يخون

لست أدري. كيف خان؟

ليس يجدي الآن شيء

فالذي قد كان.. كان..

((فاروق جويدة))

مروان وفريدة..

- ممكن أخدرك دلوقت وأخطفك مثلاً..

الخطر.. عادة يفتح الأبواب دون استئذان ..

ندركه باللحظة التي تصل فيها معدلات ضربات قلوبنا لأقصاها.. وندركه باللحظة التي لا
مجال للهروب فيها..

ندركه باللحظة التي نكن فيها بالفعل وسط دائرة الخطر..

عندما قال لها تلك الجملة كان الخوف قد سكن داخلها ودقات قلبها تناسبت طردياً مع نظراته المريبة ..بتلك اللحظة أصبحت لا تعرف ماذا تفعل وكيف تتصرف..
قررت الهروب .. وهل لديها خياراً آخر!
بحركة واحدة ودون تفكير نهضت وحاولت الهروب ولكنه كان أسرع منها وأمسكها من رسخها، زاد من قبضته عليه فتأوهت هي..
نظر لها بعيون واعدة ثم أخبرها:
- اقعدي..

خضعت لأوامره واستكانت كطفل ينتظر عقاب أمه ..
بكت .. خافت .. انهارت .. ثم استسلمت قائلة بالكثير من التوسل:
- كفاية يا مروان .. انساني وسيني في حالي الله يخليك..
وهو لم تهتز له شعرة ولم يرف له جفن بل العكس فقد شعرت أن كلماتها تزيد من توحش نظراته ..
فأضافت:

- عاوز مني ايه ؟
رجع للخلف مستنداً على مقعده ثم أخبرها:
- كنت عاوز أقولك كل سنة وانتي طيبة اصلي معرفتش أقولها لك وجهاً لوجه يومها..
وأضاف بنبرة تسلل إليها القهر:

- فاكدة عيد ميلادك اللي فات.. كنت عاملك مفاجأة واشتريت شبكتك أخيراً بعد أربع سنين شغل ليل نهار.. كنت هفرحك اني هتقدملك من غير أي مشاكل وأناي هرفع عيني في عين بياكي اللي قالي كون نفسك الأول وبعدين اتقدم وخالاني اتحدى كل الظروف واتحدى نفسك..يومها كانت الفرحة مش سايعاني، مكنتش بمشي على الأرض كنت بطير فوق السحاب..خلاص البنت اللي قلبي اختارها شبكتها في جيبي

وخلص هتكون ليا رسمي.. كنت فاكر اني كده هكون عاملك أحلى مفاجأة بس
لقيت نفسي أنا اللي بتفاجيء..

نظرت له هي بعدم فهم فأكل:

- للأسف يومها كنت في سفيرة شغل ورجعت متأخر.. كانت حوالي الساعة ١١ بيل
اتصلت بيكي مردتيش جتلك تحت البيت لقيته بيوصلك لباب بيتك وباسك على خدك..
وأكل بمرارة:

- تصدقي ساعتها كنتو لايقين على بعض أوي..

قاطعته هي مؤكدة:

- أنا مختكش..الفترة دي احنا كنا سايين بعض فيها..

سألها بدوره:

- كلي..سبنا بعض قبلها بأسبوعين وساعتها قولتيلي انك مش قادرة تستمري معايا وطالما
مش هقدر اتقدملك رسمي يبقى اعتبر كل شيء انتهى..يومها مرضتش أقولك ان
خلص هانت وفكرت لو فاجئتك هتفرحي أكثر..صحيح كنت غبي في النقطة دي واني
فكرت كده بس مش غريبة يا مدام انك في اسبوعين تحبي واحد تاني!
قالت سريعاً وليتها ما قالت:

- ساعتها مكنتش بحبه هو اللي كان يحبني وتصرفاته معايا هي اللي خلتنى أحبه وأوي
كان.. كل اللي عملته اني ادبت فرصة لعيوني يشوفوا حد غيرك ايه أجمت!

لا تعلم ما الذي حدث وقتها.. فجأة وجدته يخرج من بنطاله بضعة نقود ليضعها على
الطاولة..سحبها من يديها دون أن يتحدث فقاومته وتسمرت مكانها.. جذبها مرة أخرى
قائلاً لها بتوعد:

- امشي معايا وانتي ساكتة..

ولا تعلم لم وكيف طاوعته!

كانت أسما تتحرك بعينها لا إرادياً في كل الاتجاهات، شعرت أن بعدما علمت فيروز بكل شيء فقد دخلت دائرة الخطر..

كانت خائفة .. مرتعبة .. مشوشة .. باهتة..

قالت لها فيروز بعد أن ظلت تدور بالغرفة عدة مرات:

- أسما احنا لازم نقول لإبراهيم..

صرخت أسما بوجهها وارتعش فكها وقالت :

- لأ.. انتي وعدتيني..

اقتربت منها فيروز وملست يديها الصغيرة على وجنتي أسما الباردتين ثم أخبرتها بهدوء متألمة أن تقنعها:

- احنا مش هنقدر نتصرف في الموضوع ده لوحدنا.. سبي إبراهيم عليا أنا هخليه ميقولش لبابي وطنط حورية.. صدقيني أنا وانتي لوحدنا مش نقدر نحل الموضوع ده ..

ظلت أسما تهز رأسها بالرفض لا إرادياً كحال دموعها التي كانت تسقط دون سيطرة فلم تستطع فيروز سوى أن تحتضنها وتصمت بينما عقلها يصرخ " كيف بإمكانها أن تحمل ذلك الحمل الثقيل وحدها!"

دخلت عليها الممرضة كي تخبرها بانتهاء الزيارة فودعت أسما سريعاً ثم خرجت من الغرفة قبل أن تتجدد دموعها، استقلت سيارتها بقوة خلفت خلفها كتلة هائلة من الأتربة ووصل أثرها إلى ياسر الذي كان ينتظرها بسيارته.. تعجب من حالها وتلقائياً دون تفكير سار خلفها وبعد فترة قصيرة قامت فيروز بصف سيارتها على جانب الطريق والغريب أنها لم تخرج منها.. ظل منتظرها دقيقة اثنان ثلاثة عشرة وهي مكانها لا تتحرك، اتابه القلق وصف سيارته بالقرب منها، نظر نحوها ولاحظ أنها نائمة على المقود ..

ركض بأعلى ما فيه من قوة ، فتح باب سيارتها بأنامل مرتعشة ثم أمسك وجهها بينما

هي كانت تراه بنصف عين، لاحظ أنها لا تستطيع التقاط أنفاسها ووجهها كان قد اختفت منه الدموية وبات شاحباً أصفر اللون..
سألها بخوف:

- فيروز فيه ايه؟.. انتي سامعاني؟

كانت تشير بيديها له نحو تابلوه السيارة فاستدار هو للجهة الأخرى وقام بفتحه حتى وجد بخاخ مضاد للحساسية ومنه علم أنها تعاني من أزمة تنفسية، حملها ووضعها على المقعد الخلفي للسيارة بعد أن قام برش البخاخ داخل فمها وأسند رأسها إلى الأعلى، راقب ملاحظتها بقلق وارتاح قلبه عندما وجد أنفاسها قد عادت للانتظام..

سألها:

- أحسن!

أشارت له برأسها بعد أن أخذت زفيراً حاداً شعرت معه بالدوران ثم أخبرته:
- الحمد لله..

جلس بالمقعد الأمامي وقال لها من خلال المرأة:

- لازم نروح مستشفى..

- ما فيش داعي..

وأتمت بصوت متهدج وكأنها كانت صعدت عشرة طوابق دفعة واحدة:

- شكراً ربنا بعثك ليا.. أنقذت حياتي..

ابتسم ياسر.. تلك الكلمة أكبر منه.. هو يمزح يشاكس ولكن أن ينقذ حياة فالأمر غريب على مسامعه.

قال لها:

- أنا معملتش حاجة..

أخبرته:

- ممكن تديني مائة من جنبك!

ناولها زجاجة المياه وتأملها بينما تشربها.. حتى طريقة شربها للمياه مختلفة أم أنه هو من يراها بشكل مختلف!

لا يعلم ولا يدري ولا حتى يفكر.. فهل هو أحمق كي يضع أي ثانية هو فيه معها ببضعة أفكار!

فمعها هو مشتاق ولهان غارق في بحرها وتلك أولى قواعد العشق..

اللقاء الأول إذا خرج عن نطاق الصدفة يصبح شيء من المستحيل تصديقه ففي عشوائية الصدفة سحر خاص يعمي العقل قبل القلب ولا يترك مجال لأي شك..

" محتاجين نخطط لصدفة .. أنا عارفاه كويس لو أنتي اللي رحيله مش هتهزي فيه شعرة "

هكذا قالت لها بشرى قبل أن تسافر إلى الساحل الشمالي في مهمة رسمية لا مجال للفشل فيها وها هو اليوم الثالث منذ وصولها لتلك القرية الخاوية وتلك الصدفة لم تخلق بعد..

ماذا تفعل هل توقد النار في البحر حتى يراها؟!

يخرج في الصباح ويعود في الليل وهي تظل جالسة أمام البحر بالقرب جداً من المكان الذي يقطن به متأملة أن يثيره أي فضول تجاهها..

مثلاً لماذا هي هنا على الرغم من برودة الطقس؟ ولماذا هي بمفردها ومن ماذا هي هاربة؟

وهي جاهزة بجميع الأجوبة فقط ينقصها السؤال..

ملت ويأست وشعرت بالفشل ثم اشتاقت لصغيرها فبكت.. وبكت أكثر على حالها وحظها..

ترتدي أفضل الملابس ولكن القلب معدم، تجلس بمكان كانت لا تحلم حتى بالذهاب

إليه ولكنها لا تشعر بأي بهجة بل لا تشعر بأي شيء..
 وكأنها مجرد خيال بينما نفسها الأصلية مازالت بالعاصمة..
 نهضت من على الرمال تجر أذيال الخيبة خلفها ولكن قبل رحيلها طارت قبعتها ولم
 تستطع اللحاق بها، كانت سترحل ولكنها توقفت عندما رآته.. هو بعينه وهياؤه يخلع
 قيصره ويسبح في البحر عائداً لها بقبتها جالبة الحظ..
يا لها من صدفة لم تخطط لها!
 أعطائها إياها دون أن يتحدث فأخبرته بتلثم :
 - مكنش فيه داعي نتعب نفسك بجد..
 وابتسم هو قائلاً لها بمرح:
 - أنا اللي بشرك كنت محتاج أخذ شاوور..
 وحمل قيصره ورحل دون أن يتحدث أكثر بينما هي شعرت أنها ستفقد الوعي فجلست
 بنفس البقعة على الرمال مرة أخرى محاولة أن تستجمع نفسها..
قالت بصمت وذعر داخلها أن تلك المهمة أصعب بكثير مما تخيلت

بعد أن لمس تحسناً أخبرها أنه لن يتركها تقود السيارة وأنه سوف يصطحبها للمنزل
 ولكنها أخبرته قائلة:
 - بس أنا مش حابة أروح..
 وأضافت:
 - محتاجة أبعد شوية عن البيت..
 سأها:

- هتروحي فين؟

تهدت لتجيبه:

- مش عارفة..
- ثم سأله بيأس:
- لما بتكون حاب تهرب من نفسك بتعمل إيه؟
- وأجابها هو سريعاً:
- بلعب بلياردو..
- سكنت ملاحها ولم تعلق فسألها بجدية:
- مالك استغرتي كده؟
- معرفش كنت متخيلة تقولي حاجة أصعب.. مثلاً أرمي نفسي في النيل..
- لم يمنع ابتسامته الساخرة من أن ترسم على شفثيه ثم أخبرها:
- شكلك بتتلككي ..
- ابتسمت رغماً عنها لتنفوه بعد ثوان من التفكير:
- تقريباً..
- فقال هو بعد أن بدأت السيارة تتحرك:
- اربطي الحزام..
- سأله بتعجب واضح:
- على فين!
- على النادي بقالي كتير مغلبتش حد..

هاتفها لم يهدأ رنينه أبداً وهي شعرت أنها ضائعة بين الماضي والحاضر..
الماضي أمامها يسحبها من يديها كالمنومة مغناطيسياً والحاضر يناديها ويطلب منها عدم
الرحيل والابتعاد..
هراء.. أي صباح هذا الذي تعيشه؟!

جفأة وجدته يخبر سائق سيارة الأجرة بأن يتوقف على اليمين.. فتح لها مروان الباب قائلاً
بأمر لا مجال للرجعة فيه:
- يلا..

نظرت له بتمعن ثم خرجت من السيارة بهدوء غريب، سحبها من يديها وظلت تتبعه رغماً
عنها حتى بدأت تنتبه حولها.. سألته بعدها:
- هو ده مش الحسين!
وأضافت بدهشة:
- احنا جينا هنا ليه؟

ولم يجيب وهي لم تحتاج لإجابة.. هو نفس الشارع والآن توقفوا أمام نفس المكان..
نظرت إلى مروان وإلى نفسها وعادت بذاكرتها إلى ما قبل سبع سنوات.. كانوا نفس
الأشخاص ولكن حينها كان كل شيء مختلف..
كل شيء..

حينها كانت أقصى آمانياتها أن تنهي الثانوية كي تلتحق بالجامعة وتتزوج مروان، كانت
أكبر عقدة لها هي الفلسفة وعلم النفس والرياضيات قبل أن تعلم أن الحياة في حد ذاتها
عقدة.. صراع والبقاء فيها للأقوى..
للأذكي..

سألته حينها:

- انت جايني هنا ليه؟

- بابا عاوزني ارتب المخزن وميهونش عليكي ارتبه لوحدي..

رمشت بعينها ببطء محبب عدة مرات ثم أخبرته:

- هو باباك جوة.. لا لا مش هقدر.. أنا ماشية..

أمسكها بأعجوبة قبل أن يقول:

- اصبري يا مجنونة .. مفيش حد هنا هو مسافر يجيب بضاعة للمحل .. استني عندك هلف
وافتحلك من جوة..

- ماشي..

وبعد دقيقتان بالظبط فتح لها الباب قائلاً لها:

- إيه رأيك في الباب السري ده؟

وهي لم تجيب فقط ظلت تنظر نحوها تتأمل المكان..

لا شيء غريب .. كل الأشياء موضوعة بالأماكن المخصصة لها فقط وجدت عدة
فوانيس قد كساها طبقة ترابية فأمسكتهم متسائلة:

- هما دول هيترصوا؟

أغلق الباب ثم توجه نحوها بينما كان يخبرها بنخبث:

- لاء..

سألته بتعجب بينما عينيها تتجول بالمكان عن شيء آخر مرددة:

- أو مال!

اقترب منها لدرجة تراقصت بها دقائق قلبها لتصنع مقطوعة حربية، لثمها بقبلة حانية تذوق

بها طعم شفتيها في البداية ثم تعمقت لتصبح أكثر شراهة وشهوانية.. وضع جبينه على

جبينها في النهاية قائلاً لها:

- بحبك..

أما عنها هي فعلى الأغلب أحبالها الصوتية كانت قد تمزقت لتركها خرساء.. بلهاء لا

تسمع ولا ترى حتى ما هو أمامها وشعرت أن التماثيل الخشبية كانت تنظر نحوها لتشهد

على أول قبلة..

سألته قائلة:

- أنت جاييني هنا ليه؟

- الحاج تعبان مفتحش المحل انهاردة وده المكان الوحيد اللي نعرف نتكلم فيه براحتنا ..
استني عندك هلف وافتحتك من جوة..
ولم تخرج من شفتيها كلمة .. ولم تهرب .. ولم تعلم لم لم تفعل رغم أنها أتها فرصة ذهبية..
بعد دقيقتان بالظبط فتح لها الباب قائلاً لها:
- اتفضلي..

وأضاف عندما وجدها لا تتحرك:
- قولتلك هنتكلم ولا مش واثقة في نفسك؟
دخلت بعدما أثار حنقها بكلماته ولم تتحدث فقط ظلت تنظر نحوها تتأمل المكان..
لا شيء غريب .. كل شيء كما كان وكأن الزمن لا يمر على ذلك المستودع..
سمعته يقول بعدما أغلق الباب..
- هنا وعدتيني أنك مش هتكوني غير ليا فاكرة!.. وهنا وعدتيني أنك مستعدة تستنيني
طول العمر..

دمعت عيناها متأثرة بطريقة حديثه وبنبرته الحزينة الداكنة .. أكل قائلاً:
- انتي عارفة إنك مش هتخلصي مني أبداً.. أنا قدرك..
ارتعشت شفتاها طالبة النجاة .. أين ذهب صوتها وأين قدمها وأين هي وكأنها باتت
صورة مرسومة لا روح فيها ..
وسألها بعد اقتراب أكثر:

- يا تري بترعشي أما يقرب منك برده ولا دي ردة فعل ليا أنا بس..
ارتفعت دقات قلبها وازدادت وتيرة تنفسها لأقصى درجة ثم نهزته بعصبية:
- أنت حيوان ..

كانت في طريقها نحو الباب الذي دخلت منه ولكنها استرجعها إليه بحركة واحدة
التصقت فيها شفتاه على شفتيها .. قبلها بعنف يمثل اشتياقه إليها وهي أخذتها المفاجأة

وبعدما أدركت ما يحدث أبعدته عنها بقوة صارخة به:

- ابعد ..

وأضافت:

-وافتحلي الباب ده وإلا قسمًا بالله هعملك فضيحة..

وخرجت بينما كانت دموعها كانت قد خطت طريقها .. كانت بتلك اللحظة تلعن نفسها لأنها قد طاوعته إلى هنا بينما هو من داخله يجزم أنها سوف تعود مرة أخرى..

يقولون أن الحب لا يأتي مرتين

والحظ أيضًا..

إذا خدمتك الظروف مرة لا تنتظر وأنت جالس مكانك أن تكن في صالحك مرة أخرى..

يجب عليها أن تطرق على الحديد وهو ساخن فأقل شيء تملكته هو الوقت، ذهبت إليه بعدما بدلت ملابسها لأخرى أكثر كلاسيكية ووضعت القليل من مساحيق التجميل ولم تنس الحذاء المرتفع عن الأرض تسعة سنتيمترات، طرقت عليه الباب بهدوء وفتحه هو بنفس اللحظة وكأنه كان يقف خلفه وهي ارتفعت حتى سقطت منها حقيبتها..

قال لها بعدما أعطاها حقيبتها:

- واضح أن الحاجات بتقع منك كثير..

قالت بتلعثم :

- مش عارفة مالي انهاردة .. أنا أسفة أزججتك..

ثم سألته:

- مفيش سوبر ماركت قريب ! .. أنا لسه واصله من يومين ومحتاجة حاجات كثير وللأسف أول مرة أجي هنا فتايهة خالص وتقريباً كده مفيش حد غيرك هنا أسأله..

أخبرها بدوره:

- فيه واحد بس مش هنا خالص تقريباً كيلو قدام.. انتي معاكي عربية؟
- لأ..

- طب استني هاغير هدومي وهاجي أوصلك..

تسلل الفرع داخلها ومنعت الابتسامة من الظهور على وجهها بأعجوبة ثم أخبرته متصنعة الضيق :

- لا لا مفيش داعي أنت بس أوصفلي المكان .. مش حابة اتعبك..

- مفيش تعب ولا حاجة.. أنا كان كنت كده كده هروح برده..

بعد خمسة دقائق تقريباً كانوا بالسيارة وبعد أن تحرك بقليل سألها كي يرضي فضوله:
- انتي جاية هنا لوحدة؟

قالت بتأثر مصطنع:

- أيوة..

ولم يستطع أن يسألها عن السبب فأخبرته هي بعد فترة صمت:
- حبيت أهرب..

قال لها عادل بعد أن ابتسم بسخرية:

- واضح إن الكل بيهرب..

وأضاف :

- بما أننا بقينا جيران لفترة أعرفك بنفسي .. عادل..

وأخبرته هي دون تفكير:

- رودينا..

ثم أغمضت عينها مؤنبه نفسها.. اللعنة ماذا فعلت! لقد اتفقت مع بشرى أنها من هذا اليوم أصبحت " مريم " وهي بكل غباء أخبرته باسمها الحقيقي دون أن تنتبه..

يا لها من حمقاء؟ لقد تورطت الآن بالفعل..

هل شعرت يوماً أنك لا تريد أن ترفع عينيك عن شخص ما!
هذا كان شعوره هذا اليوم.. كان كلما ينظر نحوها يتعطش لرؤيتها أكثر..
رباه هل لهذا الجنون من نهاية؟!

قالت له فيروز:

- ميرسي بجد على انهاردة.. عندك حق من هنا ورايح كل ما أعوز أهرب هلعب بلياردو
بس خد بالك أنا بتعلم بسرعة يعني المرة الجاية هغلبك بجد مش جنتلة منك زي انهاردة
..

ابتسم لها ياسر قائلاً بتحدي:

- ماشي وأنا مستني..

سأله:

- على فكرة أنا هموت من الفضول.. أنت عرفت الكلام ده منين؟ قصدي على الأزمة
اللي جاتلي .. يعني اتصرفت بطريقة حد مش أول مرة يتعرض لموقف زي ده..
قال لها ياسر ضاحكاً:

- قصدك واحد خبير.. ماما الله يمسها بالخير كانت بتجيلها الأزمة علطول..
وأضاف:

- بس هي كانت بتجيلها أما بتزعل بس.. انتي بقا في حاجة مزعلاكي!
تراقصت صورة أسما الباكية أمام عينيها فأغمضت عينيها كي تتمالك نفسها.. قالت له كي
تهرب من سؤاله:

- تعالى أوصلك لعربيتك ..

- لا أنا حابب اتمشي.. المهم أنتي فعلا كويسة دلوقت؟ قلبي مش جايني اسيبك

تسوقي..

- كويسة كويسة ما تقلقش..

رحلت مودعة إياه بابتسامة فنادها مستوقفاً إياها قبل أن تركب سيارتها:

- فيروز..

توقفت ناظرة للخلف وانتظرت حتى اقترب منها متسائلة بصمت عما يريد ف أخبرها بدوره:

- أنا آسف على يوم الافتتاح بتاع الجمعية.. يومها كنت سخييف شوية معاكي..

قالت بعد فترة قليلة من الصمت:

- عادي أنا نسيت اللي حصل في البيت آخر شهر خلاني أنسى كل حاجة..

سألها ياسر بقلق بدأ بالتسلل إلى ملامحه:

- وده ليه علاقة بالمصحة النفسية؟

التصقا حاجبها وبهتت ملامحها.. تلاشت ابتسامتها ليحل محلها الصدمة.. سألته بالأخير

بعدما تجمعت كل الخيوط بعقلها وأدت إلى نتيجة وحيدة..

- أنت كنت بتراقبني؟

وهل هذا سؤال؟ كيف لم تنتبه وهي من ظنت أنه رآها مصادفةً..

الأمر واضح وضوح الشمس .. أين ذهب عقلها؟

وهل أحد يلومها؟!.. فما عاشته بشهر يوازي حياتها بأكملها..

أسما من ناحية وأبيها وعادل من ناحية أخرى حتى شعرت أنها أصبحت مجرد أشلاء..

انتظرت إجابته ولم يجيب فقط كان يمرر يديه على ذقنه تارة وينظر للخلف تارة أخرى..

استشعرت توتره ورغبته في الهروب..

سألته بعد أن شعرت أن لا مفر من هذا السؤال:

- ياسر هو أنت بتحبني؟

الفصل الحادي عشر

لا تلوموني فأنا لست بساذجة
ولا للعقل والحكمة فاقدة
فقط كنت أراقب أم ذات عاطفة واقدة
من طرف واحد في عينها ألف أمنية ساطعة
ولم أرد أن أنظر لأب ذا قبضة حاسمة
ليس بقاسي
بل مُني من الأقدار بحب ذا نهاية بأسة
فكان لنا كنخلة سامقة
لا نطولها ونهاب سعفها الوارفة
فأحببت أن أكون العصفورة المجازفة
التي تعانق كل ما تظنه شجرة ذات ثمار ناضجة
فكان حظي أن أكون تيممة عشق خائبة
فأكاد أخسر قلوب كانت علي حانية
ويلاااه
بل قد أسبب لهم نار في الهشيم حارقة

أسما

إهداء الرائعة هدى محمد

الهروب أحياناً يحمل لذة.. مراوغة .. دلال.. هذا إذا اجتمع عشيقان..
وأحياناً يحمل فائدة بأن يأخر نتيجة لا ترضينا..

وربما يحمل ضرر بالغ هذا إذا كان من نهرب منهم هم أنفسنا..
أما عنه هو فهو يهرب منها ومن نفسه ومن قرار كان قد اتخذته إن علمت هي بحقيقة
بمشاعره..

إذا الهروب في حالته ضرورة قسوى لا هو ضعف ولا هو قلة حيلة..
كانت أنفاسها المتضاربة تشكل موسيقى تصويرية للمشهد الذي يجمعهم الآن .. هو أمامها
ينظر في كل الأماكن عداها.. يعد ويرتب الجمل بعقله ولكن لا يترجمها بلسانه..
ابتلعت ريقها عدة مرات من أثر الشحنات السالبة المنتشرة بالجو حتى شعرت أنه حلقها
قد جف حقاً وهو يجز على أسنانه وينظر لهاتفه وكأنه ينتظر أن يتصل به أحدهم كي
يجد حجة يهرب بها من هذا الموقف..

هو في الحقيقة لا يهرب من مواجهتها فشاعره باتت في وضوح الشمس في منتصف
أغسطس ولكنه يهرب من نفسه التي اتخذت قراراً بأن اليوم الذي سيصارحها به
بحقيقة مشاعره سيكون نفسه اليوم الذي سيحرم فيه من جنة الفيروز وهو ليس بمستعد
الآن.. هو لن يضع نفسه في مقارنة فاشلة سيخسر فيها بكل تأكيد وحينها ما سيكون من
نصيبه هو فقط بعض الشفقة .. لن يرضاها على نفسه..

قالت بصوت تخلله الكثير من القلق بسبب صمته الذي طال:

- ياسر!

اللعة.. أين أمه وأبيه وأين أصدقاءه وأين مشاكل الجمعية التي لا تنتهي.. عادة هاتفه لا يهدأ ما باله أصابه خرس مفاجئ كصاحبه!

لا مجال الهروب.. كل الظروف تتحد ضده حتى هي مازالت حتى الآن تنتظر جواباً وتعابير وجهها تتغير كل ثانية تقريباً..

- أنا...

رنين هاتفها أتاه كنجدة وبالنسبة إليها كان كارثة.. سمعها تقول صارخة:

- ألو.. عاوزاني أنا.. هي كويسة طيب؟.. طيب طيب أنا جاية حالاً..

ونظرت لياسر بعيون قد تشوشت عليها الرؤية بسبب ذرفها لبعض الدموع قائلة له:

- ياسر أنا مضطرة أمشي.. أسفة..

سألها بقلق :

- خير حصل حاجة؟

وأجابته بعد أن كانت بالفعل قد تحركت بالسيارة:

- أختي تعبت شوية ما فيش حاجة.. بعد إذنك لازم أروح لها..

للتواكتشف أنه كان يعيق حركتها بوقوفه بطريقها.. أفسح لها المجال بينما قلبه وعقله

ووجدانه اجتمعوا على سببه لأنه لم يصارحها بعد أن قدم له القدر فرصة ذهبية من

الصعب أن تعوض ..

هل طريقة مشيها غريبة أم أنها لم تعتد الحذاء العالي؟

تتحرك بالكاد وتعثر عدة مرات .. تتجول في اتجاهات عدة وكأنها ليست بمتجرب بل
بمكان سقطت فيه للتو بطائرة هليكوبتر وما زال تستكشفه حتى أنها لفتت أنظار العامل
وذهب إليها كي يساعدها بشراء ما تحتاجه من أغراض وهي ابتسمت له ممتنة عندما
أشار على أماكن الأشياء التي تريدها وذهبت وتعثرت مرة عاشره..
ماذا يحدث؟ هل يراقبها؟ وكأنه يعد خطواتها.. حتى أنه يقف أمام ماكينة الدفع دون أن
ينتبه ومن خلفه هو من نبهه بأن يضع أغراضه في المكان المخصص بدلاً من تعطيله
للغير..

حمل أغراضه ووضعها بصندوق السيارة ثم جلس بمقعده في انتظارها.. مؤكداً ستتأخر
كانت تبدو وكأنها ستشتري المتجر كي تُطعم الأسكندرية بأكلها..
شعر بنسمة هواء لفحت جبينه ذكرته بفيروزه .. هي مثلها تغلفها برودة ولكنها تحمل لذة
خاصة بها وحدها وكأن رؤيتها تمنح من حولها الراحة النفسية والسعادة ..
ساحرة مثلها..

أمسك هاتفه المشتاق إليها أكثر منه ثم قام بالاتصال بها .. أخبرها بصوت عبر عن حنينه
البالغ إليها:

- وحشتيني..

أما عن الجهة الأخرى فكان لا جواب.. يبدو أنها لم تضع الهاتف على أذنيها بعد فكل ما
استمع له كان كلمة " دكتور " .. قالت له بعد فترة توترت فيها أعصابه:

- عادل هكلمك ثاني..

ألقي هاتفه جانبه بقوة ولولا أنه ألقاه على الكرسي لكان تحول إلى قطع لا نفع فيها ولا

فائدة.. انطلق سريعاً بسيارته دون أن ينتبه لتلك التي كانت تحمل عدة أكياس وتعبر الطريق ذاهبة إليه.. رفعت يديها عالياً عله يراها ولكن مع بالغ الأسف لم ينتبه.. لم يتذكرها.. وتركها في تلك المنطقة الغريبة عليها وحيدة مع الظلام وخيبة الأمل وألف سؤال قد تشكل برأسها أولهم كيف ستصل إلى القرية بتلك الأشياء الكثيرة التي تحملها وبهذا الحذاء العالي التي باتت لا تتحملة أصابع قدميها من الآن..

عادة لا نعلم بمعزة بعض الأشخاص إلا بعد بعض الاختبارات وهي بعد أول اختبار شعرت أنها لا تتحمل حتى برد الشتاء عليها..

طبيعي وهل هناك أصعب من ذلك الاختبار ولا تلك التجربة القاسية التي عاشتها ..

رباه لقد ذبلت أوراقها وهي مازالت في موسم الربيع..

قالت لها للمرة الخامسة تقريباً علها تفهمها:

- أنا جيت يا أسما ومحدث غيرنا في الأوضة كلهم خرجوا.. فهميني بالراحة وأهدي عشان خاطري..

كانت أسما تحاول التقاط أنفاسها من بين شهقاتها المتكررة.. قالت بأعجوبة:

- شوفته.. جيه..

تشابك حاجبها تماماً.. سألتها بعدم فهم:

- مين؟

وأملت بعد أن تجولت عيناها بالغرفة:

- قصدك اللي اسمه مروان..

أومأت أسما برأسها عدة مرات فتساءلت فيروز:

- شوفتيه فين؟ هنا في الأوضة..

ابتلعت أسما ريقها لتقول بصوت متهدج:

- كنت نائمة والدنيا ضلمة وصحيت أما حسيت بإيده على شعري ..خفت وصوت

وقومت بسرعة ولحد ما ولعت الأباجرة كان اختفي..

وأكلت بتوتر بالغ سببه نظرات فيروز لها:

- بتبصلي كده ليه وكأني مجنونة..هو كان هنا.. كان هنا والله..

قالت فيروز بعد أن ابتلعت ريقها:

- ماشي انتي بس اهدي..

سألتها أسما:

- انتي مش مصدقاني صح؟

أجابتها فيروز بعد وهلة:

- مش حكاية مش مصدقاكي بس انتي كان لازم تعرفي أنه طبيعي تحلي بيه..

طبيعي!

ما الطبيعي .. هل جنونها طبيعي؟ عذابها طبيعي؟

هل موتها كل ليلة على يده طبيعي؟

- هو أنا هفضل عايشة كده؟ ليه أنقذتوني.. كان زماي ارتاحت من كل العذاب ده..

وضعت فيروز اصبعها على فم أسما قائلة بحسم:

- هيجي يوم وهتتحسني صدقيني.. اصبري شوية..

خرجت ولم تعد.. اختفت تماماً..

سأل عنها في المتجر، المارة، موظفين الأمن ولم يلحها أحد ولكن ربما هو لم يصفها لهم جيداً ..

قصيرة.. نحيلة إلى حد ما وترتدي الأزرق هذا كل ما يتذكره عنها فهو لم يحفظ ملامحها بعد...

أين هي بحق الله وبتلك المنطقة من المستحيل أن تجد سيارة أجرة تقلها..
تبقى لديه احتمالين إما أن عادت سيراً على الأقدام وإما طلبت المساعدة من أحدهم
وفي الحالتين هو يشعر بالخلج من نفسه.. ماذا تقول عنه الآن؟ وكيف هو ينساها هكذا
ويرحل دونها!

عاد باتجاه القرية بينما عيناه على الطريق تبحث عنها .. وجدها أخيراً كانت تجلس على
صخرة بمنتصف الطريق بعد أن تخلت عن حذاءها بينما عينها كانت تراقب الطريق
بحذر..

كانت تبدو كسندريلا تبحث عن أميرها المنقذ ولكن حتماً ليس هو.. كان وجهها قد
أحمر من شدة الغضب وعينيها قد تسلل إليها بعض اليأس .. كانت أنفاسها سريعة وكأنها
كانت تركض بسباق رياضي ولم يحالفها الحظ..

ذهب إليها قائلاً ببعض الخجل:

- أنا آسف جداً بجد..

وأضاف:

- مش عارف إزاي نسيت خالص إن كان معايا حد!
ثم القى نظرة على الأغراض التي بجانبها قائلاً :
- يا خبر كنتي شائلة كل ده لوحداك؟ ياريتك استنيني شوية بس ..
ومد لها يديه كي يساعدها على النهوض ولكنها لم تفعل فقط أخبرته بنبرة حاولت ألا تبدو
غاضبة هكذا ولكن وكأن الأمر بيديها فكلمة غضب قليلة على وصف ما تشعر به داخلها
الآن..

قالت له:

- مفيش داعي أنا أزجت حضرتك بما فيه الكفاية انهاردة..

كرها خلفها:

- حضرتك!.. لا أنا كده هزعل ..أولاً مفيش ازعاج .. ثانياً أنا متضايق بما فيه الكفاية
لإنك مشيتي كل المسافة دي لوحداك والطريق أصلاً يخوف..
سألته:

- وثالثاً!

- قلبك أبيض ..

" الوقت التي هتحي فيك إنك عاوزة تطلعي كل اللي جواكي وتكلمي إعرفي إن ده
الوقت اللي فعلاً بدأت في تتعالجي "

لا تعلم لم تذكرت تلك الجملة الآن وكأن طيف مروان الذي اقتحم خيالها اليوم أشعرها

بأن لا فائدة من حالة الهروب التي تثقمصها دون جدوى أم أن كلمات فيروز عن الصبر والمواجهة والقوة كانت لها تأثير إيجابي عليها..

الأسباب سيان طالما النتيجة واحدة .. فهي وأخيراً قررت أن تتحدث .. قررت أن تستخرج تلك السموم التي استقرت بقلبها المكسوم وإن لم تخرج يكفها شرف المحاولة.. تعرقت يديها ومسحتها بطرف بلوزتها .. طرقت الباب برقة وحينها شعرت أن قلبها المرتعد كان سيخرج خارج جسدها..

فتح لها طبيبها الباب وابتسامته تسبقه .. قال لها مشيراً بالدخول:
- تعالي يا أسما..

كانت تجر قدميها لا تمشي.. لم هي خائفة ومن من لا تعلم ولكن مؤكداً ليس من الطبيب فطوال فترة علاجها بالمصحة حاول أن يكسب ثقتها وبصبر نالها.. كلماته عن الأمل والكفاح والمجادلة كانت تلقائياً تحفر بعقلها .. كانت تشعر بالراحة بعد كل جلسة علاج ومع الوقت شعرت أنها أفضل من ذي قبل .. وثقت به رغم أن كلمة ثقة قد خرجت من قاموسها..

إذاً ماذا يحدث معها الآن؟

ربما ما تهابه هو نفسها؟ فما أثقل أن تتحدث عن أكثر شيء تشتتي أن تساندك قوة خرافية كي تحيه من حياتك!

جلست أمامه وصمتت وهو بحرفية طبيب قرر أن يفتح هو الحديث قائلاً لها:

- أحسن دلوقت؟

أومأت برأسها له بعد أن استرقت نظرة سريعة .. لا تعلم لم تحب النظر إليه ربما لأنه

يذكرها بأبيها فهو يقربه بالعمر ويحمل نفس هيئته رغم اختلاف الملامح أما عن ابتسامته فهي صورة طبق الأصل من ابتسامة شقيقها ابراهيم... عندما تنظر نحوه لا تشعر بالغربة في ذلك المكان الكئيب بل تشعر وكأنها خرجت وزارت منزلها وتناولت معهم الطعام و احتضنت أبيها وأما وعادت... ببساطة هي لا تشعر أنه طيبها قدر ما تشعر أنه من العائلة..

سألها:

- تحبي نتمشي شوية في الجينة؟

وأجابته بصوت واهن:

- ياريت...

بعد دقائق قليلة كانوا بحديقة المشفى .. وضع عليها جاكيتته بعدما لاحظ رجفة جسدها الخفيفة .. أخبرها بعد وقت قصير:

- شكلك عاوزة تتكلمي معايا في حاجة ومترددة..

تسمرت أسما مكانها فجأة .. ابتلعت ريقها وأغمضت عينها وكأنها تستأصل الكلمات من داخلها.. ومازالت لم تنفوه بشيء..

قال لها مطمئناً إياها:

- قبل أي حاجة عاوزك تعرفي إن أي كلام هتقوله مش هيخرج بينا احنا الاتنين..

وزي ما قلتلك أي كلام هتقوله مش معناه إنك بتفضفضي إنتي كده بتحاربي الضلمة التي بتكبر جواكي..

صمت هو ليحين دورها فقالت:

- أنا حبيت واحد ووثقت فيه..

سألها:

- خالك!

أغمضت عينها مرة أخرى ولكن تلك المرة كي تحي الصورة البشعة التي تلقائياً تكونت بعقلها وهي تحت أنياب ذئب ينهش لحمها..

أخبرته بالكثير من الدموع والغريب كان بها بعض القوة لم تكتشف مصدرها بعد .. ربما لأنها في حالة جدال الآن مع عقلها الذي يطالبها بالصمت وهي تحاول بكل قوة أن تنتصر عليه ..

- اغتصبي..

شاهدت تغير ملامحه ولكنه لم يكن مصدوماً.. مؤكداً كان يشعر بل كان واثق ولكنه احترم رغبتها بالصمت..

سألها بعملية:

- كنتي حاسة إنه هياذيكى؟

شردت في تلك الأيام التي تريد أن تختفي من ذاكرتها .. تذكرت حالتها .. كانت تطير من السعادة بمجرد كلمة منه وكلمة أخرى كانت تتسبب في انعزالها عن الجميع.. لا تعلم إجابة سؤاله تحديداً ولكن كل ما تعلمه أنها كانت عبارة عن لعبة ماريونت .. صلصال تركت له الحرية في تشكيله..

- مش بالظبط..

- يعني إيه؟

- مش عارفة أوصف احساسى كنت حاسة إنه مش يحبني زي ما بحبه .. كنت حاسة إن كل ما أحبه أكثر إني كده برمي نفسى في وسط النار.. متوقعتش الغدر بس برده متوقعتش السعادة..

صمت قليلاً ثم سأها:

- لو شوفتيه هتعملي إيه؟

رباه .. لم الأمر بتلك الصعوبة.. وكأنها تستخرج الكلام بعملية جراحية..

قالت بعد فترة:

- مش عاوزة أشوفه..

سأها بإصرار:

- ولو شوفتيه ..

يعلم أنه هكذا يضغط عليها ولكن تلك الخطوة ينتظرها منها منذ فترة ولن يضيعها من يديه..

قالت سريعاً:

- هاقتله..

وأضافت:

- بس الأمانى غير الواقع..

- مش فاهم..

وتحدثت تلك المرة بعصبية شديدة وسيل من الدموع:

- يعنى أنا بتنى أقتله لكن في الحقيقة لو قابلته هخاف منه... أنا أضعف من أنى أحط

عيني في عينه وأقوله ليه دمرتني عشان كده حاسة إني هفضل طول عمرى عايشة بذنب
أنا معرفهوش..

أعطاها محرمة ورقية ثم تأملها.. رق لحالتها ثم أخبرها:

- تمام تمام .. كفاية كده انهارة نكل بكرة..

وظلت تتحدث وكأنها لم تستمع له من الأساس:

- أنا عاوزة أصحى من النوم ألاقيني ناسية كل حاجة.. نفسي دماغى تقف عن

التفكير.. نفسي أرجع نفسي بتاعت زمان بس أنا مش هقولك ساعدني أعمل ده عشان

عارفة إن أسما بتاعت زمان ماتت وما فيش أي علاج ممكن يرجعها تاني..

قال نافياً بهدوء ينافي عاصفتها:

- أنا واثق أن أسما لسه مامتتش.. خليكى انتي كمان واثقة من ده..

ربما لو تم اختراع ماكينة تمنح مستخدميها السعادة سيكون أفضل اختراع مر على

البشرية.. تدخل إلى الماكينة الضخمة وتخرج شخصاً آخر سعيد بكبسة زر..

يالاه من أمر بسيط ولكن مؤكداً حينها من سيدخل للماكينة لا بد أن يكون من علية

القوم أقلها رئيس جمهورية..

طبيعي فالأغنياء لهم المال والجاه والحياة أيضاً والفقراء يكفيم أنهم قد سمحوا لهم

بالتعايش معهم على نفس الكرة الأرضية ..

وهذا هو قمة العدل بنظرهم..

اليوم قام بزيارتها.. اليوم رآها..

ما بالكم نتعجبون فالخطة كما هي ولكن لا مانع من القاء نظرة على الضحية..
شعر بوغزة في صدره فرويته لها نائمة على ذلك السرير بالمشفى أثارت له ذكريات يشتهي
نسيانها..

وكأنه رأي بها وجهها.. كانت تشبهها وربما هو من استشعر ذلك والفارق الوحيد أنها
كانت نائمة على سرير فاخر داخل مصحة تشبه قصور الملوك بالأفلام العربية القديمة وكل
ركن بها يشهد على الفخامة..

تذكر حسناء.. وكانت اسم على مسمى..

كانت حسنة الوجه هزيلة الجسد قليلة الحيلة..

انتظرت على قائمة العلاج على نفقة الدولة لأكثر من عامين متتاليين وبالأخير انتقلت
للرفيق الأعلى..

كم شعر بالعجز وقتها.. بالظلم وقلة الحيلة.. بالحق من كل الظروف التي حرمتها منها.. هي
شقيقته الوحيدة وفرحة أبويه الأولى..

هل مازلت تشتهي تلك الماكينة وذلك العالم يفتقر للعدل؟
ابتسم وكررها..

عدل!

هو بنفسه سيحقق ذلك العدل بعد أن يتزوج ابن الجنائي من ابنة مالك القصر وهو
سيحقق العدل عندما تترك الأخرى ابن صاحب القصر وتأتي راکعة إليه وتطلب عفوه..

تشوش ..

كل ما تشعر به الآن هو بعض الفوضى والكثير من التشوش وقبل كل ذلك شعرت
برغبتها في اقتلاع شفتيها الخائنة..

قبلها بكل جرأة .. كيف سمح لنفسه وكيف ولماذا يلوثها معه!
شعرت أنها زوجة خائنة كل ما تستحقه هو أن يتم رجمها بالحجارة على مرأى ومسمع
الجميع..

هي غاضبة.. غاضبة جداً والأكثر من نفسها..

ماذا يحدث معها ولم طاويعته حينها؟

لم ذهبت إليه من الأساس ولم لم تهرب منه؟

هل من المعقول أنها مازالت عاشقة له!

نفضت أفكارها السيئة عن عقلها.. هي لا تعشقه بل تعشق زوجها النائم بجوارها .. هو
فقط ماضٍ يطادرها والدليل سعادتها البالغة مع ابراهيم قبل أن يقتحم حياتها مرة
أخرى..

فرت دمعة من عينيها ترثي حالها.. شعرت أن برأسها خريطة العالم .. متى ستسترد

هدوءها وكيف ستخرج ذلك المروان من حياتها..

كيف ستنجو من تلك الورطة؟

شعرت بيد تحيط خصرها فانتفض جسدها ولكنها لم تتحدث أبداً..

سألها بعد اقتراب منها أكثر:

- انتي لسه صاحية؟

نهضت جالسة مسندة رأسها على الوسادة قائلة:

- مش جايلي نوم..

داعب خصلات شعرها الأمامية بينما يقول:

- حاسس بيكي عمالة ثقلي في السرير من ساعتها..

وأكل متسائلاً:

- شكلك متضايق؟ في حاجة حصلت ولا ايه؟

نفت سريعاً:

- مفيش.. يمكن عشان الأرق مأريفي شوية ..

اقترب عدة انشات أخرى ثم أخبرها :

- مش لازم ننام انهاردة..

واستطرد:

- ولا بكرة .. ممكن نفضل صاحين علطول على فكرة..

قالت بعدما قامت بإبعاد شفثيه عن رقبتها:

- وشغلك وشركاتك هتركز فيهم إزاي!

اقترب منها مرة أخرى وتلك المرة قبلها بشفتيها.. توترت وابتعدته لا إرادياً عنها فمازالت لم

تستطع أن تحو آثار خيانتها..

ابتعد عنها ابراهيم مصدوماً بينما الاستياء قد اعتلى ملامح وجهه وعينييه تجمعت به الكثير

من الأسئلة..

قالت له مفسرة:

- معلىش يا إبراهيم أنا بجد أعصابي تعبانة مش هقدر..

أخبرها:

- أنا فاكرا إني سألتك مالك؟

قالت كي تنقل دفعة الحرب إليه:

- مهو إنت مش تبقى سايبني طول اليوم لوحدي وترجع آخر الليل تلاقيني على سنجة

عشرة ومستنيك .. أنا انسانة وليا مشاعر ونفسي أحس أنك مهم بيا..

اقترب منها بينما عيناه بدأت في قدح الشرار:

- وياه الغريب؟ انتي متجوزاني وعارفة طبيعة شغلي وعارفة إن الشركة كلها فوق دماغني

جاية دلوقت وتشتكي!!

أخبرته بنبرة مرتفعة بعض الشيء:

- مش فاهمة.. يعني أنت قصدك ده اللي عندي ولو مش عاجبك اخبطي دماغك في

الحيط؟!

ظل صامتاً يحاول أن يستوعب كلماتها.. تلك المرة الأولى التي تتحدث فيها معه بتلك

الصورة وتلك المرة الأولى التي ترفضه فيها منذ زواجهم..

لم يعد يتحملها أكثر ولم يتحمل ذلك النقاش السخيف فلتعود إليها نفسها قبل أن يفقد هو

نفسه..

أخذ وسادته وخرج دون أن ينظر نحوها.. حاولت أن تستوقفه ولكن دون جدوى

فداخله قد تخطى مرحلة الغليان...

رسالة نصية في منتصف الليل قد تغير مزاجك طول اليوم ولكن معها الأمر مختلف..

" Je t' Aime " .. " أحبك "

ولم يجيبها .. فهو يشعر بالغضب الشديد منها.. كم أهملته بسبب مشاكل لا تنتهي وهو قد
اكتفى بالفعل..
وبعدها أنبأ هاتفه عن استلام رسالة أخرى .. كان مقطع فيديو فتحه وكانت أغنية
فرنسية تلك كلماتها..

Comme un fou comme un soldat

comme une star de cinéma

Je t'aime, je t'aime

Comme un loup, comme un roi

Comme un homme que je ne suis pas

Tu vois, je t'aime comme ça

" أحبك أحبك "

مثل مجنون مثل جندي

كأحد نجوم السينما

أحبك أحبك

كذئب كملك

أترى ، هكذا أحبك "

أرسلت رسالة نصية أخرى تقول فيها:

- عارفة إنك زعلان مني ..

وأضافت:

- قلبك أبيض..

أرسل لها رسالة هي المرة:

- انتي فاكرة إنك هتصالحيني بأغنية!

قالت بمكر:

- ليه هي مش حلوة؟

أخبرها:

- مش عارف..

عقدت حاجبها ثم أرسلت له قائلة:

- أنا زعلت

- قلبك أبيض..

صمتت فيروز وعلمت أنه لن يرضى بتلك السهولة.. تعترف أنها تزججته وكثيراً ولكن حقاً

الأمر ليس بيديها..

قالت له بعدما يأست من جموده :

- نفسي أكل سمك ..عندكم في الساحل الشمالي ولا أجيب معايا وأنا جاية بكرة؟

الفصل الثاني عشر

أخاف أن تمطر الدنيا ولست معي
 فنذ رحتي وعندي عقدة المطر
 كان الشتاء يغطيني بمعطفه
 فلا أفكر في برد ولا ضجر
 كانت الريح تعوي خلف نافذتي
 فتهمسين تمسك هاهنا شعري
 والآن اجلس والأمطار تجلدني
 على ذراعي على وجهي على ظهري
 فمن يدافع عني يا مسافرة
 مثل اليمامة بين العين والبصر
 كيف أمحوك من أوراق ذاكرتي
 وأنت في القلب مثل النقش في الحجر
 أنا أحبك يا من تسكنين دمي
 إن كنت في الصين
 أو إن كنت في القمر..
 يدك
 يدك التي حطت على كتفي

كحمامة نزلت لكي تشرب
 عندي تساوي ألف أمنية
 ياليتها تبقى ولا تذهب
 الشمس نائمة على كتفي
 قبلتها ألف ولم أتعب
 ((نزار قباني))
 فيروز وعادل..

العلاقات كالحروب تظل بحاجة إلى ذكاء وتكنيك وأقل خطأ بها قد يجعل منك أسير وربما شهيد...

وهي يبدو أنها تفتقر لذلك التكنيك أو ربما يعاندها الحظ ففي اللحظة التي كانت ذاهبة لأبيها كي تتحجج بأي حجة وتسافر إليه أخبرها هو بسعادة بالغة أن أسما ستعود للمنزل هذا المساء..

ابتسمت وارتبكت وتفاجئت وتشابكت كل المشاعر ..

هل تسعد لعودتها أم تحزن فعلى الأقل بتلك المصحة كانت بأمان أكثر، يكفي أن حولها الكثير من الأطباء سيساعدونها إن احتاجت لشيء ولكن بالمنزل الأمر خطير ويحمل بعض المجازفة فما زالت تلك الصورة التي رأتها عليها وهي غارقة بدمائها ومحمولة على ذراعي

أبيها لم تفارق مخيلتها بعد..

هي لن تحمل هذا نخسارتها باتت بالنسبة إليها كمقتلها..

كما أنها الآن شعرت بالمسئولية فبعد خروجها من المصححة لابد وحتماً أن تجد حلاً لذلك السر الذي خصته وحدها به وبأسرع وقت ممكن..

هل تخبر أبيها الآن ؟ هل تفعل ؟

وهل بإمكانها أن تفعل!.. هل تُحي ابتسامته من على وجهه بيديها وتضع مكانهم القهر والوجع!

هي لن تفعل ذلك أبداً وإن أرادت...

تأملت وجوه الجميع.. الكل سعيد بنخبر عودتها .. الكل منهمك بالتحضيرات.. بدأوا بتنظيف غرفتها وقائمة أطعمتها المفضلة قد بدأت حورية في إملاءها على الخادمة .. وهي مشاهدة صامتة لا تفعل سوى أن تومئ برأسها بكل حماقة عندما ينظر أحدهم نحوها..

انتبهت أخيراً لحورية .. كانت تقول:

- مش هوصيكم الدكتور قال محدش يسألها في أي حاجة أما ترجع اتعاملوا معاها كأن مفيش حاجة حصلت..

الجميع وافقها على هذا الكلام.. حقيقة هم محظوظون ،هي وحدها من لا تمتلك تلك الرفاهية..

شعرت بيد تربت على كتفها فالتفت مذعورة .. قالت بعد فترة لملت فيها أعصابها من أثر ارتعابها:

- بابي..

وضع يديه على وجهها مثلما اعتاد ثم سألها بقلق:

- مالك!

مهما قالت أنه لا شيء وبررت أن كل شيء على ما يرام لن يصدقها أبيها.. قررت أن تهرب من سؤاله وقالت له كي تغير دفعة الحديث:

- أخيراً أسما هتجع البيت كان وحش من غيرها.. الغريب إني كنت هناك امبارح والدكتور مجابليش سيرة ولا هي..

قال أبيها بسعادة:

- هو لسه قايلي أما كلمته انهاردة.. يقول انه لمس تحسن كبير وهتكمل متابعة معاه في العيادة..

وأضاف بقلق:

- لو نعرف بس ايه السبب لكل ده..

ثم سألها:

- متكلمتيش معاه خالص في الموضوع ده؟

حركت رأسها بالنفي ثم تركت المكان بأكله هاربة نحو فيلتها ومخبأها الأمين.. قامت بالاتصال بعادل ولكنه لم يجيب.. أرسلت له رسالة تقول فيها:

"عادل أنا أسفة بجد مش هقدر أجي.. كلمني أما تشوف المسدج"

ومن داخلها شيء يقول أنه لن يتحمل أعارها أكثر ولكن ماذا عساها هي أن تفعل!

سنة الكون.. أي شيء يزيد عن الحد ينسكب خارجه..
وهي قد تخطت هذا الحد منذ فترة وهو احتمال واحتمل..

لم يعد للقلب قابلية للتحمل.. حتى القلوب تسأم وتمل..

اليوم استيقظ ووجد منها رسالة واتخذ قراره .. لن يتصل بها ولن يستمع لمبرراتها أكثر..
الحجب معها لا تنتهي بينما هو قد تنازل عن كل شيء بلحظة من أجلها دون تردد..لقد
خسر عائلته عندما خيره إمام أو هي واختارها هي، اضطر أن يعمل كمحاسب
بمكتب متواضع كي يكسب قوت يومه وهي حتى لا تجد في يومها عدة ساعات تخصصها
له..

من أجل من فعل هو كل هذا ولأجل ماذا؟

شعر أنه بفراغ كبير صنعه بيديه ووصل لمرحلة أن هذا الفراغ من الممكن أن يبتلعه..

لم عقله الأحق يعمل بتلك السرعة؟ فليتوقف قليلاً عن التفكير بها وعن غضبه منها..
نظر من النافذة إلى البحر وشرد في أمواجه المتتابعة، تمنى لو أرسل مع هذا الموج الضيق
الذي يعتري صدره وألقاه بمدينة أخرى بعيدة عنه.. ليته يستطيع..
انتبه إلى امرأة تتجه نحو البحر حافية القدمين طابطة بقدميها الصغيرة أثر لها على الرمال ..
كانت هي رودينا..

تساءل في نفسه..هل عاداتها دائماً أن تتخلى عن حذاءها؟

ظل يراقبها لبعض الوقت ولاحظ أنها تتخلى عن أشياء أخرى غير الحذاء وبالأخير قررت
الاحتفاظ فقط بقطعتين إحداهما علوية والأخرى سفلية..

شاهد ميلاد ضحكتها عندما لامست المياه قدميها وتحسست برودتها ومع ذلك لم تراجع

بل تعالت أصوات ضحكاتها وكأنها تتعامل مع البحر كإنسان تداعبه ويداعبها..
ما تلك المجنونة؟

لا يعلم لم ظل بمكانه يراقبها حتى خرجت من البحر.. يبدو أن في مشاهدة غريبي الأطوار
متعة خاصة..

ظلت على حالها لبعض الوقت دون أن تخاف من أن تمرض.. رؤيته لها وهي شبه عارية
حركت داخله بعض المشاعر كأني رجل رغم أنها لم تكن تلك المرة الأولى التي يشاهد
فيها امرأة ترتدى زي سباحة كهذا ولكن الأمر مختلف معها للغاية..

ربما لأنه يعلم الآن أن لا أحد بتلك القرية سواهم هو وهي وشيطانه الذي لا يسمح له
بإبعاد عينيه عنها ومما لا شك فيه أنها كانت رائعة الجمال بل مذهلة عن حق ..

من المؤسف أن تعلم أن أحدهم ينصب لك نفخاً ومع ذلك تقع فيه..

منتى الغباء..

كانت غايته أن يفرقهما والليلة الماضية شعرت أنه قد دخل حياتها بالفعل وتمكن منها..
وقفت أمام المرأة تتأمل وجهها الشاحب وشعرها الأشعث..

ما بالها؟ كيف اختفت من الدموية من وجهها وكيف ضمرت شفيتها هكذا وكأنه بقبلته
أخذ منها روحها..

باتت ضائعة.. رأسها يأخذها في كل الاتجاهات..

عقدة الذنب تقتلها وإثمها تضاعف فجأة دون قصد منها..

باتت ممزقة بينهما .. الماضي يبارز الحاضر أمام عينيها وهي باتت عديمة الحيلة..

هل عليها أن تختار مثلاً؟

الاختيار في حد ذاته جريمة فهي موشومة بعهد يوم أن وضعت خاتمه في إصبعها بإرادتها
ويوم أن أخبرته أمام الجميع أنها موافقة أن تكن زوجته ونصفه الآخر ولو عاد بها الزمن
ستوافق على الزواج منه مرة أخرى..

إذا فقرارها محسوم .. ما الذي يحدث معها ولم هذا التشوش!
ربما المشكلة تكمن به هو..

ربما حبه لعنة من تمسها تظل تحترق طوال عمرها..

ربما هي لم تكن قد محت بقاياها من داخلها وتلك البقايا ستظل تنمو يوماً عن يوم ثم تقتلها
بالنهاية..

ترجعت بقدميها حتى جلست مكانها بيأس.. بكت بحرقة ترثي حالها..

تساءل .. هل عذابها هذا سيلازمها طوال العمر؟

لمحت بعينيها طرف غلالته الحمراء ملقى بإهمال داخل خزانها فأسرعت نحوها..
أما زالت هنا ولم تمزقها بعد!

التقطت الغلالة وتذكرت ذلك اليوم الذي أهداها فيه إياها واشتمت من حالها أكثر..
اشتقت رائحتها وتعجبت..

هل الغلالة تحمل رائحة عطره أم هي من تتخيل ذلك؟.والآن كي تتكلم معها باتت تشعر
أنها نفسها تحمل عطره وليست تلك الغلالة الملعونة.. نزع ملابسه عنها وارتدتها وتأملت
نفسها في عينيها ثم استكملت وصلة بكاؤها..

منتهى العبث ومنتهى الجنون.. منتهى اليأس..

ومن سوء حظها أن ابراهيم دخل عليها بتلك اللحظة ،ارتبكت هي ولم تعلم ماذا تخفى ..
دموعها أم غلالته التي ترتديها الآن أم رائحته التي بأنفها!

هل تعلم شعور المرأة وهي تعرض جسدها على رجل؟
 الأمر مهين ..بشع ومقزز.. حينها تستحقر نفسها..تسبها وتلعنها وتلعن كل الظروف التي
 أوصلتها لتلك المرحلة وتعود لتلعن نفسها مرة أخرى..
 قبل أن تأتي للشاطئ وتقوم بعرض السباحة المثير فكرت ألف مرة وتراجعت ألفان ثم
 تذكرت أنها لا تمتلك حلاً آخر فقررت المواصلة..
 جلست على الرمال كما هي وكأنها تطالبه أن يطهرها من عهرها ولكن هل بإمكانه أن
 يفعل! لا يمكن لأي شيء أن يفعل..
 اشتاقت لصغيرها فبكت ورثائها الوحيد أنها على الأقل تعلم أنه بخير وهذا يكفيها..
 أخبرها اليوم أن المربية التي استأجرتها له بشرى تعامله جيداً وتُصر عليه أن ينهي طعامه
 وأخبرها أنها ستصطحبه ليلاً لمدينة الألعاب..
 كان يبدو من صوته أنه سعيد فقط يشاق لوجودها كي تكتمل فرحته كما هي تشاق
 لرائحته..

والآن يجب أن تنهي تلك المهمة سريعاً فكلما طالت مدتها زاد عذابها ومزقتها أشواك
 ضميرها الذي مازال يحيا رغم كل ما يحدث..

هي لا تملك قرار التراجع فقد طرقت كل الأبواب قبل أن تقع أسيرة بحبال
 بشرى...بشرى التي صنعت من رودينا خيال مآة لها الحرية في تقرير مصير أي شيء

يخصها .. بتصرفاتها .. بملابسها .. بطريقة حديثها .. حتى عرض السباحة هذا كان من تديرها..

يدو أن ذلك العادل قد أزعجها كثيراً..

الذي أصبح يثير اهتمامها الآن هو لم هي تريد أن تغوي قديساً؟

ما المهم بالأمر كي تدفع لها كل تلك الأموال ؟

ابتسمت ساخرة .. عادل ليس بقديس ولا هناك رجلاً قديساً فالمرأة إن أشهرت أسلحتها لا أحد بإمكانه أن يوقفها وهي رغم صغر سنها إلا أنها تجرعت من الحياة ما يكفي لتفهم طبيعتها..

الرجال لديهم استعداد فطري للخطيئة ولو لم يكن هكذا ما خرج آدم من الجنة..

العواية امرأة والخطيئة امرأة والفضيلة أيضاً امرأة..

وهي قررت أن تتخلي عن الأخيرة فنحن لسنا بزمان الفضائل فالجوع وحش كاسر لا يفرق بين الصالح والطالح...

تجددت دموعها مرة أخرى فاليوم ماتت براءتها وولدت خطيئتها والقادم سيظل الأسوأ..

شعرت بشيء ثقيل يُوضع على كتفها .. نظرت للخلف من بين دموعها ولم تكن في حالة يمكنها أن تصطنع مجرد ابتسامة..

أخبرها:

- بعد كده أما تطلب معاكي جنان ما تنسيش البطانية..

وهي ظلت تنظر نحوه ببلاهة.. جاءها في وقت غير مناسب فهي في حالة رثاء وغير

مستعدة لتقمص دورها بالمرحية..

جلس بجانبها ثم سألها :

- ممكن أعرف سبب الدموع دي إيه؟

سبب السعادة امرأة وسبب الشقاء امرأة وإن قررت أن تسلم نفسك لها فلتتحمل
العواقب كاملة..

كان قد عاد من أجل يبدل ملابسه ويذهب مرة أخرى لا شيء آخر ولا حتى كي
يطمئن عليها.. هكذا كان يخبر نفسه طوال الطريق فغضبه منها قد فاق اشتياقه إليها وحبها
لها ..

ولكن بمجرد أن رآها على تلك الحالة تبدلت جميع الأدوار..
ترتدي غلالة لم يراها من قبل عليها.. حالتها عبارة عن فوضى وهذا هو الوصف الأدق..
ودموعها لا تتوقف عن السيلان وشعر وكأنها قد أصيبت بالخرس وكلها سألتها عما
يحدث معها أجابته بالدموع..
أحياناً الصمت يتحدث ولكن تكمن المشكلة في التفسير فكل شخص بإمكانه أن يفسر
على هواه..

وهو فسر ذلك على أنها غاضبة من نفسها.. تؤنبها لما حدث بينهم البارحة.. تحضر نفسها
للاعتذار ولكنه هو من جاء بوقت كان غير ملائم لها..

للتو شعر بالمسئولية.. ربما بالفعل جلوسها بمفردها أغلب الوقت قد أثر على نفسيته.. لا بد
أن يجد حلاً .. إما أن يحضر لها خادمة تؤنسها بغياحه وإما أن يصطحبها لمنزل أهلها كل

صباح ويعود يأخذها في المساء..

سيخيرها ولها القرار.. يكفي فقط أن تتوقف تلك الدموع عن السيالان فكلما سقط المزيد منها يتألم أكثر..

اتجه نحوها ماسحاً دموعها بطرف إصبعه ولم كان هذا مؤلم بالنسبة إليها فدموعها تلك خائنة لا تستحق أن يمسه رجلاً مثله..

قال مكرراً:

- فريدة!

وأضاف:

- انتي كويسة؟

وهي لا تعلم بماذا تخبره ولا كيف تفسر له حالتها.. فقط أرادت الاعتذار منه عن كل شيء ففعلت..

- أنا أسفة..

ضمها إليه في حنان مؤكداً لها:

- محصلش حاجة..

سمعها تهمس:

- بحبك..

فأخبرها بعد أن زينت السعادة ملامح وجهه:

- وأنا كمان بحبك..

اقترب من شفيتها المرتجفة الخائفة من قبلته وقبلها بهدوء وتلك المرة كانت لا تمتلك حرية

الرفض ، قررت أن تتحول إلى شبح وتركت له الحرية بكل شيء ، حتى عقلها قد سأم
 من أمرها فباتت لا تفكر ولا تشعر ولا حتى ترى...
 نزع عنها غلالها الملعونة فتركزت رائحته بأنفها وللتواستفاقت..
 كان تود أن تصرخ به كي يبتعد عنها ولكن هذا هو المستحيل بعينه فرفضها له مرة
 أخرى معناها أن تتسبب بشرخ في علاقتهم لا يمكن بعدها إصلاحه..
 فلتموت هي بين ذراعيه لا يهم فليكن أن تموت في صمت دون أن ينتبه..
 المشكلة الآن تكمن في الخيال.. الخيال قاتل.. وبسبب رائحة عطره شعرت وكأنه هو
 وليس زوجها.. كل همسة وكل لمسة وكل قبلة كانت تحمل إليها حروف اسمه..
 والشيطان ماكر.. يزين ويوسوس ويعمي البصائر..
 منحها ليلة رائعة تحمل طيفه .. وهذا هو الإثم بعينه..
 وضعت يديها على فمها تكتم شهقاتها حتى لا تزعجه .. يبدو أن لم ينم طوال الليل فحاصرها
 من خصرها بتملك وذهبت هي معه إلى أحلامه..
 الخيال قاتل والواقع يدعمه والجريمة كاملة ووحدتها الجانية..
والتهمة خائنة...

الشتاء محفز للقلوب فكما انخفضت حرارة الجو التهب المشاعر.. علاقة عكسية ومع
 المطر تصبح الأمور أسوأ فالآن يشعر أن الشياطين تتراقص أمام عينيه منتظرة منه تقبيلها
 كما المعتاد بالأفلام الأجنبية..

صمتها يحفره وشففتها تتحول للأزرق وشعر وكأنها تتاجيه كي يمنحها قبلة الحياة وينقذها

من الموت..

اللجنة إلى أين ذهب بخيالاته معها؟

هل بدأ يشتهيها كي يثار لكرامته التي شعر أن فيروزه قد نالت منها الكثير أم أن ذلك بسبب رؤيته لها شبه عارية في وقت كان قاتل بالنسبة إليه فقلبه كان يأن وجعاً وبحاجة إلى من يداويه..

أياً كانت الإجابات لا يهم .. ما يهمه الآن هو سؤال واحد ..

أستكن الدواء له أم الدواء؟

حينها تدخل عقله كي يوقفه .. هي لن تكن أي شيء وربما يستيقظ غداً ولا يجدها .. هو حتى لا يعلم سوى اسمها..

مشاعره وقلبه وروحه ملك لشقراء ساحرة منحها إياهم منذ المرة الأولى التي رآها بها وهي طفلة لم تكمل عامها الثامن بالحياة بعد..

سألها بعد أن استشعر هدوءها:

- هربانة ليه؟

وحينها هي أجابته بسخرية:

- من الدنيا والناس..

وأضافت باقتضاب:

- مش قادرة أحارب أكثر.. جيت أرفع الراية..

سألها ببعض الحذر:

- مجروحة من الحب!

تلقائياً جاءت صورته أمام عينيها.. هو من كان زوجها ومنحته قلبها وروحها وهو بكل دم بارد مزق ذلك القلب أمام عينيها..

أجابته بمرارة:

- مكانش حب كان من الأول غرضه الغدر بس أنا اللي فهمت متأخر أوي..

- التجوز واحدة غيرك!

وأجابته بأكثر إجابة لا يتوقعها:

- التجوزني أنا..

عقد حاجبيه حتى التصقا ببعضهما البعض.. تلك الملامح البريئة لم يظن أبداً أنها لسيدة وليست فتاة عذراء.. ملامحها وعمرها وتصرفاتها لا توحى بأنها قد امتلكتها رجل يوماً ما.. أضافت:

- مثل عليا الحب وكل اللي كان في دماغه أن يطلع من الجوازة بقرشين..

أخبرها باشمئزاز:

- أوقع حاجة سمعتها في حياتي...

حينها ابتسمت ساخرة.. قصتها لا تعتبر شيء أمام حكايات أخرى ولكن من أين سيعلمها هذا الثري المدلل!

حينها داهمته هي بسؤال عليها تفهم شيئاً عن علاقته مع بشرى:

- وأنت هربان ليه؟

حرك رأسه لا إرادياً ثم قال:

- مش هربان...

أخبرته قبل أن ترحل ببطانيته:

- مفيش حد ييجي هنا إلا إذا كان هربان..

السعادة تقتضي بعض الجهد خاصة إن كانت مزعومة..

يكفيها أن تنظر لوجه أبيها القلق ولعيون أمها الحزينة كي تعلم تأثير تلك الابتسامة التي تفتريها على ثغرها عليهم..

هم لا ذنب لهم ولا أي مخلوق.. الذنب ذنبها وبسبب سذاجتها وحدها حدث لها ما حدث..

هي المخطئة وهي من ستتحمل الوزر دون أن تزعمهم أكثر..

كم الأمر شاق!.. كم هو مزيج ومرهق!.. أن تصطنع ما هو ليس بداخلك هو كالموت تقريباً..

دخلت غرفتها وتأملتها.. شعرت أن كل شيء عاد لطبيعته عداها.. انتبهت إلى بعض التغييرات الطفيفة بالغرفة ولم تعلق.. كانوا قد استبدلوا كل الأشياء الزجاجية بأخرى من البلاستيك وأما عن الأشياء الحادة قد اختفت تماماً.. يبدو أنهم خائفين من تكرار انتحارها والآن تشتهي بشدة أن تخبرهم أن الأمرين سيان.. موتها كحياتها وحياتها كموتها ولذلك لن تكررهما..

انتبهت إلى يد تجتذبها.. كانت فيروز.. احتضنتها بشدة بينما كانت تخبرها:

- حمد الله على سلامتك البيت كان وحش أوي من غيرك..

أومأت لها أسماً بابتسامة ممتنة.. لولا وقوفها جانبها ما كانت استطاعت التماسك وما كان

الطيب سمح لها بالعودة للمنزل..

استشعرت بشرى التجاذب البصرى بينهم.. هناك شيئاً قد تغير بعلاقتهم.. تقدمت هي

الأخرى مبعدة فيروز عن طريقها متعمدة ثم قالت بابتسامة عريضة :

- سيدهالنا شوية .. وحشتينا يا أسما أوي وقلقتينا عليكي..

واحتضنتها مرة أخرى رغم أنها كانت بالفعل قد رحبت بها .. ولكن تلك بشرى وتلك

طبيعتها طالما فيروز بالأمر هي نفسها لا تستطيع تخمين ردود أفعالها..

بعد يومين..

المطر اليوم يعانده.. يزداد ويزداد وكأنه ينعي جرح قلبه..

يذكره بما لم ينله...بعشقه الباكي المبتور ..

رائحة الأتربة الممزوجة بالمطر تذكره بعبير خصلاتها.. والأمر أصبح خطير.. شعر وكأنه

بعد ذلك سيهذي باسمها في أحلامه وربما كان يفعل الآن.. تذكر حياته قبل ثمان سنوات

.. كانت هادئة لدرجة مميتة وعندها أدرك أن تلك الحياة لا تخصه.. ترك عائلته المقيمين

بالرياض وجاء إلى القاهرة وحده ولم يكن ينوي أن يلتحق بالجامعة فقط بل كان يفكر

أن يؤسس حياته هنا.. بالكاد أقنعهم وبالكاد اعتادوا.. أخبرهم أنه لا يشعر أن تلك بلده

رغم أنه ولد بها.. شعوره بانتمائه لبلدة أخرى كان ينمو معه منذ الصغر.. لم يستطع أن

يتأقلم معهم رغم أنها فعلياً تعد بلده ولكن كان هناك شيئاً داخله يطالبه للعودة لبلده

الحقيقية..

ليته ما عاد..

ففي تلك البلدة جرح قلبه ليس مرة بل مرتان..
والقلب جرحه غائر لن يجد له علاج..
ربما الحل يكمن في الهروب..أو بالأصح العودة..
هناك ربما ينساها..يعود لطبيعته..ربما يحيا..وربما لا..
هناك عدة احتمالات ولكن جلوسه هنا معناها شيء واحد.. فقط الموت البطيء..
اتخذ قراره بلحظة ونفذه بيومين.. كل شيء جاهز.. جواز السفر والتذكرة والحقائب حتى
أنه يقسم أن والدته بدأت في تحضير المأكولات التي يشتهيها..
والتنفيذ غداً!

فقط تبقى شيء وحيد..شيء أصعب..
كيف بإمكانه أن يودعها!
هو لن يستطيع أن يخطو خطوة دون أن يصارحها بما في قلبه..
تهند.. المطريزداد وملابسه ابتلت تماماً بينما هو مازال يفكر..
أمسك هاتفه وقام بالاتصال بها ثم أخبرها سريعاً:
- فيروز أنا واقف برة.. ممكن تيجي شوية؟

الحقيقة تؤلم في البداية ثم بعد فترة تكتشف أنها صخرة بعد غفوة..
منذ يومان فقط ألفت تلك الرودينا الحقيقة بوجهه..
هو مجرد هارب..

اكتشف أنه يلوم حبيبته ويعاتبها وبالأخير قد تركها وحيدة تواجه نارهم..
 كما أخبرته من قبل .. هو يظل يعاقبها على ذنب لم تقترفه ويطالبها بما هو خارج مقدرتها
 مع أن الحل كان أمام عينه..
 قرر.. لا هروب بعد اليوم وربما إن اقتضى الأمر يهرب بها..
 سافر إليها رغم شدة الأمطار وسوء الطقس ولكن عشقه لها يطالبه بعدم الانتظار أكثر
 وإلا ربما سيضيع منهم للأبد..
 هي تعشقه وهو واثق من ذلك ولكن كل الأمور تتعكس معها..
 هو يقدر علاقتها بأبيها ولكنه لا يقدر رفضه له ولا رفض أبيه لها..
 ربما الأمر يتطلب مغامرة.. قد تفلح وقد لا ولكن من الغباء أن نضل في انتظار خطوة..
 ذهب إلى منزلها بعدما حدثها ولم تجيبه .. اقترب أكثر وتوقف عندما وجدها .. كانت
 خصلاتها معقوفة خلف رأسها تقف تحت المظلة وما يظهر منها في الظلام هو فقط
 ذلك الدخان الأبيض الذي يخرج من أفواهنا في الليالي الباردة..
 اقترب أكثر وللتو انتبه كانت تقف مع رجل موليه ظهره ولم يتبين ملامحه بعد ولكنه قد
 سمعه يخبرها:
- أنا بحبك..
 وكأن بعدها الأرض اهتزت بثلاثتهم أم أنه هو من يتخيل ذلك..

خاطرة

هل تسأليني ؟ !!

عن حنيني ..عن جنوني!

عن حب ملعون اقتحم حصوني..

عن عيون بسحر الفيروز أسروني..

عن سلاسل ذهب صافي قيدوني..

عن شغف يعزف على أوتار سكوني..

ماذا أقول !!!

لجواب سؤالك عشق تفيض به عيوني..

شهد ساكن بين جفوني..

قلب نبضاته تكشف مكنوني..

في خيالات العشق تفاصيلك..

في أحلامي يطاردوني عيناك..

شفتاك ..وااااه من شفتين يثيرا جنوني..

بأعذب همس بسكون الليل يناجوني..

فأذوب فيك وأتناسى غضبي وشجوني..

أما قانون العشق حين أراك يأمر عيناى أن يفضحوني..

شفتي أن يخونوني..

وفي قانوني.. أنتِ أنثى يجاهد قلبي ليرقُ بها عن فوضى ظنوني ... فأريحي قلبك واهدأي
فعشقك نيران تكويني..

اختارك قلبي مليكته وأعلم أنك لن تختاريني !!!
فاعلمي قبل أن أرحل وللرحيل تتركيني..
أني وهبتك حياتي...لكني بها لن أجبركِ أن تكوني...

ياسر

اهداء الرقيقة أماني عبد العظيم

الفصل الثالث عشر

الهروب مسكن مؤقت .. قد يحل المشكلة وقد تتأزم أكثر وقد يتطلب الأمر عملية
استئصال..

وهذا ما قرر هو أن يفعله..

عندما لا يجلب لنا القلب سوى المتاعب من الأفضل أن نقتلعه من صدورنا ونضع
مكانه حجراً حيث لا نبض ولا شعور ولا ألم..

انتبه لها للتو .. كانت تقول :

- ازيك يا ياسر..

وأكلت بسؤال حتمي:

- خير قلقتني .. حصل حاجة؟

ابتلع ريقه عدة مرات حتى جف حلقه تماماً وازداد معدل ضربات قلبه لدرجة وكأنها باتت مسموعة للجميع .. قال لها بعد أن وجد أنه لا مفر :

- كنتي سألتيني سؤال من كام يوم..

وأضاف:

- لو لسه مهتمة تعرفي أنا جاي انهاردة عشان أجابوك..

ثم قال بعد لحظة صمت :

- أنا بمحبك..

حينها تلونت خدودها للأحمر رغم برودة الطقس ولكن حرارة مشاعره قد أشعلت ناراً في الأجواء ولم يحدث معه وحده ولا هي فقد كان هناك شخصاً آخر شاهد على الموقف وكان الغضب قد جعل منه قطعة حطب تحترق ولكن .. بهدوء..

لم يرد أن يشعر به أحد ولم يتحرك من مكانه خطوة .. لا يعلم لم تسمر هكذا ولم تجمعت كل حواسه على مراقبة شفيتها ولكن مؤكداً أنه ينتظر إجابتها..

اختبار لم يخطط له ولكنه ينتظر نتيجته ..

قال ياسر :

- أنا مش بقولك كده عشان منتظر منك أي مقابل.. أنا عارف أني مليش مكان جواكي..

وأكمل وكان الجزء الأصعب عليه:

- أنا مسافر بكرة...

لم تتحرك شفيتها ولم تخرج منها ولو نصف كلمة رغم أن الكل في انتظار جوابها عليه

ولكن في المقابل عينيها كانت تنزف من الدموع ما يعادل ما يسقط من المطر حولهم ..
 مهلاً .. دموعها ليست بخائنة كما شعر عادل ولا هي بمُشفقة كما شعر ياسر..
 هي فقط تمتلك من الرقة ما يجعلها تشعر بأنين قلبه ومن الرهف ما يحملها المسؤولية ..
 هي مذنبه عزفت على قلبه مقطوعة ألم..

وهو سيرحل فالنجاة والحياة في البعد عنها..
 والأهم أنه بفترة قصيرة قد أصبح مهماً بحياتها ولا تريد رحيله حقاً..

هو يفهمها دون حديث.. يقدرها.. معه لا تتوقف عن الضحك.. مرح لدرجة مسلية
 وجاد لدرجة مدهشة.. تركيبة غريبة لم تقابلها من قبل.. صحبتة رائعة و صداقته كانت
 إضافة لها ولكن قلبها ليس ملك لها..

فهي لا تستطيع أبداً أن تمنحه ما يريد..

كانت تجيبه بالدموع ولو تعلم أن تلك الدموع قاتلة له لحبستها داخل عينيها..
 أعطائها محرمة ورقية بصمت فقالت هي بعد أن هدأت قليلاً:
 - مش عارفة أقولك إيه .. أنا أسفة..

أشار لها بيديه كي تتوقف.. هو لا يريد الأسف ولا المواساة.. وحده سيلهم جراحه
 ووحده سيتعايش معها.. وحده سيأمن قلبه ووحده سيعيش على الأطلال..
 وحده سيخرج عن الإطار ويمنح للعاشقين ابتسامة سعيدة..

قال بصوت متحشرح جلت فيه بحة صوته وكانت مع هدوء الليل قاتلة:
 - أشوف وشك بخير..

وبعدها لم يرى وجهها ولم يودّع ملاحظتها فقد كان من نصيبه لكمة على وجهه لا يعلم من أين أتت ولكنها طرحته أرضاً..

صرخت حينها فيروز قائلة:

- عادل انت اتجننت!

لم يتلقى الرد فقد عادت له اللكمة لكمتين..وبعدها اشتباك.. وتطور الأمر لدرجة مخيفة كانوا وكأنهم يتقاتلا في حرب ضروس.. أحدهما بدأ والثاني يرد ..

البقاء للأقوى والفائز سيهرب بالأمية..

قالت فيروز بنبرة مرتفعة عليهم يسمعوها بينما شلالات الدموع كانت قد بدأت بالتساقط من جديد وللتو انتبها لها ولوجودها من الأساس:

- بس كفاية هتموتوا بعض..

ورحلت للداخل غاضبة ومن داخلها تتمنى أن يرحلها قبل أن يشعر بها ساكني الفيلا المجاورة..

ركض عادل ولحق بها بالكاد بينما يأسر كان قد اتخذ الاتجاه المعاكس نحو بوابة الفيلا متمنياً داخله أن يرحل الآن..

فالغد أصبح بالنسبة إليه من أبعد ما يكون..

أمسك بها ولكنها تملصت .. طاقة الغضب كانت تشكل شرارات تخرج من عينيها وموجهة له وحده.. كم يعشق تمردها.. جنونها.. يعلم أنه من الصعب أن يحتويها بتلك

اللحظة ولكن ذلك يمنحه الرغبة في امتلاكها أكثر..

هي ليست من النوع الذي يرضى بكلمة أو يذوب بقبلة.. إذا أزعجتها فلتتحملها حتى ترضى..

أوقفها مرة أخرى محتضناً إياها بقوة لم تستطع مقاومتها.. قالت له دون أن تنظر لوجهه:
- سيبي..

وأجابها هو بكل هدوء محاولاً أن يحتوى شراستها:
- مقدرش..

قالت له زاعقة:

- عادل سيبي بقولك..

فأبعد يديه عنه قليلاً مما مكنها من دفعه ثم أخبرته بلوم:

- كنت واقف من بدري صح..
وأضافت:

- سمعت كل حاجة واستنيت ردي وبعدين جيت تعمل شو وتعيش دور الغيرة مش كده..

قال عادل مصدوماً من كلامها:

- لأ.. أنا صحيح كان عندي فضول أسمع ردك بس أنا مفكرتش...

قالت فيروز مقاطعة إياه:

- وبما إني نجحت في الاختبار ممكن تمشي..

قال عادل بعد أن بدأ صبره ينفذ:

- فيروز افهميني.. كنتي متوقعة مني إيه وأنا بسمع واحد بيعترفلك أنه يحبك.. اتفاجئت..
قالت فيروز بغضب:

- عادل بليز أنا مش قادرة أتناقش معاك دلوقت.. وبعدين مش فاهمة ليه هجمت عليه
بالشكل ده ؟

كررها عادل مستنكراً:

- ليه!

وأكل بعد أن نظر لعينيها التي كانت متعلقة بها بقايا دموع:

- ليه.. عشان بحبك وبغير عليكي ومستحملش اسمع حد غيري يقولهالك.. وأكل متسائلاً
وعينه تحمل بعض اللوم :

- إنتي بقا فهميني ليه الدموع دي؟

قالت له قبل أن ترحل من أمامه:

- حتى لو شרכתك عمرك ما هتفهميني.. تصبح على خير يا عادل..

ماذا تقول وكيف تشرح!

هل تخبره أنها حزينة على رحيله!.. هل تخبره أنها غاضبة من نفسها لأنها قد كسرت
قلب دون أن تنتبه وذنبه الوحيد أنه أحبها حقاً..

وهل هذا شيء يقال!

الرجل غريزياً لديه حاسة التملك والمرأة عليها أن تتعامل معها بذكاء..

لا بد أن تشعره أنه الأول.. وحده مركز الكون وبدونه تتوقف الحياة..

كيف تخبره أن النبرة الداكنة التي غلفت صوته بينما يخبرها عن مشاعره تجاهها قتلها
وكيف تخبره أن الحزن الساكن مقلتيه لامس شيء داخلها!

مجرد تعاطفها معه يعد جريمة وهي ليست غبية كي تجلب لها مشاكل لا حصر لها..

لم تجيبه ولن تفعلها والآن باتت تفكر.. تقيد حسابها بدقتر وبجانبه العقاب..

هل أعطته أملاً دون أن تشعر!

هل أخطأت لأنها تعاملت معه بعفوية شديدة ودون حذر؟

وضعت يديها على رأسها مناشدة إياه بالتوقف..

فليرحل بعيداً هكذا أفضل له ولها..

الأيام خير ترياق للقلوب والنسيان منحة مجانية للجميع..

سينساها يوماً ما كما ستنسى هي نظراته لها اليوم...

فطور ملوكي..

بان كيك، شراخ جبن ، خبز محمص، بيض بالخضروات وقهوتها المفضلة..

فتحت عينها ببطء على صورته وهو يحمل لها صينية الفطور.. اعتدلت متناسية ألم رأسها

القاتل ثم قالت مبتسمة:

- إيه ده كله؟.. صباح الخير..

وضع الصينية على قدميها قائلاً لها بعد أن أهداها قبلة على خدها:

- صباح النور يا كسلانة..

تأملت هيئته.. حلة كاملة ، ربطة عنق، حتى حذاءه قد ارتداه بالفعل.. قالت له متسائلة:

- مش هتفطر معايا؟
- أخبرها بعد أن مسح يديه على شعرها:
- عندي اجتماع مهم..
- وقال لها بعد أن منحها قبلة سريعة:
- عارف إني مقصر معاكى وإن نفسيتك تعبت ..
- وأضاف:
- اعملي حسابك بليل هنتعشى برة ..
- أومأت برأسها دون أن تتحدث فوضع لها قطعة خبز بفمها بينما يقول:
- خلصي فطارك كله..
- نادته قبل أن يرحل:
- إبراهيم..
- نظر لها فأبعدت عينيها عنه ثم أخبرته:
- تسلم إيديك.
- عاد إليها يسألها:
- كنتي عاوزة تقولي حاجة؟
- أخبرته بدورها:
- بليل ..خليها بليل..

ما نحاول أن ننساه في صحننا يطاردنا بقوة في أحلامنا..

معضلة..

هي الآن ترى نفسها تزين أمام المرأة.. حائرة بخصلاتها هل تعيدها للخلف أم تطلق سراحها ..

أم أن هناك فكرة أفضل؟

فكرت وقررت.. ستجدها.. هو أخبرها من قبل أن الجديدة تليق بها..

وضعت أحمر شفاهها الوردي وحملت حقيبتها وركضت على الدرج..

استقلت سيارتها السبارك الحمراء حتى ذهبت إلى منزلها المستقبلي..

كان بيت خشبي على الشاطئ كما تشاهد بالأفلام الأجنبية ولا توجد منازل أخرى قريبة

بتلك المنطقة.. وحده يعانقه البحر ويمنحه هدوءه ورائحته الممتعة.. دخلت للمنزل بهدوء

ولم تعلم لم شعرت بالدفيء هكذا ولم اشتمت رائحة الحطب المشتعل رغم عدم وجود أي

شيء من هذا!

ربما لأنها تعشق ذلك المنزل وربما لأنه سيكون عش غرامها المستقبلي..

أحلاماً وردية اكتملت مع خاتم زواج أهداه إياها الفارس راکعاً ..

منتهى الرومانسية ومنتهى الخيال..

فتحت العلبة الحمراء وكانت ستخبره بدموع صادقة أنها موافقة أن تكن زوجته ولكن لم

يكن هناك خاتم .. كان بالعلبة ثعبان!

انقلبت ورديتها عليها.. وتحطمت الأحلام..

صرخت عليها تجدد من ينقذها حتى بح صوتها ولم تجدد.. استسلمت وانتظرت حتفها فقد

كان الثعبان لدغها بالفعل.. انتفضت من نومها وصورة ذلك الثعبان المخيف لم تخرج من

مخيلتها بعد.. وضعت يديها على صدرها محاولة السيطرة على ضربات قلبها ولكن الذعر الساكن ضلوعها الآن لم يمكنها..
 بكت بحرقة وكأنه كان حقيقة..
 ولكن ألم يكن بحقيقة!

ألم يلدغها الثعبان! ألم تقتل بسبب ورديتها الحاملة!
 ألم ينل منها بسبب سذاجتها!

بعض الأحلام تصور حقائق وهي ترى حقيقتها كل مساء..
 نهضت من على سريرها متجهة لحمامها الملحق بالغرفة.. قامت بغسل وجهها عدة مرات ولكن دموعها لم تنازل وتوقف عن السيلان.. مسحت وجهها الشاحب بالمنشفة ونظرت إلى الساعة وجدت أنها لم تتخطى الثامنة صباحاً بعد..
 البيت ساكن والجميع نيام ووحدها تصارع الثعبان..
 ذهبت باتجاه المبرد باحثة عن كوب ماء يروي ظمأها الشديد.. فتحتته ووجدت أمامها طبق فراولة طازج.. أمسكته بيديها وتناولت واحدة تلو الأخرى ولم يكن اشتهاً بل هروب.. أي شيء يغطي على مرارة العلقم الذي يلزمها على الدوام..
 بتلك اللحظة ظهرت لها بشرى وكان من الغريب فهي تعد كسولة المنزل، عادة تستيقظ الثالثة عصراً ولكن على ما يبدو أنها لم تتم بعد..

قالت لها بشرى :

- أسما .. خدي بالك بدأ وزنك يزيد ..

والأخرى لا تعلم كيف تجيبها.. أضحك أم تبكي أم تصرخ بوجهها..

حاولت بشرى أن تأخذ الصحن من يديها ولكن أسما تمسكت به حتى سقط على الأرضية بالأخير متهشماً وبعدها تناثرت قطع الفراولة في الأجواء..
بكت أسما بشدة ولم تفهم بشرى ما يحدث ولكن حالتها تلك جعلت بعض الدموع تنسل لعيونها هي الأخرى..

قالت لها بنبرة مرتعدة بعد أن اقتربت منها أكثر:

- إيه مشكلتك؟ أحكي وهنلاقي حل..

ابتسمت أسما رغماً عن دموعها.. لقد تكررت تلك الجملة على مسامعها كثيراً تلك الفترة..
وفي النهاية .. لا أحد يحل..

هي تصارع الثعبان بصحوها ومنامها ولا تجد من يبعده عنها..

ركضت نحو غرفتها وأغلقت عليها الباب..

فليأكلها ذلك الثعبان ولينتهي الأمر..

منذ أن عادت أسما للمنزل وهي تفكر وتفكر.. ماذا بإمكانها أن تفعل وكيف ستقوم بحل ذلك الأمر بمفردها؟

إن أخبرت أي شخص ستكون قد خانت العهد .. حسناً لن نخونه... ولكن إن لم يساعدها أحد كيف ستحلها!

فكرت في أن تستأجر شخص يجمع معلومات عنه .. معها اسمه ورقم هاتفه وقد تأكدت

أنه غير مزيف فعلى يبدو أنه لم يحاول أن يخفي هويته وقد ترك كل الطرق مفتوحة

أمامهم.. لا تعلم لم ولا تمتلك تفسيراً ولا تعلم إن كان غباءً منه أم أنه يعتمد ذلك ..

ولكن ليس مهما فالمهم الآن حتى إن وصلت إليه ماذا ستفعل معه؟
 لا حل لديها سوى أن تخبر إبراهيم ..
 هو أخيهم ووحده من سيتستطع أن يحلها..
 أمسكت هاتفها متصلة برقمه قبل أن تفقد شجاعتها..
 قالت له:

- صباح الخير..

أخبرها بعد أن انتظرت معه بعض الوقت على الهاتف:

- روز صباح الفل..

- شكك مشغول..

- عندي اجتماع وفيه حاجات كنت بمضيها.. بس قولي أنا معاك إيه اللي فكرك بيا
 الصبح كده؟

هو هكذا ولن يتغير.. يفهمها دون حديث ومهما حاولت التجميل لن يفيد..
 أخبرته مباشرة:

- مش عاوزة أعطلك عن الاجتماع.. فاضي بليل!

نظر لساعته.. هو غالباً لن يخرج من الشركة قبل الثامنة.. اليوم جدوله مزدحم ولا مجال
 لتأجيل مواعيده..

هناك صفقة حديد يود أن ينهيها سريعاً دون أن يسبقه إليها منافسيه وهناك فريدة أيضاً..
 لقد وعدّها أن يسهرها سوية اليوم ففي الأيام الماضية لم تعجبه حالتها .. باتت كثيرة الشroud
 ونفسيته ليست أبداً على ما يرام..

هو أهملها كثيراً ولن يزيدها.. لن يبتعد أكثر ويخسرها..
ولكن فيروز أيضاً تبدو بحاجة!!
سألها:

- قلقتيني حصل حاجة؟
- أخبرته كي يطمئن.. تعلم أنه إن شعر بشيء سيترك كل عمله ويركض إليها..
- لأ.. حابة بس أرغي معايا شوية .. وحشتني إيه غريبة!
- أجابها مبتسماً بعد أن اطمئن قلبه.. هاهي عادت مشاكسة من جديد..
- طيب يا مجنونة..أنا وفريدة خارجين بالليل.. هروحها وأعدي عليكي..
- تمام مستنياك..

بالمزمل شاردة..

وبالخارج أيضاً!

لا يعلم ما الذي يحدث معها ولا يفهم وهي لا تتحدث .. لا تشتكي من شيء ولا تتشاجر .. أصبحت قليلة الكلام وتلك ليست عاداتها وهوبات متأكداً من أن هناك شيء يزجها ..
تمنى أن يكن العشاء على أصوات الموسيقى تغيير جيد لها وبداية جديدة لهم.. ربما ستخبره عن أي شيء قد فعله بحقها وينتهي الأمر باعتذار ولكن انحراف السيناريو عن المتوقع..

مازالت صامته وقد شعر وكأنها مرتبكة.. تهرب من نظراته لها.. الأمر بات مخيف
وباعث للقلق..

أمسك قائمة الطعام بينما عيناها تتابعها.. سألها:

- اختارتي إيه؟

قالت له في حينها:

- اطلبلي زيك..

أشار للنادل ثم أخبره:

- اتنين ستيك مشوي ..

سأله النادل:

- وتحبوا تشربوا إيه؟

نظر لها إبراهيم ثم أخبره مبتسماً:

- اتنين برتقال..

ثم أخبرها بعد أن رحل بعيداً عنهم:

- من شهر العسل مشربتهوش..

صمتت فجأة وسكنت ملامحها..

ماذا يفعل! ألا تعلم أن حنوه هذا الزائد يُصعب من الأمر.. لقد عزمت على أن تصارحه

بكل شيء .. تخبره أنها قد أحبت قبله.. عن مروان وعن مطاردته لها..

ولكن الأمر في غاية الصعوبة..

لا تعلم كيف ستكون ردة فعله وكيف بإمكانه أن يتقبل كلاماً كهذا..

سألها:

- فريدة مالك في إيه! بقالك فترة متغيرة..

توقفت الكلمات في حلقها وشعرت كأن فيها قد وضع عليه قفل حديدي..
الحديث عن الماضي ثقيل وهي تعلم أنه لن يتقبل.. سيتهمها بالكذب وسيظل أي تصرف
منها تحت المراقبة..

ستدخل جهنم الغيرة بقدميها..

ولكن إن استمرت معه هكذا ستفقد عقلها.. يا إلهي ماذا تفعل؟
قالت له بعد أن بدأت الدموع تتجمع في عينيها:
- إبراهيم ممكن توديني عند ماما.. محتاجة أقعد مع نفسي فترة..
عقد حاجبيه باستغراب ثم سألها:
- ليه؟

ابتلعت ريقها وتنهدت.. هي لا تستطيع أن تصارحه بما هو في داخلها ولا تستطيع أن
تواصل هكذا.. الهدنة هي الحل وفي ذلك الوقت عليها أن تختار.. إن كانت تود أن تستمر
مع إبراهيم عليها أن تحي الماضي وإن كان شبح الماضي أقوى فلتنفصل عنه ولا تظلمه
معه..

قالت مبررة وكانت تكذب:

- إبراهيم أنا حياتي اتغيرت فجأة ، حاسة إني وصلت لمرحلة بقيت فيها مش لاقية
نفسي.. فريدة الطموحة الناجحة اللي كان شغلها عندها رقم واحد ومحددة أهدافها
اتغيرت بواحدة ثانية متعرفش هي مين وعاوزة إيه..

أخبرها إبراهيم على الفور:

- مكانك في الشركة موجود لو..

قاطعته فريدة:

- مش كده .. أنا محتاجة أقرر عاوزة إيه الأول..

سألها بلوم:

- وده مش هينفع هتعمله وإنتي معايا!

صمت وهو لم يعلق أكثر..

هي بالأساس تهرب منه.. من نظراته.. من عشق تعلم أنه يكنه لها.. ومن خيانة ترتكبها
كلها يقترب منها..

ظلا يتبادلان النظرات طوال السهرة دون حديث .. لم يجد كلاهما شهية للطعام .. كان
إبراهيم يعبث بطبقه بينما عقله قد تزاومت فيه الكثير من الأسئلة.. أخبرها بالأخير:
- كلي أكلك عشان أوصلك...

انتهى من كل شيء..

جمع حقائبه ووضعها أمام الباب ثم ألقى نظرة أخيرة على مقابس الكهرباء والغاز، شرع
بتغطية كل شيء بملاءة بيضاء ثم سكن بمكانه متأملاً المكان.. حينها أخبره صديقه "
صديقي" ..

- مالك يا ياسر .. أنا حاسس إنك بتودع الشقة ومش هترجع تاني..

أخبره ياسر قبل أن يأخذ جاكيتته ويضعه على يديه:

- يمكن..

أمسكه من يديه قائلاً له بلوم:

- ياسر أنا لحد دلوقت مش مقتنع بفكرة السفر المفاجئة دي.. فكرت هتعمل إيه هناك!
ولم يعلق ياسر فقط أغلق الباب وأمر حارس العقار أن يقوم بنقل الحقائق إلى السيارة..
اقترب منه صدقي مرة أخرى بينما يقول بإلحاح :

- ياسر جاوبني..

قال ياسر ساخراً:

- هروح أشوفي أي كفيل يشغلي..

أخبره صدقي بجدية :

- أنت بتقضي أجازاتك هناك بالعافية.. إيه اللي حصل في يوم وليلة خلاك تغير رأيك!
وضع ياسر حقائقه جميعها بالسيارة ووقف أمام صديقه بينما يخبره:

- صدقي كده أحسن..

وأضاف:

- أشوف وشك بخير..

أخبره "صدقي" بعد أن نظر للساعة:

- لسه فاضل أربع ساعات مستعجل ليه كده!.. طب حتى خليني حتى أوصلك..

قال ياسر وقد بدا أنه في حالة لا تحتمل المزيد من الأسئلة:

- صدقي!

- خلاص خلاص أنا آسف..

وأحتضنه بعدها مستطرداً:

- هتوحشني يا صاحبي..

انتهى الشجار بنفس الليلة..

هو حادثها واعتذر لأنها محقة وهي قبلت الاعتذار لأنها من داخلها تعلم أن جنونه من عشقه وعشقه من جنونه..

واليوم حادثها .. طلب أن يلتقيها قبل أن يعود للساحل وهي وافقت على وعد أن تكن في المنزل قبل وصول إبراهيم..

كان الموعد في الساعة .. مطعم قريب من النادي قد اعتادا الذهاب إليه.. لم يكن المكان شديد الازدحام وهذا جيد فهي من النوع العاشق للهدوء كما أن ألم رأسها قد وصل لأقصاه آخر يومان..

ترجلت للداخل بينما عينيها كانت تبحث عنه بكل مكان .. أخيراً رأيته وراها.. كانت أناقتها محدودة بالمقارنة به ،ترتدي بلوزة بسيطة على سروال من الجينز بينما هو كان في كامل أناقته ..جاكيت من الجلد الفاخر على قميص وردي وحذاء أسود لامع، ينقصه فقط ربطة عنق وكانت ستأكد أنه سيتزوج واللييلة..

أخبرته مبتسمة بعدما جلست مقابله:

- مساء الخير.. تأخرت؟؟

أخبرها مشاكساً :

- هما الساعة إلا ربع بتوع كل مرة.

ألقته بالمنديل الذي كان بيديها وهو قهقهه ضاحكًا..
سألها:

- تشربي إيه؟

أجابته دون تردد:

- قهوة .. دماغي هتفرتك من الصداع..

ثم أضافت:

- عادل مش ناوي ترجع! أنا في بلد وأنت في بلد لحد امتي!

أخبرها عادل بدوره:

- أرجع البيت مستحيل.. مش قبل ما بابا يقتنع إني كبرت ومسئول عن قراراتي

ويطّل يتدخل في حياتي وده طبعاً شيء مستحيل حتى ميقاش مدحت الشهاوي..

تغيرت ملامح فيروز فقال لها بعد أن رسم ابتسامة على وجهه:

- بس أكيد مش هنفضل كده..

وأضاف بجدية:

- أنا أصلاً جاي من الساحل عشان الموضوع لازم يتحل..

تشابك حاجي فيروز بينما كانت تحاول فك شفرات كلماته.. باتت مشدوهة ومترقبة

للحديث وهناك شيء داخلها يخبرها أن حديثه هذا سيحمل مشكلة جديدة لا حل..

سأله بالأخير:

- مش فاهمة .. هيتحل إزاي!

اقترب بمقعده منها أكثر ثم أخبرها:

- نتجوز ونحطهم أدام الأمر الواقع..
وأضاف:

- إحنا بقالنا سنين مستنين على أمل أن الوضع يتغير بس صدقيني مفيش فايدة ،عداوتهم
مش بتخلص وعمرهم ما هيفكروا يتنازلوا عشاننا..
وقال بعدها مؤكداً:

- مفيش حل غير اننا نتجوز..أه هيزعلوا شوية بس في الآخر هيتقبلوا..
ثم سألها بعد أن أعطائها علبة حمراء بداخلها خاتم زواج:
- تتجوزيني ياروز!

الفصل الرابع عشر

و حين افترقنا
 تذكرت عينيك يوم التقينا
 وساءلت عطرك كيف انتهينا؟
 تذكرت فيكِ رحيل الغزاة
 وكيف تهاوت قلاع العيون
 ضممت الغزاة وهم قادمون
 بكيت الغزاة وهم راحلون
 و لكن قلبي ما عاد قلبي
 تغير منك تغير مني
 بقاياك عندي أسي..أو ظنون

و حين افترقنا
 تمنيت لو جاء صبح جديد
 يلهم أيامنا الساقطات
 تمنيت يا قبلي أن أعود
 كما كنت طفلاً برئ السمات
 تشردت في الأرض بين الليالي
 فأصبحت أحمل كل الصفات
 شباب و حزن..رماد ونار
 و طير يغني بلا أغنيات

أداوي الجراح بقلب جريح
أمني القلوب بلا أمنيات
فاروق جويده

بعض الكلمات تصفع وأحياناً تكن كالسهم تُصيب بمقتل..

وهو مازال يصفع ويصفع دون أن ينتبه لتلك الواجبة التي مازالت تحت تأثير الموقف..
كان يكمل ويخطط ويرسم أحلاماً وكأن موافقتها شيء بديهي لا جدال عليه ولا خلاف..

- خيلنا نتجوز ونبدأ حياتنا من غير أي تحكّات ولا أي فرمانات يدوسوا علينا بها ..
وأضاف بحالمية:

- ونعمل فرح .. عارفة نعمل فرح كبير.. احنا مش هنعمل جريمة نخاف منها عشان
نتجوز في الضلمة وصدقيني أما يلاقونا مُصرّين كده هيحضروا ومش هيقدرُوا يقاطعونا
كثير ولو اقترضنا أنه حصل أولادنا هما اللي هيحلوا الموضوع ..مش عاوزك تخافي.. عارفة
أنا واحد صحي اتخط في نفس الموقف ودلوقت أهله تقريباً كل يوم عنده عشان مش
قادرين يبعدوا عن أحفادهم وكان بقوا يعزوا مراته جداً واعترفوا إنهم كانوا غلطانين في
حقهم...و....

مهلاً عادل.. ما بالها صامته لا تتحدث!

تقريباً منذ ربع ساعة يحادث نفسه!

سألها بعد أن بدأت القلق في التسلل إلى قلبه:

- ساكتة ليه؟

هو لا يعلم.. هي تقريباً لم يصلها كلماته.. عقلها رحل لأبيها..
فكرت..

كيف تضعه بهذا الموقف؟

تخيلت نفسها تترك هذا المكان وتعود لأبيها كي تخبره عن قرار زواجها.. كيف سيكون
رد فعله؟ وكيف سيشعر؟
تُقسم أنها الآن ترى الدموع تتجمع في عينيه.. ترى خيبة الأمل تشكل ملامح وجهه وكأن
عمره قد زاد بلحظة..

كيف سيهن عليها؟ وكيف ستتسبب في إِنْحاء ظهره!
دمعت عيناها.. لم مشاعرها دوماً تكسرهما..

رغمًا عنها تفكر بالجميع قبل أن تفكر في نفسها ولأن لإرضاء الكل يعد شيء من الجنون
فهي دائماً ضائعة وممزقة بينهم..

نعم هي تعشق عادل.. تحلم مثله أن يجمعهم حياة وطفل في عشٍ دافئ وهادي.. تتمنى أن
تستقل بحياتها وتبدأها معه بهدوء.. تتمنى أن شعورها بالوحدة الذي يتفاقم مع الأيام
يختفي ويزول.. ولكن كيف ستفعلها؟

هي حتى لا تستطيع أن تعشقه بأريحية.. كلما تحدث معه وكلما تخرج لمقابلته تشعر أنها
خائنة لثقة أبيها.. شعورها هذا لا يجعلها تشعر بالراحة بأي تصرف يخرج منها بل جعلها
متوترة على الدوام..

هي تدرك أن سعادتها ستظل منقوصة طالما لم تكن موثقة بنخم أبيها وبمباركته..

شردت في حالها.. منذ سنوات تجاهد كي تحافظ على منطقة الحياء ، تطالب عادل

بالصبر، تحايل وتهادى من الأجواء وأحياناً تغضب وتبتعد ولكن الأمور بقيت عائمة دون حل..

ظل الجميع على حاله وموقفه فقط يقومون بجذبها في طرفهم حتى اقتسموها لنصفين.. ولكن عادل محق.. لا يمكن الاستمرار هكذا واليوم يبدو أنه يوم الاختيار.. أن تكن معه أو لا تكن..

الأمر غاية في البساطة بالنسبة لهم وغاية في التعقيد بالنسبة لها فهي في النهاية من ستخرج خاسرة..

أيها أم عادل!.. عادل أم أيها!

ياله من اختيار قد توقف قلبها لمجرد التفكير به..

وهو الآن صامت.. لا يتحدث ولا يصفع بأحلام.. عندما انتبه لصمتها قرر التوقف وبات في انتظار قرار..

وكلمة قرار بالنسبة إليها الآن حلم صعب المنال..

وضعت يديها على رأسها.. شعرت أن أفضل حل لذلك الموقف هو أن تبخر من أمامه.. تختفى.. تهرب من نظراته التي باتت ترشقها باتهامات..

تعلم ما يدور في خلده الآن..

معنى أن تفكر أنها لا تعشقه مثلما يعشقها هو.. أنها لست بالجرأة الكافية لتستحقه.. أنها جبانة وحتماً مخادعة لأن مشاعرهما كانت مزيفة..

لو كانت تعشقه لملت الفرحة مكان الدموع في عينيها..

لو كانت تعشقه لفعلت أي شيء كي يكونا سوية..

لو كانت تعشقه لكان اقترح الزواج خرج من فيها أولاً..
لكنت ابتسمت حتى..

وكان أبيها خارج الحسبة.. وكان تعلقها به مجرد فراغ..
العشاق يعيشون بملكوتهم الخاص فوق السحاب حسناً هي تعلم ولكن ماذا عن أهل
الأرض!

هو لا يعلم ماذا يمثل لها أبيها.. إن مرض ثأذى روحها وإن حزن يئن قلبها..
هو كان أبيها وكان أمها.. كانت وهي صغيرة لا يأتيها النوم سوى بأحضانه وكانت كلما
تحتاجه تجده أمامها دون أن تطلب ذلك..

هناك رابط روحاني بينهم لا أحد يفهمه ولا يمكن أن يفهمه..
وكانه منحها قلبه يوم وفاة أمها.. وكان مشاعر أبوته لها قد تضخمت ذلك اليوم..

توصلت لقرار.. نعم هي تعشقه ولكن أبيها سيظل فوق حدود المنافسة..

هي ابنة أبيها كما يخبرها .. هي غروره ونفخه ولن تهتز صورتها أبداً في عينه..

الغريب أن دموعها لم تسقط رغم أنها مازالت تتجمع في عينيها وعلى الرغم من صعوبة
الموقف عليها.. وكان هناك مجري داخلي لهم أو أنه غير مرئيين بالنسبة له..

قالت أخيراً بعد صراع طويل بين قلبها وعقلها..

- أنت عندك حق الموضوع ده لازم يتحل ..

وأضافت بحسم:

- أنا ببك بس مقدرش.. مقدرش أعمل كده في بابي.. صدقني حتى لو عملت كده
عمري ما هكون سعيدة وأنا معاك.. مقدرش أدوس عليه وأكل وكان مافيش حاجة

حصلت..

ومازالت تتحدث وكأن حان دورها كي تصفع والآن ستقتل..

- وصلنا لطريق مسدود.. حاولنا ومنجحناش..

وحينها فرت الدموع من جحيم عينيها رغماً عنها وحشجة صوتها باتت واضحة وضوح
شمس الظهيرة..

- أشوف وشك بخير وأسفة بجد على كل حاجة..

وأضافت وكان الأصعب عليها قبل أن تكون عليه..

- بتمالك السعادة مع واحدة تستاهلك أكثر مني..

وكانها مزحة

هكذا أنهت كل شيء ببساطة ورحلت ..

وكانه قد التقاها البارحة...

أين ذهب العشق ومتى تبخرت الأحلام!.. هو لا يعلم فإزال لم يستوعب بعد..

العشق بات وهم والأحلام باتت سراب وما تبقى هو مزيج من مشاعر مختلطة.

دهشة..

غضب..

وجع..

خيبة وحسرة..

لا يشعر بقدميه الآن التي تحمله ولم يدرك انه قد استقل السيارة إلى وجهة لا يعلمها..

كل ما يعلمه أن عشق الطفولة قد انتهى بلحظة..
وبقرار منها..

في زيارة الطبيب فائدة
وهي علمت ذلك اليوم..
منذ أن استيقظت وصورة ذلك الثعبان لم تفارق مخيلتها وعينيها قد انتفخت من كثرة
البكاء..

والبكاء يجذب بكاء حتى أصبح الوضع لا يحتمل..
وهذا ليس اليوم أو البارحة بل أصبح هو المعتاد..
رعدة يديها باتت تلازمها مؤخراً ووهن عام مسيطر على جسدها وألم رأسها تقريباً لا
يتركها..

وعن كوايبها التي لا تنتهي فحدث ولا حرج..
وهو يخبرها بابتسامة أن الأمر طبيعي..
ألم أخبركم أن في زيارة الطبيب فائدة!
وحده يعطيها الأمل.. وحده يخبرها أنها تمر بمراحل طبيعية وبعدها ستشفى..
حسناً لم يذكر الشفاء بل لم تخرج من شفثيه سوى كلمة " الأمر طبيعي " ولكنها كالغريق
تبحث عن أي ذرة أمل..

هي فقط تريد أن تستيقظ وتجد الوجد التي استقر داخلها قد اختفى..
تتمنى أن تصاب بفقدان الذاكرة ..

تشتهي وصفة سحرية تجعلها تنسى ما حل بها وإن تذكرت تتحمل..
وهكذا أخبرته وهو ابتسم ابتسامة نصفها تعاطف ونصفها إعجاب وداخله يؤكد أن تلك
الصغيرة لا تستحق ما تعيشه أبداً..
أخبرها بخنو:

- واطي على الجلسات ده علاجك الوحيد.. هي بتكون صعبة في أولها بس بعد كده
تهتسي انك خارجة من هنا خفيفة وكأنك بتسيبي هنا كل الحمل اللي جواكي..
وأكل بعدما قام بإمساك دقتر ملاحظاته:

- تحبي تتكلم عنه؟

أجابت بالنفي عدة مرات بعد أن اشتعلت عيناها ببعض الدموع..
سمعته يقول:

- زي ما تحبي ..

وأكل متسائلاً:

- اوصفيلي حاسة بآيه دلوقت؟

ما أصعب هذا السؤال.. ظلت تبحث في قرارة نفسها عن إجابة.. شردت وصمتت
وتلعثمت ثم بالأخير أخبرته:

- بالوحدة.. وحاسة إني جوايا غضب من نفسي.. من أسما..

أخبرها :

- طب خيلنا نقسمهم ..الأول كلميني ليه حاسة بالوحدة؟

الطبيب يبحث عن الأعماق.. يبحث عن الدواخل.. هو ينبش في قلبها بعصاة.. وهي

تحدث معه عن أشياء لم تخطر ببالها..

- هو الوضع مش جديد.. يمكن أكثر حد قريب ليا في البيت ماما لكن ..

أصر على أن تستكمل فما بعد لكن عادة يكن غاية في الأهمية..

- لكن إيه؟

- مش عارفة .. علطول بمحاول دائماً أخبي مشاكي عنها وعن الكل وساعات بحس أن

كل واحد ليه حياته وأولوياته وإن اللي هقوله هيكون شيء تافه بالمقارنة بيهم..

أخبرها:

- مش يمكن ده يكون في خيالك انتي وبس؟

صمتت لتفكر ثم أخبرته:

- مش عارفة.. يمكن..

سألها:

- طب خيلنا نروح للجزء الثاني من كلامك ليه غضبانة من أسما؟.. بتحملي نفسك سبب

اللي حصل؟

أومأت برأسها دون حديث فسألها:

- ليه؟

قالت بعد أن تساقطت لؤلؤتين من عينيها:

- طول عمري بثق في الناس بسرعة .. قلبي وعقلي مش يشغلوا مع بعض..

واستطردت بآلم:

- أنا السبب في كل اللي حصل مش حد ثاني..

عادت من الخارج ببعض القوة..
وتلك فائدة أخرى للطبيب قد اكتشفها اليوم..
كانت طوال طريق العودة تستنشق الأوكسجين بقوة وتملاً به رئتيها وكأن هكذا لن تجد
الهموم مكاناً داخلها..
تذكرت جلسة اليوم.. لم تفهم كيف ظلت تتحدث هكذا وكأن عضلة لسانها كانت تعمل
لا إرادياً.. حتى أنها بالأخير حدثته عن مروان.. عن تعارفهم .. وعن الحب الذي كانت
تحمله له..

بالحديث تنكشف الخبايا وتطفو الحقائق ..

لقد كان من البداية غامض معها.. يتلذذ بقهرها.. يعتمد مضايقتها
كان بعدها يصلحها بكلمة وكانت ترضي ..
عشقها له أعمها عن الكثير واليوم علمت أنها كانت حمقاء أكثر من اللازم..
الآن تشتهي رؤيته.. أن تسأله لم نحرها ببرود ولم قضى على حياتها باستمتاع...
لا .. هي لا تريد رؤيته.. تود قتله.. فبعد أن تقتله ربما النار التي تشتعل في صدرها تنطفئ
وتستطيع التنفس والعيش من جديد..
رن هاتفها في تلك اللحظة .. نظرت إلى شاشته رقم آخر غير معروف لها..
منذ عدة أيام تأتيها عدة اتصالات وهي لم تفكر أن تجيب ..
ولكن اليوم أجابت..
- ألو..

خرجت منها بكل تردد العالم وبكل خوفه.. كان صوتها يرتعد وكانت بحته واضحة.. كأن الألم الذي بداخلها والقلق والخوف والوجع والحزن قد اقتسمتهم على ثلاثة أحرف.. والطرف الآخر كان صامتاً.. فقط كانت تستمع لأنفاسه المنتظمة.. أنفاسه التي جعلتها تلقى الهاتف من يديها وجعلت قلبها يود القفز خارج حدود صدرها صارخاً بالنجاة.. جلست مكانها واسندت ظهرها على حافة سريرها.. تأملت وجهها الشاحب بالمرأة التي أمامها وتشابكت أيديها رغبة منها في أن تقلل من شدة ارتجافهم.. عقلها ظل يعمل كالساعة ويؤكد لها شيء واحد..

" أنه هو .. مؤكداً هو "

منذ عدة أيام كان قد رآها بمنامه.. هي شقيقته.. حسناء.. وكانت غاضبة منه.. لم تتحدث معه ولم تنظر لوجهه.. بمجرد أن حل الصباح ارتدى ملابسه وخرج مسرعاً إليه.. جلس حتى الظهيرة أمامها.. بكى على قبرها.. شرح لها وطلب عفوها..

هي فقط من تذيب دموعه المتحجرة بكل سهولة وهي فقط من توقظ مروان الحنون من رقدته ..

مروان قبل أن يتشوه..

تأمل نفسه.. بعد وفاتها كان قد تحول لشخص آخر تماماً.. شخص ناظم على ظروفه وحياته وبلده.. شخص عابث..

ظل هكذا لعام ونصف تقريباً.. ضائع بلا وجهة.. عقله وكأن قد تعطل عن العمل
وكانهم استبدلوه بخردة..

لقد كان نائماً في بحور من العسل ..
تائهاً حد العبث..

هائماً في الدنيا بلا رغبة وبلا هدف..
ينتظر الصفعة التي ستمنحه بداية وأملاً يشتب به كي يحيا بسببه ولأجله..
مرت الأيام ومنحته الحياة أروع صفعة ولكنها لم تمنحه الهوية كما تمنى
بل زادت حيرة وتخبط .. وعبثاً على عبث..

وصفעתه كانت فريدة..

حقيقة أحبها.. تعلق بها بشدة.. شعر وكأنها تعويض القدر عن ما فقده..
ظن أنها ترياقه وبلسم جروحه وبعد فترة اكتشف أنها من أسرعت من حتفه..
دمرته .. فاضلت وأختارت الأقوى.. اختارت المال والجاه والنفوذ وتركته هو المفلس
عديم الحيلة..

وهو الآن يتأرجح بين الماضي والحاضر..
منذ أن عاد من قبر شقيقته لم يخرج من غرفته تقريباً.. يفكر بحمقاءه مستشعراً كبر ذنبه
..انتقم منها بقسوة وكل ذنبها أنها صدقته.. ويفكر بفريدة والغريب أنه يحاول أن يمتدح لها
أعذاراً..

مهلاً.. هل داهمته صحوة ضمير؟ أم أن ذلك بسبب زيارة شقيقته الغاضبة منه؟
والآن يجلس على حاسوبه بملل واضح وفي نهاية الأمر وجد نفسه يجمع صورة فريدة وأسما

بصورة واحدة..

يتقاسم نظراته بينهما وتلقائياً يديه امتدت على شعرها..

هي حقاؤه..

لا يعلم لم الآن أراد أن يطمئن عليها ويعرف أخبارها.. اشتاق لسماع صوتها.. اشتى

رؤية بسمتها التي تبعث الحياة في كل شيء حولها..

اشتاق لسداجتها.. براءتها.. طفولتها..

قام بالاتصال بها ولم تكن تلك الأولى واقشعر جسده من ثلاثة أحرف كانت قد نطقت

بها:

- ألو

وبالكاد قد منع نفسه من الإجابة عليها..

فرحة الأمهات مبهجة ولكن هي يبدو أنها قد بالغت قليلاً..

بمجرد أن عاد مع أبيه للمنزل اكتشف أنه والدته قد صنعت وليمة على شرف استقباله..

الكثير من السيدات وقفن لاستقباله وهو بالكاد لا يتذكر منهم سوى امرأتين..

احتضنته أمه بشدة ودمعت عيناها من فرحتها بعودته وهو رحب بالجميع بابتسامة وحاول

الهرب للداخل ولكن قد استوقفته واحدة منهن وما كان يملك سوى أن يتظاهر

بمعرفتها..

سألته وليتها تمنحه فرصة للرد .. كانت تتحدث وحدها.. انتبه لها تقول:

- عامل إيه يا ياسر وأخبار مصر على إيه على حسك!

- ماشي الحال.
- باغتته بسؤال لم يتوقعه:
- عارف أنا مين ولا قعدتك في مصر خلتك تنسانا!
- قال بعد أن جز على أسنانه:
- لا ازاي طبعاً..
- كان سيتجه لغرفته ولكنها واصلت الحديث:
- طب فاكر فوفو .. فوفو تعالي سلمي على ياسر..
- حينها نظر لأمه باستنكار ثم قال:
- ازيك يا فوفو..
- تدخلت أمه حينها فجارتها يبدو أنها تقرأ كتاب كيف تصطادين لابنتك عريساً وتطبق القواعد بحذافيرها..
- قالت له:
- ياسر يلا دخل الشنط اوضتك وارتاح شوية لحد ما الغدا يجهز..
- أشار لها كي تأتي معه وهي فعلت .. أغلق الباب عليهم حتى لا يستمع من في الخارج لحديثهم ثم أخبرها بلوم:
- إيه يا ماما مين دول؟ أنا حاسس إني نزلت في بنها مش السعودية..
- والأخرى قالت ضاحكة:
- حباينا كثير اتعود بقا..
- كانت تغادر الغرفة فأخبرها مازحاً:

- أنا كده هلف وأرجع على فكرة ..

عادت إليه وقالت من خلف الباب:

- بعينك.. أنا ما صدقت إنك رجعت ..

عادت للمنزل بحالة أقل وصف لها أنها مزرية.. وجهها أحمر متوهج يبدو وكأنه إذا لامسته تحترق.. عيونها أصبحت ناعسة كأنها لم تتم منذ شهر.. كانت تبدو وكأنك قد استبدلتها بأخرى شاحبة لا تشبهها..

ومع الأسف كان هناك من ينتظرها..

لقد نست أمره بل توقف اتصالها عن العالم حتى أنها بالكاد قد عادت للمنزل..
سألها بقلق:

- إنتي كويسة؟

نظرت لأخيها نظرة ثابتة .. كانت لا تجيب ولا تتحرك من مكانها.. بل أنها لا تشعر بأي شيء حولها..

تدخلت كريمة لتقول بعد أن اقتربت منها ونظرت لعينيها:

- روزا! .. مالك ؟

حينها انهارت كل حصون مقاومتها وشعرت أن قدميها لم تعد تحملها فتراخى جسدها .. كانت ستهوى وتسقط على الأرض ولكن إبراهيم أسرع نحوها مستقبلاً إياها بذراعيه.. حملها ووضعها على الأريكة وأسرعت كريمة محضرة إليها كوب من الماء عليها يساعدها على تمالك نفسها.. شربت منه القليل ثم وضعت الكوب على المنضدة المقابلة وشرعت

في البكاء..

كرر إبراهيم سؤاله مرة أخرى:

- فيروز فيه إيه ؟.. اتكلمي...

وكان كلما يسألها أحد يزداد معدل بكاءها وعن لسانها هي لا تعلم أين ذهب وتركها..

يبدو أن كل شيء ذهب مع الحبيب وتركوها خاوية..

قالت كريمة لإبراهيم:

- اسندها معايا نوديتها أوضتها.. خليها تهدي وتأخذ نفسها وبعدين تفهمنا..

أخبرها إبراهيم أن تباعد قليلاً وحملها وحده.. وضعها على مهدا ثم أخبرها:

- ها كلم بابا..

- لأ...

حينها لا تعلم كيف خرج منها الجواب ولكن مؤكداً أنها تقصده.. هي لا تريد أبيها الآن..

حسناً قد اختارته ولكن ذلك لن ينفي أبداً أنه قد كسر قلبها وهو من دمره ودمرها..

هو من أعدمها بفرمان وسلب منها حق الدفاع وهي أبداً لن تنسى ذلك..

حينها صمت إبراهيم ولم يعلق.. فقط تبادل النظرات مع كريمة وعقله قد انتفخ بالأسئلة

فتلك المرة الأولى التي يرى أخته فيها على تلك الحالة..

ماذا حدث بينها وبين أبيه بحق الله؟!

انتظر بالصالون قرابة الساعة ولم يتحمل أكثر.. طرق الباب عليها ثم سألها:

- ممكن أدخل!

جففت دموعها ثم أومأت له برأسها.. أغلق الباب خلفه ثم جلس بجانبها يسألها:

- احكي بقا فيكي إيه؟
- من أين تبدأ وماذا تقول والمهم من أين ستجلب القوة لكل ذلك.. قالت بعد فترة صمت:
- عادل طلب مني إننا نتجوز..
- عقد حاجبيه من الصدمة وهي قد صمتت مرة أخرى.. سأها:
- وبعدين!
- أخبرته بعد أن فاضت الدموع من عينيها:
- رفضت.. قولته مش هقدر أزعل بابي مني..
- قال لها ببعض العصبية:
- إنتي صح.. ازاى يعمل كده أصلاً.. على الأقل كان جالي واتكلم معايا يمكن كنا لقينا طريقة نقنعه بيها.. باللي عمله ده ضيع كل حقوقه..
- حينها نهضت فيروز من مهدا وأخبرته بانفجار:
- وأنا!! أنا فين؟.. الكل بيتكلم عن اللازم والمفروض ومحدث يفكر فيا أنا.. مشاعري للدرجة دي ملهاش قيمة عندهم.. للدرجة دي أنا ولا حاجة بالنسبة ليكم..
- حينها أجابها إبراهيم:
- فيروز إهدي وخلينا نتكلم بالعقل..
- أجابته بصوت مخنوق:
- أنا معدش فيا عقل..
- وأضافت بوهن:
- ممكن تسبني لوحدي.. أرجوك..

أخبرها:

- أنا هبات هنا..

- مفيش داعي أنا كويسة..

تجاهل كلامها قائلاً:

- أنا في الأوضة اللي جنبك لو احتاجتي حاجة خبطني عليا..

منذ ساعة تقريباً وهي مكانها لا تتحرك.. تنظر إلى الهاتف الذي ألقته أمامها بخوف وكأن
المارد سيخرج منه ويقتلها..

ألم يخبرها من قبل أنه سيقتلها إن تحدثت!

وهي لم تفتوه بكلمة.. وضعت حجراً على لسانها وصمتت.. هي لم تخبر سوى فيروز..
فيروز!

انتفضت من جلستها وعينها تنظر في كل الاتجاهات تقريباً.. وضعت يديها على وجنتيها
تتحسس حرارتهما..

عقلها يتساءل بل يصرخ بها:

- هل قابلته فيروز؟ هل تصادمت معه وهددته؟ هل أخبرت الشرطة وانفضح الأمر
وهو فرّ هارباً والآن يبحث عن انتقام!

تلقائاً حملتها قدميها للفيلا الأخرى.. فتحت لها كريمة الباب وهي ركضت على الدرج
دون أن تتحدث معها.. فتحت باب غرفة فيروز وسألتها دون أن تنتبه لعيونها المنتفخة
الباكية:

- قابلتيه؟

نهضت فيروز من على مهدها ..مسحت دموعها واقتربت منها متسائلة بعدم فهم:

- مين؟

قالت وكانت ترتعد:

- مروان..

أمسكتها فيروز من ذراعيها كي تسيطر على رجفة جسدها ثم قالت لها متصنعة البسمة كي تطمأنها:

- لآ.. ليه ؟

جلست أسما على الأريكة القريبة منها.. قالت بدموع تلامست مع وجنتيها الساخنة:

- هو .. هو كلمني .. أنا واثقة..

اقتربت منها فيروز وجلست على ركبتها ثم قالت لها:

- براحة يا أسما وفهميني..

قالت أسما بعد التقطت أنفاسها:

- فيه رقم غريب بقاله كام يوم بيتصل بيا وانهاردة فتحت المكالمة ومحدث رد.. أنا

حاسة أنه هو..

تجمدت فيروز .. الأمر بدأ يخرج عن السيطرة .. ذلك المعتوه المريض النفسي يبدو أنه

لن يتركها بحالها..

قالت فيروز:

- أسما معدش أدامنا حل غير إننا نقول لإبراهيم..

وحينها اقتحم خلوتهم صوت آخر جعلهم ينتفضوا ناظرين نحوه.. كان يقول:

- تقولولي إيه؟

وأضاف بسؤال واضح لا مجال للتملص من إجابته:

- مين مروان ده وعاوز إيه؟

الكل يهوى الفيروز....

الكل يريد سحر الفيروز....

الكل يشتهي تملك الفيروز.....

لكن لا أحد يفكر في دواخلها.. في مشاعرها.. في صراعها الداخلي

الكل يأبى التفكير فقط التملك هو كل ما ينبغي لا غير...

وصرخة أنين، صرخة ألم، صرخة وجع، صرخة احتجاج واعتراض.. لا يكفي..

لم لا أحد يرى!.. لم لا أحد يسمع أنين الفيروز! لم لا أحد يسأل عن ما تشتهي
الفيروز!.. عن ما تريد الفيروز!.. ألا يحق للفيروز الاحتياج.. التعبير.. أن تريد!.. لم الجميع
أناني لا يفكر سوى فيما يريد! وما يشتهي ويصارع لأجل امتلاكه!

وفي خضم الصراع نسوا الفيروز.. لا مهلاً لم ينسوا بل تناسوا أن الفيروز تحمل مشاعر.. أن
الفيروز كيان يحتاج أن يشعر به.. أن يُترك له مجال للاختيار.....

إهداء الرائعة نيرمين مجدي

الفصل الخامس عشر

كيف من الممكن وصف الموقف .. الحالة التي هم عليها وبالأخص حالتها.. هي أسما .. كانت كعصفور جريح ينتفض باحثاً عن نجاة.. كانت كالتائهة في طريق مظلم مليء بالأشباح.. جسدها يرتعد وعيونها سبحت في بحر من الدموع وقلبها يصرخ من شدة ما يتحمله من خوف ومن ألم..

إبراهيم يتساءل عن مروان وحتماً فيروز ستخبره.. هي الآن تشعر أنها عارية أمامه.. سيرى ويشاهد ما فعله الآخر بها في مخيلته.. سيهتمها .. حتماً سيهتمها وربما يقتلها كي يتخلص من عارها..

كانت تنظر نحوه بغرابة وهو قد لاحظ.. أصبحت تخشاه وكأنها قد وضعت كل الرجال بنفس السلة..

الكل بعينها كمروان والكل سيدهسها مثلها فعل..

منذ أن كانت المصححة وهي تهرب منه .. أحياناً كانت تتظاهر بالنوم والكثير كانت تخبره بابتسامة كاذبة أن أمورها بخير وهو كان لا يضغط عليها خوفاً من أن تسوء حالتها ولكن الآن لا مفر .. لا هروب مجدداً.. سيعلم وفيروز من ستخبره.. شعرت بيد روز تحتضن أصابعها وتخبرها بحنان:

- سيبيني مع إبراهيم شوية..

حينها بحظت عينها.. أحقاً ستخبره!.. لقد وعدتها فكيف تفعلها؟؟

نادتها بصوت مخنوق:

- روز!

والأخرى همست بأذنيها كي تطمأنها:

- متخافيش.. ثقي فيا..

حينها لم يتحمل إبراهيم أكثر.. اقترب منهم ثم سألهم بعصبية :

- ممكن حد يفهمني بدل ما أفقد اعصابي..

وحينها هربت تلقائياً من أمامه وظلت تركض حتى وصلت لغرفتها وأحكمت إغلاقها عليها...

أشارت له فيروز كي يجلس على الأريكة وحاولت أن تستعين بكل صبر العالم وتماسكه.. هي ستخبره وهو سيعلم ولن يفقد عقله ولن يصعب الأمور عليهم وعلى أسما خاصة وليس هناك حل آخر أمامهم..

قالت له:

- إبراهيم قبل أي حاجة أوعدني إنك تكون هادي..

وهو نظر إليها بغرابة.. يتعجبها.. هو سيفقد عقله وهي مازالت تتحدث عن الهدوء!

تحدث بعصبية:

- ما تتكلمي.. عاوزه تجننني..

وهي أصرت وسألته:

- هتوعدني!

تنهد ثم أخبرها:

- أوعدك..

استعانت بكل الكلمات التي ممكن أن تجعل الموقف وتحسنه ولم تجد بالطبع .. أخبرته
بالأخير:

- أسما للأسف حبت واحد ندل..

" ندل " كلمة توحى بالكثير.. ولكن عقله لم يصور له إلى مدى وصلت تلك الندالة..
سألها:

- هو مروان ده!

أومأت برأسها فلقد كان الموقف عليها من أصعب ما يكون ..سألها بدوره:

- عمل إيه؟

دمعت عيناها ووجدت الدموع طريقها خارج مقلتيها وهو بمجرد أن لمح تلك الدموع
انتفض من على الأريكة واقفاً .. سمعها تقول وليتها كانت تمزح:

- الحيوان.. الحيوان ده اغتصبها..

ولكن في تلك الأمور لا مجال للمزاح أبداً .. تلك الأمور بها صراخ .. كسر.. تدمير..

ورغبة في سفك دماء وقتل مثلما يحدث في غرفتها الآن..

كان كل ما يقع بيديه يكسره.. وهي تعذره .. تحاول أن تهدأ من روعه.. تشعر بالنار التي

تشتعل داخله فهي الأخرى قد مرت بتلك المرحلة.. مرحلة استيعاب الصدمة وتقبلها

ليست هينة ولكن وإن تقبلتها هي فهل سيتقبلها هو!

الرجال لديهم حسبة أخرى في هذا الأمر.. الرجال يعتبرون شرف نساءهم من كرامتهم

ورجولتهم.. الرجال من الممكن أن يقتلوا كي يحافظوا على تلك الكرامة..وهي تعلم ذلك

جيداً..

اتجه نحو الباب وهي كانت تعلم وجهته .. أمسكت يديه .. توسلت .. وبكت وصرخت..
 - إبراهيم لأ.. متروحش لأسما سييها..
 وهو كان لا يسمع.. لا يستوعب.. وكأن ماس كهربائي قد أمسك بجسده..
 أخبرها:

- لازم أعرف مين الكلب ده..
 جذبته خطوة للداخل بالكاد وحينها لمحت دموعه التي تجمعت في مقلتيه.. أخبرته هي
 بتوسل بالغ:

- أما تهدي شوية.. هي مرعوبة لوحدها ومش مستحيلة.. عشان خاطري..
 حينها تجمعت بعقله بعض الخيوط.. سألها على الفور:
 - عشان كده انتحرت!

هي أومأت برأسها دون حديث.. وهو نظر إليها بحدة وأفلت يديه منها:
 - وإنتي كنتي عارفة من ساعتها ومخيبة علينا؟
 باغته بالقول سريعاً مدافعة عن نفسها:
 - أنا لسه عارفة من فترة قصيرة ..

واستطردت:

- والله ما كنت أعرف..

ثم قالت:

- إبراهيم لازم نهدي ونفكر.. العصبية مش هتحل حاجة..

وهو كان لا يفعل سوى أن ينظر لها بحدة فمصطلح العقل يبعد عنه بتلك اللحظة آلاف
الأميال..

لا تتخذك البدايات ففي البداية كلهم رائعون..

وهي كانت من أروع ما يكون..

كان في سبيل تلك العيون يستشهد ومن أجل أن يرى الابتسامة على تلك الشفاه ينشب
حرائق وهي بكل بساطة وبعض الأسف والأسى تمنى له التوفيق مع أخرى..
ابتسم بسخرية عندما تذكر كلماتها.. فهل هذا القلب سيرضى أن يكن ملك غيرها!.. ليت
الأمر بالبساطة التي كانت تحدث بها..

أمسك لفافة تبغ كان قد اشتراها بالطريق ووضعها بين أصابعه رغم أنه فعلياً لا يدخن
ولا كان يتقبل رائحتها بأي شكل من الأشكال ..

حتى هو يرى أنه بحاجة إلى أكثر من ذلك.. حانة وراقصة لولبية وبالطبع الكثير من
المنكر ومغيبات العقل..

ما الذي يفعله هنا أمام ذلك البحر الهائج الذي لا يفعل سوى أن يزيده ثورة!
كان هياجه غريباً..

وكأنه بات لا يتحمل نخب الأوبة..

وكأنه يريد الصراخ.. كفى ..

وكأنه اكتفى..

كل صباح وكل مساء وكل ليلة يقف على أعتابه العاشقون ..يبكون ويهللون ، يسبون

ويلعنون وهو يحزن، يضرب الصخور وقد يفتعل فيضانات دون أن يجد من يسمعه أو يواسيه..

ابتسم.. هل تحول فجأة إلى فيلسوف .. أم أنه قد ترك عقله مع الفيروز! هراء.. كل ما حدث هراء.. كل ما فعلته هراء.. أسباب انفصالها عنه هراء وجلوسه هنا هراء..

بالفعل ما الذي يفعله هنا؟ لماذا عاد للساحل الشمالي مرة أخرى رغم أنه جاء هنا من أجلها ولأجلها!.. لم لم يعود لأبيه ويخبره أن هذا الحب قد انتهى!.. لم لم يختار أبيه وعائلته مثلها! بل لم أحبها ولم عشقها ..

لم تتكاثر في رأسه وكيف تتآمر عليه والنتيجة هذيان.. وكأنه يسقط بفراغ..

كانت هناك أعين تتابعه من بعيد بتعجب واضح وكانت رودينا.. تتساءل .. ما هذا المجنون تارة يبتسم وتارة تتصلب ملامحه!.. تحمل أصابعه لفافة تبغ ولا يشعلها ولا تعلم هي أنه قد نسي أن يشتري القداحة من الأساس.. ذهب من هنا طائراً وعاد زاحفاً وشيء داخلها يهمس أن هناك جديد قد حل به.. شيء قد أحزنه..

ذهبت إليه ببطء ووقفت بجانبه وقالت بعدما فقدت الأمل في أن ينتبه لها:
- مكنتش أعرف إنك بتشرب سجائر..

النظرات تتحدث والعيون تقرر ولكن من السهل جداً تجاهلهم ففي النهاية اللسان هو صاحب السلطة المطلقة..

هي تتحدث وتثرثر وهو حتى صوت الموج لا يتحملة فألم رأسه قد تخطى الحد المسموح به
ورغم حدة نظراته هي مازالت تثرثر بأشياء فارغة..

بالأخير أخذت لفافة التبغ من يديه ثم أخبرته:
- مش لايقة عليك السجارة..

وحينها هو أمسك معصمها بقوة ولدرجة أرعبتها .. كان وجهه حينها يقابل وجهها تماماً..
أنفاسه تلفحها بل تصفعها و على الرغم من أنه أخذ اللفافة منها إلا أن عينيه مازالت
ترشقها بشرار..

هو لا يهتم بأمر تلك اللفافة الملعونة بقدر ما يهيمه جرأتها تلك.. كيف تخطت حدودها
معه هكذا! كيف تجرأت أن تقتحم خلوته هكذا!
أخبرته بصوت متحشرح.. ضعيف ويها به..

- أنا أسفة..

وحينها هو ترك معصمها وأتجه نحو البحر ملقياً علبة السجائر بأكلها به ثم رحل تاركاً
الأخرى تحاول أن تهدأ من روعها ولو القليل..

وفي المساء بينما كان ينظر من الشرفة بشرود استفاق على صوت صرخة.. صرخة قوية
لامرأة ولم تكرر وعلى ما يبدو أنها من الشاليه المجاور له..
وبخ نفسه .. أمازال يخمن!.. فهل هناك غيره وغيرها بتلك القرية!
ركض نحوها وطرق بابها وهي فتحت له الباب ويا ليتها ما فعلت..

كانت ترتدي غلالة طويلة وردية اللون.. كانت من الحرير الناعم الذي ينساب على الأجساد بنعومة وخصلاتها البنية منسدلة على ظهرها بانسيابية توازي سلاسة القطعة التي تغطي جسدها النحيل..

تجمد مكانه عندما رآها هكذا وهي من داخلها سعدت لأنها تنجح.. تؤدي دورها بتلك المسرحية ببراعة حتى أنها تستمع لتصفيق الجمهور الحاد..

يا لها من مزحة!.. المرة الأولى التي تشعر فيها بنجاحها بشيء يكن هذا الشيء هو غواية رجل!.. لا تعلم ما هذا الشعور الذي يملكها ولكن أن يكن ذلك الذي كان منذ ساعات ينظر بقسوة ويتوعد يتوه الآن ويتلثم ليس بالقدر الضئيل..

إن كيدهن عظيم وهي انتوت أن تنتقم فيه من كل الرجال..

اللعبة بدأت تعجبها والشيطان يبرر لها والأنثى المقهورة رحلت عنها وتركها بتلك اللحظة وحلت محلها أخرى واثقة ومعجبة بنفسها..

أخرى لو كانت موجودة ما كان سيسرق منها رجلاً قلبها وأموالها ويلقى بها بالطريق تصارع الحياة مع طفل صغير..

سمعته يقول:

- إنتي كويسة!

وأضاف:

- حد كان يبصرخ.. سمعته!

حينها تظاهرت أنها لم تنتبه للشيء الذي ترتديه.. ركضت للداخل ببعض النجل ووضعت شالاً على ظهرها وعادت ..

ولم يغير الشال من شيء ولم يقلل من سخونة الأجواء ولا الشحنات السالبة التي تتطاير حولهم..

أخبرته ببراءة:

- اه.. أصلي وأنا بحط فيشة الدفاية فرقعت في وشي والظاهر كده اتحرقت ومش هتشتغل..

بادرها بالقول:

- طب خليني أشوفها كده..

أفسحت له الطريق كي يمر وأشارت له لمكان المدفئة وبدأ يتفصيحها بنظراته.. كان سيضعها في المقبس ولكنها استوقفته صارخة:

- لأ.. متحطهاش هتفرقع..

وهو لم يبالي لها ووضع الفيشة بالمقبس ولم يحدث شيء ولو كان لديه بعض الخبرة في أمور تصليح الأجهزة لكان فهم من البداية أن تلك المدفئة لا تعمل منذ زمن طويل.. نهض من أمام المدفئة ثم أخبرها:

- بكرة هأبقى أشوف حد يصلحها..

وهي باغته بابتسامة قاتلة يليها صوتها الذي كان يوازي الكمان في هدوء عزفه..

- شكراً.. تعبتك معايا..

نظر نحوها وشرد.. خيالات تلك المرأة دوماً تصاحبه في أكثر أوقاته ضعفاً وغضباً..

خيالها قاتل مثلها..

مثل شفيتها..

شفتيها التي بلون المشمش المختلط بحمرة الفراولة.. طازجة وتشتهي أكلها..

الخطوة الأولى تقترب وهي أبدأ لن تكن صاحبها.. هي تغوي.. تدلل ولكن لن تبادر.. إلى هنا وكفى..

أنفاسها تتسارع ودقات قلبها في طريقها إلى التوقف وهو مازال يقف بمكانه.. تراه لا يتحدث ولكنها لا تعلم أنه يصارعها برأسه..

رحل وقبل أن يصل للباب عاد إليها ملفحاً إياها بقبلة عميقة.. فالرجل في أغلب الأحيان هو صاحب المبادرة والخطوة الأولى..

بعد أسبوع

كان أسبوع يكفي أن يحوله إلى شبح.. خيال.. رأسه لا يتوقف عن العمل والنوم قد جافاه.. يذهب للشركة التي كان يقضى بها معظم يومه كي يوقع على بعض الأوراق ويرحل.. عقله يتركز على شيء واحد.. شيء مهم وقاتل.. أن يجده..

تحول هذا الأمر إلى هاجس.. كلف مسئول الأمن بشركته أن يبحث عنه بصفة خاصة.. استعان بعلاقاته.. الحياة بأكملها تقف الآن على استخراج ذلك المروان من باطن الأرض..

كان يحوم بشقته دون وجهة... يذهب ويعود وينظر لهاتفه ثم ينهض ويعود لهاتفه مرة أخرى.. تأتيه اتصالات عدة وهو لا يجيب فريدة من جهة وفيروز من جهة وأبيه أيضاً..

هو ينتظر الآن مكاملة معينة ولا طاقة لديه كي يتحدث معهم.

استمع لصوت باب الشقة ينغلق ولم يتقدم خطوة وحتى لم يثيره الفضول.. دخلت فريدة الغرفة وكانت تحمل حقيبة ملابسها .. وضعتها ثم ألقت بنظرة تحمل الكثير من اللوم والضيق..

قالت له:

- ياه واضح إني وحشتك أوي..

أخبرها بوهن واضح ومزاج سيء:

- ازيك..

كررتها خلفه " إزيك! "

وأضافت:

- أنا كويسة أوي الحمد لله مفيش أحسن من كده.. جوزي ما صدق إني بعدت عنه وسابني أسبوع من غير ما يسأل فيا وحتى كان أغلب الوقت مش بيرد على مكالماتي .. وتساءلت:

- أد كده أنا مش فارقة معاك يا إبراهيم!

حينها هو نهض من على مقعده وأخبرها زاعقاً:

- فريدة أنا مش فايق بجد لكلامك ده.. وبعدين مش إنتي اللي طلبتي فترة نبعد فيها

عشان تاخدي قرار أنا مش فاهم هو إيه ومع ذلك سبتك براحتك.. جاية تلوميني ليه

مش ده كان طلبك!

تجمدت ملاحظها من طريقته تلك.. لم يتحدث معها هكذا ولم يحمل كلامه اتهامات..

سألته عندما استشعرت ضيقه:

- مالك يا إبراهيم في حاجة حصلت؟

وحينها هو أجابها باقتضاب بينما كان يحمل جاكيتته:

- مفيش..

أمسكته من يديه قائلة:

- مالك عصبي كده ومش طايق مني كلمة!

- إنتي اللي جاية من برة بتجري لخناقة..

أخبرته سريعاً نافية:

- مش بتخانق .. بتدلع وعاززة أسمع منك كلمتين .. وحشتني إيه ما ينفعش!

حينها هو سكنت ملامحه قليلاً رأفة بها.. تهد ثم أخبرها:

- معلش أنا مزاجي مش رايق جت فيكي..

ابتسمت ثم سألته:

- احكي بقا مالك.. صوتك على التليفون قلقي عليك..

ولم يجيب وما كان سيجيب ولحسن الحظ قاطعه رنين هاتفه والأغرب أن المكالمة من

الشخص الذي كان ينتظر مكالمته طوال الوقت..

التقط هاتفه وخرج من الغرفة ثم قال:

- في أخبار جديدة!!

والآخر أجابه:

- أنا أدام بيته وهو لسه طالع دلوقت..

أخبره إبراهيم بحسم:

- حسن اسمع الي هاقوله كويس..تطلع تجيبه وتاخذه على مخزن دار السلام والعمال الي فيه يروحوا وأنا جايلكم على هناك..

أخبره حسن:

- حاجبيه من بيته إزاي؟.. طب استناه لحد ما ينزل.

قال إبراهيم صائحا:

- نتصرف وتجييه دلوقت..

وأغلق الهاتف بوجهه دون أن يتحدث أكثر..

ظل يقلب الأمر بعقله.. كيف يفعلها .. هذا الشخص يعيش بمنطقة شعبية إن صعد وأخذه بالقوة سكان هذا الحي سيلتهمونه وسيطعمون الكلاب الضالة بما سيتبقى منه..

لم يجد سوى طريقة واحدة ظل يدعو الله حتى تفلح معه..

طرق الباب وفتحت له امرأة مسنة.. أخبرها بكل احترام:

- الأستاذ مروان موجود..

نادت السيدة عليه ودخلت تاركة الباب مفتوحا.. أتى مروان وقف أمامه متسائلا:

- خير!

- حسام باشا باعت لحضرتك السلام ويقولك هو عاوزك في كلمتين .. نتفضل معايا

بهدوء من غير شوشرة بدل ما ندخل بالبوكس لحد هنا..

عقد مروان حاجبيه وتساءل:

- مين حسام باشا؟

- ظابط في أمن الدولة...

ارتدى مروان ملابسه على عجله وطمأن والدته أن لديه أمور بالعمل سيحلها ويعود
وذهب معه.. الكثير من الأسئلة امتلأت بعقله وشيء داخله يهمس أن هذا الأمر له
علاقة بأسماء..

لقد علموا ما حدث وقرروا الانتقام.. لقد أخطأت بحساباتك تلك المرة مروان.. كم أنت
أحمق!

ظل يقلبها بعقله.. أقل تهمة في أمن الدولة عقوبتها الإعدام لقد انتهت الآن..
سأله بينما كانوا بالطريق عن أشياء عدة أولهم إلى أين يأخذه وماذا يريد منه حسام باشا
هذا! والآخر لم يجيب وهو صمت تماماً كي لا يستفزه فمن عادة مخبري الشرطة عدم
الحديث..

آخر ما يتذكره هو أن السيارة توقفت قبل أن يأخذ ضربة على رأسه أفقدته الوعي تماماً..

استعاد وعيه بسبب ماء مثلج سكب على رأسه.. وجد نفسه مربوط بعمود بمنتصف
مكان يبدو وكأنه مستودع.. يديه اليمنى ويديه اليسرى كلاهما معلقين بسلسلة حديدية
عندما حاول التخلص منها لم ينل سوى ألم شديد برسغه..
صاح قائلاً:

- عاوزين مني إيه؟ .. اتو مين؟

انتبه لشخص يلقي بجاكيته ويتجه نحوه.. شخص على تمام المعرفة به.. غريمه وسبب

مشاكله ..

ناولته إبراهيم لكمة على وجهه تسببت في نزول خيط من الدماء من أنفه وفمه..

حينها هاج مروان وأخبره :

- بتتحمي في الرجالة اللي حواليك..

تعجب إبراهيم.. ما الذي يقوله هذا الوح؟ ومن أين له تلك الجرأة؟

مهلاً هل يعرفه!

أخبره:

- شكلك عارف أنا مين..

وأضاف:

- وأحب أضيف لمعلوماتك إن أنا اللي هقتلك..

ثم ركله على بطنه بقوة حاول أن يتحملها مروان بأقصى قوته..

لن يشهد هذا الشخص أبداً على ضعفه.. لن يهزمه ..

أمر إبراهيم من كانوا بالمستودع أن ينتظروا بالخارج ويتركوهم بمفردهم.. لكمة لكمة

أخرى على وجهه ثم أخبره :

- هتندم على الحليب اللي رضعته يا....

وخلف النقاط الكثير من السباب والألفاظ البذيئة ..

دخل "حسن" موظف الأمن داخل المستودع مرة أخرى عندما شعر بالقلق على رئيسه

.. أسرع نحوهم وأمسك إبراهيم بينما يتوسل نحوه قائلاً له:

- يا باشا الواد هيموت في إيدك..
 كان مروان ينزف من كل انش في وجهه.. فنه تورم بالكامل ورأسه تدلى على وجهه
 وبقي القليل كي يفقد وعيه..
 أمر إبراهيم لحسن قبل أن يخرج..
 - أنا جاي الصبح.. الكلب ده ميشربش بق مائة..

الخطيئة تبدأ بخطوة وبعدها تسقط في وحل من الذنوب..

هي الآن رسمياً أصبحت خلية .. يذهب إليها في المساء ويخرج في الصباح وأحياناً لا
 ينتظر حلوله ..

والبارحة اتهمها أنها من أغوته.. صرخ وصاح وتمنى لو لم تكن ظهرت بحياته.. وهي
 تتحمله ليس من أجل خطة ولكن لأنها أحبته..

نعم أحبته.. رغم أن عشقها هذا ملوث ولكنها أحبته.. رغم أنه كالم يسري داخلها
 ويقتلها ولكنها أحبته.. رغم أن قلبه ينبض لأخرى لا تعلم عنها أي شيء ولكنها أحبته..
 رغم أن معاملته لها أصبحت تحمل بعض العنف ورغم أنه يأخذها كما العاهرات ورغم
 أنه لا يستحق تلك المشاعر ولكنها أحبته..

هناك دفيء منحها إياه رغماً عنه.. فراغ قاتل ومشاعر ظنتها ميتة استيقظت على يده..
 معه فقط شعرت بأنوثتها وله فقط يتراقص قلبها ومنذ المرة الأولى..

اعترفت لنفسها.. أحبته منذ اللقاء الأول يوم طارت قبعته وهو ركض كي يجلبها..
 نعم أحبته ولكن ذلك لن يمنع أن تستكمل خطتها.. قلبها هذا وأدته مع ضميرها منذ أن

وافقت بشرى على عرضها..

لن تشفق عليه ولن تؤثر عليها مشاعرها مثلما لم يُشفق عليها طليقها ولم يرحمها مجتمع نهش لحمها..

هم جميعاً من أوصلوها لتلك المرحلة..

هم من قتلوا الأشياء الجميلة التي داخلها فلا أحد يأتي ويلومها الآن..

بشرى الآن تعرف أنها قد وصلت للمطلوب منها ولكنها لم تكتفي.. أخبرتها أن تستمر بعلاقتها معه حتى تخبرها بجديد..

وهي لم تبالي ولم تسأل.. هي بالأساس لا تريد أن ترحل..

ولكن هل من الممكن أن يرحل هو!

البارحة لمح لها أنه لن يستطع أن يكمل هكذا.. أخبرها أن ضميره يؤنبه.. أخبرها أنه بات يكره نفسه... ولكنه لم يزد فقط أخبرها ذلك ورحل إلى عمله..

سيعود.. قلبها يهمس لها أنه سيعود..

نظرت إلى الساعة ووجدتها الثامنة صباحاً.. هي جالسة هكذا طوال الليل.. خاصمها النوم وصاحبها الأفكار..

والأفكار مؤلمة.. قاتلة..

ألقت بجسدها على سريرها وانكمشت في وضع الجنين.. لا تعلم لم أرادت البكاء..

أثرثيه أم ترثي حالها؟

فتحت عيونها بعد وقت قصير على صوت الباب.. اعتدلت منتظرة دخوله.. أخبرته بعد أن جلس بجانبها..

- صباح الخير..

ولم يعلق.. خلع جاكيتته وأخبرها:

- رودينا لازم نتكلم..

انتبهت له بكامل بحواسها وقالت بهدوء وبعض الكبرياء..

- نتكلم..

- أنا مش قادر استمر كده..

وهي لم تنفوه بكلمة.. تنتظر الجملة القادمة.. الجملة اللي تفكر فيها طوال الليل وحرمت عليها النوم..

سيخبرها الآن ببعض الأسف أنه سيتركها.. وربما سيلقى بوجهها بعض الأموال مقابل ما أخذه منها.. وكأنها عاهرة..

سخرت من نفسها.. أليست عاهرة! ألم تأخذ مقابل هذا من بشرى؟ ما الفارق الآن.. وضعت يديها على رأسها منتظرة فرمانه.. وهو فاجئها بأن أعطاها ورقة ويخبرها:

- الحل أننا نتجوز.. عرفي..

حل الصباح عليه وهو على حاله.. يقف على قدميه طوال الليل ونزف الكثير من الدماء.. لم يعطوه شربة ماء حتى..

ولكنه متماسك.. أقسم أن يتماسك.. لن ينهار أمام ذلك الثري المدلل.. لن يهزمه مرة أخرى..

يشعر بالوهن الشديد وتقريباً على وشك أن يفقد الوعي ولكنه يجاهد..

لن ينتصر عليه.. لن يشعره بالضعف الذي تمكن منه.
 رفع مروان عينيه على إبراهيم وهو يقف أمامه.. أخبره بعد أن أمسك بتلابيه:
 - هتتجوزها وبعدين هكمل حسابي معاك..

الفصل السادس عشر

رجل لم يدر كيف يردُّ

على قبلة

تركها أحمر شفاهي

على مرآته

فكتب بشفرة الحلاقة

على قلبي

“أحبك”

“رودينا وعادل”

“أحلام مستغمني”

والحل بورقة..

كم الأمر بسيط وهي من كانت تعقده..

ابتسمت.. وكانت ساخرة..

لم يعجبها الحل ولم ترى أنه قد سيغير شيء ولكنها قبلت.. أمسكت قلبه ووقعت..

تزوجت..

بالظلام.. بالصمت.. بالعجز تزوجت ووافقت على ضعفه وضعفها..
ربما هي لا تشعر بقيمة تلك الورقة بالوقت الراهن ولكن ربما ستكون أمانها ضد بشرى
وضده.. هي الآن لا تثق بأي مخلوق سوى طفلها ولن تثق.. ربما هكذا ستخرج من تلك
اللعبة فائزة دون خدش..

ستوقع على تلك الورقة ولكن لن تخبر بها بشرى أبداً..
واجهت نفسها.. لا تضحكي على نفسك رودينا فأنتِ والفوز طريقان لا التقاء لهم في
النهاية..

أنتِ فقط موجودة بالحياة كي تدهسك الأقدام وتمر..
ترقرقت بعض الدموع في مقلتيها ولم تفهم سببها.. ربما بسبب أن الأمور تتطور أسرع منها
وخافت ألا تستطيع تداركها..
سقطت دمعة حارة منهم على وجنتيها ولمحها هو.. وضعها بعدها على صدره مخبراً إياها:
- متخافيش .. أنا مش هسيبك..

حينها شفقت عليه.. يخبرها أنه لن يرحل ولا يعلم أنها متوقفة للرحيل.. فقط تنتظر
الإشارة.. النهاية.. الحرية من كل هذا وأولهم هو..

فعشقها له يلتف حول رقبتها ويخنقها..

رفعت رأسها من على صدره.. حنانه هذا خطر.. هي بمهمة رسمية وبالمهام إن تدخلت
المشاعر أخفقت.. وهي لن تقبل..

المقهورة داخلها تشتهي الظفر ولو مرة.. الساذجة البريئة التي تعايشت مع الذئاب فتعلمت
أسس الخداع تتمنى النجاح..

طبعت قبلة رقيقة على أذنيه جعلت داخله يقشعر.. أمسك وجهها بين كفيه كي يوقفها ولكنه تعمق في عينيها لأول مرة.. عينيها وكأنها غارقة بمزيج من الشيكولاتة والعسل.. عينيها كالمغناطيس تجذب ..

" لا تنظر إلي هكذا.. لا أريد حنانك ولا انتظره "

وكانه قرأ هذا في عينيها فقطع تأمله بقبلة تعمقت سريعاً.. استنشق شعرها وثل من عبيره..

وما بعدها يظل معروف..

ربما إحساسه بالذنب معها قد تغير فهي الآن زوجته ولكن عنفه معها لم يتغير وكأنه

بات تفصيلاً ثابتة بعلاقتهم وكأنه يخرج بها وعليها كل ضيقه..

وهي ترى أن عنفه معها أفضل كثيراً من حنانه فهي بالأخير..

راحلة..

وهكذا سيكون الرحيل أقرب وأسهل..

أعطاه كوباً من الماء كي يسترد قوته..منحه إياها بكل أسف ومع تمنياته بأن تقف بحلقه

وتقتله .. ولكن هناك حقيقة أنه يحتاجه..

نعم يحتاجه.. رغم أن هذا يقتله ولكنه يعترف..

لن تحيا أسماً طالما رأسها منكس ولا أبيه وأمه سيتحملوا فضيحة..

إن ظهر كل شيء للعيان سينهش الجميع لحمها وعرضها أكثر بأقاويل وأحاديث وشائعات

لم تحدث .. سيتهمونها بأي شيء ..

وذلك هو المعتاد.. فليعلن الله تلك الأعراف التي جعلت المغتصبة متهمة..

إن كان الأمر بيده وحده سيضعه بالسجن وينتظر كي يشهد على عقابه فمن مثله يجب أن يكونوا عبرة لمن لا يعتبر ولكن هو مضطر أن يفكر كأخ أكبر ومسئول العائلة بعد أبيه وكل خطوة لابد أن تكن محسوبة العواقب..

يجب أن ينهي تلك المصيبة التي حلت على شقيقته بأقل خسائر ممكنة.. وهكذا منح مروان ما أراد من البداية..

الآن هو يجلس أمام إبراهيم.. عينه بعينه والآخر يخبره عن زواج ويتوعد إن فكر بالهروب سيفعل به ويفعل..

وهو لن يهرب.. مروان لا يهرب.. مروان دهس على ضميره وما تبقى لديه من شعور من أجل تلك اللحظة..

أخبره إبراهيم بالنهاية:

- إمضي..

فتح مروان عينيه المتورمة على اتساعها كي يرى ما أمامه من أوراق وإبراهيم اختصر عليه الأمر وقال:

- دي كمبيالات عشان لو فكرت مجرد التفكير إنك تلعب معايا هرميك بيهم في السجن طول حياتك..

ووقع مروان ببساطة وابتسامة ظفر اعتلت ثغره ..

شعر بالسعادة البالغة فهو برأيه أنه قد قلب موازين الكون.. سيتزوج ابن الجنائي من ابنة السلطان دون أن يحني رأسه له بل العكس هم من ينحنوا له ويطلبوا رضاه وموافقة..

فعل أكثر ما يبغض ويكره بالحياة.. ارتدى حلة سوداء وربطة عنق وقرر العمل بشركة أبيه ..

سيصبح مدير، يزعم في هذا ويأمر في هذاك، يراجع الحسابات ويوقع على الأوراق ويظل جالس بمكتب رتيب لساعات..

لمجرد التذكر اختنق.. تلك ليست بطبيعته ولا تلك حياته ولا هو كذلك..
هو عاشق للبساطة.. الحرية.. وكأنه قرر أن يخنق روحه ويحبسها بقفص حديدي..
تحدث مع نفسه..

لا يهم.. طالما في النهاية سينساها سيدفن نفسه إن لزم الأمر.. الفراغ بالنسبة له قاتل فهي من تشغله بطيفها..

نزل من البناية التي يسكن بها واستقل سيارته متأملاً ما حوله.. الأغلبية بتلك المدينة يرتدون الأبيض والأسود وكأن الألوان قد هجرتها دون عودة.. وكأنه يعيش داخل فيلم كلاسيكي قديم..

بمصر.. تجد الأزرق والأخضر والأحمر وأحياناً تجد أحدهم يرتدى جميع ألوان قوس قزح دفعة واحدة.. في مصر تجد الفوضى وهو قد اعتادها حد الإدمان.. في مصر حياة ليست منظمة كما يرى الآن ولكن الفوضى تناسب طبيعته المرحّة وجنونه في بعض الأحيان..

في مصر روحه عالقة فهي بالأخير ستظل بلده وموطنه..
ماذا ياسر هل سمّت بتلك السرعة ؟ هل نويت الرجوع؟

لا وألف لا.. فأن يشعر بالغربة هنا أفضل من أن يشعر بها ببلده.. والأهم ألا يشعر بأنه غريب عن نفسه..

وصل للشركة بعد نصف ساعة تقريباً دون أن ينتبه.. وجد جميع الموظفين على شرف استقباله.. حياهم بإبتسامة وبعدها اصطحبته امرأة منهم حتى مكتبه.. فتحت بابه وقالت بإبتسامة أنارت وجهها:

- وأنا نقول علاش البلاد ضوات بعد ما كانت ظالمة .. أهلا وسهلا بيك..نورتنا برشا بوجودك عندنا في الرياض مسترياسر..

ما استطاع تمييزه من كلماتها هو اسمه فقط والبقية نطقهم بسرعة مهولة جعلته يرفع حاجبيه ويقول سريعاً:

- مين!

ضحكت الاخرى لتجيبه:

- يعني نورت الرياض مسترياسر..

سألها ياسر:

- ده مغربي.

-تونسي.

- مम्म كل معلوماتي عن التونسي " برشا وعيشك " والفضل كله لأستاذ صابر الرباعي حقيقة.

هل انفجرت من الضحك لا الانفجار كلمة قليلة عما يحدث معها فقد ظلت تضحك حتى دمعت عيناها وبعدها بدأت في نوبة سعال شديدة..

أعطاهما ياسر كوب ماء وهو يضحك فالضحك عادة يكن معدياً أو بالأصح نحن من نتجج كي تنتقل إلينا العدوى .. الضحك منفذ وهروب من هالة الفيروز.. وهو جاء هنا كي ينسى.. كي يشفى منها..

سألها بعد ان رشفت رشفتين من الكوب وتغيرت ملامحه لأخرى شديدة الجدية:

- ضحكنا كثير ندخل في الجد بقا .. قوليلي شغالة في انهي قسم هنا؟

ارتبكت المسكينة من تغير نبرة صوته المفاجئ وشعرت بالحرج .. قالت لنفسها " ربما قد تضايق منها او أنها قد تخطت حدودها معه دون أن تنتبه"

- سوري لسه معرفتش نفسي بحضرتك..

ومدت يديها مصافحة :

- مليكة.. مستر أحمد عيني من إنهاردة سكرتيرة حضرتك مؤقتاً لفترة وبعدين هرجع أمسك القسم النسائي تاني..

قال ياسر بعد أن عاد لمرحه السابق:

- أووووووه.. ده حلو جداً..

وهي ابتسمت برقة ونجل لمحهم فيها.. هي بالفعل فتاة ناعمة ولم تكن تتصنع ..حسناً ليست خارقة الجمال ولكنها بقموس الجميلات جميلة، شعر بني ظهر أسفل وشاحها الأسود، قد

ممشوق ، عيون رمادية وربما كانت ترتدي عدسات لاصقة ولكن المؤكد أنها امرأة أنيقة للغاية ورقيقة أيضاً..

فتح أبيه باب غرفة المكتب عليهم وصمت لبرهة تأملهم فيها بتعجب.. كانت هي ممسكة بكوب من الماء وتبتسم ببلاهة والآخر يتحدث عن شيء يبدو قد لفت انتباهها وسرق تركيزها..

قال حينها:

- واضح انكم انسجمتوا مع بعض في الشغل..

قال ياسر له بتلك اللحظة مشاكساً:

- أنا زعلان منك يا حاج أحمد..

سأله عما يتحدث وكان يظن أنه بالفعل لا يمزح..

أخبره الآخر بابتسامة:

- مقولتليش إن الرياض حلوة أوي كده....

صمت أبيه ولم يعلق بعد أن بدأ يشعر بالقلق.. فمن طباع ياسر أن وجعه وحزنه يخفيه بمزحه وضحكه..

بدأت تتأكد ظنونه أن عودته للرياض لم تأتي من فراغ..

فهو هارب لا عائد...

هل تعلم ما هو أقوى من الفراق؟

الحنين..

فإذا كان الفراق يقتل مرة الحنين يفعلها ألف مرة..

هي الآن تشتاقه بتوحش.. تمنى رؤيته حد الحرمان.. تحن له حد الموت..

مر أسبوع وهي لا تدري .. غرقت في الحزن لدرجة أن ليلها اتصل بنهارها وتشابه كل شيء بنظرها وتقريباً منذ أن عادت من الخارج يوم انفصالها عن عادل لم تخرج من غرفتها ..

لا .. قد خرجت مرة واحدة قبل يومين من أجل أبيها .. تناولت معه العشاء وظلت طوال الوقت نتعامل برسمية شديدة هي نفسها تعجبها .. كانت تجيبه على مقدار السؤال فقط ..

سألها بوضوح هل هي بخير وأجابته باختصار انها فقط مجعدة وستصعد لتنال قسطاً من الراحة بغرفتها وتركته وصعدت بالفعل..

لا تعلم لم تصرفت معه هكذا ولكن ما تعلمه جيداً أن شعورها تجاهه ليس غضب فقط..

هي تشعر انه جنى عليها وعلى عادل.. تراه حاكم ظالم أصدر فرمان إعدام قلبها ومشاعرها

..

هناك شرح كبير وسد بينهم ولن تحوه الايام بسهولة...

نهضت من على وسادتها المبللة بدموعها ثم أمسكت هاتفها بملل .. ظلت تُقلب في ألبوم الصور وتوقفت يديها على صورة تجمعهما سوية.. يا إلهي كم ابتسامتها في الصورة رائعة وكم كانت نظراته لها تنطق بحبها..

ظلت تمرر يديها على ملامحه وكأن الندم بدأ يتسلل داخلها لما فعلت.. هي لا تستطيع العيش من دونه كيف تفوهت بها!

ترى ماذا يفعل الآن؟ هل هو أيضاً ييكها؟ هل بات يكرهها؟

الأسئلة تتكاثر برأسها ولا تتوقف .. الأسئلة ترهق وتضعف حال صاحبها أكثر..

لمحت شاشة هاتفها تضيء فتعلن عن وصول اتصال وللحظة خفق قلبها فقد تمت إن يكن هذا الاتصال منه هو .. حبيبها الغائب عنها ...

ولكن الأسطورة تقول أن كل ما يتمناه المرء بلحظات ضعفه لا يدركه..

نظرت بخيبة أمل عندما قرأت إسم المتصل وكان إبراهيم .. أجابته وقد انفجرت في وجهه بغضب:

- إيه يا إبراهيم .. لسه فاكر أنا عمالة أكلك من امبارح..

وحينها هو قال متجاهلاً كلامها:

- روز اسمعيني كويس ..

وتحفزت كل حواسها منتظرة ما سيخبره بها.. قالت بعد أن استمعت إليه وكانت تصرخ:

- إيه أنت بتقول إيه ؟.. أقولها إنها تتجوزه إزاي !!

والآخر قال جملة واحدة وشعرت فيها بنفاذ صبره:

- لو عندك حل ثاني قوليلي عليه..

وفكرت وفكرت وعصرت عقلها ولم تجد بالفعل حلاً آخر.. ألقت جسدها بيأس على الأريكة قائلة لنفسها:

"إن كان هي لا تتقبل هذا الزواج فماذا تفعل أختها المسكينة!.. كيف تكن بهذا القرب من قاتلها وناحرها!

وكيف ستخبرها هي بهذا؟؟؟

انتظرت حتى تتمكن الشمس من السماء جيداً وتفرض أشعتها عليها.. ارتدت ملابسها وذهبت إلى الفيلا الأخرى.. إلى أسما.. حاولت طوال الوقت أن تستجمع الكلمات وتعيد صياغتها حتى تصل لأفضل طريقة تخبرها بها عن أمر الزواج هذا.. ولم تصل..

دخلت من الباب وألقت التحية على حورية وبشرى قائلة لهم:

- صباح الخير..

قالت حورية بود:

- صباح النور.. فطرتي ولا أخلي زينب تحضرك فطار؟

أجابتها فيروز:

- اه يا طنط فطرت من بدري..

وسألتها:

- هي أسما صاحبة؟

أخبرتها حورية :

- أه لسه صاحية.. إطلعيلها..

صعدت فيروز على الدرج سريعاً وانتهت أن بشرى تتبعها.. بادلتها بابتسامة ثم واصلت طريقها ولكن الأخرى قد استوقفتها منادية عليها:
- روز..

توقفت فيروز وانتظرتها دون أن تنفوه بشيء.. كانت تنتظر ما ستقوله بشرى وقد قالت:
- انتي كويسة؟ مالك وشك أصفر.. شكلك تعبان .. زعلان..

هزت فيروز برأسها وقالت وكانت تكذب:

- لأ أنا كويسة .. مفيش حاجة من دي..

اقتربت منها بشرى أكثر وسألت:

- وعادل عامل إيه؟

عادل!.. ولم تسألها عن عادل.. بدأت تتعجب وشعرت أن هناك شيء وراء هذا السؤال..

- عادل مين؟ قصدك جارنا صح.. معرفش بتسأليني عنه ليه!

قالت بشرى بعد أن ضحكت:

- روز إنتي بتهزني صح.. ما الكل عارف إنكم بتحبوا بعض بتخي إيه وعلى مين؟؟؟

قالت فيروز ببعض الحدة:

- بشرى إنتي عاوزه تقولي حاجة؟

وليتها تستطع القول.. كم تشتهي أن تخبرها أن حبيب القلب غارق في العسل مع امرأة

عادية جداً وتركها هي الحبيبة .. الجميلة الناعمة..

الساحرة..

قالت بشرى ببعض التلعثم:

- لأبس أما شوفتك قلقت عليكى وحييت اطمئن بس مش أكثر..

أجابتها فيروز على الفور بعد أن تجمعت بعض الدموع الحائرة بمنتصف عينيها...

- أنا سبت عادل خلاص..

تبدلت ملامح بشرى لتظهر الصدمة جلية على وجهها .. ماذا تقول وعن ماذا تتحدث؟

كيف ومتى ؟

هل يعني هذا أن كل ما خططت له ذهب هباءً!!

تنازلت البرنيسية عن حبيبها وانتهى الأمر!

نعم هي تحب عادل ولكنها تحب أن تأخذ أي شيء بيد فيروز أكثر.. وضعت بطريقه

رودينا فقط من أجل أن تثبت لهم أن هذا الحب العظيم الذي بينهم ما هو إلا وهم

وسراب.. من أجل أن تأخذ الأهم بالنسبة لها منها..

تركبتها فيروز لتقبل الصدمة ودخلت إلى أسما ثم أغلقت باب الغرفة عليهم.. نظرت لها

فقد كانت جالسة على مهدا ويديها تكتب نصحتها طبيها بقراءته..

لم تتغير ملامح أسما رغم شعورها بارتباك فيروز.. لم تركض نحوها بل لم تنفوه بشيء فقط

ظلت منتظرة ما سيخرج من تلك الشفاه الحائرة ..

وكان اللامبالاة بدأت تنسلل إلى حياتها.. وكأنها توصلت لقناعة بأن حياتها لم يعد لها

طعم ولا فائدة ويجب أن تعيشها بالطول أو العرض.. فقط فلتمر الأيام..

وربما أنها تأكدت أن أسوء شيء قد حدث بحياتها ولم يعد هناك ما تهابه أو تخشاه.. لم

يعد هناك ما يجعلها تهتم..

جلست فيروز بجانبها ومسحت يديها على وجهها الناعم مطمئنة إياها مثلما يفعل أبيها معها تمامًا في أوقات ضيقها وحزنها..

والأخرى حتى الآن لم تنفوه بشيء.. لم تسألها عن إبراهيم وعن ما فعله مع مروان.. هل وجدته أم لم يجده؟

هل إبراهيم مازال يحبها ولم يكرهها بعد؟ هل ندم لأنها هي أخته وتلمي لو لم تكن؟

لم تتحرك شفيتها بأي محاولة للحديث.. يا إلهي ألتك الدرجة باتت لا تبالي بشيء..

بالفعل هي لم تعد تهتم وكأن الألم يفرز مخدر بالأجساد..

كلها ازداد الألم تخدر الجسد وقل معدل الشعور..

قالت لها فيروز:

- عاملة إيه ؟

أومأت لها أسما برأسها وظلت منتظرة القادم فقد قرأت في عينيها أنها مازالت تمهد..

قالت فيروز لها:

- أسما عاوزة أقولك على حاجة..

لمحت ظلال أقدام تقف خارج الباب وتيقنت أن بشرى تقف خلفه وتستمع إليهم..

نهضت فيروز من جانب أسما وفتحت خزانها وأخرجت منها بعض الملابس ثم قالت:

- قومي إلبسي ..

سألها أسما بقلق:

- على فين؟

وأجابتها بحماس مصطنع:

- هنتمشي شوية ونغير جو يلا إنتي لسه مجهزتيش..

نهضت أسما ودخلت إلى الحمام الملحق بغرفتها كي تبدل ملابسها بينما داخلها يخبرها أن أسوء شيء بحياتها مازال سيحدث وقريباً للغاية...

فريدة طبيعية دون مروان..

وكأن هناك ظاهرة مروانية كونية تصاحبها كلما رأته أو قابلته.. يقلب رأسها ويعبث بأفكارها ويتركها معلقة لا تلمس سماء ولا تطأ قدمها أرض وبمجرد أن يختفي تنتهي الزوبعة وتعود لحياتها والأغرب أنها تشعر أنها تحب زوجها..

وكأن هذا المروان يظل مهما حدث حبيس بزاوية صغيرة في عقلها وكلما رأته تنشط وتشتعل بأفكاره..

وكأنه يمتلك سيطرة خاصة عليها.. وكأنه يسحرها..

هي لا تفهم سبب ذلك ولا علته ولكن ما تعلمه الآن أنها مرتاحة..

مروان قد اختفى بعد آخر لقاء.. مروان قد خرج بأفكاره من حياتها وهي ستسترد استقرارها وحياتها مع زوجها..

خرج مروان من حياتها قبل أن يدمرها أو بالأصح هي من تزعم ذلك...

اليوم تشعر بأنها متشبعة بالحياة.. طاقتها قد وصلت لأقصى درجاتها..

هي اليوم سعيدة لأنها قد عادت البارحة لمنزلها وحبیبها وقد تركت الأفكار السيئة رأسها دون رجعة...

خرجت من الحمام وقد غطت جسدها بمنشفة وتركت شعرها ينثر قطراته على الأرضية..
وجدت إبراهيم بالغرفة وتفاجئت متى خرج ومتى جاء والأعجب هو كيف يتواجد
بالمنزل وقت الظهيرة!

ذلك يعد بمثابة معجزة من معجزات الدنيا السبع.. أن يهمل إبراهيم عمله بالنسبة إليها مثل
أن تتوقف الأرض عن الدوران عن الشمس أو أن يمتنع القمر عن الظهور بالسماء..
تأملته لبعض الوقت.. كان مستلقياً على الفراش بملابسه وحتى حذاءه مازال يرتديه..
مغمض العينين ولكنه لم ينم بعد..

كان يبدو عليه الإرهاق الشديد وكأنه رصيده من الطاقة قد أوشك على النفاذ..
احتضنته من الخلف ولم ينتبه لها إلا بسبب قطرات المياه التي تساقطت من شعرها على
وجهه.. فتح عينيه ببطء وإجهاد واضح فسأله:

- إبراهيم مالك؟ .. إنت كويس؟

اعتدل ومرر يديه على وجهه.. كانت حالته تبدو مزرية وكأنه على وشك الانهيار..

- أنا حاسة إنك مخي حاجة عليا..

أوماً رأسه بالرفض وأخبرها:

- أنا تعبان..

وضعت رأسه على صدرها.. سأله مرة أخرى بعد أن تسلل الخوف إلى قلبها:

- إبراهيم أنا أول مرة أشوفك كده .. خوفني عليك..

قال إبراهيم بعد أن رفع رأسها عن صدرها:

- شوية مشاكل في الشغل..

سألته مشككة:

- ودول يخلوك كده؟

أوماً برأسه بالموافقة دون حديث فنهضت هي من جانبه وحاولت أن تخلع جاكيتته عنه..
أخبرها بعد أمسك يديها:

- بتعملي إيه ؟ أنا نازل تاني..

قالت له ببعض اللوم:

- تنزل فين إنت تعبان..

- ورايا حاجات مهمة مينفعش نتأجل..

قالت له فريدة هامسة بعد أن اقتربت من وجهه:

- أرقصلك!

تشابك حاجبي إبراهيم وقال بعد أن نهض من على السرير:

- شكلك فايقه..

وقال بعد أن طبع على رأسها قبلة:

- إلبسي هدومك عشان ما تبرديش ..

وتركها ورحل ولا يعلم إن كان تصرفه هروب.. أهل هو بسبب ما قد علمه عن أسما؟ أم

أن اليوم الذي تركت فيه المنزل دون عذر يتقبله رأسه قد بنى بينهما حاجز.. أم أن

تحولها من النقيض للنقيض معه بأسبوع واحد وضع الكثير من علامات الاستفهام

بعقله!

وربما اجتمعت عليه كل الأسباب ..

أما عنها هي فما تعلمه الآن إن ابتعاد إبراهيم هكذا عنها قد يصيبها بالجنون وشعرت أن
كلما يبتعد هو هي تشتي القرب أكثر..
هي أنى تنتفخ بالاهتمام وتتغذي عليه ..عاشقة للدلال وتشتيه بكل الأوقات..
من يتزوج فريدة عليه أن يتفنن في طرق ارضائها وإبراهيم بات لا يفعل وهي ستفقد
عقلها من تغيره المفاجئ معها..

الشمس مشرقة هذا الصباح لتنافي شحوب وجهها واصفراره.. اختفت منه الدموية
باللحظة التي دخلت عليها فيها فيروز الغرفة وأغلقت الباب خلفها..
إلى الآن لا يتحدثان.. تمشي جانبها بالطريق وعينها تتابع تقلب ملامحها عليها تنطق بشيء
..

تأففت ووقفت فجأة بالطريق ..

- فيروز فيه إيه؟

تهدت فيروز واستسلمت.. لا هروب ففي النهاية لابد أن تخبرها..
ترى ماذا ستكون ردة فعلها.. يا إلهي ما كان يجب أن تأخذها وتخرج من المنزل.. ربما
ستثور وربما تنفعل وقد يصل معها الحال لانها عصبية..رباه حيناه كيف ستتصرف
وهي وحدها!!

ألقت نظرة جانبية ولحت بطرف عينيها مقهى مفتوح.. أمسكت بيديها كي يعبروا الطريق
وكانت تقول:

- خيلنا نقعد ونتكلم..

وأسماء أو شك رصيد صبرها على النفاذ ولكنها استسلمت وقررت الانتظار فإذا عساها أن تفعل!

طلبت من النادل فنجان من القهوة ثم سألت أسماء:

- تشربي إيه؟

- مش عاوزة..

تجاهلتها ونظرت للنادل مقرررة عنها:

- أي عصير فريش..

قالت أسماء بعد أن انصرف النادل:

- إبراهيم بقا بيكرهني صح...

انصدمت فيروز مما قالته فجأة.. وكأنها كانت تود أن تسألها عن هذا منذ أن رأتها فقد

كانت في عينيها نفس تلك النظرة الخاوية..

قالت فيروز بعد أن أمسكت يديها:

- جبتي الكلام ده منين!

ترقرقت الدموع في عيون أسماء وقالت بتأثر بالغ ظهر على ملامحها:

- سألني من غير ما يبص في وشي وأنا حكتله كل حاجة.. حكتله من أول ما اتعرفنا لحد

ما خدرني ..

وأضافت:

- ما نطقش بكلمة ومن ساعتها مشوفتهوش ثاني..

وتساءلت:

- قالك أنه بقا بيكرهني ومش طايق يشوفني صح..

تمزقت فيروز وشفقت عليها للغاية.. كيف توصلت لتلك النقطة؟.. إبراهيم لا يكرهها ولكن الموقف يظل أكبر من مدى استيعابه.. لقد انحنى ظهره وانقلبت حياته بأسبوع واحد.. ربما يحملها بعض المسؤولية فهي بسذاجتها من سلمت له نفسها على طبق من فضة ولكن هو الآن لا يشغل عقله الأسباب فقط النتائج..

قالت فيروز:

- أسما متفكريش كده هو انصدم من الموقف ويفكر يحله من غير ما حد يعرف.. قدره الحمل كبير عليه أوي..

قالت أسما لنفسها " ويطالبونها هي بأن تتحمل.. كيف؟ .. فهما تمزق إبراهيم لن يصل لمقدار ولو ذرة من الوجد الذي نعيش معه هي.."

أضافت فيروز:

- إنتي غالية أوي على إبراهيم مش أنا اللي هقولك.. متفكريش كتير وتسيبي عقلك يودي ويحب..

صمتت أسما لبرهة ثم عادت تسألها:

- جبتينا هنا ليه؟ إيه الموضوع اللي عاوزه تكلميني فيه؟

قالت فيروز بعد الكثير من التردد.. رباه وكأن خروج الكلمات يجرح حنجرتها ويؤذيها..

- إبراهيم قابل الحيوان ده..

تجمدت ملامح أسما وباتت لا تفسر..

أكملت فيروز:

- أسما إوعديني إنك تسمعي للآخر وتكوني هادية ماشي.. وفي الآخر مش هيحصل أي حاجة إنتي مش موافقة بيها..

يا إلهي هل نتمد أن تصل بها لمرحلة الجنون.. طريقة حديثها وتمهيداتها ستوقف قلبها بالنهاية عن الخفقان..

- إبراهيم هيجبره يتجوزك...

بتلك اللحظة كان النادل يضع المشروبات أمامهم وكان من نصيبها هي كوب من البرتقال.. اشتمت رائحته من قبل أن تلمحه.. ظلت تنظر للكوب بينما عقلها يستعيد ذلك اليوم من بدايته.. يوم خرجت فيه روحها من المنزل على بساط وردي وعادت إليه جثة محمولة على نعش خشبي..

ارتجفت أطرافها وتصادمت أسنانها.. وكأن البرد القارص قد حل فجأة.. انكمشت على نفسها مناشدة الشمس أن تحميها من البرودة التي تتسلل داخلها وتمكن منها..

قالت بعيون قد سال منها الكثير من الدموع:

- فيروز روحيني البيت..

الفصل السابع عشر...

لَأَنِّي جَرِيحٌ
 وَأَشْتَاقُ يَوْمًا لَأَنْ أُسْتَرِيحَ
 فَلَا تَخْذَعِينِي بِحُبِّ جَدِيدٍ
 لَأَنِّي أَخَافُ دَعِينِي بَعِيدٍ
 وَإِنْ تَعَشَّقِينِي
 فَلَا شَيْءَ عِنْدِي لِكِي تَأْخُذِيهِ
 وَمَا أَنَا شَيْءٌ
 وَلَا قَلْبَ عِنْدِي لِكِي تَعَشَّقِيهِ
 فَقَدْ تَنَدَمِينَ
 وَتَمَضِينَ عَنِّي
 وَفِي الْقَلْبِ سِرٌّ وَلَنْ تَعْرِفِيهِ
 وَإِنْ تَعَشَّقِينِي
 فَهَلْ تَعْرِفِينَ أَنَا مَنْ أَكُونُ ؟
 أَنَا اللَّيْلُ حِينَ طَوَاهُ السَّكُونُ

فلا أنا طفلٌ

ولا أنا شيخٌ

ولا أنا أضحكُ مثلَ الشبابِ

تَقاطيعُ وَجْهي خرائطُ حُزنٍ ،

بِحارِ دُموعٍ ، تِلالُ اكْتئابِ

فلا تَعشِقيني لأني العذابُ

إِذا قُلْتُ يَوْمًا بَأَنِّي أُحِبُّكَ

فلا تَسْمَعيني

فَحيِّ كَلامِ

وَحْيي إِلَيْكَ بَقايا انتِقامِ

لَأَنِّي جَرِيحٌ ..

سَأُشْتاقُ يَوْمًا لَكي أُسْتَرِيحَ

وَأُرْغَبُ يَوْمًا أُرْدُ اعْتِباري

وَأُطفئُ ناري

فَأَقْتُلُ فِيكَ العُيونَ البريئةَ

فَلَا تَعْشَقْنِي لِأَنِّي الْخَطِيئَةُ

سَأْمُضِي بَعِيدًا

وَأِنْ عُدْتُ يَوْمًا

فَقُولِي بِأَنَّكَ لَا تَعْرِفْنِي

فَقُلِّي ظِلَامٌ

وَحُيَّ كَلَامٌ

وَمَا زِلْتُ أَرْغَبُ فِي الْإِنْتِقَامِ

((مروان وأسماء))

عبد العزيز جويدة...

ظلت بغرفتها طوال اليوم.. تغدو في الغرفة ذهابا وإيابا .. تفكر.. وتبكي وتنهار ثم تتجول في
الغرفة مرة أخرى وكأنها تبحث عن شيء هي بالأساس هي لا تعلمه..

ربما كانت تبحث عن نجاة.... وربما هروب.. تبحث عن حل!

ولكن هل هناك حل؟

مروان معها في صحتها وفي منامها .. كان البارحة فتى أحلامها واليوم بات منبع
كوايسها.. هو كان معها وظل معها فما الذي سيتغير بعقد الزواج؟

"سيتغير الكثير" صرخت داخلها..

أن تكن في منزله يعني أن تتلاقي عيناها كل صباح وأن يناها كل مساء..

سئمت بدل المرة مرات .. سيقتلها كل ليلة.. وحينها مع الأسف لن تنل رفاهية مخدر..

وضعت يديها على رأسها بأسى.. بيأس طويل المدى..

إذا سألتها بتلك اللحظة عن أقصى أمنياتها ستخبرك دون تردد أن تقتله.. وكأن وجوده

بحياتها لعنة لن تتخلص منها سوى بموته أو بموتها.

وهو من يستحق الموت والتعذيب لا مكافئة بزواج..

اللجنة...وكان كل تلك المعاناة التي عاشتها على يده وبسببه لا شيء بقانون الحياة..

البداية كانت له والفوز سيظل له وهي ليست أكثر من عروس ماريونت يحركها

بأصابعه..

بتلك اللحظة دخلت عليها أمها حاملة كوب من اللبن الدافئ سرعان ما وضعتها جانباً

بأقرب منضدة وهرعت نحوها..

كانت حينها جالسة على أرضية الغرفة الباردة و.. تبكي..

أمسكتها بها أمها ورفعتها ثم ساعدتها حتى أوصلتها إلى سريرها وكانت هي الأخرى تبكي

معها..

كم تشعرها أسما بأنها قليلة الحيلة؟!.. أصبحت ترى نفسها أمّ فاشلة مثلها كانت ومازالت زوجة فاشلة .. لم تستطع حتى الآن أن تعلم مشكلة صغيرتها .. حاولت مراراً وتكراراً ولكن أسما لم تفتح لها قلبها ولم تشاركها بشيء..

هي لا تعلم أن صغيرتها تريد حماية أمها من حزن لا انتهاء له ومن ألم لا مسكن له ولا دواء.. لا تريد أن تقهرها ولا تريد أن تكسرها ولا أي مخلوق حتى فيروز وإبراهيم قد علموا بالأمر رغماً عنها..

هي تشتهي كأي ابنة أن تشارك أمها بمشاكلها وتنتظر أن تمدها بجرعات الحنان والطمأنينة وربما الحل.. هي ستشعر براحة كبرى إن أخبرتها ولكن أسما لا تقبلها عليها.. لن تستطيع.. حورية عانت وتعاني وستعاني والسبب امرأة سكنت قلب زوجها ليطردها هو من جنته وأسما تشعر بجروحها ومنذ الصغر وترى أن هذا يكفيتها.. سموت إن أخبرتها وإن ماتت حورية ستنتهي تلك العائلة للأبد..

لولا حورية لانفرطت حبات العقد وتناثرت في الأجواء .. لتشردت تلك العائلة..

قالت لها حورية بنبرة لائمة .. مستنكرة..

- الجو تلج .. حد يقعد القعدة دي برده..

وأضافت بنبرة مقهورة:

- غاوية نتعي قلبي .. فيكي إيه يا حبيبة ماما؟

كانت أسما بالفعل ترتعش.. كل عضلة منها ترتجف وليس من البرد ولكن من الألم..
من القهر ومن الضعف..

قامت حورية بتغطيتها ثم ظلت تمرر يديها على وجهها الشاحب البارد عليها تعيد الدموية
إليه ثم تأملتها بعيون باكية..

هي واثقة أن ابنتها تخفي عنها شيء فيروز تعلمه..

ابنة جويل تشبهها.. ورثت من أمها أن تفعل ما تفشل هي بفعله..

دثرت نفسها بجانبها تحت الغطاء بعد أن ناولتها كوب الحليب.. قالت لها:

- اشربيه كله.

قالت أسما ممتعة:

- مش عاوزة..

توسلت لها حورية وقالت:

- عشان خاطري..

سألتها أسما بطفولية :

- هما ليه الناس وحشين أوي كده؟

وأجابتها حورية بمرارة.. تلك البريئة لا تستحق أن تحيا مع ذئاب.. لا تستحق أن تحزن
هكذا فلطالما كانت ملاك العائلة وقلبه الأبيض..

- مش يمكن انتي اللي طيبة زيادة عن اللزوم..

أومأت أسما برأسها موافقة.. نعم هي بسذاجتها من ساعدت الذئب على التهامها فلا داعي
للنحيب الآن..

ألقت بنفسها داخل حضن حورية ثم قالت بتعب وإجهد جلى على نبرة صوتها قبل
وجهها:

- ممكن تنامي معايا..

أومأت حورية رأسها بكل امتنان وأسما كانت قد خلدت للنوم خلال ثلاثين ثانية..

نامت بعمق وطمأنينة فبحضن الأم تهرب كل الذئاب وتختفي كل المخاوف..

الليلة ستنام دون مروان ...

وفي الصباح استيقظت مؤخرًا ولا تعلم إن كان إرهاق أم هروب من الواقع ولا يهم ..
لم يعد أي شيء مهم..

يكفيها ألم رأسها المضاعف وعيونها التي تفتحها بالكاد..

ظلت تبحث عن مسكن للألم بالأدراج التي بجانبها.. فتحتهم كلهم تقريباً ولا أثر..

تذكرت.. لقد ابتلعت آخر قرص البارحة ..

كل شيء يعاكسها.. كم محظوظة مثلها بالحياة!

دخلت عليها فيروز بتلك اللحظة وهي قد رأت في عينيها شيئاً قد تغير.. حزن وربما قرار ...
قالت فيروز:

- عاملة إيه ؟

ولم تجيب أسما وبماذا ستجيب هي اليوم مثل البارحة وستكن كالغد..
ذعرت فيروز من صمتها هذا.. خافت أن تعود لتلك الفترة التي كانت قد اعتزلت فيها
الكلام والناس.. اللعنة عليها ما تقدمته بأشهر هدمته هي بلحظة..
هل كان يجب ألا تخبرها؟.. هل كان يجب ألا تشارك إبراهيم بهذا الأمر؟
هي أصبحت تائهة.. لا تعلم الخطأ من الصواب..
سألتها فيروز في النهاية بقلق جلي:

- ساكتة ليه؟

والأخرى لا تجيب.. كانت تهاجم .. هي لم ترَ العصبية تسكنها هكذا من قبل..
- ولو اتكلمت هيتغير حاجة!

لم تعلم بماذا تجيبها فيروز وشعرت أن الأمور أصبحت تخرج عن السيطرة وتعطي أسما
كل الحق .. الوضع صعب.. مخيف .. ظالم..

- أسما هو مجرد شهر ولا شهرين وإبراهيم هيطلقك منه...

قالت أسما بيأس.. هي تعلم أن بالأخير لا فائدة من الجدل أو الاعتراض.. بالنهاية صوتها
سيظل غير مسموع..

- موافقة..

وأضافت مؤكدة:

322

سته أشهر لن يتنازل عنهم وهذا آخر ما لديه ...

بعد أسبوع..

- أنا وقت ما أقول خلاص يبقى ساعتها خلاص.. ده لو عاوزة تاخدي المبلغ اللي اتفقنا عليه..

وأكلت:

- أنا مش فايقالك وأحسلك متخبريش غصبي..

أغلقت بشرى الهاتف زاعقة ثم ألقته على سريرها.. اللعنة كيف تجرأت أن تتحدث هكذا مع أسيادها؟!!

لقد حادثها رودينا وأخبرتها بصوت عالي وبنبرة جديدة عليها أنها سترحل.. قررت وستفعل..

أخبرتها أن لعبتها قد طالت وهي قد ملت.. اشتاقت لطفلها وهو اشتاقها..

أخبرتها أنها باتت تكره نفسها.. تلعنها كلها يقترب منها..

تلعن نفسها التي باعها بأموالها..

أخبرتها أنها استغلت ضعفها وأزمتها وهي أطاعتها ويكفي هذا الحد..

كانت رودينا قد انفجرت بوجهها مما جعل بشرى تفقد أعصابها أكثر..

لم تهدد ولم تحايل.. لم يكن لديها طاقة.. صاحت بها هي أيضاً وهددتها

وتعلم أن رودينا لن ترحل دون أن تأخذ مالها منها..

فهل بعد كل تلك التضحية ترحل دون مقابل! .. مستحيل..
 أشعلت بشرى سيجاراً ونفثته بشرفة غرفتها.. كانت تشتي أن هذا الدخان الخارج من
 فيها يذهب لتلك التي تسقي الورود بالحديقة ويحرقها..
 ألن تكسرهما أبداً؟ مهما فعلت لا يفلح أبداً..
 اللعنة تبدو هذا الصباح هادئة.. وجميلة.. حتى وإن لم تكن قد ذهبت لمصفف الشعر
 منذ شهر أو تزيد!

هي تظل مميزة كحبة الفراولة دون الحاجة لسكر أو نكهات اضافية..

جميلة وهي حتى حزينة..
 ألقت بشرى بالسيجارة جانباً عندما لمحت سيارة أبيها قادمة.. فتحت الشرفة على آخرها
 كي تقوم بتهوية الغرفة.. بدلت ملابسها وغسلت أسنانها ونثرت على ملابسها عطرها
 الخاص ثم اتجهت إلى أبيها.. ستقنعه بأي طريقة.. يجب بأي شكل أن تجعلها تتجرع
 مرارة الخيانة وحينها ستعلم أنها أقل من أي امرأة عادية.. سينحني رأسها المرفوع هذا..
 سنتنصر عليها مرة..

دخلت على أبيها غرفة مكتبه وكان هو الآخر يبحث في الأدراج ويخرج منها كومة
 مستندات.. يبدو أنه قد جاء من أجل أن يأخذ أوراقاً هامة وسيعود للشركة مجدداً..
 طرقت الباب طالبة منه الإذن كي تدخل وهو أشار لها بالدخول وكان يقول:

- تعالي يا بشرى..

وأضاف مازحاً:

- الساعة ١٢.. خير صاحبة بدري إنهاردة.

قالت بشرى متصنعة الجدية:

- أنا منمتش أصلاً ..

وأضافت بعد أن جلست على الكرسي المقابل له:

- مش عارفة أنا..

- خير.. قلقيني فيه إيه؟

قالت بشرى بعد أن انكملت عضلات وجهها:

- قلقانة على فيروز.. بقالها فترة مش طبيعية.. بقت حزينة أوي ومنطوية..

نعم هي محقة.. وهو قد لاحظ .. سألتها وقالت أنها بخير ولكن هناك شيء داخله يخبره

أنها غاضبة منه بالأخص..

- مالها روز!

تنحنت لتقول:

- عادل..

تصلبت عضلات فكه لمجرد سماع اسمه.. أراد أن ينهي المناقشة فلا طاقة له بفتح هذا

الموضوع مجدداً.. لن يوافق أن يضع يده في يد ابن مدحت أبداً..

قالت بشرى مقاطعة إياه قبل أن يتحدث:

- بابي فيروز بقت غريبة الفترة الأخيرة..

وأضافت:

- وبالأخص بعد ما حضرتك وافقت على جواز أسما من اللي اسمه مروان ده.. يعني

تلاقيا بتقول لنفسها إزاي توافق على واحد زي ده وترفض عادل اللي كبر قدام

عنك...

قال محي بعصبية:

- ومين قال إني موافق على مروان ده؟ ماما هي اللي...

قاطعته بشرى:

- بالظبط يا بابا زي ما حضرتك قوت " ماما " .. حضرتك وافقت عشان ماما خايفة

على أسما وطنط جويل مش موجودة ..

- يعني إيه؟

- يعني زمانها بتفكر إن لو طنط جويل عايشة مكنتش هتقبل إن قلب بنتها يتكسر

وهتعمل أي حاجة عشان تخلي حضرتك توافق على عادل..

كان يهم بالرحيل.. لا يريد أن يستمع أكثر.. هو تنازل مرة ولن يتنازل أكثر ففي المرة

القادمة ستأتيه بشرى بمعتوه وتطالبه أن يوافق كما فعل مع أخوتها.. ما هذا الهراء..

كلامهم لا يدخل رأس عاقل..

نهض من على مقعده معترضاً ولكن داخله يكرر كلمات بشرى رغماً عنه.. روز غاضبة

وحزينة وتقارن وتشعر باليتم وجويل غير موجودة.. لقد مست بشرى بالفعل وتراً حساساً

للغاية..

نهضت بشرى هي الأخرى وأخبرته بمثابة:

- يا بابي افهمني..هما متعلقين أوي ببعض وعدم موافقة حضرتك ممكن يضطرها إنها

تهرب معاه مثلاً..أنا خايفة المواضيع تكبر أكثر وصدقني عادل إنسان كويس

ميسأهلش إن حضرتك ترفضه بالشكل الفظيع ده..

تهرب!.. هل قالت تهرب؟.. هل من المعقول أن تكسر أبيها لأجله.. تخسره ببساطة وتحني رأسه!

الحب يصنع المعجزات وهي لن تكن أول ابنة تقف مع حبيبها ضد أبيها..

توحشت نظراته وتجمدت ملامحه لمجرد أن وصل لتلك النقطة.. ولم يشعر بقدميه سوى وهو بطريقه للفيلا الأخرى..

كانت فيروز مازالت بالحديقة.. لا تعلم إن كانت تسقى الورود أم تقتلها غرقاً فهي شاردة طوال الوقت ولم تنتبه على ما تفعل..

نظرت لأبيها بصمت عندما وجدته يقف أمامها وينظر لها بغرابة.. بضيق وباتهامات.. أمسكها من يديها وجرها خلفه بينما كان يقول:

- تعالي جوة الفيلا.. عاوزك..

صمت رهيب..

نظرات غاضبة تتطاير في الأجواء..

توتر.. شخات سالبة..

- بابي في إيه؟

قالتا فيروز بعد أن كاد قلبها أن يقفز من محله خوفاً ورعباً.. وحيرة وعدم فهم أيضاً..

- انتي لسه بتقابلي اللي اسمه عادل ده؟

أجابته على الفور.. بكل تأكيد وثقة:

- لأ...

- ما تكذيبش ..

توسعت عيني فيروز بعدم فهم..

ماذا يحدث؟

وباغتها متسائلاً.. بل في الحقيقة متوسلاً.. فعينه كانت بالفعل قد تسرب إليها قطرات من الدموع..

- هتتجوزيه غصب عني!

شحب وجه فيروز وتراجعت حمرة وجنتيها تدريجياً حتى اختفت تماماً.. قالت بتلعثم وتردد من أثر سؤاله المفاجيء .. تلثم أثار الشك في قلبه أكثر..

تسائل في نفسه.. هل تفعلها فيروز؟ تتزوج رغماً عنه وبدونه..

- مين اللي قالك كده؟

وأضافت:

- بابي هو فيه إيه؟

قال محي بعدم صبر وصوت مرتفع هز جدران الفيلا:

- هتتجوزيه ولا مش هتتجوزيه ..

اهتزت.. ذُعرت.. ارتجفت وبكت.. هي لا تفهم سر عصبية تلك و لا كيف ومتى
أصبحت في قفص اتهام..

أجابته بصوت مبحوح.. خفيض..

- هو عادل عرض عليا الجواز بس أنا رفضت ..

وأضافت بالكثير من الدموع:

- رفضت عشانك يا بابي..

يا إلهي.. لم خرجت منها الجملة بكل هذا الألم.. بكل هذا الندم..

سألها وكان يهرتل.. عقله قد ذهب من رأسه.. اصمتي.. لا تبكي هكذا فدموعك تلك
تمزقه..

- ليه؟ .. شايفة فيه إيه؟ اتقدملك ولاد وزرا ودكاترة في الجامعة ورفضتي.. أجابته
وكانت مستنكرة.. يتحدث عن عادل كما كان يتحدث عن مروان..

عادل ليس كمروان؟ لا مقارنة بالأساس.. لم يقلل منه هكذا؟

قالت مدافعة وكان قلبها من يتحدث:

- عادل أحسن من كل اللي بتقول عليهم.. أنا حتى مستاهلوش.. عارف ليه؟

وأكلت:

- عشان هو بلحظة اتخلي عن كل حاجة عشاني.. عمل اللي مقدرتش أعمله عشانه..

وقالت وكانت الأصعب:

- أنا عمري ما هعيش حياتي واتجوز غيره يا بابي.. مش هنسأه لأنه في نظري أحسن راجل في الدنيا..

سكن تماماً... لا يعلم حقيقة ما بداخله حالياً.. كان يغرق في خليط من الأحاسيس.. لا يعلم أهو غاضب منها أم من نفسه!.. وربما ما يشعر به الآن غيرة.. ربما بالفعل هو يغار لأن في قلب ابنته رجل غيره.. في قلب ابنته ابن غريمه.. ومن الممكن أيضاً أن هناك جزءاً منه يصرخ متعاطفاً مع ابنته ويعطيها الحق ويتمرد عليه.. ولكن أياً كان الوصف فالنتيجة أنه كان حانقاً للغاية..

قال منياً الحوار:

- مفيش خروج من البيت من غير ما تعرفيني..

ومد يديه إليها بينما كان يقول:

- تليفونك..

وكررها بعدما وجدها ساكنة الجسد والملاح..

- هاتي تليفونك..

أعطته إياه مستسلمة وهو بدوره انتزعه من يديها بعنف..

قبل أن يرحل استوقفته فيروز بجملته قاتلة.. رشقت في ظهره كالخنجر..

- بس حضرتك كده بتعمل معايا زي ما جدو عمل معاك.. رفضت عادل زي ما
رفض جوازك من مامي..

وأجابها هو بأن رحل وصفق الباب خلفه..

التجاهل .. يقتل..

والاشتياق.. يحرق..

وهي تقتل وتُحرق وتُشعر بالعجز أيضاً..

وبالخوف ..

لقد وصلت مخاوفها لدرجة أنها قد حلت البارحة أنه سيتركها .. أنه سأم منها تماماً
وتخلي عنها..

وضعت يديها على رأسها بملل.. بتعب ..

لقد وصل جفائه لدرجة لا تحتمل وكأنهم بدلوا زوجها وهذا الذي ينام بجانبها لا تعلم
عنه أي شيء .. حتى أنه لم يقترب منها ولم يلمسها منذ أن عادت للمنزل..

هل هذا طبيعي؟.. معقول..

مررت يديها على وجهه الذي تخلله بعض قطرات العرق.. كان غارقاً بالنوم ولا يشعر
بأي شيء حوله ولا حتى بلمسات أصابعها على وجهه.. كانت تلك المرة الأولى التي

يستغرق فيها بالنوم هكذا منذ أسابيع..
هو نائم وهي تثقل على جمر من نار..

الاشتياق.. الرغبة.. الحب..

جميعهم يشعلوا داخلها ناراً لا تنطفئ جذوتها.. الآن هو بجانبها تماماً.. أنفاسه تحيط بها..
رائحته تداعب أنفها..

أنفاسه المنتظمة تلك تزيد من دقات قلبها المشتعل ومن رجفة شفيتها التي تشتي قبله..
قبله.. هل هي تقبله الآن؟ بالفعل تفعل..

كانت تقبله بهدوء وبكبرياء ورغبة في عدم ازعاج وهذا في البداية ولكنها انجرفت بعدها
لدرجت أنها أيقظته..

وهذا هو المطلوب اثباته..

هو بتلك اللحظة لا بد أن يستيقظ..

فتح إبراهيم عينيه على شفيتها التي تقبله.. لم يستيقظ بالكامل بعد وما زال لم يستوعب..
نهض وهو يتأملها.. أحلم.. لا هي الآن أمامه وعيونها تكاد تنطق بالرغبة..

قالت له بصوت متحشرج:

- وحشتني أوي..

و لم يتركها تكمل .. هو أيضا يشواقها.. يعشقها على الرغم من غضبه منها.. ستظل هي امرأته وحبيلة عمره وزوجته..

بتلك اللحظات القصيرة تتلاقى المشاعر لتذيب البرودة ويهرب الكبرياء..
وقد منحها ليلة حميمة ساخنة استعادت فيها زوجها وكبرياءها ..

وفي اليوم التالي استيقظت متأخرة وكان هو بالطبع قد رحل إلى العمل.. ثاءبت بكسل وسعادة..

إبراهيم مازال يحبها والأمر تعود لطبيعتها ..

وهل هناك صباح أفضل من هذا؟

مدت يديها لتلتقط هاتفها الذي كان على الوضعية الصامتة لتفاجيء بوصول رسالة من رقم معروف بالنسبة إليها..

قرأت حروفها حرفاً حرفاً وكأنها تحاول أن تستوعب..

" و ح ش ت ي ن ي "

ظلت متجمدة وثابتة على تلك الأحرف لثواني وبالأخير عاد عقلها للعمل لتقرأها بشكل سليم..

" وحشتيني.. بقالك أسابع متصلتيش بيا حتى.. مفيش حل أدامي غير إني أجيلك
انهاردة.. استنيني.. "

سقط الهاتف منها وارتعشت أطرافها.. انحنت لتستعيد الهاتف ثم قامت بالاتصال به..

ستسب وتلعن وتهدد بالقتل حتى يتركها وشأنها..

ولكن لم تسمع سوى رسالة مملة..

" الهاتف الذي طلبته مغلق أو غير متاح يرجى معاودة الاتصال "

لتلقى بالهاتف على المرأة التي بغرفة نومها وتكسرهما...

حاول الاتصال بها والهاتف مغلق فبعدما ألقتة على المرأة سقطت بطاريته وهي لم تهتم

بإعادتها.. لم تتحرك من مكانها أصلاً.. عندما سأم حادثها على المنزل.. وأجابته وكانت

حائقة فقد كانت تعتقد أنه مروان يلعب بأعصابها..

- نعم..

تعجب وسألها:

- مالك ؟ وتليفونك مقفول قلقت..

تهدت ولففت أصابعها في خصلات شعرها كي تهدأ.. قالت بعد التقطت أنفاسها:

- لسه صاحية من شوية هشوفه.. يمكن فاصل شخن..

وأخبرها:

- تمام.. كنت عاوزة أقولك انهاردة رايمين الفيلا .. عاملين حفلة صغيرة عشان خطوبة

أسما...

سألته مستنكرة:

- خطوبة! فجأة كده..

وقال مفسراً.. يعلم أنها ستغضب لأنه لم يخبرها عن هذا الأمر مسبقاً..

- الموضوع حصل بسرعة ملحقتش أقولك.. وكان الخطوبة على الضيق يعني عيلتنا وعيلتهم
بس..

وأكل قبل أن يغلق الخط:

- هعدي عليكي الساعة ٧ تكوني جاهزة..

- تمام..

وهي تنهدت بفرح.. على الأقل لن تظل بالمنزل الليلة وإن جاء مروان فليأتي ..
المنزل الفارغ ينتظره..

في الشتاء يأتي الليل سريعاً وفي حالتها هي العكس فلقد شعرت بكل دققة وكأنها سنة..
من أين خرجوا بفكرة الخطبة تلك!

يديها متعركة وترتجف في نفس الوقت وعقلها لا يخرج عن فكرة وحيدة وهو أنها ستراه..
ستحلم أنها تقفز على رقبتة وتقتلعها.. ستشتهي خنقه .. تمزيقه إلى أشلاء..

ستتمنى أن تقتلع عيونه .. ولن تفعل..

هي مطالبة بأن تبسم في وجهه.. أن نتقن دورها بالمسرحية جيداً..

هراء..

وكانهم منحوا دور البطولة لشخص لا يمتلك موهبة التمثيل..

دخلت عليها فيروز الغرفة وكانت بكامل أناقتها..

سألتها:

- أسما إنتي لسه مجهزتيش؟.. الناس تحت..

وهي ارتجفت.. هو يبعد الآن بضعة مترات فقط..

يا إلهى سيتوقف قلبها ..

قالت أسما:

- جبتي اللي قتللك عليه..

اقتربت منها فيروز واحتضنتها بقوة بينما لسانها يردد:

- أسما بلاش أحسن .. أنا كلمت دكتورك وقالي الأفضل تواجهي الموقف وبلاش

ندخل في سكة المهدئات..

تواجهه.. وكيف؟ ومن تواجهه؟

تواجهه مروان وتنقض على رقبتة وتسأله لم كسر قلبها بكل تلك القسوة أم تواجهه عائلتها

بأن ما يحدث الآن كذبة.. بل أكبر كذبة..

سألتها أسما بعدم صبر:

- جبتيه ولا لأ !

أخرجت فيروز من حقيبتها علبة دواء.. مدت إليها يديها بتردد فانتزعتها أسما منها سريعاً..

أخذت منها قرصين دون ماء ثم التقطت زفيراً عميقاً..

تأملتها فيروز بحسرة وقهر واشتتت هي أيضاً أن تتناول قرص من هذا المهدئ فمذ شجار

البارحة مع أبيها لم تخرج من غرفتها ولم تواجهه ولولا أن أسما تحتاج وجودها معها ما

كانت ستأتي لتلك الفيلا أبداً..

ظل مروان يتأمل الفيلا حوله .. بزهو ونخر.. من اليوم سيصبح من أهل المنزل ورحلة انتقامه قاربت على الانتهاء..

تلك أفضل لحظات حياته.. هذا المفترض ولكن هناك شعور آخر يحاول جاهداً كي يدفنه ..

اقترش بسمة على ثغره يخبأ بها توتره.. حتى وإن كان كل شيء يسير كما يريد ومهما حاول أن يُخفي فهناك نقطة مازالت بيضاء تلومه.. تؤنبه.. وتلك النقطة هي أسما..

أسما ستظل بنظره هي رمز براءة العالم ونقاءه .. حتى وإن لوثها بنفسه ستظل ناصعة البياض.. لامعة.. كنجمة تزين السماء في الليالي الصيفية.. وهو يعلم ويدرك جيداً أن تلك النقية ستصبح لعنته.. وعقابه..

كيف ستكون ردة فعلها عندما تلقاه؟

هو لا يعلم أي شيء.. ولا يستطيع أن يخمن وإن فعلت إي شيء فهي محقة.. الشيء الوحيد الذي يعلمه أنه إن كان سيخرج من تلك اللعبة ميتاً فيشتي أن يموت على يديها وبشدة.. هي الوحيدة التي بإمكانها أن تطهره من ذنوبه التي فعلها ومازال يفعلها..

ويتسائل الآن:

- هل مازال له سلطان على مشاعرها!.. هل مازال يمتلك ولو جزء صغير بقلبها؟ وخرج من شروده على صوت أمه .. تهلل وتزغرد بسعادة فور رؤيتها لأسما..

نظر باتجاهها وتلاقت أعينهم لثوان ولكنها استدارت بنظرها للجهة الأخرى..
كانت قد ذرفت بعض الدموع وتحاول أن تخفيها وهو رآها..

الفصل الثامن عشر

أنا سرها ..

أنا أبقى نقطة ضعفها..

أنا الحاجة الي مخيياها عن الناس كلها..

وأنا الي من كتر خوفها..

على حكايتنا بتخاف تحكيها لحد..

أنا أول حب في حياتها..

أنا المشاعر..

أنا الحقيقة..الي مش بتقوها لحد..

أنا سرها ..

أنا أبقى نقطة ضعفها..

((مروان وفريدة))

أغنية لمحمد حماقي ...

نصف ساعة تأخرها انقلبت من أجلها موازين الكرة الأرضية..

ألا يكفي ما تعيشه منذ أن استيقظت!.. كانت طوال الوقت تناشد عقارب الساعة كي تصل للسابعة والآن تخطت السابعة والنصف وثلاث دقائق ولن تحمل دقيقة أخرى..

عاشت على أعصابها طيلة النهار.. قسّمت نظراتها بين الهاتف وبين باب المنزل وكأن مروان مثلاً سيقتحمه عليها ويدخل..

لا لن يحدث ولن يفعلها.. هي ليست خائفة من مروان وتعلم أنه لن يؤذيها..

هو يهددها.. يساومها.. يضايقها.. يلعب بأعصابها وتلك آخر حدوده..

مروان لا يضر.. مروان لا يؤذي نملة..

ما تخافه شيء واحد.. أن تخرب علاقتها مع إبراهيم.. إذا علم إبراهيم شيء عن مروان سينتهي كل شيء بينهم دون رجعة..

ظلت طوال اليوم هكذا تفكر وتختبر بخيالها أشياء لم تحدث..

مروان يقابل إبراهيم على الدرج ويخبره.. ويعلم

مروان يدق الباب وهي تفتحه وإبراهيم يأتي.. ويعلم

مروان ينتظر إبراهيم حتى يدخل المنزل ويدق الباب ويفتح له إبراهيم.. ويعلم..

يا إلهي ستفقد عقلها؟ متى يأتي إبراهيم ويذهبوا لتلك الخطبة وينتشلها من هذا الجحيم..
بتلك اللحظة رن جرس الباب وأعلنت حالات الطوارئ داخلها أما عن حالة قلبها فكأنه
من شدة وقوة ضرباته سيتوقف... ذهبت إليه ببطء وكأنها حارس مرمي يترصد قدوم
لاعب الفريق الآخر إلى مرماه..

في تلك الأوقات كل صوت له قيمة .. كل نفس محسوب.. كل ثانية تمر يزداد ذعرها..
قالت من خلف الباب بصوت مرتجف.. ضعيف.. بائس ومخنوق..

- مين ؟

وأجابها الطرف الآخر بصوت غليظ أفرعها في البداية..

- فرغلي البواب يا ست هانم.. إبراهيم بيه مستنيكي في العربية من بدري وحضرتك مش
بتردى على التليفون..

كانت بحاجة لعدة ثوان كي تستوعب الأمر ثم أخبرته على عجلة ..

- تمام تمام.. بلغه اني نازلة..

لقد خاب ظنها ولم يكن مروان الطارق ولم تكن المرة الأولى فقد تكرر هذا المشهد عدة
مرات على مدار اليوم..

فقد سبق حارس العقار زوجته التي أحضرت طلبات المنزل اليومية في الظهيرة..

عامل " دليفري " أخطأ بالعنوان..

هذا غير الهواجس والتهیئات..

بالفعل نجح مروان بأن جعلها تعيش نهراً مُرعياً....وصعباً..

دموعها قاتلة..

وهو يعاند كي لا ينهار أمامها.. كي لا يتراجع بعد كل هذا..

هو يتحدى ويكابر ومن داخله يكن في أقصى أوقاته انهياراً واحتضاراً..
يكره نفسه كل يوم أكثر ويكره فريدة ويكره اليوم الذي تعرف فيه عليها ولكنه مستمر
بطريقه..

كانت أسما مازالت مولية وجهها للجهة الأخرى.. تتظاهر بانشغالها بالحديث مع فيروز..
تلتقط أنفاسها.. تستجمع قوتها و..تبتلع دموعها.

هل تأخذ المهدئات كل ذلك الوقت كي تعمل؟

اتجه إليها مروان وأمسك يديها وهي ارتجفت.. ارتعبت.. عضت على لسانها لدرجة مؤذية
وكانت لا تشعر..

ماذا يفعل هذا بحق الله!

قبلها من باطن يديها وهي كانت مشاهدة صامتة.. أخبرها بابتسامة رفعت مستوى
الكورتيزول والأدرينالين بدمها..

- مبروك يا عروسة..

حتمًا سيجلطها ويقتلها هذا الوضع..

تحركت يديها كي تصفعه.. قسماً بالله كانت ستفعلها.. وبتلك اللحظة لم تعد تفكر بفضيحة ولا في أسرار ستفشي..

لا تفكر بأي شيء سوى هذا الوم الذي يستعرض ويتباهى أمامها..

ارتفعت يديها ولكن فيروز تداركت الموقف وحمداً لله أنها كانت قريبة منها.. أخذتها في حضنها وكأنها تهنها ثم رمقت مروان بحدة ووعد وهو أجابها بابتسامة سخيصة!

كان الموقف أسرع من أن يلاحظه الحضور إلا من كان يتابعهم بكامل تركيزه بالطبع.. لاحظت حورية.. واتجهت نحوهم وسألتهن:

_ فيه حاجة يا ولاد؟

اقتشمت أسما على ثغرها ابتسامة متوترة ولم تستطع الحديث ولا التبرير فذهبت هاربة إلى المكان المجهز لها ولمروان.. غرقت في سلسلة من المباركات والتهاني والسلامات بدأت بوالدة مروان وانتهت بأبيها وعقلها بكل لحظة يصرخ بها مطالباً إياها كي تنسى هذا الجالس بجانبها..

ولكن كيف تفعلها وهي تستنشق هواءاً لوته بزفيره!

بمجرد وصولهم للفيلا وجدت فيروز أمامها تتحدث مع أخيها دون أن تنظر لها وكأنها شفاة.. غير مرئية..

- إبراهيم أتأخرت كده ليه؟
وأمسكته من يديه مستطردة:

- تعالى عاوزاك في كلمتين..

امتعضت فريدة ومصمصت شفيتها بغیظ.. فيروز تتجاهلها على الدوام.. متعمدة أو لا ليس مهماً فمذ أن رأت فيروز دموعها بحفل زفافها وهي نفسها تتحاشى الحديث معها قدر الإمكان.. كانت تتعامل وكأنها تعلم سرها الذي تجاهد كي تخفيه عن الكل وأولهم إبراهيم لذا فضلت أن تتجنبها.. لم تحاول أن تبرر لها أي شيء ومن الغباء أن تفعل فهما قالت فيروز لن تصدق وهكذا ستضع نفسها في دائرة الاشتباه أكثر..

أحياناً التجاهل يكن حلاً... وهي قررت ونفذت..

ولكن التجاهل قد زاد عن حده اليوم.. تعاملت معها بقلة احترام ووترتها أكثر.. ألا يكفيها ما عاشته من توتر هذا الصباح بسبب مروان!

قالت لفيروز بنبرة يشوبها بعض الغضب.. اللوم والسخرية أيضاً..

- ازيك يا روز!

أومأت فيروز برأسها وأجابتها بابتسامة مائعة.. فاقدة للمعنى..

- الحمد لله..

أخبرت فريدة إبراهيم:

- أنا هسيبكم وأروح أشوف أسما..

بالنسبة إليها أسما أفضلهم.. ليست مغرورة كفيروز ولا حادة الطباع كشقيقته الشمطاء بشرى.. بالفعل تحبها وسعدت لأجلها عندما أخبرها إبراهيم عن الخطبة.. أسما تستحق السعادة والخير فيكفي وجهها البشوش وذوقها في التعامل معها ومع الجميع أيضاً..

تحركت عدة خطوات بقدميها بينما عينيها كانت تبحث عنها.. بالأخير وجدتتها.. كانت طلتها هادئة بفستانها الذهبي الطويل وبشعرها المعقوص عدا بعض الخصلات الأمامية.. **أسما** جميلة وناعمة أخذت من الشيكولاتة هيئته الملساء ومن الكراميل لونه ونعومته ومن اللبن الحليب انسيابه..

ذهبت باتجاهها وفها كان يتحرك كي يرسم ابتسامة سرعان ما تلاشت عندما رأت الواقف جانبها..

مروان!

تجمدت مكانها.. ليس هي فقط بل كل ما حولها.. كل شيء توقف في عينيها..

لم تفهم.. ماذا يحدث؟.. هل هي مريضة وتهلوس؟

رمشت بعينيها عدة مرات وكانت صورته في عينيها مشوهة.. مذبذبة..

هي بالفعل تهذي وليس هناك احتمال آخر.. لقد أربكها هذا اللعين اليوم لدرجة أن ظله يلاحقها.. مؤكداً أصابتها لوثة.. كيف تظن خطيب أسما هو مروان؟.. من أين له معرفة أسما والوصول لها؟

طمأنت نفسها وناشدت عقلها كي يصدق على كذبتها..

ما يحدث الآن هراء.. مستحيل.. هلوسة..

كانت مازالت متسمة بمكانها ولا حظت نظرات أسما لها والجميع أيضاً.. فلتتوقفي عن النظر له يا غبية وتحركي .. ابتسمي وقدي التهاني.. نظراتك نحوه تلك ستفضح أمرك.. تحركي وتقبلي الصدمة لاحقاً.. هياً أيتها القدم ساعديها..

أغمضت فريدة عينيها وخطت فريدة عدة خطوات أخرى .. كانت قد اقتربت منهم والفضول تملك عقلها.. اقتنصت نظرة سريعة نحو مروان وكان كل أملها بتلك اللحظة ألا تجده.. أن يختفي ظله وشبحه..

فتحت عينيها ببطء ومع الأسف لم تتغير الصورة.. بل أصبحت أكثر قسوة وألماً عليها.. كانت يد مروان تحتضن يد أسما بثقة وتملك وكان يوثق ذلك بنظراته المستفزة.. تقربه كان مرفوضاً من أسما وكادت أن تنزع يدها منه فالتفت لها بسرعة لا يدري معذراً أم محذراً ولكن ذلك منح الفرصة لفريدة تهرب من حصار نظراته الصامتة الساخرة والشامتة..

كان في عينيه شيء مختلف تلك المرة.. لا هو انكسار ولا هو ضعف كانت هي مسببته وصاحبة الفضل فيه.. كان في عينيه شيء يخبرها أنه قد فاز بالمعركة ووصل لغرضه.. كان يخبرها أنه يكتفى بالصدمة التي احتلت كامل وجهها.. وكأنه يخبرها بأن توترها وذهولها لا دليل لهم سوى أنها مازالت تعشقه وأن ادعائها بنسيانه كذبة لا تصدق..

تحركت بلا ارادة وكأن عقلها اللاوعي أمرها بالتصرف لإنقاذ الوضع والتصرف كزوجة أخ أصيلة فرحة بخطبة شقيقة زوجها.. خطوة وأخرى وفي الثالثة لم تشعر بنفسها إلا وهي على ركبتها ويديها تستند بهما بشدة على السجادة التي تعثرت بطرفها بدون وعي منها.. لم يهمها مظهرها أمام الجمع وقد ظهرت بعض الابتسامات التي قد تكون ساخرة

أو مهتمة بل كادت أن تصرخ من الذعر عندما وصلت رائحة عطره التي تحفظها كإسمها
لتهاجم حواسها وهو يرفعها من سقطتها تحت قدميه لتقف قبالة تواجده عينيه المتألقة
بالنصر وهو يهمس..
- ما يوقع إلا الشاطر.. بس أنا طلعت أخطر منك..

- ابراهيم اتصرف أسما مش هتستحمل الكائن ده .. باس ايديها ويقولها مبروك أنا
مشفتش وقاحة كده في حياتي..

كانت فيروز تحدث ابراهيم بعصبية نقلتها إليه وهو أخبرها :

- أنا ليا حساب مع الكلب ده.. خليكي مع أسما وقوليلها تـ...

ولم يكمل فقد وقعت عيناه على فريدة.. زوجته!.. وهي بين ذراعي مروان وما استطاع
تمييزه هو ابتسامته وشفتيه تنطق بشيء لا يعلمه..

فقد عقله .. أسرع بخطواته واتجه نحوهما .. أخذ فريدة لجانبه ولاحظ شحوب وجهها ..
قلق وتعجب ورمق مروان بنظرات حارقة نارية شديدة الوعيد وتود أن تقطع يديه التي
لمستها ثم سألها:

- حصل إيه؟

قالت بصوت اختفى معظم ملامحه:

- السجادة رجلي في الكعب..

قال بعيون متسعة على آخرهما:

- ايه؟

التقطت أنفاسها ورتبت أفكارها وناشدت عقلها المصْفَح كي يعمل ويجمع..

- اتكعبت في السجادة..

وأضافت:

- هروح التويلت أظبط ال make up

ودخلت الحمام وأغلقت الباب جيداً ثم خانتها العبرات عبرة فالثانية حتى باتت لا
تستطيع التحكم في شهقاتها..

الجواب يظهر من عنوانه..

والزيجات عنوانها البدايات..

وتلك الزيجة ستفشل ودون شك..

غير عدم التكافؤ وغير عدم اقتناعه من البداية بهذا الزواج كان هناك نقص فرحة..
العروس متوترة وحقورية لم تتقمص دور أم العروسة وتوزع أقداح الفرحة على المدعوين
... والأخوة لم يكن حالهم أفضل..

هناك إحباط عام في الجو وانتقل لعائلة العريس أيضاً بعد أن كانوا بالبداية وجوهم تنطق سعادة صمتوا فجأة عندما قابلهم الطرف الآخر بالسكوت والترحاب الفاتر البارد.. كان يبدو وكان ملحوظاً أن أهل العروس ليسوا سعيدين بذلك النسب.. وكيف يسعدوا فهناك مقولة شهيرة تقول " لا يختلط الماء بالزيت " بالتأكيد كانوا يتمنون أن يزوجوا ابنتهم لمن هم يكافئهم في المكانة الاجتماعية والمستوى المادي.. لمن مثلهم ويشبههم ... لم تتحمل أم مروان هذا الوضع وطلبت من ابنها أن يرحلوا بعد ساعتين فقط من قدومهم..

لتنهي الخطبة..

وتنهد أسما وتلتقط أنفاسها..

وترحل فيروز لسجنها ومخبأها..

حمداً لله انتهت المسرحية ومر اليوم بسلام..

الصالة قد فرغت تماماً.. الكل صعد لغرف النوم وإبراهيم وزوجته عادا لمنزلهم وفيروز رحلت هي أيضاً لفيلتها وبقي هو وحيداً..

لم يتحرك من مكانه تقريباً.. لم يستوعب حتى الآن.. مقهور على ابنته .. رباه أكانت تلك خطبة أم جنازة؟

كانت بالفعل جنازته..

هل تعلم شعور الأب الذي يسلم ابنته لرجل يعلم أنه سيحزننها بالمستقبل؟

لا لن تعلم وهذا أفضل.. فالقهر والعجز والضعف اجتمعوا بسطر واحد وأبت أن تصفهم
أي كلمات..

وبالنسبة إليه العجز والضعف مضاعف والقتل والأنين مزدوج المفعول..

أسما من جهة وفيروز من جهة أخرى..

فكر هل بإمكانه أن يفعل أي شيء.. بالنسبة لأسما أمرها محسوم فبالنهاية هو منحها ما
تريد وسيظل حتى آخر لحظة على أمل ألا يتم هذا الزواج.. لا يستطيع أن يجبر أسما على
شيء خاصة وهي متعلقة به بتلك الدرجة.. لن يسلمها بيده للموت مرة أخرى وإن كان
هذا المروان هو فقط من سيجعلها تعيش فسيعطيه إياها ويرجو الله أن يخيب ظنه..
سأل نفسه وماذا عن فيروز!.. هل يظلمها؟؟

هل هو يُخطئ؟

منذ البارحة وهو يُقلب الكلام بعقله.. تداخل كلام بشرى على كلام فيروز ولجّوا عقله
وحرّموه من النوم..

" طنط جويل لو كانت موجودة مكنتش هترضى قلب بنتها يتكسر "

" أنا عمري ما هتجوز غير عادل "

" أنا خايفة المواضيع تكبر ويهربوا مثلاً "

" بتعمل معايا زي ما جدو عمل معاك "

هذا بالإضافة للحن الكامن بعينها وتجاهلها لوجوده طوال اليوم !

ما زالت صورتها وهي طفلة تتقاذف وتوزع القبلات بينه وبين أمها أمام عينيه.. كبرت
الطفلة وعشقت وتقف أمام أبيها وتدافع عن حبها..
وكأنه بحلم..

منذ ولادتها تلك المرة الأولى التي تبتعد فيها الطفلة عن حضن أبيها وتلك المرة الوحيدة
التي يختبر فيها خوفه من خسارته..

فيروز هي بالنسبة إليه جويل صغيرة..

روحه متعلقة بها ونظراتها الحنونة تمنحه اكسير الحياة..

انتبه لصوت الخادمة التي سألته بعد أن قامت بتنظيف المكان وإعادته كما كان قبل
الحفل.. كانت تقول..

- مش عاوز مني حاجة يا بيه قبل ما أنام!

- لأ.. شكراً..

وترك الفيلا ورحل للحديقة.. على الأقل الهواء البارد سيققل من الضيق الذي يعتلي
صدره..

ظل هكذا لعدة ساعات يفكر ويفكر ويصارع عقله..

أمن الأفضل أن يوافق على عادل ويضع يده بيد عدوه مدحت؟

مدحت عدوه.. الشخص الوحيد القادر على توفير دمه.. من بسببه خسر الكثير وما زال

حتى الآن يعمل ويجتهد كي يتخطى تلك الخسارة وتقف الشركة على قدميها من جديد..
مدحت غريمه الوحيد بالحياة.. وابنته اختارت ابنه دون الجميع..

يالها من معضلة!

ابنته أم تنازله أمام مدحت!

سعادتها أم كرامته؟

خسارتها أم راحته!

ظل هكذا يصارع ويجادل ويفكر ويفكر ويفكر حتى ذهب بالأخير لغرفة ابنته النائمة ..

قبلها وترك لها هاتفها مع ورقة قرأتها في الصباح والفرحة لم تسعها..

" قولي لعادل يبجي يقابلني.. ضحككتك عندي بالدنيا "

نفسارتها لا يمكن تحملها وسعادتها هي كل شيء بالنسبة إليه..

الأمر تخرج عن السيطرة وكل يوم يمر تزداد تعلقاً به ..

خطر..

هي الآن دخلت بمرحلة الخطر.. عشقه خطر وسيحرقها..

والهروب غير متاح ومحاولاتها بإدخال المنطق وإخراج المشاعر خارج الحسبة تفشل

وبجدارة..

هي الآن أدركت أنها لا تنتقم فيه من كل الرجال ولا تنتقم فيه من مجتمع يظلمها على

الدوام بل تنتقم من نفسها..

ألا تجد بالحياة شخصاً غيره كي تعشقه؟ كم محظوظة هي!

قلبه مع غيرها وإن علم الحقيقة لن يسامحها.. عشقها اللعين هذا محكوم عليه بالإعدام منذ البداية وهي لا ترى نهاية لهذا الطريق أبداً..

كان عادل مازال نائماً.. لم يذهب لعمله اليوم وبالطبع هذا سيحدث فقد كان طوال الليل يهذي بإسمها بمنامه..

فيروز..

الآن باتت تعلم إسمها وتملكها الفضول بأن ترى ملامحها.. أرادت أن تعلم كل شيء عن امرأة امتلكت رجلاً بتلك الدرجة وعن امرأة امتلكت قلب حبيبها بالأخص..

أمسكت هاتفه بهدوء وحذر كي لا توقظه .. مؤكداً يحمل صورها بهاتفه.. مؤكداً يتأملها قبل أن يغفو وربما قبل أن يكن يقترب منها..

جزت على أسنانها عندما وصلت لتلك المرحلة.. اللعنة عليها ما هذا الذي فعلته بنفسها.. فليعن الله الساعة التي قابلت فيها بشرى وليعن الله صاحبة البوتيك التي كانت السبب بأن نتعرف عليها..

ألن تنهأ بحياتها أبداً!.. هل الشقاء على الدوام قدرها ومقدرها!

حاولت أن تفتح هاتفه ولكن لم تستطع تخمين الرقم السري.. مرة واثنان وحتى أخبرها الهاتف أنه لا يمكنها التخمين إلا بعد ثلاثون ثانية.. وضعته بعصبية جانبها بينما كانت تقرض أضافرها من شدة الغيظ..

وكانت المفاجأة...

أضاء هاتفه الصامت على صورة فتاة تحمل إسم " my soul " .. مؤكداً هي تلك الفيروز

الشهيرة التي تسكن قلبه وروحه.. تأملتها .. كم هي جميلة وهي بجانبها لا شيء.. خصلات
شقراء وعيون خضراء وملاح أوربية ما ستكون هي بجانبها.. شعرت أن هناك شيئاً بها
يجذب العين .. وكأن ملامحها تحمل سحر خاص!

المقارنة ليست بصالحها والمنافسة صعبة.. هي معها الجمال والقلب والحب ومن عينيها يبدو
أن لديها كاريزما قوية أما هي فقد ألفت نفسها بطريقه .. حتى احترامها لنفسها قد فقدته
فكيف يناشده قلبها بأن يختارها ويترك تلك الساحرة!

سقطت من عينيها دمعة قهر وحسرة على هاتفه.. مازالت نتصل ومازالت لم تيأس..
وجدت نفسها غريزياً تلغى المكالمه.. هي لا تريد أن ترى عينيها تلك الصورة أكثر ولا
تريدها أن تشاركها بقلب من تحب..

حتى إن كانت هي من بدأت اللعبة ففي النهاية قد انقلبت عليها وليس للقلب سلطان و
رقيب.. الأمر ليس بيديها..

نظرت بعيون مازالت تذرف دموعاً نحو المستلقي بجانبها.. كم هي بحاجة أن تحتضنه الآن
.. وإن كان هو سبب دموعها وسبب عذابها ..

عندما وجدت تلك الرسالة بجانب سريرها ضحكت ضحكة متقطعة غير مصدقة.. لم
تستوعب هل وافق أبيها بالفعل أخيراً.. هل ستتزوج عادل!
تحسست حرارتها.. طبيعية..

تحسست جلدها.. قامت بعض يديها.. هي تشعر إذا لا تحلم..
أمسكت هاتفها واتصلت بأبيها بصوت مبحوح .. سعيد .. طائر..

" بابي أنا بحبك أوي.. إنت أحسن أب في الدنيا "

وأنت المكملة معه واتصلت بعادل على الفور.. لقد حلت كل المشاكل وأزيلت كل العقبات.. هي الآن ستصرخ بعشقها له دون خوف ودون قيود ودون وجدان يؤنبها.. ستعشقه في العلن وأمام الجميع ..

ظلت تتصل عدة مرات بينما كان هو لا يجب.

حسنًا.. لن تمل.. ستتحمل دلاله وغضبه فهو بالأخير محق وهي قد كسرت خاطره وإن كان لها العذر ولكن هو محق في عدم تقبله لأعذارها..

اتصلت حوالي خمسة مرات وبالسادسة قام بإلغاء المكالمه.. تلاشت ابتسامتها.. ألتك الدرجة هو غاضب منها!!.. لدرجة أنه لا يريد أن يترك لها أي باب وأمل بالعودة..

فكرت قليلًا.. ماذا تتوقعين منه؟ أن يركض نحوك بمجرد اتصال.. مازالت تتذكر نظراته لها في آخر يوم.. كان الألم والصدمة واللوم وكل المعاني المشابهة تجمعوا في نظراته لها والتي قد خرجت من عينيه كالسهم أصابت صميم قلبها وقتلتها..

ولم تشعر بنفسها سوى وهي بسيارتها تقودها إليه..

بطريق الساحل الشمالي ..

ومن حسن حظها أنه قد أعطاها عنوان القرية والشاليه الذي يقطن به في اليوم الذي كانت ستذهب فيه إليه ولم تستطع بسبب أسما..

كانت طائفة من السعادة وأسفاه.. فلم تكن تعلم بالطبع أن اليوم ستتغير حياتها.. تمامًا..

كانت قد وصلت لبوابة القرية قرب غروب الشمس تقريباً.. سألت حارس البوابة عن
موقع الشاليه وهو أشار لها بأن تستمر بطريقها حتى آخره.. أعادت تشغيل المسجل
واستمعت لحماقي يغني وكان الأمر بالمصادفة لذا ابتسمت..

ياللي زعلان مني ومخاصمني

ومش عايز تاني تكلمني

واخذ على خاطرك أوي مني يا حبيبي أنا آسف

ده انت عمري وعمري مفيش بعده

ومسهر عيني كده في بعده

ومطول ليلي وانا مواعده وعامل مش عارف

قامت بصف سيارتها بالقرب من الشاليه وأخذت حقيبة يديها بينما عقلها كان مازال
يردد الأغنية ذاتها..

سامحني يا اللي قلبي وعيوني

مبطلوش عليك يسألوني

يا حب عمري خليك معايا

بلاش تروح وتعند كفاية

تعالى شوف ايه بعدك حصلي

ابتلعت ريقها وتسمرت أمام الباب محاولة ترتيب أفكارها .. وكأنها كانت تركض طوال الطريق ولم تنتبه أوصالها أنها الآن بالفعل أمام بابه..

ما هذا الشعور الغريب عليها ؟ ما تلك الضوضاء التي سكنتها فجأة ؟

التقطت نفساً عميقاً قد شعرت ببرودته داخل رئتيها .. الآن ستخبره لتكتمل فرحتها ..
الآن ستطمئنه بأنها له وهو لها .. فتح الباب وانفجرت أساريرها على أثر رؤيته .. قالت له مبتسمة:

- ازيك ؟؟

تلعم ليقول:

- فيروز !!

نظر خلفه مرتباً ثم عاد لينظر نحوها وكانت ملامحه لا تفسر..
سأله:

- مالك ايه المقابلة دي ؟ مش هتقولي اتفضلي !

ولم تنتظر اجابته .. فهي من شدة فرحتها وحماسها لم تنتبه لوجهه الذي بات شحوبه ماركة مسجلة .. قالت له :

- عندي ليك مفاجئة ..

واستطردت:

- أنا عارفة إني زعلتك وكثير بس بليز ممكن نتكلم شوية..

أخذ سترته من خلف الباب وكان سيغلقه لولا الصوت الذي استوقفه من الداخل..
كان صوت شيء سقط على ما يبدو..

تبادلا النظرات وللتوا انتبهت لتغير ملامحه .. صمتت لتقول بعد فترة :

- إنت عندك ضيوف !!

تنحني ليخبرها:

- واحد صحي..

ولم تشك بكلامه وعلى الفور انفرجت أساريرها مرة أخرى.. أساساً هي مستحيل أن
تظن به ظناً سيئاً.. إنه عادل حبيب الطفولة.. تشك بنفسها وهو لا.. عادل أكثر شخص
تعرفه بالحياة..

أو هكذا كانت تظن..

سألته:

- نقعد على البحر!

أشار لها برأسه موافقاً إياها وهي من داخلها تمزقت لأنها غاضب منها بدرجة كبيرة.. لقد
اتسعت المسافات بينهم بدرجة لا تحتمل وبعشرة أيام فقط..
لم ينظر لعينيها حتى.. تجاهله هذا يقتلها.. يعذبها..

وقبل أن يتحركا من أمام الشاليه وجدت الباب يفتح وتخرج منه امرأة ترتدى غلالة
وعليه قطعة قماش غطت بها أكفها والصدمة أنها كانت تنادي على حبيبها وتوقفت
عندما وجدت..

نظرت لعادل وعينها تحمل ألف سؤال وتنتظر منه ألف تفسير عدا خيائته لحبهم..

الفصل التاسع عشر

لا تدخل
وسددت في وجهي الطريق بمرفقيك ... وزعمت لي ...
أن الرفاق أتوا إليك ... أهم الرفاق أتوا إليك!
أم أن سيدة لديك ... تحتل بعدي ساعديك ؟
وصرخت محتدماً : قفي ! والريح ... تمضغ معطفي ...
والذل يكسو موقعي ... لا تعتذري يا نذل لا تتأسف
أنا لست آسفة عليك ... لكن على قلبي الوفي
قلبي الذي لم تعرف ... ماذا لو انك يا دني ... أخبرتني
أنني انتهت أمري لديك ... لجميع ما وشوشتني
أيام كنت تحبني ... من أنني ...
بيت الفراشة مسكني ... وغدي انفراط السوسن
أنكرته أصلاً كما أنكرتني ...

نزار قباني

الموقف من صعوبته لا يمكن شرحه..

توتر عام عمل على رفع مستوى وتيرة تنفسهم..

وكان ثلاثتهم .. رودينا وعادل وفيروز قد صنعوا مثلثاً قابل للاشتعال بأي لحظة ولكن ليس بعد فقد كان الصمت هو العلامة الوحيدة المميزة للموقف وكانت التساؤلات التي لم تطرح مازالت مبهمة ..

ولكن بتلك المواقف ردود الأفعال تظل متوقعة..

كانت فيروز مازالت مشدوهة.. عبارة عن كتلة حجرية لا يتحرك فيها سوى عينيها .. كانت تتقاسم نظراتها بين الفتاة المجهولة وبين عادل وبالأخير ثبتت نظرها عليه وحده فهو الوحيد الذي يمتلك إجابة السؤال الذي قالته بعينيها ولم يخرج من شفيتها..

كان السؤال الصامت : مين دي يا عادل؟

الجواب : لا شيء.. فقد كانت مقتليه تتحرك بسرعة وتوتر وربما بنجل منها..

وظل الوضع على ما هو عليه لدقائق أخرى.. كانت عينيها مازالت تسأل وقلبها يحاول أن يبرر ويصلح الموقف ولكن...

صمته اللعين هذا كفيل لإدانته..

أخبرته وكانت تهذي.. فهي مفعولة بها والفاعل خائن حطم قلبها والمفعول به يحتاج وقتاً للاستيعاب..

- بابا وافق..

وهو ارتعش جسده من أثر ما تفوهت به.. الإحباط الذي تمكن من نبرتها كان مؤذي له بدرجة جعلته يشتهي الموت.. تحركت أصابعه كي تلامس وجهها ولكنه عاد وتوقف.. مهلاً عادلاً.. أنت من بعد الآن لا شيء بالنسبة إليها..

فكر مع نفسه وقرر وقبض على أصابعه بقوة لا تساوي شيئاً أمام طاقة الغضب التي تتجدد بصدوره وتفور خارجه لتنتقل لبقية أعضاءه..

هو الآن غاضب من نفسه لأنه أضاعها من يديه.. لأنه أحزن الفيروز والسبب نزوة بلا معنى.. ظل يسب ويلعن ضعفه الذي ألقاه بحضن رودينا..

ماذا فعلت يا أحق!!.. فليلعنك الله.. دمرت كل شيء..

وبتلك اللحظة تذكرها.. هي من خرجت لتستعرض ولا يفهم لم فعلت ذلك.. رملتها بنظرة مشتعلة حارقة هربت هي للداخل من أثرها وأغلقت الباب خلفها خوفاً وذعراً منه.. وهو عاد بنظره لفيروزه مرة أخرى وأما عنها فسيحاسبها على فعلتها لاحقاً..

الآن وقت محاسبته هو.. والقاضية والحاكمة بأمره مازالت متسمرة مكانها وصامتة!

حركت رأسها وكان يبدو أنها للتو قد أدركت تفوهها بأشياء غير موزونة..

"بابا وافق"

يا حماقتك!!.. على أساس أنه كان ينتظر تلك البشرى السارة التي جاءت ركضاً من القاهرة كي تزفها إليه!

وضعت يديها على وجهها رغبة منها بامتصاص ومحاربة دموعها والتي على الرغم من كل محاولاتها سقطت بنهاية المطاف معلنة انتصارها..

تحركت بثقل نحو سيارتها وهوان وعدم سيطرة على الأطراف أسقط منها مفاتيح سيارتها.. انحنت كي تأخذهم وبداخلها رغبة قوية بأن تخرج من تلك القرية بأي شكل من الاشكال وبعدها فلتموت..

لا يهم موتها فما يهمها ألا يشهد جنازتها..

وجدته ينحني هو الآخر ليلتقط المفاتيح قبلها.. تلاقت أعينهما مما نتج عن تكون الشرار بعينها.. رmqته للحظات وبعدها ظلت تسعل بشدة..
وكأن ذرات الاكسجين تهرب من محيطهما خوفاً من احتراقها بسبب نظراتها المحترقة له ومن نظراته النحلة منها والمتوسلة إليها..
نهضت وهو الآخر فعل مثلها وبعد أن انتهت وصلة السعال سمعته يقول:

- روز..

صوته أثار غضبها أكثر ولم يعد هناك مجال للسيطرة فلم تشعر بأصابعها وهي تتحرك سوى بعد أن صفعته.. انتزعت مفاتيح سيارتها من يده بقوة تنافي شعورها الداخلي بالعجز واليأس والنفور من كل شيء حولها..

حينها هو أمسكها من ذراعها مستوقفا إياها بينما كان يخبرها..

- انتي السبب..

كلماته جعلتها تتجمد مكانها وأضاف هو بنبرة تمكن منها اليأس:

- قولتي يومها ربنا يوفقك مع غيري.. مش ده كلامك..

وكانت الإضافة التالية زاعقة.. صارخة.. توازي صوت الرعد الذي بدأ صوته يدوى في الأجواء معلناً عن قرب هطول الأمطار..

- زعلانة ليه دلوقت؟

حينها هي صفقت بيديها وحيته بدموعها.. ودموعها لم تكن متأثرة بالممثل القدير الذي يقف أمامها ويظن أن ما تفوه به سيقبل من جرمه في حقها.. لكن دموعها كانت ترثيها.. ترثي الأيام الماضية التي كانت حرفياً تموت فيها.. ترثي احتراقها مع كل لحظة كانت تشتاقه فيها..

نعم هي تفوهت بها ولكن كيف يظن أنها لم تكن بنفس التأثير عليه بل كان أقوى.. هي قتلها قبل حتى أن تخرج من فمها..

هي تعلم معنى أن تخبرك فتاة تحبك بذلك؟

مجرد تخيل الأمر بالنسبة إليها كان وكأنك قد جلبت مشرط طبيب وظللت تقطع بها قلبها دون وجهة محددة ودون رحمة..

ولكن كيف سيشعر! فبينما كانت وسادتها تشكو من بحر دموعها الذي لا ينضب كان هو بأحضان سيدة أخرى تدله ويدلله..

التخيل انقلب لحقيقة تجسدت أمام عينيها..

وضعت يديها على أذنيها.. الخيال أنهكها والمبررات لن تجدى بعد الآن ولم يعد للحديث فائدة..

لقد أنهى بخيائه كل شيء وأغلق كل أبواب العودة.. أخبرته:

- برافو.. و كان أسبوع واحد كفاية إنك تعمل ده..

وأضافت وكانت ترتجف من شدة العصبية ودموعها كانت قد اختلطت بالأمطار التي بدأت بالهطول عليهم:

- خنت حبنا وخنت وعدك ليا..

وأضافت:

- فعلا كان حبك كبير أوي لدرجة أن اسبوع واحد كان كفيل يموته جواك..

هي لا تستوعب بعد.. متى قتله ومتى دفنه!.. متى وكيف تمالك نفسه بعد انفصاله عنها؟
المبرر الوحيد الذي كان برأسها لما يحدث هو أنها كانت من البداية لا شيء بحياته وأن
هذا الحب ما هو إلا وهم عاشته وحدها..

رحلت هي وجاءت أخرى!.. هل الأمر بتلك البساطة التي يتحدث هو بها!

وطالما كذلك لم يقف الآن أمامها فليذهب لمن اختارها ولترحل هي..

أغمضت عينيها بهوان وألم وحينها حاول التحدث .. الدفاع .. عليها تسمعه..

عليها تمنحه صك الغفران..

ولكنها قاطعته وكانت قد انهارت فعلياً وتهذي وتضرب بأصابعها على صدره:

- دمرت كل حاجة.. قتلت فرحتي..

كانت قد انفعلت لدرجة أن صدرها آلمها بشدة جعلها تتوقف.. وضعت يديها كي تسيطر

على الوجع الشديد الذي تشعر به ولكن الألم النابع من قلبها أقوى وأشد بكثير..

وآلام القلوب مستعصية لم يبتدعوا بعد دواءها ...

اقترب منها ولم يستطع أن يلمسها.. يحتضنتها عليه يحسن من حالتها ولكنه اكتفى بسؤالها
وبالنسبة إليها كانت ترى أنه من الوقاحة أن يسأل..

- انتي كويسة ؟

قتلها ويسأل عن حالتها!

لم تجيبه للممت أشلاءها وما تبقى منها وطارت بسيارتها مبتعدة عن المكان بأقصى سرعة
لديها

كان نهاراً بالفعل صعباً عليها فالיום المرة الأولى التي تأتيها فيه عاداتها الشهرية بعد الحادثة
.. لقد تأخرت تلك المرة وكثيراً ربما بسبب حالتها النفسية السيئة أو الأدوية المثبطة
للاكتئاب التي كانت تأخذها بالمشفى النفسي ولكنها أبداً لم تركز ولم تكن تهتم ..
منذ الصباح وهي تشعر بالإعياء الشديد..

لم تتم طوال الليلة الماضية والسبب رؤيتها لمروان وبسبب دبلته المعدنية التي زينت إصبعها
رغمًا عنها وكأنه لا يكفي هذا عليها لتأتي أعراض العادة أيضاً ..
لا تعلم ماذا يحدث معها .. نوبات بكاءها لا تتوقف وبمجرد أن تهدأ تعد للاشتعال مرة
أخرى .. هي بالفعل هشة لا تتحمل حتى الاضطرابات الهرمونية التي تحدث
داخلها.. أصبحت تشعر بالاشمئزاز الشديد من نفسها وكأنها باتت تكره أي ملامح لأنوثتها
ولا تريد أي شيء يذكرها به هذا غير الصوت الذي يتردد صدها على الدوام داخلها
ويخبرها أنها لن تكن أبداً كأي فتاة..

حقيقة لا يمكن تجاهلها.. لقد أنهاها مروان ومازال ينتقم منهم فيها..

قضت طوال اليوم بفراشها منكشة على نفسها ولم تكن بالفعل تمتلك القوة كي تتحرك قيد أنملة ولكن بتلك اللحظة كان ألم بطنها لا يوصف ولا يطاق ولم تعد تتحمل أكثر..

تحركت من على فراشها ببطء وهوان وكانت تنوى الذهاب للخادمة كي تحضر لها أي حقنة مسكنة من الصيدلية فيبدو أن جسدها قد اعتاد الأقراص ولم تعد تجدي أي نفع معها.. خرجت من الغرفة ومرت من أمام غرفة بشرى وكانت ستمضي باتجاه الدرج لولا أن استوقفها صوت بشرى وكانت تقول صائحة:

"رودينا انتي بتقولي إيه؟.. إنتي متأكدة إنها فيروز؟؟"

وأضافت بعد فترة:

- هي لسه عندك؟

وأسما لا تفهم.. وألم البطن لا يسمح.. ونفسياً لم تكن بحالة طبيعية تجعلها تركز بكلمات بشرى المشفرة..

وبالآخر واصلت طريقها فهي بحاجة الآن أن يأتي أحدهم بأي مسكن للآلام.. وبسرعة..

التساؤلات تظل معلقة وتنتظر الإجابة ولو مر أعوام.. وعلى ما يبدو أن الحمام الدافئ كما يساعد على استرخاء العضلات يساعد على تنشيط الدماغ أيضاً..

وبالنسبة إليه هو لم ينسى حتى يتذكر.. فقط انشغل ولم يجد فرصة مناسبة..

خرج من الحمام مرتدياً مئزره الأبيض ويديه كانت تعمل على تخفيف شعره بينما كانت فريدة جالسة بهدوء وبمجرد أن رآته لفحته بابتسامة..

سألها مباشرة وهي تفاجئت..

- كان يقولك ايه؟

وبسبب سؤاله اهتزت مقلتيها .. من أين خرج هذا السؤال ؟ هي منذ البارحة تتجاهد كي تخفي توترها عنه فهل قد فشلت؟ هل لاحظ الآثار التي خلفتها الدموع على وجهها رغم أنها قد غطتها بمستحضرات التجميل؟ هل اكتشف من نظراتهم في اللحظة الأولى للقاء البارحة أنهم على علاقة سابقة؟

ولكن هو كان بعيداً عنهم من المستحيل أن يرى ويلاحظ ذلك..
قالت وكانت تدعي عدم الفهم:

- مين ؟

وهو نظر لها مطولاً ثم أخبرها:

- مروان..

أعادت خصلات شعرها للخلف وفي علم النفس إن أعادت الفتاة خصلاتها للخلف فمعناه أنها تكذب.. أو ستكذب..

- مين مروان!

وأضافت عندما وجدته قد ثبت نظراته عليها لتحاوطها ولا مفر:

- آه مروان قصدك خطيب أسما.. مش فاكدة تقريباً كان بيقولي معلش أو حصل خير..
وأضافت:

- أصلي كنت مكسوفة أوي من اللي حصل وسط الناس ومش قادرة اتحرك وأقوم من كتر ما كنت محرجة وهو حب يقومني ويساعدني بس كده..

ولم تستمع لهممته الساخرة ولم تكن منها بل من الآخر..
 " لآ..شهم وصاحب واجب "

وهي صمتت قليلاً ولم تستفهم عما يقوله.. أخبرته بعدها:

- كله بسبب أختك.. خرجتني عن شعوري..

ارتدى بيجامته وجلس بجانبها يستفهم:

- أختي مين؟

أقلت سريعاً بالإجابة بوجهه وكان يبدو من نبرتها أنها بالفعل مغتاضة منها:

- فيروز هتكون مين يعني؟ لولا قلة احترامها معايا مكنتش الفضيحة دي حصلت..

خلتني ماشية ومش شايفة أدامي..عاملتني بمنتهى الوقاحة طبعاً أن أجي إيه جنب

سيادتها..

أهلاً.. وصلنا لمرحلة ثرثرة النسوة .. فريدة تتحول للقناة الثانية وهو يجب وحتماً ولا بد ألا

يجاريها من أجل سلامة رأسه..

والسيناريو المتوقع إن أخبرها أنها لا تقصد إزعاجها ستتهمه بالانحياز وإن لم يعلق ستتهمه

بالبرود وإن أجاب الرد لن يعجبها..

وفي كل الحالات ستكون ممعتضة وغير راضية وتلك أولى قواعد نون النسوة..

أخبرها بجدية:

- طيب خيلنا في موضوعنا..

وأضاف:

- مروان ده لو رمي عليكى السلام متردش عليه..

وهي انكشت ملاحظتها بعدم فهم وصمتت فالمناقشة من بعد الآن ليست أبداً بصالحها..
 كانت قد حاولت جر الحديث نحو فيروز كي تغطي على ما حدث بالحفل ولكنه تصرف
 بذكاء رجل بات يعرف امرأته جيداً وكيف يتعامل معها..
 هو لم يشك أبداً ولم يخطر بباله أنها تعرف مروان من قريب أو بعيد ولكن رؤيتها بين
 ذراعي رجل وحقيير مثله كافية لإشعال الحرائق بصدوره..
 وبرأيه هي الملامة الأولى والأخيرة فما كان يجب أن تسمح له بأن يقترب منها هكذا..
 عذراً فريدتي أنتِ المخطئة لا غيرك.. الأمر لا يتعلق **بفيروز** مطلقاً..

فيروز..

الكل يتحدث عنها..

رودينا تغار منها..

فريدة وبشرى يكرهوها..

وحورية تراها أنها من تحي حب جويل بقلب محي وهي من تضع حواجز بينهما..

والبقية ما بين الحب والحياة..

اختلفوا بمشاعرهم نحوها ولكنهم اتفقوا على أنها بالفعل مؤثرة دون أن تدري بالمحيطين

بها..

هل لأنها جميلة أم لأنها خليفة جويل بالكوكب أم لأنها الأقرب لأبيها ولربما سبب

ذلك دمائها المختلطة.. لا أحد يدري أو يفسر ولكن دون شك أنهم يشتهون الحياة التي

تمتلكها..

هي معها المال والأصل والجمال والكل يحترمها.. برأيهم هي لا ينقصها أي شيء..
جميعهم ينظرون لها من اتجاه واحد.. ولكن ماذا عن الجهة الأخرى؟

اتحدث عن وحدتها.. عدم استقرارها..

يُتمها.. لقد حرمت من أغلى شيء بالوجود.. من أمها.. والمؤسف أنها كانت طفلة لم تتعدى
الثامنة من عمرها ولم تشبع من حنانها..

وحتى الآن مازالت تتعثر بقدرها..

كلها ما تتمناه يزول من أمامها ويختفي وكأنها مصابة بلعنة خاصة بها..
لعنة الفيروز..

وبما أن لكل سحر لعنة.. فهم أخذوا منها السحر وتركوا لها اللعنة..

هي الآن تلعن نفسها التي أحبته وتلعنه على خيانتته، تقود السيارة منذ ساعة وأكثر
كرجل آلى، قدم على دواسة الوقود وذراع على المقود والعقل شارد.. سرقة الحبيب
الخائن..

الدموع العالقة برموشها بالإضافة للطقس السيء والمطر الشديد والظلام والذكريات التي
تحيط بها من كل جانب جعلتها تقود سيارتها كالأفعى التي تتلوى بالطريق دون وجهة
واضحة..

ازداد صفير السيارات المنزعجة من طريقة قيادتها الخطيرة ولكن ياليتها تسمع
وتنتبه.. حتى هاتفها الذي لم يهدأ رنينه لم تنظر إليه ولم تنتبه لإضاءته حتى.. هي الآن
غارقة ببحر الذكريات، تشهد احتراق العشق أمام عيونها وبقداحته وبتلك اللحظة تردد
صدى تلك الجملة برأسها..

" أنا عمري ما هعيش حياتي واتجوز غيره يا بابي.. مش هنسأه لأنه في نظري أحسن راجل في الدنيا "

ازداد سيلان دموعها وظلت تضرب على المقود بيديها بينما كانت تردد " غبية " ..

ومازالت تهذي بكلام غير مفهوم.. عقلها سيتوقف يا إلهي..
ومع الوقت الأكسجين يقل ويحجف الهواء.. سعالها يزداد وبدأت تشعر بالاختناق..
فتحت زجاج السيارة ولم يجدي..
الأزمة.. ما تشعر به هو بداية أعراض الأزمة..

السعال يزداد ووضوح الرؤية يتشوه بعينها والصدمة كانت أن بخاخة الدواء لم تكن بمكانها!

فتحت التابلوه مرة أخرى بينما تردد من داخلها بهمس " البخاخة " وكأن هناك مارد سيسمع همسها ويساعدها أن تجده مثلاً..

السيطرة تفقدها رويداً رويداً ولا تستطع حتى أن توقف تلك السيارة.. هي تفقد الوعي على ما يبدو..

النجدة .. هي بحاجة إلى مساعدة.. ألن يأتي أحدهم ويساعدها!

لا أحد يسمع همسها والآن هناك خيال لعربة نقل تقترب منها ليقتمح عينيها أضواءها الساطعة مع صوت بوق عالٍ مخيف أثار ذعرها.. تلقائياً ضغطت على مكابح السيارة بكامل قوتها وكي تتحاشاها أدرات المقود سريعاً لتتوقف منها وهي متخطية الحد الفاصل

بين حارتي الطريق.. حاول سائق عربة النقل تفاديها بدوره إلا أنه بالأخير صدم حقيبة
سيارتها من الخلف بقوة جعلتها تطير لمسافة قادتها إلى سلسلة من الانقلابات بعدها..
"مامي"

كان هذا آخر ما نطقت به قبل أن تستسلم لقدرها وتسدل الستار على جفניה وتغوص في
بحر من الظلام المخيف..

بعد ساعتين

حالة الطوارئ أعلنت بالمنزل.. هي لم تأتي حتى الآن ولا أحد يعلم مكانها ولا تجيب على
هاتفها.. سيصاب حتماً أبيها بالجنون فكلما كان يمر طيف سيارة بالخارج يركض ثم يعود
إليهم بخيبة أمل..

ألقي هاتفه من شدة عصبيته فسأله أسما بقلق كان جلياً على نبرة صوتها:
- مبردش بردك؟

وهو قال وكان حانقاً عليها بشدة:

- عاداتها ولا هتشترها..

ربما تفوه بتلك الجملة كي يطمئن نفسه ولكنه من داخله يشتعل خوفاً وقلقاً عليها.. هناك
هاجس غريب يخبره أن ابنته ليست بخير أبداً..

ظلت أسما تركز بنظراتها على بشرى وكأنها تطالبها بأن تتحدث.. وبشرى توترت من
تصرفها هذا ولم تفهم بعد ماذا يحدث معها ولم تنظر نحوها هكذا!

قال محي موجهًا كلامه لبشرى:

- اتصلي بعادل يمكن يعرف عنها حاجة..

رفعت بشرى هاتفها ببعض التردد واتصلت به ولكنه كان لا يجيب والحمد لله..

نهض محي من على مقعده وأخبرهم:

- أنا هقوم أدور عليها.. لو فضلت كده هتجنن..

كان يحمل هاتفه وسلسلة مفاتيحه باللحظة التي تحدثت بها أسما موجهة كلامها لبشرى

وكانت نبرتها مختلفة.. وكأنها تتهمها بشيء..

- أعتقد بشرى تعرف هي فين..

ترك محي مفاتيحه ونظر لأسما ومن بعدها بشرى والوضع حقًا لا يحتمل أي تكهنات ولا

حديث غامض..

قال محي :

- بشرى!

توترت بشرى من نظرات الجميع لها.. أمها وأبيها ينظرون لها باستنكار وصدمة وعدم فهم

وأما أسما نظراتها تحمل معنى آخر..

غضب .. اتهامات .. شك وريبة..

نهضت بشرى مدافعة عن نفسها وقالت وكانت تزعق:

- دي مجنونة.. قعادها في المستشفى لحس مخها.. إيه يعني هكون خطفت روز مثلاً

وهاتصل بيكم أطلب الفدية!

نهضت أسما هي الأخرى ولا تعلم من أين أتتها القوة لتحدّثها هكذا.. أجابتها بحدة:

- أنا مش مجنونة.. سمعتك بوداني انهاردة وانتي بتكلمي حد وبتسأليه هي لسه فيروز عندك..

وأضافت وكانت للتو تذكرت:

- أه كان اسمها رودينا.. اللي كنتي بتكلمها اسمها رودينا..
وهذا كان الحال أسما تتحدث بثقة وبشرى تتلثم بالكلام..
الكفة تميل نحو أسما وبشدة..

كان محي يستمع إليهم بينما يبدو علي ملامحه الصدمة..
ابنته بخطر وأختها تعرف شيئاً عنها وتخفيه بل أنها بوضع المتهمه ولم تبرر بشكل سليم بعد
فقط تهاجم وهذا بحد ذاته دليل اتهام..
الأمر تخرج عن السيطرة..
سألها وصياحه أخافها.. هز الجدران من حولها..
- انطقي أختك فين...

وهي لم تجيب.. فقط كانت تبكي .. لا تعلم خوفاً أم ندماً أم أنها تبكي اتهامه لها... لم
ينقذها من هذا الموقف سوى رنين هاتف أبيها والذي من بعده ركض دون أن يشرح
لهم أي شيء...

للتو عاد من الخارج.. وهي انتظرته..

رغم أن بشرى أخبرتها أن ترحل ورغم أن ما فعلته اليوم وما تسببت به من مشاكل له
يتطلب الهروب ورغم أن الحبل الذي كان يلتف حول عنقها ويمنعها من الرحيل قد

انفك ورغم كل شيء هي لم ترحل بعد..

هي الآن حرة .. هكذا أخبرتها بشرى بفرح وهي حينها اكتملت الصورة بعقلها فمن البداية كانت غايتها أن تفرقهما .. عادل وفيروز كانوا هدفها وهي منحها ما أرادت اليوم بدافع الغيرة..

لم لم تهرب؟

كان هذا السؤال يتردد صدها أكثر كلما كان يقترب منها عادل والشرار يتطاير من عينه تطائراً..

لا تعلم حقاً لم انتظرته رغم أنه تقريباً منذ أكثر من ثلاثة ساعات بالخارج أي منذ أن رحلت فيروز .. بالهواء الطلق .. على شاطئ البحر يرشقه بالأحجار الصغيرة ويرسم صورتها على الرمال لتأتي الأمواج وتأخذها بعيداً عنه.. هكذا كان قد منحها فرصة ذهبية للهروب ولم تستغلها وربما كان السبب هو أنها أرادت توديعه..

انتهت المسرحية رودينا ونال أداءك إعجاب المخرج وحتى المتفرجين مازالوا يهللون وتصفيقهم الحاد يتردد في الأجواء..

ياحمقاء فلترحلي..

ماذا تنتظرين بعد؟

ربما مازال هناك لديها أملاً صغيراً أن يشعر بمشاعرنا نحوه.. أن تحتل ولو ركن صغير بقلبه وعقله..

استفاقت من حالة الشرود التي تعيشها مع أفكارها على صفحته.. كانت قوية بدرجة أنها خلفت أثاراً على ملامحها وهي تحملتها ولم تهتز ولم تسقط من عينيها ولو دمعة صغيرة..

تجرت وصمدت وبجملّة الإهانات التي تتحملها بتلك الحياة..

وذلك كان جزاء عدم رحيلك..

سألها بغضب مستعر ونفور حاد :

- عملي كده ليه؟

وهي أجابته ببرود.. بلا مبالاة.. بسخرية امرأة بلا كبرياء..

- عملت إيه؟

حينها اشتعل غضبه أكثر ولم يتحمل .. سألها بنبرة أعلى:

- ما تعمليش غيبة .. ليه خرجتي ورانا واتعمدتي إن فيروز تشوفك؟

جلست بهدوء مريب وكان ينقصها سيجار لتكتمل هيأتها المستفزة له:

- حصل .. أنا اتعمدت..

وأضافت:

- ليه مكنتش ناوي تقولها؟ ولا كنت ناوي تفضل معانا إحنا الاتنين..

وحينها ارتفعت يديه كي تصفعها مرة أخرى ولكنها استوقفته بكل تحدي وأمسكت

معصمه..

فليست رودينا من تُصفع مرتين..

أخبرته بمرارة:

- قولتلها إني واحد صحك.. مقولتش ليه إني مراتك؟

وحينها أخبرها وكان ينتقم منها:

- إنتي ولا حاجة...

ضحكت بمرارة واختلطت الأمور بعقلها.. أهل هي الأنثى العاشقة التي ستتحمله أم
الأجيرة التي انتهى دورها؟.. لا بد أن تقرري رودي..

والأمر لم يحتاج لوقت طويل كي تقرر ففي الجهة الأخرى هناك طفلها ينتظرها ومعها
المال الذي سيحفظ كرامتها التي يبعثرها على الدوام هذا المدلل وأمثاله ولكن
تذكرت الورقة..

دخلت إلى الغرفة وفتحت حقيبتها وهو تبعها وكان يحاول أن يفهم ما تفعله.. سألتها:
- بتعملي إيه؟

ولم تجيبه .. أخذت الورقة ودخلت المطبخ وبحث عن القداحة وخرجت له بينما كانت
الدموع بعينها تستعد للهطول..

الورقة بيد والقداحة بأخرى ونبرتها كانت مختلفة.. نبرة امرأة مجروحة من رجل أخبرها
للتو أنها عبارة عن " لا شيء "

- طالما أنا ولا حاجة يبقى دي معدش ليها لزمة...

أشعلت النار بورقة الزواج المزعوم وظل كلاهما ينظرون إليها حتى تحولت لرماد..
ولم تكن الورقة من تحترق بل قلبها الذي تفحم .. لم تعد تحتمل المزيد فرحلت من أمامه
بل من حياته..

رحلت وهي تحمل طفله بأحشاءها وكانت لم تكتشف ذلك بعد..

المستشفى الألماني

الأسكندرية..

منذ أن وصل للمشفى وهو يبحث عنها.. يركض في كل الاتجاهات تقريباً وكل ثانية تمر
يزداد عمره مقابلها سنة.. سيتوقف قلبه فئذ أن حادثه الشرطة وأخبرته عن الحادث
دون تفاصيل واضحة وهو أوشك على الجنون..

سقطت منه دمعة .. رباها ماذا لو فقدتها!

ثُلجت أطرافه وتعطل عقله عن العمل..

" الاستقبال " .. تذكر كان يجب أن يسألهم أولاً..

ذهب نحوهم بل كان يركض.. سأل أول من وقع عليها عينه وكانت فتاة:

- لو سمحتي.. فيروز محي الدين أبو العز ألقاها فين؟

وهي بحثت على الحاسوب وسألته مؤكدة:

- اللي عملت حادثة على طريق القاهرة؟

أوماً برأسه لها فقد كان فعلياً لا يمتلك القدرة على الكلام أكثر..

- هي دخلت العمليات مع دكتور جورج يافندم بقالها أكثر من ساعة..

سألها بصوت مبسوح مرتجف :

- هي كويسة؟

وحينها هي هزت رأسها لتخبره:

- معنديش أي معلومات للأسف ..

وأضافت :

- العمليات بالدور الثاني..

ركض على الدرج ولم تكن قدميه من تحركه بل قلبه.. قلبه الذي يرتعد من هواجسه..
 ربه فلتحمها.. هو لن يتحمل خسارتها.. سيموت محي إن ماتت فيروز..
 ظل واقفاً أمام غرفة العمليات لساعة أخرى.. يدور بالرواق ويعود.. هاتفه لا يهدأ فقد
 خرج من الفيلا دون أن يخبر أي شخص بشيء..
 ولن يفعل ولن يجب بل لن يتنفس سوى بعد أن يطمئن عليها..
 أخيراً انفتح الباب المصفد وخرج منه الطبيب بينما كان يخلع عنه رداءه المعقم..
 سأله محي:
 - هي عاملة إيه؟

ونكس الطبيب رأسه وتنح.. أخبره بالأخير:
 - الحادثة كانت صعبة بس مبدأياً فيه شوية كسور خفيفة في ذراعها الشمال ورقبتها..
 ازدادت ضربات قلب محي حتى باتت مسموعة للطبيب والذي ابتلع ريقه قبل أن
 يخبره:
 - حالياً حالة المخ مستقرة لكن....

وتوالت كلمات الطبيب بعدها كصفعات لا ترحم.. سقط فوق مقعده وعيناه تحمل بكاء
 روز.. تحمل بهجة فيروز التي غابت وانقطع ضوءها للأبد..
 فابنته أصبحت عمياء..

الفصل العشرون

طفولتي و صباي ...
 مراهقتي و شبابي ...
 أمنيائي و أحلامي
 قلبي و حياتي
 كلها كانت بك و لك
 و أنت وضعتها ببيوتٍ من رمال
 على شواطئ الخذلان
 لا تبكي ولا تشكي و... لا تحكي ...
 أعطني صندوق ذكرياتي ...
 و أتركني لدوامة النسيان

(فيروز وعادل)

إهداء الرقيقة أميرة الهواري

الضوء اختفى منذ زمن

والحادثة ابتلعت كل الأمل
وضعت أنا دون ثمن
وتوقف القلب أصبح محتمل
وضاع الحب فما العمل

(فيروز)

إهداء الجميلة ريم أدهم

تختلف المشاعر والأزمان والمواقيت..تتغير النفوس والأشخاص..تتغير الظروف ولكن
المكان يظل نفسه..

لا تعلم لم يُصر دوماً على أن يلتقيها بنفس الكافتيريا التي يبدو أن الزمان لا يؤثر بها قط
..كلما تأت إلى هنا تجد نفس الديكور..نفس الألوان..حتى الوجوه نفسها..وتلك المرة
لاحظت أن ما تغير هو " هو وهي " فقط..

كم مر على انفصاهما؟ .. كم تغيرت حياتهما؟..اختلفت طرقهما وانجرف كلاهما نحو
طريق مختلف والآن يلتقيا ليؤكدَا حقيقة حدثت ألا وهي أن آل "أبو العز" أفقدهما
هويتهم..بمجرد أن دخلوا حياتهما باتا لا يتعرفان على نفسيهما وربما ضاعا وتاها ومازالا
بدوامة لا تتوقف ..

في البداية هي دخلت تلك العائلة من أجل المال وهو بسبب رغبته بالانتقام وفي النهاية
ستساوى كل الأطراف لأن الدمار لا يستثني أحد ولا يحوي رفاة اختيار..

سحبت فريدة المقعد المقابل له.. تنهدت بعد أن نظرت خلفها.. كانت مذعورة من هذا اللقاء رغم أنه كان اقتراحها فربما يراها أحدهم ويخبر إبراهيم.. هي تعلم أنها كان يجب ألا تلتقيه أبداً ولكن أهل هناك حلاً آخر؟

هي بالفعل لا تملك حلول.. هناك فقط أسئلة معلقة تنتظر جواب وهناك أمور تحتاج لتفسير.. بعدما سافر إبراهيم ركضاً مع عائلته لاسكندرية بسبب حادث فيروز لم تجد نفسها إلا وهي تمسك هاتفها وتتصل بمروان طالبة لقاءه في الصباح الباكر فلم يعد يمكنها الانتظار أكثر..

الانتظار في قاموس فريدة يعني جنون مبكر..

وجدت مروان يحملق بها فتوترت.. سألتها:

- سرحانة في إيه؟

وأجابته بالكثير من العصبية اللا مبررة:

- مفيش..

تجاهل مروان تلك النقطة وسحب لفافة تبغ وأشعلها منفثاً الدخان في وجهها فسعلت وهو لم يتقمص دور الشهم ويطفأ السيجارة التي تمنعها من التنفس بأريحية بل أكل ما يفعل دون أن يبالي.. مروان تخلى عن الشهامة وأشياء أخرى منذ زمن.. مروان لم يعد مروان الذي كانت تعرفه من قبل..

سألتها بعد أن بدأ الصمت يدخل مرحلة الملل..

- تشربي إيه؟

ضرب يده بالأخرى وكأنه اكتشف سر حربي.. أضاف دون أن ينتظر إجابتها:

- أنا إزاي أسأل واحد مدمنة برتقان تشربي إيه معلى سؤال غبي..
أشار للنادل بحركة من إصبعه وأخبره:

- اتنين برتقال من فضلك..

وأخبرها بعد رحيله:

- تعرفني إني أدمنت البرتقان زيك واضح إنك نقلتلي العدوى..
وقال مضيفاً ببعض المراحة:

- بس أسما مظنش إنها بتجبه..

وحينها أخبرته بنبرة مرتفعة وأنفاس سريعة:

- عاوز إيه من أسما؟

وكانت إجابته ساخرة:

- واحد خاطب واحدة تفتكري عاوز منها إيه؟

وهي قد وصل غضبها للقمة..ضربت على المنضدة بيديها بقوة ثم أخبرته زاعقة:

- مروان متراوغش وتلف وتدور..طلع أسما من الحسبة هي ملهاش علاقة باللي بينا..

وهو أشعل سيجارة أخرى وقد كان من الصعب أن يحافظ على هدوءه من بعد

الآن..أخبرها:

- للأسف كلامك جاي متأخر كان زمان ممكن أطلعها بس حالياً صعب..

وأضاف بعد أن اعتدل بجلسته أكثر وتحدث بقسوة رغبة منه بأن يوجعها :

- أقولك على سر .. يمكن في الأول أنا اتقربت من أسما عشان انتقم منك ومن جوزك

بس دلوقت الوضع مختلف..

وأكل وبتلك اللحظة اختلط الصدق مع الكذب إنه حتى لم يعد يتحكم في عضله لسانه:

- أسما كسرت الشيطان اللي جوايا وختني أقول لو كنت عرفتها من زمان مكنتش هبقى البنى ادم اللي قدامك والي اتحول بسببك لمسخ عايش اه بس في الحقيقة هو مش عايش..

قالت لتقاطعها ولكنه أشار لها بيديه كي تتوقف وأكل وكانت الكلمات تخرج من القلب دون أن تمر على عقله.. تخرج كما هي دون تنقيح وفلتره..

- أسما حبتني زي ما أنا.. كانت عارفة إني فقير ومهمهاش بالعكس كانت محسساني إني أحسن راجل في الدنيا.. شوفتي الفرق كبير بينكم إزاي هي دورت على الحب بس انتي دورتي على الفلوس !

وأكل:

- وأنا كده بمنطقك أكون الكسبان لإني أخذت الحب والفلوس..

تشجنت عضلاتها وعضت على لسانها.. يا أنت توقف.. يتحدث وكأنها حقيرة.. جشعة.. مبتزة وهي لن تحمل كلمة زائدة منه..

- أنت عاوز مني إيه؟.. قولتك حكاية مروان وفريدة انتهت من زمان أنا متجوزة وبحب جوزي إنت ايه يا أخي لعنة..

اقترب منها مروان أكثر لدرجة أن عمى تبغها عينيها.. قال بثقة وارتياح :

- طالما كده انتي قاعدة هنا بتعملي إيه؟ مدام واثقة إنك بتحبي جوزك مش معاه ليه دلوقت؟

تغيرت ملامح فريدة لأخرى مشدودة، شديدة التوتر ثم أجابته:

- جاية أقولك تبعد عن أسما..

ضحك مروان لدرجة أن أدمعت عيناه.. هو يفهمها جيداً.. هو يحمل كمالوج فريدة بأكمله في جيبه..

سألها:

- ومين قالك أن احنا مستنين إذنك؟.. أنا الحقيقة سعيد اني لقيت الإنسانية اللي هتكون شريكة حياتي وتعوضني عن اللي فات وأعتقد إن هي كان سعيدة..

صمتت فريدة وازداد معدل تنفسها.. غضب لا تعلم مصدره يعتري صدرها وضيق وربما صدمة من طريقة حديثه..

وربما غارت!.. ذلك الشخص الذي كان على الدوام لها أصبح من نصيب غيرها.. هو بمطاردته لها كان يشعرها بأنوثتها.. يشعرها أنها أنثى مرغوبة.. أعطائها الثقة المطلقة أن حياته متوقفة عليها بالطبع فهي امرأة لا تنسى وتترك طابعاً مميزاً بقلوب الكل لا يحى..

والآن يخبرها ببساطة أنه أعطى مكانتها تلك لغيرها بكل سرور..

فلتتنحي أيتها الملكة فريدة.. go to hell..

هناك امرأة أفضل ستستلم منكِ الراية ..

قبضت فريدة على أصابعها بقوة شكلت وضعية اللكمة.. ضغطت عليها أكثر واشتهت أن تحطم بها فكه الذي أخرج كلاماً جرح كرامتها كأنتى .. هي فريدة مركز الكون وأبداً لن تقبل التنازل عن مكانتها بسهولة..

تركت المكان بأكماله ورحلت ومن داخلها تردد:

" يعمل كده عشان يستفزني مش أكثر "

ولكن من أعماقها هي ليست واثقة من هذا بدرجة كفاية..

قد نخطيء وقد نتفارق الأخطاء لدرجة لا يمكن تداركها ولكن إن لم نصلح أخطاءنا

قبل فوات الأوان سيتحول الخطأ إلى كابوس يفوق قدراتنا على تحمله..

فالوجدان لا يموت ببساطة وألمه يلتصق بصاحبه كالظل..

فلنتفق.. حسناً هي تكرهها ..اشتتهت كسر أنفها.. تغار منها وتشعر أنها سبب مشاكلها.. تتمنى

أن تقهرها ولكن..

أن تصل الأمور للعمى وربما كانت ستسبب بمقتلها هو ما لا تستطيع تقبله أبداً.. هي الآن

بمرحلة الصدمة..تشرع أنها قتلت أختها وليست مخطأة بظنها فهي بالفعل دمرتها .. كانت

كلها يفتح باب غرفة العناية المركزة وتراها هكذا وهي نائمة مستسلمة تبكي بصورة

هستيرية..مازالت لا تعلم قدرها الذي ينتظرها ولا تعلم أن أختها هي من تسببت بإنهاء حياتها بعد أن أخذت منها ضي عيونها..

حقيرة هي لدرجة أنها نفسها لا تتحمل أنفاسها التي تخرج من صدرها..
رددت بصوت خافت .. يرتعش ..

- ايه اللي انا عملته ده..

وصفعت نفسها بالتبادل عدة مرات بهستيرية وكانت تهذي..

- الله يلعني..

انتبه الجميع لها واقتربت أسما من بشرى والخوف يتغلغل داخلها .. ما هذا الذي تتفوه به بشرى! مستحيل أن تأذي أختها.. بشرى تغار منها وهذا واضح للعيان ويعد بمحيط الأسرة شيء عادي ومكرر بين الأخوة ولكن وقت الجد.. وقت الخطر حينها الأخ يزود عن أخيه ولو كلفه الأمر روحه ويفديه دون أدنى تفكير..

هذا ما تعلمه وهذا ما كانت قد استذكرته بدروس المدرسة.. ذلك ما أخبرها عنه أبيها وأما..ذلك ما تعرفه ولكن بالأخير تبقى الحياة هي أكبر معلم وأعظم مدرسة.
سألتها أسما بصوت خفيض:

- ليه بتقولي كده؟

وأجابتها بشرى بعد أن كانت بالفعل بمرحلة الهذيان..

- معرفش عملت كده ازاي والله ما كنت أتصور انها توصل لكده.. أنا كنت بحبه قبلها وهي أخذته مني..

واقترب منها إبراهيم بعدم فهم.. لا أحد يفهم شيء سوى بشرى وبشرى لا تتحدث بصورة سليمة..

- عملي ايه؟

ولم تجيب.. ظلت تتحمل بهم.. حورية ومحي وإبراهيم وأسماء والكل الآن ينتظر تفسير...
كرر إبراهيم سؤاله بعدما فقد أعصابه.. أمسكها من ذراعها بقوة بينما كان يردد:

- انطقي وقولي.. انتي السبب في إيه؟

وترك ذراعها فجأة عندما طرأ لذهنه شيء مجرد تصوره كان مخيفاً..

- الموضوع ليه علاقة بحادثة روز!

شهقت أسماء وتجمدت حورية ومحي كان بالأساس بعالمه الخاص يشاهد ما يحدث نكيال.. كجسد خاوي غادرته الروح منذ ساعات حزناً وقهراً على ابنته..

أجابت بشرى إبراهيم وخرج منها الكلام دفعة واحدة دون ترتيب ودون وعي كامل منها..

- متخيلتش الأمور توصل لكده وأصلاً أنا مكنتش أعرف إنها رايحة لعادل الساحل..
أنا كل قصدي كان أفرقهم وبس.. كنت مقهورة انها بتاخذ كل حاجة بحبها مني قلت

أخذ عادل منها وافتقت مع واحدة تقترب منه .. بس معرفش أنها هتنهار وتعمل حادثة وكل ده كان يحصلها بسببي..

وصمتت عندما لمحت نظرات أمها الخاوية.. اتجهت نحوها وتوقفت كانت مازالت تبرر..
- ماما أنا بجد مكنتش اتصور

وانقطع استرسال الكلام بسبب صفة قوية على وجهها وكانت حورية صاحبة الصفة..
تسمرت بشرى مكانها وحينها اقتربت منها أسما قائلة لها باشمئزاز:

- أنا مش مصدقة.. أنتي عملي كده في روز!.. تتفقى مع واحدة! انتي عملي كده..
وأمسكت بياقة بلوزتها وظلت تهزها بكامل قوتها..

- إزاي قدرتي.. جالك قلب عملي فيها كده.. دمرتي حياتها عشان إيه.. كانت عملتك إيه!

ونظرات بشرى كانت مازالت معلقة بأمها التي لم تنفوه بأي كلمة..

جلس محي على الدرج المقابل لغرفة العمليات بل تهاوى.. قدماه لم تعد تتحملة أكثر..
أيفكر بما قالته بشرى وصدمت به الجميع أم يفكر بتلك النائمة بالداخل ومصيرها بعد أن تعلم قدرها المعتم المظلم..

أشار لإبراهيم كي يأتي وأخبره بصعوبة:

- خد أمك وأخواتك ووصلهم شقة العجمي والصبح يرجعوا على مصر أنا مش عاوز اشوفها قدامي طول ما أنا هنا..

ركضت أسما نحو أبيها وقالت بإصرار:

- أنا مش همشي من هنا وأسيب روز.. مستحيل..

وهو أوماً برأسه موافقاً وحينها ارتاحت ملاح أسما قليلاً وجلست بجانبه على الدرج.. وضعت رأسها على قدميه ولا تعلم أهي تواسيه أم تواسى نفسها بوجودها معه وبجانبه.. أما حورية قد أخذت بشرى وقامت بجرها خلفها سريعاً فوجودها بالمشفى بعد ما قالته لم يعد مقبولاً على الإطلاق..

أوصلهم إبراهيم للشقة كما أمره أبيه وطوال الطريق لم يتفوه بكلمة ولم تفعل حورية فقط كانت بشرى تكسر صمت المكان بشهقاتها المتكررة وبكاءها الذي لا يتوقف وبمجرد أن نزلوا من السيارة ركض هو عائداً للمستشفى فعقله وقلبه وكل تركيزه مع " نورة العيلة " التي انقلبت حياتها للنقيض فجأة..

دخلت حورية للمنزل وتركت حقيبة يديها على أقرب منضدة ثم دخلت أقرب غرفة وأغلقتها خلفتها.. كانت تفكر وتحاول أن نتقبل ما علمته اليوم عن ابنتها.. ابنتها من أنجبها وسهرت عليها الليالي.. ابنتها من قامت بتربيتها وكرست حياتها كلها عليها هي وأخوتها.. أحسنت حورية.. بالفعل أحسنت..

لا تعلم كيف مر الوقت وهي متفوقةة بالغرفة ما شعرت به فقط هو أن الليل قد بدأ

يسدل ستائره لينقشع نور الكون الرباني ويتسلل للمنزل بعض الظلام..
 خرجت من الغرفة كي تقوم بإضاءة الأنوار وعينها وقعت على الغرفة التي كانت بشرى
 مختبئة بها طوال النهار.. دخلت الغرفة ووجدتها منكمشة على نفسها بالسرير وكانت تبكي
 بطريقة مزقت قلبها..

لم ترى بشرى على تلك الحالة من قبل..

تأملت حالتها المزرية.. عقلها وقلبها وأمومتها وكل شيء يطالبها بأن تأخذها بحضنها
 وتهدهدها كي تهدأ وربما تغني لها كما كانت تفعل بصغرها ولكن حواسها تأبى ما يطلبه
 بشدة فصدمتها بابتها اليوم قد تخطت كل المراحل ..

أخبرتها وكانت تسرد بحالية.. تتذكر وكانت سعيدة..

- عارفة أنا سميتك بشرى ليه؟

توقفت بشرى عن البكاء واعتدلت.. مسحت دموعها وانتبهت لما تقوله أمها لها فهي لم
 تتحدث معها عن سبب تسميتها بهذا الإسم من قبل ...

- في اليوم اللي عرفت فيه إني حامل فيكي كان اليوم اللي محي اتجوز فيه مامت روز..
 كنت مقهورة وهتجنن مع إني كنت عارفة بجوازهم بس كنت بصبر نفسي قلت عادي
 هي هتعيش في مكان ثاني وده حقه .. قلت عندي ولد مكملش ٣ سنين ومينفعش
 أبعداه عن أبوه.. قلت هروح فين وأنا مكنش ليا في الدنيا غيركم وغير عمي الله يرحمه.. قلت
 هتعود هو أنا أول واحدة ولا آخر واحدة جوزها بيتجوز عليها.. كنت فاكرة نفسي أد
 الموضوع وإني هقدر استحمل بس وقت الجدة ما قدرتش.. أول ما لمحت نور الفيلا اللي

سكنت فيها بينور بقيت هتجنن قعدت أكسر في الأوضة وأصرخ لحد ما أغمى عليا
وجابولي دكتور للبيت يومها.. وأما فوقت الدكتور سألني شوية أسئلة وقالي إني ممكن
أكون حامل وفعلا كان كلامه صح.. قلت من جوايا الحمل ده هدية ربنا عشان
يصبرني.. حسيت انك بشرة خير وقلت لو ربنا كرمي بنت هسميها بشرى..

وأضافت بعدما امتعضت ملامحها:

- انهارده بس خلتيني أقول ياريت ما كنت خلفتك.. ياريت كنت مت قبل ما أشوف
يوم زي ده.. مش قادرة استوعب لحد دلوقت بنتي أنا نتفق مع واحدة عشان تفرق بين
اختها وبين اللي بتجبه وكانت هتتجوزه.. بنتي أنا حقودة وسودا كده.. يا خسارة يا ألف
خسارة بجد..

وبعدها لم يعد هناك مجال للسيطرة.. الدموع كانت تسيل من عينيها لا إرادياً والأخرى
كانت تبكي معها.. تلعن وتسبب نفسها.. هي الآن تكره نفسها لأنها فعلت ذلك بعائلتها..
لأنها كانت السبب بدموع أمها الآن وقهرها..

نهضت حورية من جانبها فأوقفتها بشرى من معصمها قائلة بندم شديد وتوسل أكبر..
- ماما سامحيني..

وانتزعت حورية يدها وكانت قد احتدت نظراتها.. قالت بضيق وعجز كبير:

- قولي يارب روز هي اللي تسامحك..

الأميرة النائمة كانت ومازالت نائمة ولكن أميرتنا لا تنتظر أمير..

أميرتنا تهرب على ما يبدو من واقع بجانب خيالها كان مخيفاً..
 حبيب هجر وظلام حلّ وحياة تبدلت بحياة لا منفذ فيها للضوء والهواء..
 نحن إذا تضايقنا من الواقع نتجاهله.. ندفن أفكارنا وسط حكاية أخرى تنسينا
 واقعنا.. نغذي خيالنا ونصنع منه محارب مقدم يجابه معنا الواقع ولكن هي من بعد الآن
 لم تعد تمتلك تلك الخصوصية.. واقعها ابتلع الخيال وكل ما تملك وترك لها حقيقة واحدة
 وهي أنها أصبحت عمياء لا حول لها ولا قوة..
 أنها ستحارب أشباح الظلام وحدها..
 الطبيب أخبرهم أنه لم يتبقى الكثير كي تسترد وعيها وعندما تأتي تلك اللحظة حتماً أن
 يكونوا بجانبها.. أخبرهم أنها بحاجة لدعمهم ومساندتهم ولا يعلم أنهم هم من بحاجة إلى
 مساندة.. فيروز كانت السند وحاملة هموم الجميع دون سواء واليوم قد تبدلت أدوارهم..
 مرت ساعة أخرى كانت الأميرة النائمة نائمة ومن بعدها استمعوا لأنينها وذلك كان إنذار
 عودتها للحياة مرة أخرى..
 تبادلاً الأنظار فيما بينهم وتحولت وجوههم إلى شراخ من الليمون..
 الموقف أكبر منهم.. صعب.. لا يحتمله بشر..
 تجمدوا بالكامل.. توقفت الأطراف عن العمل وتعطل العقل عن التفكير وعن القلب
 فقد كان قد تعطب من كثرة ما يحمله من وجع..
 ظلت فيروز تغلق جفونها وتفتحها واكتشفت للتو أن لا شيء يتغير.. ربما تحلم وربما هي
 بمكان بلا إضاءة..
 أين هي؟ ولم تشعر بهذا الثقل والألم برأسها؟ ماذا حدث؟ هل هي بغرفتها ولكن ولم تشعر

بأنها ليست بمفردها وأن هناك أفراد آخرين غيرها.. هناك أنفاس أخرى تحاوطها..
 خافت وذعرت وازدادت معدلات ضربات قلبها عن الطبيعي والمسموح..
 تذكرت الحادث.. الأزمة.. عربة النقل .. عادل وتلك الفتاة..
 حاولت أن تضع يديها على رأسها الذي وكأنه وضع بخلاط كهربائي أو أنه قد خضع
 لجهاز صدمات ولكن الألم الشديد الذي شعرت به جراء حركة يديها الفجائية منعها من
 استكمال تحريكها..

- بابي..

وحينها هو أمسك يديها وكان يبكي.. أخبرها بصوت مجبوح:

- عيون بابي..

وهي تمسكت بيديه أكثر.. بخوف ورعب.. وعقل ترك كل شيء وتمسك بكيف أنها
 تسمعه ولا تراه!

قالت وكانت مازالت لا تفهم شيئاً:

- بابي أنا مش شايفاك ..

بعد ٦ شهور

هولندا

كانت متمسكة بذراع أبيها وكأنها خائفة من أن يتركها.. خائفة من ظلام عايشته ستة
 أشهر .. بتلك اللحظة ناوشتها بعض الذكريات.. منزلها وغرفتها .. صورة أمها .. الوشوش

التي تعرفها.. تحاول على قد الإمكان أن تستحضرهم بعقلها كل ثانية كي لا تنساهم.. وهناك شعور يراوضها الآن أن تلك الصور والذكريات باتت مشوهة بعض الشيء بعقلها وتفكر هل سيأتي فيه اليوم الذي ستمحي فيه كل تلك الصور من عقلها تمامًا! لا تعلم لم تشعر أنها لا تذكر ملامحهم بصورة كافية فربما كان سبب ذلك لأنها بعيدة عنهم منذ أشهر.. منذ أن وقع الحادث وهي لم تعد للقاهرة أبدًا تسافر من بلد لبلد وتطارده مع أبيها حلم الرؤية من جديد .. أخبرهم الطبيب الذي كان مسئولاً عن حالتها بالأسكندرية أن مشكلتها تكمن في تجمع دموي متمركز في مركز الإبصار بالمخ وسبب لها العمى ونصحهم نظراً لحساسية العملية أن تفعلها خارج البلاد مع توصية خاصة بعدة أسماء شهيرة بذلك النوع من الجراحات الدقيقة والصعبة.. هي لا تعلم منذ متى وهي بتلك المشفى ولكن على ما يبدو أنها تجاوزت الخمسة أشهر.. رحل الشتاء وحل الصيف وتبدل الكثير وهي مازالت على حالتها..

بتلك المشفى وطوال تلك الفترة كانت قد خضعت لبرنامج علاجي لالتهاب الأعصاب على المدى الطويل وبصباح هذا اليوم تحديداً قد خضعت لجراحة أزيل بها التجمع الدموي اللعين وبعد انتهاء العملية أكد لهم الطبيب أنها نجحت بنسبة مئة بالمئة..

ابتهج أبيها فقد انكشح الظلام عن عيون ابنته ومن المفترض أن تفرح هي أيضاً ولكن هي لا تشعر بأي شيء.. لا فرح ولا ألم .. وكأن تلك الحادثة قد أثرت على مراكز الشعور أيضاً ..

الشيء الوحيد الذي تشعر به الآن هو تلك الضمادات الثقيلة على عينيها والتي تتمنى أن تتخلص منهم بأسرع وقت ممكن ..

اليأس والظلام قد قضاوا على كل جميل داخلها.. باتت مغيبة تفعل ما تؤمر به وليس من أجل أملها بالشفاء بل من أجل إرضاء من حولها فيكفي أنهم يتألمون لأجلها ويكفي شعورها بالذنب لأنها تسببت بذلك..

استمعت لصوت طرق الباب ومن بعده صوت الطبيب الذي باتت تميزه جيداً وبعض أثار لأقدام على ما يبدو أنها لمساعدته..

شعرت بالخوف وبتلك اللحظة الحاسمة لا بد أن تتبدل الأدوار.. ازدادت قرعات قلبها والتي مع أنفاسها عزفت مقطوعة موسيقية وحدها من تسمعها..

الأمل يبدو أنه ينتصر على اليأس وربما سيفعل النور بالمثل مع الظلام.. زادت من تمسكها بأبيها عندما استمعت للطبيب يقول بثقة :

- Are you ready ?

أومأت برأسها إيماءة خفيفة فهي من شدة ضربات قلبها تعطل لسانها بضعة ثوان.. هل من المعقول أن ينتهي ظلامها وللأبد!

إن حدث لن تسمح للظلام يقتحم حياتها مرة أخرى.. ستنام على أضواء الغرفة وربما ستنام وعينيها مفتوحة..

ستستمتع بالنور حتى الشبح..

بعد أن انتهوا من فك الضمادات وبدأت تشعر ببعض الحرية أمرها الطبيب وكان مازال واثقاً:

- open your eyes roz.

فتحت فيروز عينيها ببطء رغبة منها في استقبال الضوء رويداً رويداً.. خافت إن فتحتها

مرة واحدة قد يؤذيها.. أغلقها وفتحها وأغلقها وفتحها ولا شيء يتغير..
سألها الطبيب وتلك المرة بتوجس:

- Are you seeing my hands?

وهي هزت رأسها نافية.. بعجز.. وبحسرة.. ويأس حطم الأمل ونور ابتلعه ظلام..

- I Can't see any thing

وأضافت بهوان ودموع سيطرت على الموقف:

- أنا مش شايفة يا بابي.. مش شايفة حاجة..

الفصل الحادي والعشرون

كانت كلماته على الدوام بمثابة ترياق سحري لكل آلامها وكل مخاوفها ولكن الآن باتت كالملح تزيد من الألم وتكوي الفؤاد.. رغم أن المتحدث كان نفسه ولكن المتلقي قد تغير والظروف والنفسيات وكل شيء..

- روز الدكتور أكدي إن سبب حالتك نفسي وإن مفيش سبب طبي واحد.. انتي ممكن تصحي من النوم في يوم و..

وتوقف بسبب رؤيته لها وهي تنهض من سريرها على عجلة.. باسطة يديها للأمام كي تستكشف طريقها ومع ذلك تعثرت بالمنضدة وسقطت..

سقطت بيأس.. بضعف وفشل من حتى أن تصل لخزانة الملابس التي تبعد عنها بضعة انشات !

ياله من شيء مثير للشفقة..

ركض إليها محي وساعدها على النهوض بينما كان يقول لها بتعجب ودهشة ..

- عاوزه تعملي إيه بس قوليلي!

وقالت زاعقة وهو لم يتفاجئ.. من بعد الحادث طباعها باتت حادة وأبيها يقدر حالتها النفسية ويحتملها ولكن عصبيتها تلك تمزق أوتار قلبه الضعيف.. هي فيروزه.. صغيرته.. سكر حياته.. ليته يستطيع أن يفعل أي شيء يهون عليها آلامها..

- بابي كفاية..

وأضافت:

- محدش يديني أمل .. كفاية أنا تعبت..

قال ليدافع:

- دي الحقيقة.. محدش يقولك كلام يصبرك بيه..

وهي لم يظهر على ملامحها أي تأثير .. لا يعلم إن كانت تصدقه أم لا ولا يعلم ما يدور بعالمها الذي صنعه لنفسها..

- نفس الكلام .. نفس الكلام.. قولتي الموضوع بسيط.. استحملي لحد العملية وبس والعملية اتعملت وأنا زي ما أنا..

وأكلت:

- بابي خيلنا نرجع مصر.. محدش له لزوم نستنى أكثر..

وهو فغر فاهه من انفجارها.. من يأسها وعجزها..

يجب أن تكن أقوى.. يجب أن تتحدى الظروف لا تستسلم هكذا..

هزها بعنف.. برغبة في نفخ الأفكار السيئة من رأسها..

- روز لازم تكوني قوية..

وهي صرخت :

- لأ..

وابتلعت ريقها وأكلت بعد أن أدرات وجهها عنه:

- أنا لازم اتعود ..

وهو لم يعد يعرف ماذا يفعل.. فقد سيطرته على الموقف بالكامل..

- يمكن أما اتعود أتأقلم وأعرف أعيش.. بابي أنا كل يوم أحلم إني هصحي على معجزة وبصحي وألاقي نفسي لسه جوة الضلمة برده..

إلى هنا ويجب أن يوقفها.. يخبرها ألا تتحدث وكأنها ستظل فاقدة البصر طوال عمرها ولكن هو نفسه لم يعد واثقاً بذلك فاليوم وبعد أن خفقت العملية انخفضت معنوياته.. لا أحد بإمكانه أن يتحدث بثقة عن أمور مجهولة ومصيرها بات في يد المولى عز وجل وحده..

- يمكن أكون كويسة أما إنت نفسك تتقبل ده يا بابي.. إحساس الشفقة اللي بيوصلني من نبرة صوتكم بيوتني.. البحة اللي بتعرفني بدموعكم بتخليني أكره نفسي.. أنا بقيت حاسة إني عالة وحمل ثقيل أوي عليكم ومش هقدر أكل كده..

وقالت بتصميم بالغ:

- أنا من وقت الحادثة بعمل اللي بتطلبه مني.. سيبني أعمل اللي عاوزاه عشان خاطري ورجعني مصر..

- فيروز ال...

قاطعته .. لن تسمع لكلمة أخرى تجني عليها أكثر.. ستمحو حروف الأمل الثلاث من معجمها فالأمل يجدد قتلها ويحيي مخاوفها أكثر بعد موته..

- الحياة لازم تمشي وما ينفعش نوقفها أكثر من كده .. فرح أسما بعد أسبوع وبسببي حاجات كتير متأخرة خلينا نرجع يا بابي وكفاية أوي لحد كده..

هي مصرة على العودة وعدم استكمال العلاج وهو شفثاه عجزت عن النطق.. الوجع الذي يشع من نبرتها أجمه.. رباه كم تحملي يا صغيرتي!

احتضنها بقوة عله يخفف من حالتها وأما عنها هي فشاعرها باتت جامدة كعينها وحتى حضن أبيها لم يعد يتسع لهمومها..

بأرض المطار.. هناك فراق ودموع وهناك وداع .. هناك حنين واشتياق والتقاء.. هناك تتجمع الحكايا لتصنع مجلدات تصلح لليالي ألف ليلة وليلة.. هناك تجد الملاح مختلفة .. التعابير.. رؤيتك للأشياء..

هناك نتضخم المشاعر وتتجدد المخاوف وتطارذك أشباح الذكريات.. تأمل الوجوه من حوله باحثاً عن صديق عمره " صديقي " والذي أصر على استقباله بالمطار رغم أنه ياسر أخبره بأنه معه سيارته وفقط حقيبة صغيرة تكفي أغراضه لأسبوع واحد.. ولكن هذا هو صديقه إن أصر على شيء ماذا يفعل!

استمع لصوت ينادي بإسمه بلهفة وفرحة واضحة وكان صاحب الصوت هو " صديقي " مرتدياً قبعة بنية ونظارة شمسية بعدسات عسلية.. ضحك لدرجة أن أدمعت عيناه

عندما لمح اللافتة التي بيده ومسجل عليها اسمه " Yasser elhariry "

اقترب منه وسأله بينما كان مازال يضحك على هيئته:

- ايه يا بني اللي انت عامله في نفسك ده؟

أمسك صدقي بيده وأداره مئة وثمانون درجة ثم أخبره:

- متغيريش والحمد لله..

- إنت أهبل يالا..

خرجت منه الكلمة تلقائياً وكانت مناسبة للموقف تماماً..

وأكل بينما كان يلكره على كتفه:

- وهتغير ليه هو أنا نازل من كوكب المشتري!

أخبره صدقي وكان يؤنبه:

- قول لنفسك.. خلاص بقيت عاملي فيها مهم ومحدث عارف يوصلك.. أنا بيتيألي لولا

إني حلفت ما هتجوز لو محضرتش مكنتش هتنزل مصر أبداً..

احتضنه ياسر وأخبره بجدية:

- والله الفترة دي كان عندنا شغل كتير بالعافية خلعت أسبوع وبعد الفرح هطير..

لوى صدقي شفتيه مبدياً عدم إعجابه بالأمر وقال وكان يبدو عليه الضيق الشديد:

- خلاص بقيت رجل أعمال ومش فاضيلنا.. وأنا اللي كنت عامل حسابي نطلع أسبوع

شرم نروش فيهم..

وقف ياسر قبل أن يفتح باب سيارته وسأله :

- هو إنت مش فرحك بعد كام يوم!! هتيجي معايا أنا ليه متروح مع عروستك ..

قال صدقي مازحاً:

- هي موجودة هتروح فين يعني..
- وأخبره ياسر بينما كان يضرب يد بالأخرى:
- أهو أنا نفسي أتعرف على اللي أمها دعت عليها ووافقت عليك..
- أدار ياسر السيارة وكان صدقي يتحدث ويقول:
- كلها يومين وتشوفها في الفرع وبالمرة نشوفك مزة حلوة كده نجوزها لك..
- لم يعلق ياسر ولم يبدي أي ردة فعل فقط قام بتشغيل الراديو على محطة نجوم Fm
- وكانت فيروز تصدح بأغنيته المفضلة..

يقولوا الحب يقتل الوقت

يقولوا الوقت يقتل الحب

يا حبيبي تعا لنروح

قبل الوقت وقبل الحب

وتلقائياً تذكر الساحرة الشقراء ربما لتشابه الاسم وربما لأنه لتلك الأغنية رونق خاص يشبهها.. شبحها الذي كان يطوف حوله جعله يضغط على دواسة المقود بقوة لتتحرك السيارة بصورة شبه جنونية.. لا يعلم ما يشعر به الآن ولكن مؤكداً أن هذا الضيق الذي سيطر عليه فجأة سببه هو اكتشافه أن ما فعله بأشهر كي ينساها انهار بلحظة والدليل مجرد أغنية ولذلك لن يظل بتلك البلدة أكثر من أسبوع فهنا كل شيء على ما يبدو

سيذكره بها..

أما عن صديقه فقد كان مستمتعاً بالأغنية والسعادة تبدو على قسمات وجهه فصديقه المقرب والذي ترك فراغاً كبيراً بحياته قد عاد مجدداً ولو كان لبضعة أيام فقط..

بدت القصة تحت الشتي

بأول شتي حبوا بعض

وخلصت القصة بتاني شتي

تحت الشتي تركوا بعض

حبوا بعض .. تركوا بعض

شردت بتلك الأغنية لدرجة أن دموعها فاضت من شدة أنين قلبها.. وقصتها قد انتهت بالشتاء أيضاً.. تحت المطر الذي كان شاهداً خيانة الحبيب أو ما كان يوماً حبيب .. في الشتاء فقدت كل شيء وليس الحب فقط.. في الشتاء ضاعت فيروز وحلت محلها أخرى لا تشبهها بشيء..

مدت أصابعها للأمام باحثة عن مكان " الكاسيت " .. أرادت أن توقف تلك الأغنية التي تزيد من تعب قلبها الذي فاض من كثرة أوجاعه..

ولكنها استمعت لصوت أبيها يقول بحنو :

- حمد الله على السلامة.. وصلنا..

توقفت يديها في المنتصف ثم تراجعت.. ارتعشت أطرافها وازداد توترها.. ابتلعت ريقها الجاف من الأساس وخطت بمساعدة أبيها عدة خطوات لداخل الفيلا..
- حمد الله على السلامة ياروز..

كانت أسما من احتضنتها أولاً.. يا إلهي كم اشتاقت إليها! كانت تنتظر عودتها بفارغ الصبر وكانت متأملة الكثير بتلك العملية ولكن مع الأسف قد أجهض الأمل قبل ميلاده..

نفضت من عينيها الدموع.. لا يهم أي شيء المهم أنها عادت من جديد.. ولكن لم هي جامدة تحت ذراعيها وكأنها تحتضن صخرة!!.. لم تنفوه بكلمة فقط خرجت من أحضانها واكتفت بسلام فاتر وجهته للجميع..

- الله يسلمكم ..

وأضافت باقتضاب:

- دادا انتي هنا؟

اقتربت كريمة وحاولت قدر الإمكان أن تخفي دموعها ولكنها لم تستطع وغطى النحيب على ملامح صوتها مما جرح فيروز أكثر..

- أبوة يا حبيبتي هنا..

وقالت فيروز كي تنهي هذا التجمع.. أقصى آمانياتها الآن أن تحتضن وسادتها وتهرب من كل تلك الضغوط وليذهب الكل لحياته..

شعور الشفقة الذي يشع من أصواتهم يقتلها.. ينخرها دون رأفة..

- طلعيني أوضتي..

هي لن تغامر وتصعد بمفردها وبعدها تنال سقوطاً مهيناً أمام الجميع..

حينها تدخل إبراهيم وكان قد خطى عدة خطوات للأمام وقال بعيون قد اشتعل بها بعض الدموع حزناً عليها واشتياقاً لها.. هي ليست مجرد أخت أقسم على حبها وحمايتها منذ ميلادها ولكن هي رفيقته الوحيدة بالحياة والتي يتحدث معها عن كل شيء ويشاركها تفاصيل حياته الصغيرة دون نجل فلم تفعل هي ذلك الآن!

سألها وخرجت منه الجملة وكأنه يتوسل إليها:

- هتنامي من دلوقت!

وهي لم تجيب ولا بجسدها طاقة تكفي للحديث وهو تملكه القهر.. إنه حتى لم يرحب بها بعد غيابها الطويل ويحتضنها كما يجب ويشبع منها..

أمسكت فريدة بيديه وضغطت علي أصابعه بقوة رغبة منها في مواساته.. أخبرته:

- إبراهيم سيحبها براحتها.. قدرّ حالتها النفسية..

وهو تبادل النظر مع أسما والتي بادلتها نظرات حائرة ، مذهولة، قليلة الحيلة مثله وهو بالأخير قال لأبيه مستنكراً:

- مش فاهم هي هتقعد هنا ليه في البيت ده لوحدها! تروح الفيلا الثانية ولا تيجي تقعد عندي وأنا هحطها في عنيا..

تنهد أبيه بسخرية.. ألا يعلم كم أخته عنيدة وبعد الحادث أصبحت العناد مضاعف ومن بعد فشل العملية تحديداً باتت تصرفاتها أغرب.. حتى أبيها لم تعد تريده بجانبها.. صنعت لنفسها فقاعة عازلة ولا تسمح لهم باختراقها.. هي وحزنها وظلامها فقط..

- إنت مش عارفها .. هي حتى مش راضية إني أجي أقعد معاها هنا..

ماذا يعني هذا هل يظلموا متفرجين صامتين يشهدون دمارها! لن يقبل هذا أبداً..
قال إبراهيم بعصبية وصعد عدة درجات ذاهباً إليها:
- أنا ها كلها..

زق محي بإبنه كي يتوقف.. ليس هناك مخلوق على الكرة الأرضية مقهور عليها مثله
ولكنه سينتظر عودتها.. لا هناك حل آخر.. الموضوع لن يحل بيوم وليلة.. حسناً هي
بحاجة لمساحة خاصة فليعطها إياها ولكن لن يسمح لها بأن تبني أسواراً عالياً لا يمكنهم
بعدها الوصول إليها..

الكل بالإطار عداها ووحدها خرجت منه ولا مجال لعودة، أصبحت منبوذة بجرثومة أو
مرض لعين يجرح عيونهم.. لا تعلم إلى متى سيستمر مسلسل العقاب هذا ولكن على ما
يبدو أنه عرض حصرى دائم مدى الحياة فكما شاهدت الله يغفر الخطايا ولكن البشر
لا..

سيظل ما فعلته وشمًا على جبينها وشرخ كبير بعلاقتها مع عائلتها وعلى ما يبدو الأيام لن
تغير من شيء.. أسما وإبراهيم وفيروز ومن قبلهم أبيها لم يسامحوها بعد وكلما تلتقي الأعين
يخبروها دون حديث أن وجودها لم يعد مرحباً ومرغوباً به على الإطلاق فإثمها وتوابعه
أكبر من أي غفران ولن يحيه ندم..

وحدها حورية من نتأرجح بين أمومتها وغضبها منها.. وحدها من تحاول ألا تقسو عليها..
أخبرتها حورية في الصباح أن فيروز ستعود اليوم من هولندا وهم سيذهبوا إليها وأما عنها
فن الأفضل ألا تخرج من غرفتها أبداً تجنباً للمشاكل وهي فعلت ولكنها سأمت..

دفت رأسها بالوسادة متمنية أن يسرقها النوم من واقع بات فيه حتى تنفسها حق غير
مشروع...

يا حبيبي شو نفع البكي

شو إلو معنى بعد الحكي

ما زالا قصص كبيرة

و ليالي سهر و غيره

تخلص بكلمة صغيرة

حبوا بعضن .. تركوا بعضن

لم يعد يفيد " الحكي " فبلا شك قصته مع الساحرة قد انتهت.. هو لم يجرحها فقط بل
سرق نور عينيها وترك لها ظلام ويأس وفقدان ثقة بأي شيء ورغم جرمه الكبير وعذابه
الأكبر هو حتى لا يمتلك الجرأة كي يمنحها ولو اعتذار بسيط فما حدث سيظل أبشع من
أن يُحميه اعتذار بل وسيكن من الوقاحة فعلها..

اليوم رآها وهي جالسة مع أبيها بسيارته ومنه علم بعودتها من الخارج ولم يفهم هل قد
استعادت نظرها أم لا بسبب النظارة الشمسية التي كانت ترتديها وتحجب بها عينيها عن
الجميع..

كم يشتهي الذهاب إليها والاطمئنان عليها ولكنه اكتفى بمتابعة السيارة من خلف الستار
وهذا يعد مكانه الطبيعي..

ألقى بجسده على سريريه وعاد بذاكرته قبل ستة أشهر بعدما علم من أمه عن الحادث..
توقف عقله ولم يجد نفسه سوى وهو بسيارته ينطلق بها مسرعاً نحو المشفى الذي كانت
به ويفكر بشيء واحد وهو كيف حالها وكيف ستتحمل ما حدث لها ونسى تماماً إنه
آخر شخص مرغوب به بجانبها..

تذكر ذلك عندما وصل لباب غرفتها.. حينها استمع لها وهي تتحدث وتروي ما حدث..
- بابي كان عنده حق يا أسما.. أنا الغبية..
وأكلت:

- مقدرتش استحمل.. معرفش كنت بسوق العربية إزاي وفجأة الأزمة جاتلي
ومعرفتش أعمل إيه وأنا لوحدي..

وهو رحل ولم يعد بإمكانه السماع أكثر وخاتته شجاعته لتبقى حقيقة ما حدث معلومة
للجميع سواء فحينها قد أخبرتها أسما عن كل شيء.. عن ما فعلته بشرى كي تفرق بينهم
وعن تلك المرأة العاهرة التي ألقته بطريقه كي يقع بشباكها.. هي أخبرتها ظناً منها أن
هكذا ربما ستخفف عنها وجع الخيانة ولكنها قد آلمتها أكثر بعدما علمت أن أختها قد من
غرست السكين بمنتصف ظهرها وأما عن عادل فما قالته أسما لم يغير من شعورها نحوه
بشيء وقالت لنفسها:

" لو لم يسقط بالفخ.. ما سقط "

وكانت القصة تحت الشتي

بأول شتي حبوا بعض

و خلصت القصة بتاني شتي

تحت الشتي تركوا بعضن

حبوا بعضن .. تركوا بعضن

الفارق بين قصة الأغنية وقصتها كالفارق بين كسوف الشمس وخسوف القمر مثلاً..
الاتفاق يكمن في الشتاء فقط وأما عن الأغنية فكانت يجب أن تكن

" خلصت القصة قبل ما تبلش .. خلصت بنفس الشتي "

فهي وحدها من حلمت وعشقت..

فاضت دموعها بغزارة وأغرقت شاشة هاتفها.. أزالَت الساعات من أذنيها ومسدت
بيديها على بطنها الذي لاحظت اليوم انتفاخه الزائد..

وجدت ابنها يترك دراجته الصغيرة ويركض إليها واضعاً يده على بطنها هو الآخر بسعادة
جعلتها تضحك رغماً عن دموعها.. لا تعلم لولا وجوده بحياتها كيف كانت ستعيش .. يا
إلهي كم يهون عليها الكثير بالفعل لولاه لانتهد رودينا منذ زمن..

دغدغته وارتفعت ضحكاته لتنعش قلبها..

سألها بعد أن توقفت :

- ماما هو النونو دخل جوة ازاي؟

وهي أجمها السؤال.. حاولت التهرب ودغدغته مرة أخرى ولكنه كرر سؤاله وكان يبدو
عليه من نظراته أنه لن يتنازل عن إجابة مرضية..

فكرت قليلا وبالأخير أخبرته:

- ممممم رحت للدكتور وقتله كوكي زهقان وعاوز نونو صغنن يلعب معاه..

وكان يبدو عليه أن شرد بكلامها.. يستقبله ويحلله بعقله الصغير..

- يعني هو فتح بطنك بالسيف وحط النونة جوة!

وهي سخرت :

- سيف!.. هو إحنا في سلاحف النينجا ..

وأخبرته بعد أن ضخمت صوتها متقمصة دور الوحش:

- أكلته..

وأكلت بينما كانت تحاول الإمساك به:

- وهاكل كوكي كان..

وهو ركض عائداً لدراجته بينما كان يخبرها:

- متكلش كوكي.. كوكي يسمع الكلام.. الننة نوتي مش يسمع الكلام..

وهي بعدما ابتعد عنها تجهمت فجأة وكأنها تذكرت ..تتسائل هل سيأتي اليوم الذي يسألها

فيه ابنها عن والد هذا الطفل مجهول الهوية وحينها بالطبع لن يكن الأمر مزحة مثلما

حدث منذ قليل..

الوقت يمر رودينا ولم يتبقي الكثير على ولادة الطفل.. الجيران قد صدقوا كذبة الزوج المهاجر خارج البلاد ربما لحسن تعاملها وسلوكها الجيد مع الجميع ولكن وبعد أن يأتي الطفل إلى من ستنسبه بعد أن أنكره أبيه !

ليتها استطاعت أن تجهضه ولكنها كاهرة تموت ولا تفرط في أطفالها.. حاولت ولكنها تراجعت في آخر لحظة.. لم تستطع..

شردت فيما قبل أربعة أشهر تقريبا بعدما علمت بحملها.. استطاعت عن طريق الانترنت أن تعلم عنوان الشركة ومنها علمت بعنوان المنزل بعد أن تبعت سيارة رئيس مجلس الإدارة..

دخلت إلى الفيلا بملاح منكسرة وخوف كان واضحاً للعيان في عينيها.. وكأن الجميع من وجهها سيكتشف تلك المصيبة التي وقعت فيها بقدميها..
- أوامري حضرتك..

انتبهت لإمرأة شابة ترتدي سروال مطبخي ملون وكانت تنتظر جوابها وهي أخبرتها بصوت مبحوح..

- عاوزه الأستاذ عادل من فضلك..

- أبلغه مين..

وكررت عندما لم تجد إجابة منها ولكن تلك المرة كانت أكثر حدة:

- أبلغه مين يافندم؟

وهي أجابته بتيه.. بضياع.. ورغبة في الاختفاء ..

- رودينا..

وبعد دقائق وجدت عادل أمامها والنار كانت تقدح من عينيه قدحاً.. أمسكها من ذراعها وأخرجها خارج الفيلا ثم أخبرها بعد أن ابتعد بها مسافة كافية..

- جاية هنا ليه؟

وأضاف:

- مش عاوز أشوف وشك قدامي..

وأكل عليها بكلمات وقعها على قلبها كالرصاص قضت عليها بالتدريج..

- إطلعي من حياتي بقا مبتفهميش..

وهي أجابته ببعض الدموع وكلمة مكونة من كلمتين:

- أنا حامل..

والرد كان في البداية صمت ومن بعده شك ثم تجريح وإهانة...

- كدابة.. جاية ترمي بلاكي عليا..

وكان سيكل لولا أن أوقفته.. كفى هي لا تحمل كل هذا.. هل كُتب أن تلد أبناء
أباؤهم لا يعترفوا بوجودهم.. الأول تركه ورحل دون أن يأبه والآخر لا يعترف بنسبه
ويشكك به..

- متكلمش.. الرسالة وصلت..

وتركته راكضة تبحث عن أي سيارة أجرة تهرب بها بعيداً وليتها تنقلب بها فترتاح وتريح..

يقولوا الحب يقتل الوقت

يقولوا الوقت يقتل الحب

يا حبيبي تعا لنروح

قبل الوقت وقبل الحب

وهي قتلها الحب..أحني رقبتها وكسّر عظامها.. وهو دمرها بإسم الحب وكلمات الغرام
حتى وثقت ..سلمت.. آمنت ليتلذذ هو بفريسته التي قدمت نفسها له على طبق من فضة
وبنكهة العشق..

لقد كرهت الشتاء.. في الشتاء كُتبت نهايتها وبعد عدة أيام ستدفن روحها بعدما تتزوج
ومن مغتصبها..

من تشتهي قتله ستكون معه في بيته..يا لها من عملية معقدة!

الحل الوحيد الذي وجدته أمامها التجاهل.. أن تنسى مشكلتها.. تنسى أن زفافها بعد
أسبوع واحد.. كانت تأمل أن الزفاف يتأجل موعده لأي سبب كان ولكن مع
الأسف والأسى حتى الآن لم يطرأ جديد وإبراهيم هو السبب.. هو من يُصر على عدم
تأجيل الزفاف.. قرر التكفل بكل شيء وقت انشغال أبيه مع فيروز والسبب معروف
فهو يرى أن الزفاف قد تأخر بالفعل بما يكفي ويجب عليهم أن يتخلصوا من ذلك الحمل
الثقيل وبأسرع وقت ممكن..

هي تتعامل مع الموقف كأنها غير موجودة..مازالت تتجاهل كل شيء ولولا أزمة فيروز

التي شغلت جزء من تفكيرها لكانت بالفعل فقدت عقلها بتلك الأشهر .. وربما سبب ذلك أنها إلى حد ما أصبحت أقوى فقسوة المواقف تستخرج قوانا التي نظنها غير موجودة بالأساس كما أنها قد قطعت شوطاً كبيراً في جلسات العلاج النفسي مع طبيبها.. هي تشعر أنها أفضل حالاً ولكن إلى الحد الذي سيجعلها تحمل القادم هذا الذي لا تعلمه ولا تفكر فيه فقط تتجاهله..

دخلت إلى الفيلا مع إبراهيم وكان عقلها مازال مع فيروز التي ترفض التواصل معهم وقررت العزلة.. فيروز الوحيدة التي وقفت بجانبها بأحلك أيام حياتها واليوم هي عاجزة عن حتى الحديث معها..
سألته:

- هنعمل إيه؟

وهو لوى شفثيه.. لا يعلم بماذا يجيبها .. هو يشعر بالعجز وقلة الحيلة أكثر منها..

- هنستنى زي ما بابا قال مفيش حل تاني..
أخبرته:

- مش مصدقة لحد دلوقت.. وكأنه كابوس..
وأضافت بمرارة:

- مش عارفة إيه اللي يحصلنا..

قاطع حديثهم صوت الخادمة.. كانت تنادي على أسما..

- يا ست أسما..

انتظرت أسما مكانها واستمعت إليها وكانت تقول بفرح بالغ:

- الأستاذ مروان خطيب حضرتك جاب فستان الفرحة..

وأكلت بعد أن زغردت بسعادة:

- لما ملقأش حد منكم هنا طلع وحطه في أوضتك.. حب يفاجئك ربنا يسعدكم يارب..

وكانت مازالت تثثر ولكن أسما توقفت عند جملة.. سألتها بتعجب:

- مروان طلع أوضتي أنا!

الفصل الثاني والعشرون

تلومني الدنيا إذا أحبته..
 كأني أنا خلقت الحب واخترعته..
 كأني على حدود الورد قد رسمته..
 كأني أنا التي للطير في السماء قد علمته..
 وفي حقول القمح قد زرعه..
 وفي مياه البحر قد ذوبته..
 لو كنت أدري أنه باب كثير الريح.. ما فتحته..
 لو كنت أدري أنه عود من الكبريت .. ما أشعلته..
 فليتني حين أتاني فاتحاً يديه لي .. رددته..
 وليتني من قبل أن يقتلني .. قتلته..

أسما

نزار قباني

التجاهل قد يفيد بعض الأحيان ولكن عندما تتجسد الحقائق يختفي ويزول ويترك
هكذا وحيد، عاري ومجرد من كل الحصون..

أنت والحقيقة وبعض التيه والكثير من الضعف وفقط..

وهذا ما حدث معها بمجرد أن دخلت الغرفة بمصاحبة إبراهيم وجدت علبة كرتونية بيضاء
ضخمة موضوعة على سريرها وبمجرد أن فتحتها وقعت عيناها على فستان زفاف ناصع
البياض منثور عليه بعشوائية بعض الورود الحمراء المجففة ويتوسطه بطاقة وردية مطبوع
عليها بعض الأحرف الإنجليزية التي تكاد أن تقسم أنه لم ينتبه لها هو كما لا يعلم ولا
يدرك وقع تلك الكلمات على قلبها الآن.. كان مطبوع عليها بأحرف بيضاء مائلة " with
my kisses "

يا لها من رومانسية !!

سخرت داخلها .. مروان والرومانسية كل منهما يمضي في اتجاه معاكس.

هو يراوغ.. يتحايل.. يتغذى على ضعفها لسبب مازالت تجهله وفقط..

نظرت بعيون سابحة في بحر من الدموع حولها باحثة عن إبراهيم ووجدته يفتش في كل
الغرفة.. داخل الخزانة، تحت السرير، في الشرفة ..
وكان مروان وضع بالغرفة قبلة موقوتة!

عفوا القبلة في تلك العلبة.. في الأحلام التي وأدها.. في الوردية التي غطتها سحب
رمادية..

ملعون الحب

ملعونة الثقة

وملعونة هي به..

تلاقت نظراتها مع نظرات إبراهيم الذي سرعان ما أخفض ناظره ولا يدري إن كان نجلاً منها أم أسفاً عليها ولكن مؤكداً أنه لم يحتمل أن يراها بهذا الحد من الضياع لتركها في النهاية ويخرج من الغرفة.. يتركها مع ذلك الثوب الذي كان كل جزء منه يصرخ بأحلامها التي كانت نسجتها من قبل مع رجل يشبه هذا الذي ستتزوجه ولكن الآخر كان حبيب.. كان باختصار بالنسبة إليها كل شيء..

حبيب تحول بيوم وليلة إلى عدو لا تستطيع مواجهته مهما حاول أن يستفزها ولم يكن الأمر يديها فهي بالفعل أصبحت تهابه بشدة ونظراته المخيفة في تلك الليلة المشؤمة لا تفارق عينيها أبداً..

الأيام تمر على كل الناس سواها.. لم تعد تميز أي شيء سوى ذلك الضوء الذي يتسرب من النافذة في الصباح ليخبرها بحلول يوم جديد وخاصة مع العزلة الشديدة التي فرضتها على نفسها قبل الجميع..

للتو كانت تحاول السير دون مساعدة عصاها المعدنية.. تغدو وتعود بالرواق الواسع الذي يفصل بين الغرف.. تتحسس الحوائط وتميز مواضع الأشياء من حولها.. السجادة، أبواب الغرف، والمنضدة الصغيرة والتي كانت منذ دقائق فقط تحوى مزهرية زجاجية ومع

الأسف بسببها تهشمت لتبعثر الزهور والمياه تحت قدميها ولم تكن تلك الحادثة الأولى
فقد تكررت عدة مرات وكانت كريمة كلما يسقط بسببها شيء تقول غير جملة ثابتة يبدو
أنها قد التصقت بلسانها..

" معلىش .. حصل خير "

حتى قررت بالأخير أن تزيل كل ما هو قد يؤذيها من طريقها وكأنها تحولت إلى طفلة
تجبو حديثاً دون حذر ..

وأما عنها فهي كانت اليوم مصرة على استكمال ما قررت به بشكل غريب ولم يكن رغبة منها
في تقبل وضعها الجديد على قدر ما كان رغبة في محو ضعفها واعتمادها على كريمة بكل
شيء فهي من تطعمها وتساعدنا بارتداء ملابسها وهي من تساعدنا على التحرك داخل
المنازل وكل من كان من الصعب عليها أن تشعر بكل هذا العجز والوهن وكأنها تحولت لرجل
عجوز ينتظر حتفه حتى يرتاح ومن حوله يستريح!

ولكنها بمجرد أن وصلت لتلك المرحلة من الوهن قررت أن تبحث عن منفذ يعيد إليها ولو
قليل من كبرياءها المهدور..

ظلت هكذا لعدة ساعات ولا تعلم كم مر من الوقت بينما كانت هي غارقة بالتدريب
الذي فرضته على نفسها حتى بالأخير أنها كرها التعب ولم يكن التعب جسماني فع كل
تعثر جديد كانت تشعر أنها تفقد شيئاً ثميناً آخر منها لذا قررت الهدنة والعودة لقوتها
المفضلة وإحكام إغلاقها عليها..

ولكن بمجرد أن أغلقت باب الغرفة شعرت بوجود أحد غيرها ؟!

لا صوت سمعته ولا نفس خرج من ذلك الفم الذي قد تكلم بيد صاحبه فور دخولها ولكنها ملكة أصبحت تلازمها وهبة ربانية قد اكتسبتها منذ أن فقدت بصرها ألا وهي الشعور وبأدق التفاصيل..

- مين هنا؟

ولا جواب..

لا تعلم ما الذي حدث لها.. تجددت مكانها للحظات ثم تحركت عدة خطوات باحثة عن أي شيء ينقذها من ذلك العدو الصامت الذي لا تراه ولكنها متيقنة من وجوده.. كم هي غبية وحمقاء!! فلو أنها كانت تحمل بيديها عصاها المعدنية فكانت ربما ستستطيع الدفاع عن نفسها الآن..

تحركت سريعاً نحو المنضدة الصغيرة التي بزاوية الغرفة وأمسكت بالمصباح الجانبي وقامت بشد سلكه الكهربائي عندما تعثر معها جذبه.. ظلت تدور في كل الاتجاهات باحثة عن المجهول وكانت تردد..

- مين؟

وأجابها تلك المرة صوت ضعيف.. مكتوم وهزيل..

- أنا..

سقط المصباح من يد فيروز مما تسبب في تحطيم واجهته الزجاجية وقالت بعدما تراجعت عدة خطوات..

- خوفتيني..

وأضافت بعدما التقطت نفساً عميقاً ومسحت بعض قطرات العرق من وجهها..

- بتعملي إيه هنا!

وقالت بشرى بعد أن تنهدت.. هي انتظرت كثيراً كي تستجمع كل قواها الممكنة ولكن بمجرد أن دخلت الغرفة فقدت كل ما ظنته قوة وتقهقرت شجاعته حتى أنه لولا شعور فيروز بوجودها لكانت ستخرج من الغرفة دون أن تنفوه بكلمة!

ولكن ربما هكذا أفضل فالمواجهة لا بد أن تحدث اليوم أو غداً كما أنه ليس من العدل أن تحيا وهي تحمل ذلك الذنب الكبير على ظهرها وذلك الثقل الذي يزداد وزنه مع الأيام يعتلي صدرها..

- فيروز ممكن نتكلم..

وخرجت منها مترددة وشاحبة كسفتها.. داكنة كالظلال السوداء التي اتخذت مكانها الثابت أسفل عينيها.. عينيها التي فقدت حيويتها من كثرة ما ذرفته من دموع ومن شدة ما حملته من نجل ومن ندم..

أخبرتها فيروز دون تفكير..

- لأ.. إحنا مفيش بينا حاجة نتقال.

وخرج الفرمان الصادر من صاحبة القرار على الدوام.. ولكن لا لن تسمح بهذا من بعد الآن.. لن تظل مكبوتة المشاعر قليلة الحيلة متفرجة صامتة مثلها كان يحدث دائماً..

صاحبة الدور الثانوي قررت أخيراً أن تصعد على المسرح.. ستحدث وتفرغ كل

المكنونات عل هذا الشعور المقيت الذي يلازمها بأنها وصيفة الملكة فيروز وليست فرداً
من عائلتها له حقوق مثلها يختفي ويتلاشي..

قالت بشرى مستنكرة وقد ارتفعت نبرة صوتها بعض الشيء..

- روز مهما كان اللي حصل عمر ده ما هينفي إننا أخوات..

كررتها فيروز خلفها وكانت مستنكرة.. ساخرة..

- إخوات؟!!

وهل تذكرت هذا الآن بشرى؟ كم اشتيت أن تشعرها ولو بجزء ضئيل من تلك الأخوة
حتى أنها لم تكتفي بذلك بل كانت تعتمد أن تجرحها في كل فرصة وتذكرها بأنها فرع
غير مرغوب به من عائلة أبو العز التي كانت ستكون في قمة السعادة والكمال لولا
وجودها..

صرخت بها فيروز وكانت قد وصلت لأقصى مراحل الغضب لدرجة أن أطرافها
تشنجت بل هي بالكامل قد تشنجت..

- بشرى متكذبيش الكذبة وتصدقها إحنا عمرنا ما كنا إخوات.. إنتي كنتي عايشة عشان
تدبريني ولس.. بتشوفي إيه الكلام اللي بيضايقني وتقوليه.. كل يوم عيني تيجي في عينك
فيه لازم تحسسيني فيها إن وجودي مش مرغوب فيه في وسطكم.. حتى عادل ..
ولم تكمل فقد شعرت أن الكلام يؤذيها أكثر ويعري روحها.. تنهدت ثم أخبرتها:
- عامة ملوش لزمة الكلام..

اقتربت منها بشرى والدموع مازالت لا تنضب مثل القلب الذي لم يتداوي بعد ومازال
يئن ويصرخ بالوجع ، بالذنب الذي لا يفارقها وبالغفران المحرم عليها..

- هنتكلم وهتسمعيني..

وما فعلته فيروز هو أنها وضعت يدها على أذنيها معلنة عدم رغبتها في الاستماع إليها بل
بوجودها بغرفتها ولم تجد بشرى حلاً سوى أن أزال يدها التي تمنعها من الوصول إليها
ولكن فيروز تلقائياً دفعتها بعيداً عنها وكأن لمستها تحمل ماساً كهربائياً قد أذاها!
طبيعي..أليست هي السبب الرئيسي بما تعيشه الآن من ضياع!.. أليست هي من تسببت
في معانقة عيونها للظلام وهي من طعنت قلبها في مقتل وتأتي الآن تتحدث عن الأخوة
!؟.. بدا لها الوضع بقمة السخف لذا فضلت الصمت عليها تخرج ما في جعبتها وترحل...

كانت بشرى تتحدث:

- أنا عمري ما كرهتك هتصدقيني !!. بس أنا غرت منك وكثير.. كان شعور زي
المرض..

والتقطت أنفاسها بعد أن نتابع على عقلها عدة مشاهد وذكريات لن تنساها أبداً فقد
كانت تلك الذكريات هي الحاجز الذي كان يكبر بينهم مع الأيام..
عن دموع أم خرجت في الخفاء ظناً منها أن هكذا أطفالها لن يعلموا ولن يشعروا
بقهرها.. عن أب بات نصف أب منذ أن داهمت حياتهم طفلة بخصلات ساحرة ملونة
سرق اهتمام الجميع وقلوبهم أيضاً..

تفاصيل .. مجرد تفاصيل صغيرة للغاية لا أحد ينتبه لها ولكنها كانت ذو وقع خاص ومختلف عليها..

- حطي نفسك مكاني وانتي صغيرة قالولك دى أختك بس هي مش شبهك.. بيتها مش بيتك وأما مش أمك.. افرحي هتلاقي حد يلعب معاكي ويسليكي بس الى حصل إن من ساعة ما اتولدتى وأنا مبقتش حتى ألعب لوحدي بقيت بشوفك واتفرج وبس..

وأضافت بصوت مبسوح .. باهت.. ولا تعلم هي الآن تهاجمها وتطالبها باسترداد طفولتها التي ضاعت منها أم أنها تشرح لها كي تفهمها وتشعر بما تعانيه منذ زمن..

- لا أسما ولا إبراهيم هيحسوا باللي أنا حسيت بيه لإن أنا اللي أقربك في السن .. وكانت محقة بهذا.. وضعها يختلف كثيراً عنهم إبراهيم هو الأخ الأكبر وفرحة العائلة الأولى، عكاز أبيها وسنده وأسما تظل الصغيرة المدللة وأما عنها هي فما تبقى لها قد سلبته منها فيروز حتى باتت عديمة الأهمية ، مهمشة فاقدة المعنى والمسمى.. وأكملت بتأكيد:

- انتي عيشتي الحياة اللي الكل اتمناها .. كنتي ببساطة رقم واحد وكلنا وراكي وبعد كل ده حتى الإنسان الوحيد اللي حبيته مكانش شايف غيرك..

اختنقت الكلمات في حلقتها لتخرج بقية الحروف مشوهة كحال قلبها الذي أدماه الآن ذكريات بأسة..

- إنتي خدتى كل حاجة وخليتي الكل جنبك ولا حاجة..

قاطعتها فيروز فبالفعل لم يعد بإمكانها أن تستمع أكثر..
أهل أصبحت هي السبب بما حدث الآن؟ هل هي من حقدت وغارت .. هي من
خططت و... حطمت..

- خلاص يا بشرى افرحي.. أنا انتهيت وكل حاجة شايفة إنها بتاعتك تقدري تاخديها..
عادل عندك إنتو الاتنين لايقين على بعض أوي على فكرة.. بس أنا عارفة وواثقة إنك
مش بتجيبه ولا حاجة وكل اللي عملتيه عشان تقهريني مش أكثر..
هي محقة .. هي لم تحب عادل أبداً وبمجرد أن تركته فيروز انتهى شغفها تجاهه.. لا تعلم لم
تصرفت هكذا ولا لم تهاجمها الآن رغم أنها واثقة من داخلها أن لا علاقة لفيروز بما
تشعر به هي من نبد ومن جفاء..

بالأخير هي لم تطلب من أبيها بأن يحبها أكثر منهم ويفضلها عليهم..

- روز افهميني ..أنا مش بقولك كده عشان أقولك إني مغلطتش أنا عارفة إن اللي عملته
شيء فظيع .. صدقيني كل يوم بيعدي أنا بكره نفسي فيه أكثر..

وأضافت وكان البكاء هو المسيطر على الموقف حينها..

- أنا محسبتهاش والغيرة كانت عامية قلبي قبل عيني وصدقيني أنا دلوقت بتعذب أكثر
منك بكثير..

وأكلت بضعف:

- تعرفي إن محدش يبص في وشي من ساعة اللي حصل..

ومع مزيد من السخرية قالت:

- حتى بابا من ساعة ما رجع من السفر مسألش عني إني كنت لسه عايشة ولا ميتة ولا أنا قادرة أواجهه وأطلب منه إنه يسامحني زي ما مش قادرة أطلب منك ده دلوقت..

السماح.. كلمة تحتل أكبر من حروفها بكثير والتفوه بها ليس أبداً بتلك السهولة وخاصة عليها وكأن ما حدث لها غلف قلبها بطبقة صلدة قاسية لا يبدو أنها ستذوب مع الأيام..

هي لا تملك القدرة كي تسامحها ولا أحد بإمكانه أن يلومها وكان جوابها عبارة عن صمت اقتحم الأجواء فلا هي سامحت ولا الأخرى ارتاح قلبها بعد ...

M & A

Love for ever

وكانت تلك الجملة التي زينت سيارة العروسين وقد تكون عادية ،رمزية ومكررة ولكن كان لها وقع مختلف على قلبه..
تأملها وشرد قليلاً..

حب للأبد! وهل الحياة بتلك الرفاهية؟!

بل السؤال المفترض أن يكون ..هل هناك حب يستطيع أن يصمد أمام عراقيل الحياة الصعبة وأمام الطمع ،أمام الغدر وأمام الخيانة التي باتت مكوناً رئيسياً لدماء البشر!
لو كان كذلك لصمد حبه لها.. هي فريدة أو عذراً " فريدة هانم حالياً "
ابتسم عندما تذكر لقاءها به البارحة وكان ينتظره.. كان يعلم أنها ستظل تحاول أن تنسيه

عن قرار الزواج من أسما بشتى الطرق مثلها حاول هو معها منذ أشهر طويلة ولم يستطع.. ولكنه لم يتخيل أبداً ما حدث..

كان التوقيت مشابهاً فكلما اللقاءين كانا في الليلة التي تسبق الزفاف مباشرة ولكن الحال كان مختلفاً.. حقاً مختلفاً..

بينما كان هو يسير خلفها على قدميه ينتظر أن تسنح له الفرصة بأن يحادثها دون أن تنتبه له أمها التفتته هي بسيارتها "الفورد " موديل السنة..

- مبروك العربية..

وكان هذا أول القصيدة..

وهي ابتسمت بارتباك ولاحظ هو حركة قدميها المتوترة وقد علم من عينيها سوء حالتها النفسية وهذا جيد.. جميل..

مالت بجلستها قليلاً كي تواجهه.. هذا الوضع يجب أن ينتهي بأي صورة فإزالت لا نتقبل بعد أن يتم هذا الزوج بل هي بالحقيقة لم نتقبل أن يتزوج مروان غيرها والأمر ليس علاقة بأسما مطلقاً..

وكان مروان أصبح من ممتلكاتها الشخصية تتركها وتهملها وتعلق بأشياء غيرها ولكن في النهاية هو لها.. ملكها وحدها..

وأخبرها عندما طال الصمت:

- هتفضلي ساكتة انتي عارفة عريس بقا وورايا مشاوير كثير..

وهي صرخت..

- مروان كفاية.. إنت مش هتتجوز أسما وتكل المسلسل السخيف ده...

وهو لم يعلق.. حرب الأعصاب تلك باتت تعجبه بشدة.. تجعله ينتشي.. يشعر بالنصر
وبالفوز الذي تأخر تحقيقه ، يشعر بأنه يستعيد جزءاً من كرامته التي سلبته هي إياها يوم
اختارت من هو أفضل منه مآلاً ونسباً ولقباً..

حاولت التثبت ببعض القوة عليها تستطع أن تقنعه وينتهي أمر هذا الزواج المدمر للأبد..
وليس مدمراً لأنه فقط سوف يجعلها تخسر مروان بل لأن وجود مروان بهذا القرب
من عائلة زوجها كمثل أنك أشعلت عود ثقاب بفتيل قبلة وتنتظر لحظة انفجارها في
وجه الكل وأولهم هي..

إبراهيم أبداً لن يسامحها إن علم بعلاقتها السابقة معه ومع دخول أسما للحلقة سيصبح الأمر
في غاية التعقيد.. سيتدمر كل شيء..

- مروان خيلنا نتكلم بهدوء..

وهو أشعل سيجاره وتحول لمستمع جيد لها.. ينتظر العرض الذي ستقدمه له مقابل أن
يتنازل عن قرار الزواج حتى أنه يتوقع أن تخرج من حقيبتها الثمينة دفتر الشيكات
وتكتب له مبلغاً متواضعاً مقابل تنازله عن الزيجة..

- هتستفاد إيه أما تدمر بنت بريئة معاك ملهاش ذنب!

ولكن الحديث قد بدأ يتخذ منحى آخر لا يحبذه.. منحى يذكره بجرمه بشأن حمقاء كانت
جريمتها الوحيدة أنها عشقته ووثقت به..

أشعل سيجارة أخرى وقد بدأ يفقد هدوءه أو ربما قد مل الحديث بأكله وأخبرها..

- أسما مش صغيرة ولا هي عينتك وصية عليها.. ده غير إن فات الوقت أوي على الكلام
ده.. الفرح بكرة.. بكرة..

وهي أخبرته بعصبية وبغنف وبقرار تعلم أنه غير قابل للتنفيذ أو حتى مجرد التفكير به ولكنها تكابر.. تحاول معه لآخر لحظة ولن تستسلم..

- مش هتتجوزها يا مروان ..

عقد عاجبيه ساخرًا منها.. أو مأ برأسه متصنعًا الطاعة ثم أخبرها:

- أمرك ياهانم..

تملك منها الغيظ بدرجة كبيرة.. فقدت أعصابها نهائيًا ..

وما بين الكر والفر سقط القناع .. كانت تقول لا بل تزعق..

- أنا بحبك..

والنهاية المتوقعة لمشهد يتخلله تلك الكلمة هي قبلة عنيفة ومرضية للجماهير بعد المعاناة الطويلة ولكن النهاية اختلفت فقد كان رد فعله "صمت" والتعبير الذي اعتلى وجهه "جمود" وأما عنها هي فقد كانت مازالت تتحدث ولكن بدموع صامتة..دموع ترثي به كبرياءها الذي وضعته الآن تحت قدميه وخيانة باتت موصومة بها منذ أن تفوهت بتلك الكلمة التي مازال صداها يدوي بالأرجاء..

" أحبك ! "

لم يكن يتوقع أبدًا هو أن تتنازل وتنفوه بها ولا كانت تتوقع هي أن تنهار أمامه هكذا.. ومع مزيد من الانهيار اكتسبت جرأة وأمسكت أصابعه بيد مرتجفة تتوسل إليه وهو ظل يتأمل تلك الأصابع الناعمة التي يكسوها الطلاء الأحمر كلون سيارتها الفاخرة التي هم بداخلها الآن..

أخبرها وكان بالنسبة إليه أمر لا مجال للنقاش أو المراوغة به:

- سيبي إبراهيم..

ثم سألها عندما وجدها ساكنة لا تعلق ولا تتحدث .. لا تعترض ولا توافق وكان ينتظر
الجواب حقًا:

- هتعملها عشاني؟! هتقدري تتنازلي عن كل ده!

وهي اهتزت مقلتها.. تاهت وفكرت بضعة ثوان ثم عادت إليه بقرار:
- أيوة ..

وأكلت ببعض الحماس وبقرار قد اتخذته وحدها:

- هسيبه وإنت تسيب أسما ونتجوز.. أنا بقيت واثقة إن إحنا مهما لفينا ودورنا في الآخر
ملناش غير بعض..

وأضافت تلك المرة بدموع قد تجددت للتو:

- مر وقت طويل لا قدرت أشيلك من جوايا ولا أنت قدرت تنساني..

وهو سكن سكون الليل في الليالي الشتوية.. يحاول أن يفهم مشاعره الآن.. لا يستطيع
أن يتفهم ماهية تلك العاصفة التي تجتاحه إن كانت فرح أم شيء آخر لا تفسير له.. هو
من المفترض أن يفرح فانهيارها هذا كان غرضه من البداية ولكن في الحقيقة هو لا
يشعر بأي شيء.. فقط يحن الآن لمشاعر كان يحملها بقلبه واستهلكتها هي في الماضي ..
لرجل كان يحب، يسعد، يشواق ويفرح ويتألم لا هذا الجامد عديم القلب الذي بإمكانه
أن يفعل أي شيء كي يأخذ ما يشتهي دون تردد!

شخص دمر بريئة ومازال يفعل..

سألته وما كان يجب أن تفعل أبدًا بتلك اللحظة فقد كان شاردًا بها .. هي تلك الناعمة

صاحبة الخصلات السوداء ..حقاؤه وضحية انتقامه..

- هتسيب أسما؟

وهو لم يجب ولا يمتلك إجابة حقًا ولا يعلم هو بأي طريق يسير ولكنه يعلم أنه يتحتم عليه الاستمرار.. الماضي..

فالتراجع بعد كل هذا هو المستحيل بعينه كما أنه تعلم جيدًا الدرس والذي أول قواعده " لا تراجع أبدًا عن الأهداف "

- سيبي إبراهيم وبعدين تتكلم..

وهي أصرت على الجواب.. لا بد أن تعلم قراره بشأن هذا الموضوع.. وكان السؤال مكرراً وقالته بنبرة مرتفعة لن تقبل سوى بإجابة صريحة منه..

- هتسيب أسما يا مروان؟

وكانت إجابته مائعة كحال رأسه.. لم تطمأنها ولم تروي حلقها الجاف بل بالعكس قد فتحت المجال لأسئلة لا حصر لها تدافعت على عقلها..

- تصبحي على خير..

وخرج من السيارة ودفع الباب خلفه ثم رحل دون أن ينظر نحوها مرة أخرى ودون أن يعلم أنها ظلت تثبعه لبعض الوقت.. لا تفهم هي ما الذي ستسفيده مما فعلته ولكنها كانت تتحرك خلفه بشرود وكأنها باتت تفقد السيطرة وتفعل ما يمر على عقلها بدون أدنى تفكير أو ربما أرادت أن تعلم إن كان سيلتقي بزوجة المستقبل أم لا وكان لم يفعل..

كلُّ يغني على ليلاه ..

وهذا المتوقع فالיום هو زفاف صغيرة آل "أبو العز" والتي تعد من أهم العائلات بمصر.. فرحة على الوجوه وتهاني تصلها لا حصر لها ، باقات ورود تحاصرها بغرفة الفندق التي خصصوها لها قبل عقد القران، كروت تهنئة ومكالمات لا تتوقف من البعيد قبل القريب، هدايا مغلقة، قبلات نثرت على وجهها مع دعوات وأمنيات بسعادة وهناء طول العمر مع من اختارته زوجاً..

وكأنها قد اختارت!

وأما عنها هي فعلى ما يبدو أن جهازها العصبي قد هاجمه فيروس لعين جعلها مجرد صنم لا تبدو عليها أي انفعالات..

خائفة هي مؤكداً بل سيتوقف قلبها والتجاهل أصبح حلم بعيد المنال فهي الآن بوسط الحدث وغارقة به..ترتدي فستان الزفاف وخبيرة التجميل التي طلبت أن تنفرد بها بالغرفة قد أوشكت على انهاء ما تفعله بوجهها وشعرها منذ ساعات..

بعد أن انتهت أخبرتها بسعادة بأنها أصبحت كما وعدتها ملكة جمال تنتظر لحظة تتويجها.. وكأنها تهتم! وكأنها معهم.. هي باتت كظل باهت نصف حاضر.. أمسكتها من يديها الباردة وأوقفتها أمام المرأة بينما تخبرها..

- إيه رأيك؟

وتأملت أسما نفسها..شعرها المموج الذي تخللته ورود الياسمين والتي تشتم رائحتها الآن، مستحضرات التجميل البسيطة التي وضعت على وجهها بفن وبطريقة أظهرت جمالها وبنفس الوقت حافظت على براءة ملامحها.. طرحتها الطويلة التي اقترشت الأرض خلفها وتاجها البسيط الذي أكسبها سحراً على سحر..

ولكنها تركت كل هذا وتأملت عينيها.. دموعها العالقة خلف أهدابها والتي تجاهد كي تخفيها.. كم كانت تشتهي تلك اللحظة التي سترتدي بها الأبيض وأبدًا ما كانت تتوقع أن تزوج بتلك الصورة البشعة..

اللعة عليك يا مروان.. لم تترك لها واقعًا ولا خيالًا..

فتحت خبيرة التجميل الغرفة تاركة أسما في تأملها وأخبرت من كان ينتظر بالخارج بسعادة وبثقة..

- العروسة جاهزة .. زي القمر ماشاء الله..

دخلت حورية أولًا واحتضنتها بقوة وفعلت مثلما تفعل أي أم بليلة زفاف ابنتها.. بكت كثيرًا..

لا تعلم إن كانت تبكي فرحة بها أم خوفًا عليها وعيون أسما تعلقت بها وكأنها تناشدها بأن تنقذها من واقع مظلم ينتظرها ومن رجل في النهاية إما ستقتله أو سيقتلها بمجرد أن ينغلق عليهم نفس الباب ومن مستقبل بات تخمينه من رابع المستحيالات..

يا إلهي .. لم لا يتوقف ذلك القلب عن الخفقان .. شعرت وكأن خفقات قلبها مثل قرعات طبول الحروب قاسية ونثير التوتر وتحفز على فقدان الأعصاب..

مهلاً أسما ستموتين قبل أن يبدأ الزفاف..

وبتلك اللحظة تذكرت أبيها.. لقد جاءها البارحة في حالة سيئة وكان يبدو عليه أنه لم ينم منذ أيام.. سألتها هل مازالت تريد الزواج من هذا المروان بل كان تقريباً يتوسل إليها كي لا تفعل فهو مازال غير مطمئن لذلك الرجل ولا لتلك الزيجة وهي لم تجد حلاً سوى أن

تحتضنه عل الخوف الذي يترعرع داخل قلوبهما يتلاشى...
قالت لأمها بالأخير:

- كفاية عياط يا ماما عشان خاطري..انهاردة يوم فرح..

ولم تخرج الجملة بالثقة المطلوبة فقد أصبح الدور الذي تحاول تقمصه كعروس سعيدة بزفافها قمة السخف أمام ما تشعر به من خوف وذعر من أيام صعبة تنتظرها .. من انتهاكات نفسية قبل أن تكن جسدية وهي ضعيفة قليلة الحيلة ولن تتحمل المزيد من المعاناة..

والآن ليكتمل الذعر..العجز والبؤس شردت بتلك الليلة السوداء وداهمت عيونها نظراته التي كانت مخيفة ، مرعبة ومصررة على الاستكمال والمواصلة..
رأت في عينيه حقد.. سواد..انتقام وكأن روح مصاص دماء تلبسته وجعلته يشتهي دمها..

تصلبت للحظة واستشعرت حورية ذلك فسألتها بقلق:

- أسما إنتي كويسة؟

وهي ابتسمت ولكن رغماً عنها تساقطت دموعين من عينيها سرعان ما أزالتهن ثم قالت:

- شوفي خلتي أعيط أزاى..

وأكلت عندما انتهت أن فيروز لم تظهر بالأجواء حتى الآن وهي بحاجة وبشدة فعلى الأقل هي الوحيدة التي تعلم حقيقة ما يحدث ولن تضطر لتجميل المواقف أمامها..هي الوحيدة التي ستشعر بالآلام الآن..

- هي روز فين؟

وكانت الإجابة من حورية ناقصة ومشوشة وعلى قدر الإمكان حاولت أن تجعلها طبيعية ولكنها خرجت منها باهتة وغير مرضية ..

- زمانها جاية..

ولم تريحها تلك الإجابة ولكنها أثرت الصمت..
فؤكدًا هي ستحضر حفل زفاف أختها..

- هي روز فين؟

والسؤال كان متكرراً ولكن الإجابات اختلفت.. كل شخص يخبرها حجة مختلفة رغبة منهم في عدم كسر فرحتها على أساس أنها عروس عادية وسعيدة!.. ولكن بالأخير أخبرتها حورية باستسلام عندما وجدتتها مصرة هكذا وبعدما فرغت كل الحجب..

- روز مش جاية..

وكان رد الفعل صمت.. عجز وضياع ثم ركض بفستان الزفاف خارج الفندق.. استقلت سيارة أجرة بينما حاولت حورية ومن بعدها بشرى اللحاق بها ولكن دون جدوى .. تابعتا السيارة حتى ابتعدت وتبادلتا النظرات فلا أي منهما يعلم إلى أين ستذهب ولا كان أي منهما يثق بعودتها للفندق مرة أخرى..

لا تفهم ما فعلته.. استقلت سيارة أجرة طالبة منه أن يقلها للفيلا وللتو انتبهت أنها
بفستان الزفاف ولا تحمل نقود أيضاً ولكن ليس تلك المعضلة..
المعضلة بفيروز.. كيف ستحضر الزفاف من دونها بحق الله؟!
كيف ستحمل؟!

إن كانت قد وافقت بيوم من الأيام على هذا الزواج فكان لأنها قد وعدتها بأنها ستكون
بجانبا ولن تتركها أبداً إلا بعدما تمر تلك السحب السوداء من سماءها..
حسناً هي تعلم جيداً أن شمسها لن تشرق أبداً ولكن على الأقل فليختفي ظل مروان
الأسود من حياتها وتستطيع التنفس والعيش ولو قليلاً..
وبعد كل هذا تركتها فيروز بمنتصف الطريق؟ كيف تتركها وحيدة بيوم كهذا؟! ألا
يكفيها ما تعيشه الآن من دمار نفسي وقهر ووجع!.. منتهى الظلم..
وكأنها هرة قرروا التخلص منها ووضعوها بقفص ملون ومعها ذئب مفترس ثم أغلقوا
الباب عليهم وبعدها ينتظرون خروجها حية ترزق؟!
ركضت على الدرج وقامت بطرق الباب بقوة وبعد ثوان فتحتة كريمة وقد اتسعت عيونها
على آخرها جراء رؤيتها لأسما بفستان الزفاف وبتلك الحالة من الذعر وكأنها هاربة من
شخص يطاردها والتجأت إليهم متوسلة الحماية!
- أسما؟!

وهي أزاحتها من طريقها وأخبرتها بصوت متحشرج بينما كانت تركض على الدرج
الداخلي كي تصل لغرفة فيروز..
- دادا حاسبي التاكسي اللي برة..

لم تطرق الباب بل فتحته مرة واحدة وكانت حينها فيروز تجلس على كرسي قريب من النافذة تفتح عينيها وتغلقها عدة مرات متتالية وكأنها تستمتع بتأثير أشعة الشمس عليهم.. تسمرت مكانها وتجمدت.. لقد أثر بها ذلك المشهد ولا مس قلبها وعلى الفور سقطت الدموع من عينيها..

كم هي تعذب؟!.. تصارع ظلمة مخيفة ودائمة..

قالت فيروز:

- أسما؟!!

ولم تفهم أسما كيف علمت بوجودها وهي لم يخرج من شفيتها أي كلمة.. ربما استشعرت ذلك وربما اشمّت رائحة عطرها..

ذهبت على الفور وسقطت في أحضانها بينما كانت تقول:

- روز متخليش عني..

وأضافت بالكثير من الدموع والشهقات ليهدم "الكحل الأسود" السائل من عينيها ما فعلته خبيرة التجميل بساعات..

- أنا محتجأكي..

وفيروز حاولت الابتعاد قليلاً ولكن دون شك هي قد تأثرت لتفاجأ أن قلبها مازال ينبض.. وإن كانت خفقاته ضعيفة، هزيلة وخافتة كحال صاحبه ولكن على الأغلب أن أسما أنقذته بكلماتها من موت محقق..

تراجعت فيروز عن فكرة أن تبعدها عنها وتلقائياً يديها التفت حول كتفها لتحضنها أكثر ثم أخبرتها:

- إنتي قوية صدقيني ومش محتاجة حد .. هتقدري تعدي الأزمة دي ولوحدك..
 وأسما تجمدت تحت ذراعيها فجأة وازداد معدل تنفسها.. قالت لها وهي تلتقط أنفاسها:
 - إنتي وعدتيني..
- تتحسست فيروز ملامحها التي اشتاقت إليها كثيراً ومع كل حركة من أصابعها كان قلبها
 ينبض بذكرى تجمعهم ..
- كان زمان.. الوضع مختلف.. أنا مش قادرة أقف جنب نفسي.. معادش فيا لا نفس
 ولا حيل صدقيني..
- ابتعدت عنها أسما وكانت تزعق.. تنهرها.. تسألها بلوم:
 - وإيه اللي اتغير؟ انتي لسه روز.. لسه موجودة..
- روز اتكسرت..
- الحياة لازم تستمر وإحنا لازم نكون أدها ولو انكسرنا نكل.. مش ده كان كلامك؟
 وأكملت وكان الكلام يخرج بعفوية دون أن تفكر ولا تحسب..
- انتي فرضتي وضع وقررتي تبعدني بدل ما نستقوي ببعض.. لو انتي مش محتجاني
 أكون جنبك أنا محتجاكي وقرارك مينفعش يكون لوحدك..
- وأضافت بعصبية:
- بابا وأنا وإبراهيم منستحقش أبداً إنك تخرجينا من حياتك بالشكل ده..
- عن ماذا تتحدثين أسما؟ وكأن الأمر بيديها.. هي إن كانت قررت الابتعاد فذلك لأنها في
 أقصى أوقاتها ضعفاً..
- تهدت فيروز ولم يبدو عليها بعد أي تراجع عن قرارها لذا أخبرتها أسما بتصميم:

- أنا مش هحضر الفرح لو مجتيش.. مش هتجوزه..
نقطة وانتهى..

تلعثمت فيروز.. تجعد لسانها.. شعرت أنها في مأزق حقيقي..
لا يمكن لأسما أن تتراجع بعد كل هذا ولا بإمكانها أن تتحمل فضيحة هروبها ليلة
الزفاف بعد كل ما عاشته وما عانته من آلام هي كانت الشاهدة الوحيدة عليها..
- أسما افهميني.. مش هقدر.. أنا مش قادرة أواجه الناس اللي أول ما يشوفوني هيتفرجوا
عليا كأني في فترينة ولا هستحمل كلمة حد يصبرني بيها..
شعرت أسما بالأسى تجاهها ولكن هي مضطرة أن تكن أنانية مرة فحتى المحكوم عليه
بالإعدام يسألونه عن أمنيته الأخيرة وهي تريدها هي فقط..
قالت بابتسامة قد احتلت مكان الدموع..

- إنتي زي القمر يا روز وفي كل حالاتك الناس هتفضل تحسدك.. اوعي تنسي ده..
وأكلت بعدما التقطت فرشاة الشعر:

- هتلبسي أحسن فستان عندك وأنا هساعدك ..

وقالت بعدما أمسكت بيديها وكانت تتوسل:

- واضبط المكياج اللي باظ بسببك ده.. ونروح سوا ماشي؟!

وفيروز لم تعترض استسلمت وتركت لها نفسها تفعل بها ما تريد..

وهل منحها أسما حرية اختيار؟!

الوضع أصبح غريباً باعثاً للقلق..

موعد عقد القران كان من المفترض أن يكن قبل ساعة ولا يفهم لم التأخير حتى الآن.. والأهم أين العروس؟

لم تظهر بعد ولم يخبره أحد بشيء.. بالأساس هم يتجاهلوه بطريقة مستفزة وكأنه يجب عليه أن يصلي ركعتين شكر لله لأنهم وافقوا على هذا الزواج وليس أبداً من حقه لا السؤال ولا التدخل بأي شيء.. وكأنه شفاف.. خيال.. ظل..

وهو حار الدماء حتى وإن ظل يتصنع البرود سيظل كذلك.. كما أن هذا الوضع الذي لا يفهمه أشعل النار داخل قلبه وخاصة عندما جنحت أفكاره لمدى بعيد لا يمكن بعدها أن يسيطر على أي شيء..

ربما هربت أسما وربما هذا الزواج لن يتم ولعبة الانتقام خاصته تنتهي لصالح غريمه إبراهيم..

ربما هذا فخ وربما سينتهي مروان بعد قليل بعد أن يقيدوه بالأغلال بحضور عائلته الكريمة المبجلة!

لم يشعر بقدميه سوى بعد أن تحركت به وتوقفت عند إبراهيم ليسأله:

- إحنا مستنين إيه لحد دلوقت؟

نظر له إبراهيم نظرات تود أن تقتلع رأسه من جسده.. روحه بأنفه ولا يتحمل أن يقف هذا الوضع التافه أمامه ويسأله..

ألا يكفي أنه تركه حي يرزق حتى الآن؟!

ألا يكفي أنه سلم أخته وصغيرته له بدلاً من أن يأخذ روحه بيده؟!

ألا يكفي بأنه يقف الآن يشهد جنازة أخته وموت أحلامها بابتسامة سخيصة مُرحبة
للمدعوين؟!!

أجابه إبراهيم بعد أن ضم أصابعه بقوة عله يمتص رغبته الشديدة بلكمه على فمه..
- روح اقعد مكانك ووقت ما نشاورلك تيجي..
اكهفر وجه مروان وتملكته العصبية .. أخبره بصوت قد ارتفعت نبرته بعض الشيء..
- نعم؟!!

وهو كان سيلكمه.. لم يعد بإمكانه التحمل ثانية أخرى لولا أن أمسكت فريدة وأخبرته:
- إبراهيم اهدى الناس بتبص علينا..

ثم رمقت مروان بنظرات مشتعلة.. غاضبة ولائمة فذلك الشخص الذي بكت له البارحة
وتوسلت .. من تنازلت عن كل شيء لأجله لا يستطيع الانتظار ومتلهف لعقد قرانه
على أخرى أما عنه هو فقد نظر لها من رأسها لأخض قدميها وكأنه يخبرها بأنها بتلك
الملابس الفاخرة وبوقوفها بجانب إبراهيم لم تتنازل عن أي شيء وهو كان يعلم أنها لن
تترك الحياة المرفهة التي باتت تمتلكها..

وأما عن إبراهيم فهو لم يستطع أن يتمالك نفسه وظل يرمق مروان بغضب والآخر سكنت
ملاحظه وهو يبادلها النظرات وكأنه يخبره بأنه أبداً لن يخاف منه ولا يهابه..
قطع حرب الأعصاب المستقطع دخول أسما ويديها تحتضن يد فيروز، هرع الكل نحو
الأخيرة واحتضنوها بسعادة أما عن مروان فقد تنهد بقوة وزال توتره الفارغ من
الأجواء..

فحمقاؤه لم تهرب كما ظن..

" الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين "

وقال الشيخ بعدها:

- أين وكيل العروس؟!

ووكيل العروس كان يجلس بآخر منضدة كأنه أحد المدعويين.. يشعر بهوان وضعف يثقل حركته بينما كان يتحرك نحوهم وعينيه تعلقت بأسما وكأنه يطالبها بأن تفكر مرة أخرى بدلاً من أن تدم لاحقاً على حياة بأسة ودمار مبكر لحياتها بسبب أنها قبلت الزواج من رجل لا يناسبها ولا يستحق ظُفرها..

وهي أخفضت عينها نجلاً وعجزاً ثم ضمت أصابع فيروز بين يديها تنشد حمايتها فهو لا يعلم أنها ليست صاحبة القرار بهذا الزواج بل هي مرغمة عليه مثله تماماً..

مد مروان يديه وفعل محي مثله مصالحاً إياه وغطى الشيخ أيديهم بالمنديل الأبيض ثم طلب من الأب المقهور أن يكرر خلفه..

" زوجتك ابنتي، البكر الرشيد على كتاب الله وعلى سنة رسول الله وعلى مذهب الإمام

ابي حنيفة النعمان وعلى الصداق المسمى بيننا "

ولاحقه مروان بالقول..

" وأنا قبلت زواجها "

وقعوا على العقد بنفس القلم وكأن المشكلة به.. وكأنه هو من حمل إليهم كل تلك الآلام..

شعر الأب أنه بتوقيعه قد وافق ابنته على تدمير حياتها بنفسها وكان يلعن ويسب نفسه لأنه فعل .. حسناً كان الجميع ضده وهم من أصروا عليه حتى يوافق ولكن هو كان يجب ألا يجاريهم أبداً .. كان يجب أن يفعل أي شيء لا أن يكن عاجز هكذا..
 وأما الأخ فقد شعر أنه بشهادته على ذلك العقد بل بتدبيره له من الأساس قد أعطى مغتصب أخته مكافأة كبرى على ما فعله بها وأنه بكل عجز انقاد خلف التقاليد وفكر بسمعتها وبكرامة العائلة لينع العدالة القانونية من أن تأخذ مجراها أو حتى عدالته الشخصية التي لن يتنازل فيها عن ذبحه..

وبالنهاية مروان هو من انتصر هو من ذبح وهو من حصل على لحم الفريسة دون مجهود أو ثمن ..

وعن العروس فهي تقريباً كان أسرع منهم .. وقعت وبصمت ثم توارت خلف فيروز تخفي دموعها التي ظنها الجميع أنها دموع الفرح..

بمكان قد يبعد آلاف الكيلومترات علم ياسر مصادفة من حارس العقار بينما كان ينتظر المصعد أن اليوم حفل زفاف شقيقة جاره إبراهيم وتلقائياً حملته أفكاره لشيء وحيد وتعامل معه وكأنه حقيقة ألا هي أن صاحبة الخصلات الشقراء ستتزوج و اليوم..

الفصل الثالث والعشرون

ما زلت يا رفيقتي

أصارع المياه

منهوكة سفيني

أشرعتي ممزقة

ليس لها جناح

تسخر منها العاصفة

تهزّها الرياح

لأنّها أشرعة

نشيدها جراح

لأنّها حديثة

لا تعرف الكفاح

بحارتي

على السطوح الباهتة

يصارعون قوة الدوار

ويقطعون أبحراً

ليس لها قرار

ويبحثون في الدروب المقفرة عن جوهرة

يضمها محار

يسائلون أنجماً

بعيدة المدار

عن لؤلؤة

أضاعها بحار

تهزّ كفّ بحرنا

تغيّر الأقدار!!

أحلام مستغامي

انتهى.. كل شيء انتهى..

وليس اليوم ولا البارحة انتهى منذ زمن.. بل انتهى من قبل أن يبدأ..

انتهى في اليوم الذي علم بوجود غيره في قلبها وانتهى في اليوم الذي رحل فيه وترك خلفه

كل شيء وأولهم هي..

اللعة لم عاد؟ لم أحبها؟ لم أختارها بالأخص بينما هناك الكثيرات ينتظرون منه مجرد

ابتسامة؟!

لم هي..

ولم هو يتعذب الآن ولماذا يفكر بها وألم يكن قد اقتلعها من داخله تمامًا!

ألم تقل يا قلب أن كل شيء انتهى؟!

القلب بإمكانه أن يكذب، يتحایل، يحاول أن يحيا بعيداً عن مدارها ولكن لم لا يشفى!

وهل هناك شفاء من الفيروز؟!.. هي كاخللايا السرطانية تتوغل وتنتشر داخل القلب ولا

تركه إلا بعد أن تقتلته.. تنبيه تمامًا..

يا إلهي ما هذا العذاب.. الأفكار تتكاثر في عقله وتجمده حتى أنه لم ينتبه للمصعد الذي

توقف بعده أدوار الأول فالخامس فالعاشر فالطابق الأخير ولم ينتبه لما يحدث حوله

فأشخاص تدخله وآخرين يرحلوا وهو مازال مكانه!

وكأنه فقد وجهته.. نسي نفسه ونسى العالم وارتكز تفكيره على أمر وحيد

" أنها تتزوج "

" أحلامه بشأنها نُحرت "

" ابنته التي تشبهها وأدت من قبل أن توجد "

كل شيء رحل وما تبقى له هو الألم، العجز و.. عيونها التي وقع بغرامها ومن اليوم باتت

ملك لشخص آخر سخيف لا يستحقها ولكنها ذائبة في بحر هواه..

استيقظ ياسر إنها له من البداية.. هي اختارته هو وأنت خارج الصورة..

خرج من شروده على صوت حارس العقار الذي جاوره بالمصعد وتعجب أنه حتى الآن لم يخرج منه..

- يا ياسر بيه سامعني؟

وهو مازال للتو يراه..نظر حوله وانتبه أنه مازال بالمصعد ،ضغط على زر فتح الباب وخرج دون أن يحببه بكلمة..

وليكتمل العبث ولكي يتوقف قلبه عن النبض والعقل عن التفكير قرر الذهاب لحفل عرسها، سيبتسم وسيهنأها، سيقتلع قلبه ويضعه بقبضة يديها، سينتهي اليوم بمساعدتها.. سيموت قلب ياسر ويحل محله صخرة صلبة..

دلف لقاعة الفندق وربما اسم الفندق هو الشيء الوحيد الذي علق بذاكرته من ثثرة الحارس وهذا جيد فهو يجب أن ينهي كل شيء الليلة وفي الغد سيحمل جثمانه معه إلى الرياض..

ليته ما علم منه شيئاً..أما كان لهذا الحارس اللعين ألا يخبره فعلى كل حال كانت تلك ليلته الأخيرة بالعاصمة وحينها كان سينجو من كل هذا الألم وهذا القهر والوجع .. كان يتحرك ببعض التردد وبنفس الوقت بمعنى أنه لا تراجع، إن كانت خطواته بطيئة لا يهم فالمهم أنه سيصل بالنهاية، سيشهد ضحكتها له وفرحته بها وهي ترقص بين ذراعيه وداخل حضنه..

وهي تطعمه في فمه وهو يقبلها برأسها..

سيموت قلبه وينتهي ياسر ويطرد شبحها الذي تسكنه..

ولكن المشهد كان يختلف تماماً عما كان مرسومًا بخياله .. العروس مختلفة فتلك تشبه القمر تغوص في خصلات سوداء ليلية وليست خاصته والتي تشبه الشمس في توجهها واشتعالها..

تنهد وانحنى ممسكاً ركبتيه وبعدها أخذ زفيراً حاداً..
يحاول أن يستوعب..

يفهم..

فيروزه لم تتزوج كما ظن..

وربما كانت تزوجت بالفعل فهو لا يعلم عنها أي شيء بالفعل منذ أن رحل قبل ستة أشهر وأكثر..

وضع يده على رأسه.. توقفي أيتها الأفكار السوداء عن النخر بعقله..

قدميه مازالت تقوده وعينه تلتقيًا تبحث عن صاحبة العيون الزيتونية..

وجدها أخيراً.. كانت تحدث امرأة بجانبها والتي يبدو أنها طلبت منها بأن يرحل سوياً، ابتسم نصف ابتسامة سرعان ما تلاشت عندما تقدمت فيروز مع المرأة خطوتان للأمام فقط !

خطوتان منها جمده مكانه وشلته عن الحركة فلقد علم للتو أن فيروزه باتت عمياء لا ترى..

مر ساعتان وبالنسبة إليها وكأنه دهر من الزمان، يا إلهي لقد توترت بشكل كبير، تشعر بالنظرات التي يرشقها المحيطين بها، تسمع همساتهم التي كانت لا تخرج عن ..
" يا حرام"، "لسه صغيرة"، "ربنا يعينها"

وكلمات أخرى حقودة تنحصر ما بين " كانت شايفة نفسها " ،
 " سبحان المعز المذل " وهمهمات أخرى لم تستطع أن تفسرها جيداً
 وهي احتملت من أجل أسما ولكن بالفعل قد وصلت مقاومتها للقاع..
 هي بشر من لحم ودم لا من فولاذ..
 قالت بعد أن تنهدت:

- دادا هي أسما بتعمل إيه؟

تنهدت كريمة بسعادة فهي بالفعل تحب أسما للغاية وتعتبر نفسها أمّ ثانية لها . مازالت
 تذكّرها وهي طفلة بجداول طويلة تلهو وتجري أمامها بالحديقة..
 أجابتها مرددة:

- قاعدة في الكوشة.. صحابها يحاولوا يخلوها ترقص معاهم وهي عمالة تشاورهم لأ
 ..شكلها مكسوفة..

سخرت فيروز داخلها، ليت الأمر كما تظن مرييتها العزيزة، هي تعلم أنهم لو تركوا المجال
 لأسما لركضت خارج القاعة بأكلها..بالفعل هي بطلة لأنها لم تفعلها حتى الآن..
 قالت فيروز بالأخير:

- دادا أنا تعبت خيلنا نمشي..

والأخرى سألتها:

- بدري كده؟!..

وهي أشارت لها برأسها بمعنى أنها قد اتخذت قرارها ولا نقاش..
 أمسكت بها كريمة وتقدمت بها خطوتان ولكنها لم تستطع التحرك أكثر بسبب شخص

يقف مقابلهم تماماً وينظر إلى فيروز بطريقة غريبة..

كان ضائع في صدمته، مقهور على ما آلت إليه، عقله يرفض التصديق..

مؤكدًا تلك مزحة.. هي بخير وستظل بخير..

قالت كريمة عندما سأمت:

- يا أستاذ بعد إذنك عاوزين نعدى..

وهو لم يسمعها.. مازال جامداً أمامها وكأنها فقد كل الحواس البشرية فلا هو يسمعها ولا هو يتحرك..

سألها فيروز:

- في إيه؟ مين ده؟

والأخرى أجابت بضيق:

- معرفش ..

وأضافت وتلك المرة كانت تزعق:

- يا أستاذ لو سمحت..

وهو تنحي جانباً ببطء لتمر هي بجانبه ..

دون أن تراه.. أن تعلم بوجوده..

يا إلهي وكأن أحدهم صب عليه حديد ساخن مصهور، رأسه يعمل كالساعة وهناك

صور تتوارد في عقله عن جميلة تحمل ابتسامة ساحرة سكنت قلبه وعقله من أول لقاء..

متى وكيف وماذا حدث لها؟

وقلبه يعتصر ويتسائل هل تأملت فيروزه؟!

استقل سيارته وانطلق بها مسرعاً ولكن إنها القاهرة مستعمرة الزحام.. وهذا البطيء
 ، هذا الملل لا يناسب أبداً ما بداخله من ثورة وبراكين، صف سيارته وظل يركض على
 الرصيف الموازي للنيل، كان يركض بأقصى ما فيه من قوة ولا يعلم إن كان يسابق
 السيارات أم أنه ينتظر توقف قلبه بسبب ركضه العنيف وليته يحدث حينها ستكون
 طريقة جديدة ،مختلفة وفريدة **للموت أو الراحة الأبدية...**

سكون

هدوء مريب

توتر وذعر

وتشوش

فقط ما استطاعت تمييزه هو أصوات قرعات قلبها الذي وصل لعنان السماء وصوت
 المفتاح الذي قام للتو بوضعه داخل كالون باب الشقة والتي تولى ابراهيم مسؤولية شرائها
 وتجهيزها كي تليق بصغيرة آل أبو العز

والآن الصغيرة تحتضر.. سيتوقف قلبها مؤكداً.. هي ومروان لا يفصلهما سوى بضعة
 سنتيمترات وبعد دقيقة واحدة سينغلق عليهم نفس الباب ومن بعدها لا مفر ولا
 هروب

الغزال الشارد سيدخل بيت النمر وينتهي أمره فلا النمر يرحم ولا الغزال يحارب فقط
يهرب وفي حالتها الهروب محرم ..

كانت تنظر للأعلى وشفقتها تبتهل وتدعو وتوسل الله وتتم من توترها بكلمات غير
مفهومة وهو انتبه لذلك ولكنه لم يبالي..
يعلم ويشعر بما هو بداخلها ويتوقع الأسوء..

وكانها تبحث عن تعويذة سحرية تنطق بها فتخلص بها منه ومن أسره وربما هي بتلك
اللحظة تنتظر علاء الدين الذي سيأخذها على بساطه السحري ويهرب بها بعيداً..
ولكن عفواً أسما أنت في دنيا الواقع ولا مجال الخيال..

الواقع مروان

الحقيقة مروان

و..النهاية مروان

سمعته يقول:

- مش ناوية تدخلين؟!

وما كان يجب أن يتحدث فجرد سماعها لصوته جعلها تنتفض ذعراً حتى أنها شهقت
بشدة من ارتعابها، ظلت تنظر بعدها للباب الذي فتحه مروان وأغمضت عينيها كي
تسيطر على رجفتها الداخلية ولكن لا يبدو أن هناك أي أمل بالسيطرة..

وهو سألها عندما وجدها تقف بمكانها.. لا تتحرك ولا تتحدث فقط تسقط من عينيها
دموع ساذجة تشبه حال صاحبها.. دموع وترته وجعلته يبدأ يفقد أعصابه..

- هنفضل ع السلم كثير ولا إيه؟

وأضاف ساخرًا:

- ولا تحي أشيلك؟

وهي تراجعت خطوة على أثر كلماته وتحفزت حواسها ووضعت على وجهها قناع " إياك
والاقتراب "

ماذا ألن تتحدث تلك الصغيرة أبدًا؟! يستفزها منذ اشهر رغبة منه في سماع صوتها الذي
اشتاقه ولكنها أبدًا لا تستجيب وكأنها أصبحت خرساء..

أخبرها بالأخير بعدما سأم من نظراتها الحادة المرتعبة وبنفس الوقت الضائعة..

- براحتك خليكى على الباب..

ودخل هو..

تخلص من سترته وبعدها نزع رابطة عنقه بعنف.. التقط نفسًا طويلاً ملأ به رثتيه، يفكر
وينشد الهدوء.. يتساءل كيف سيتفاهم مع تلك اللي باتت عنيدة؟ رباه إنها على الدوام
تصعب عليه كل شيء..

ليتها كانت أخرى ، ليتها لم تكن بريئة، ساذجة وضعيفة هكذا..

انتبه لصوت باب الشقة يغلق ومنه علم أنها وأخيراً استسلمت ولكن على ما يبدو أنها ستظل منتظرة عدة ساعات أخرى خلف الباب..

أنهى سيجاره وقرر أن يذهب لغرفة النوم كي يأخذ حماماً ويبدل ملابسه وأما عن تلك العنيدة فلتأخذ وقتها كي نتقبل واقعها الجديد..

وضع يده على مقبض الباب ثم نظر نحوها لتتلاقى أعينهما وهي سرعان ما أدارت وجهها للجهة الأخرى بعيداً عنه..

زفر بحدة ثم فتح الباب وفوجئ بوجود إبراهيم متسطح على سريره بنفس الملابس التي حضر بها الزفاف ويرمقه بنظرات شامتة مستفزة أثارت حنقه..

لا يفهم.. لا يستوعب ولا يتحدث فقط توحشت نظراته واكفهرت ملامحه وكان مازال لم يتقبل الصدمة بعد..

اقرب منه إبراهيم وأخبره بعدما وضع يده على باب الغرفة..

- ممنوع تدخل..

اقتربت أسما عندما استمعت لصوت أخيها وكانت لا تصدق، وقفت بجانب مروان وكان صوتها هي الأخرى مازال لم يخرج، انتبه مروان أن الغيوم السوداء انقشعت عن عيونها وحلت محلها دموع الفرح ثم زينت ثغرها بابتسامة سرعان ما تلاشت عندما وجدته ينظر لها بكل هذا الحنق..

تملكه الغيظ منها واشتى اقتلاع رأسها.. ألتك الدرجة سعت لأنها ستتخلص منه؟!
اللعة عليها وعلى أخها..

سمع إبراهيم يقول بنبرة آمرة واثقة لا مجال للنقاش بها..

- تاخذ حاجتك وتمشي وأما نعوزك هنبقى نكلمك..

وحينها لاحقه مروان بالقول بنظرات مستوحشة..

- نعم؟..إيه اللي بتقوله ده؟

انقض إبراهيم على رقبة مخبراً إياه بينما عينيه كانت تنطق بالكثير من الوعيد:

- نصيحة ما تختبرش غضبي..

وهو ليس غيباً كي يتحداه.. من أنت يا مروان كي تقف أمام صاحب السلطة والجاه؟!

أنت مجرد صعلوك ذليل لا شيء..

وهو أمثاله كل شيء..

أبعد يديه من ياقة قميصه بعنف بينما عيناه الحانقة الغاضبة كانت مازالت معلقة بعينه..التقط سترته من على الأرض ثم نظر لأسما والتي خفضت ناظرها كردة فعل تلقائية.. أخذ مفاتيحه وقبل أن يتحرك خطوة واحدة استوقفه إبراهيم قائلاً:

- استنى..

وأكل بعدما بسط يده أمامه:

- مفتاح الشقة..

أخرج مروان المفتاح من سلسلة مفاتيحه وأعطاه إياه.. قال إبراهيم:

- نصيحة متروخش بيتكم عشان أعتقد إن منظرِك هيبقى بايخ أوي..

وأكل:

- لو معاكش فلوس تقعد في فندق أكرملك تبات في الشارع..

تحرك مروان بغضب مستعر ويكاد يشعر بالدخان يخرج من أذنيه ورأسه وبمجرد أن فتح الباب سمع إبراهيم:

- خليك مركز مع تليفونك ..أكلهك تنط تيجي أظن كلامي واضح..

ليغلق هو الباب بقوة كادت أن تقتلعه من مكانه..

هل هي تحلم؟

ربما..

يا إلهي إنها لا تتحمل خيبة أمل جديد..

لا تعلم ما الذي أصابها فبمجرد أن رحل مروان ظلت تضحك بهستيرية وبعدها داهمتها نوبة بكاء حادة فلا أصبحت تعلم إن كانت تضحك أم تبكي..

هي ربما بمرحلة الهلوسة..

تراخت قدمها فجلس مكانها ثم ظلت تبكي بحرقة فبالفعل أعصابها قد تلفت تماماً..

ركض إبراهيم وعاد إليها بكوب ماء ثم سأها بقلق:

- أسما إنتي كويسة؟

وهي لا تتحدث وليست بخير أبداً وكأن الضغط النفسي الذي عانته منذ أشهر خرج عليها بتلك اللحظة..

جلس إبراهيم بجانبها وأمالها نحوه قليلاً وأسقاها القليل من الماء فالتقطت هي أنفاسها وكأن روحها أخيراً عادت إليها..

شفق إبراهيم عليها وحمل نفسه المسؤولية، ساعدها كي تنام على قدميه ثم ظل يربت على شعرها عليها تهدأً وعل ذلك يقلل من حدة شهقاتها..
سمعتها تقول له:

- أنا آسفة..

وهو وضع يديه على شفتيها، تذكر ما فعله عندما علم بما حدث معها وشعر بجرمه في حقها ففي الوقت الذي كانت هي بحاجة عاملها هو بخشونة وفكر في رجولته وكرامته وتعهد الهروب منها..

بل وحملها الذنب وشعر بحرق شديد منها..

أخبرها:

- مش إنتي اللي المفروض تعتذري بالعكس كلنا غلطنا في حقك..

وهي استكانت، هدأت، شعرت بالأمان لأول مرة منذ فترة..

وأضاف إبراهيم:

- أنا هفضل معاكي كام يوم لحد ما الأمور تستقر وأشوف واحدة ثقة تبات معاكي

وبعدها شهر ولا اتنين ونبتلني ونخلص..

نهضت أسما عندما تذكرت شيئاً هاماً:

- وبابا وماما لو جم ومش لاقوه هيقولوا إيه؟

- مشي حالك يا أسما.. مرة في الشغل، مرة راح لأهله، مرة مسافر ولو فيه حاجة تستدعي وجوده أنا هعرف أجيبه..

وهي استلقت مرة أخرى على قدميه وهدأت حالتها وما هي إلا دقائق وغطت في سبات عميق، حملها ونزع عنها حذاءها ووضعها على السرير وظل يتأملها فلقد كانت غارقة في النوم كالأطفال وكأنها لم تتم منذ سنين..

الأيام باتت روتينية بشكل ملل ولا يتغير شيء سوى بطنها الذي تشعر وكأنه يزداد كل يوم انتفاخه عدة سنتيمرات وغير ذلك لا جديد..

في الصباح تصطحب ابنها للروضة ثم تذهب " للبوتيك " الذي تملكه وتقضي به معظم ساعات النهار ثم تأخذ ابنها وتعود إلى المنزل..

ولكن اليوم قد انكسر روتينها قليلاً بسبب لافتة كانت قد وضعتها على واجهة البوتيك قبل يومان فقط..

" مطلوب آنسة للعمل "

والمتقدم للوظيفة كانت صديقتها " منار " وزميلة العمل السابق والتي تركتها وتخلت عنها في أكثر أيامها ضياعاً، الصديقة التي أخرجتها من منزلها بسبب خوفها من أن تسرق منها

زوجها والسبب أنها مطلقة وكأن هذا اللقب يكفي لجعلها جرثومة، هادمة البيوت وسارقة الأزواج..

دلفت منار لداخل المكتب واكتشفت للتو أن صديقتها من تملك هذا المكان بأكله، ذهبت نحوها كي تحتضنها ولكن رودينا اكتفت بمد يديها برسمية وكأنها تخبرها " تلك حدودك لا تتخطيها"

ومنه تذكرت هي ما فعلته منها..

بادلتها الصفح وجلست مقابلها بنجل ثم تأملت المكان حولها وأخبرتها:
- مبروك البوتيك..

ونظرت إلى بطنها المنتفخ ثم أكملت:

- واضح إن ظروفك التحسنت..

وابتسمت رودينا قهراً فلقد دفعت ثمن كل هذا من كرامتها وروحها ومن قلبها.. باعت نفسها ومازالت سجيناً لهذا الشعور وتحولت لجارية تعلم جيداً أنها فقدت حريتها للأبد.. والسبب هي وأمثالها.. السبب مجتمع يفرض عليها قراراته ثم يأتي ويحاسبها وبعدها وكأن بتلك الحياة لا يوجد سواها تحت المراقبة..

سألته رودينا:

- وانتي عاملة إيه؟

والأخرى أجابت ببعض الدموع تكونت في عينيها:

- مررت بأيام صعبة ويعني بحاول أقف على رجلي..

عقدت رودينا حاجبها وسألته:

- خير؟!

ابتلعت منار ريقها وقالت صعوبة:

- اتطلقت..

وحينها داهم عقل رودينا كلمات أم صديقتها الجارحة:

"حد يحط النار جنب البنزين ويستنى يشوف هتولع ولا لأ.. حبيبتى دي متطلقة وعندها ولد صغير وملهاش حطة تقعد فيها يعني من الآخر هتموت وتتجوز واحد يشيل عنها وجوزك فرصة"

وانتهت لها وكانت مازالت تسرد قصتها بهوان..

- كان متجوز بقاله سنة ومخبي عليا وقرر يقولي بس أما مراته حملت وكان كتر خيره خيرني يا إما أقبل أكل معاه أو لا ..

وحينها تدخلت رودينا قائلة بسخرية:

- ممممم...يعني وقت ما قعدت عندك كان أصلاً مخطوف..
توسعت عيناها، تلعثمت وأجابتها بنجل:

- إنتي سمعتي؟!

والأخرى أجابتها برأس مرفوع وبيعض الكرامة:

- سمعت كل حاجة مامتك قالتها وبعدها انتي كتر خيرك كلمتي عليا وطرديني بشياكة..
وأكلت بقهر وكثير من الدموع:

- عارفة انتي عملي إيه؟ انتي قفلتي كل الأبواب في وشي ومخلتنيش قدامي غير طريق واحد بس..

سألته منار بعدم فهم:

- أنا مش فاهمة بتتكلمي عن إيه..

أدركت رودينا أنها تمادت بالحديث ووصلت لمرحلة الهذيان..مسحت دموعها التي

انسابت للتو على وجنتها ثم أخبرتها:

- مش مهم.. قوليلي بقا إيه سر الزيارة المفاجئة دي؟..خير؟!

قالت منار بنجل:

- أنا جيت عشان الإعلان اللي متعلق برة مكنتش أعرف إن البوتيك بتاعك..

صمتت رودينا وعادت للخلف وقالت بعد تفكير:

- مش عارفة أقولك إيه ومش عاوزاكي تفهميني غلط..صعب أوافق مش هعرف أفصل

بين الأمور الشخصية والشغل بس لو احتاجتي أي حاجة أنا موجودة ..

نهضت منار من على كرسيها وصاغت لها مرددة:

- مفهوم مفهوم وأسفة بجد على كل حاجة..

ثم تركتها ورحلت شبه راكضة..

ليلها كنهارها وصحوها كنومها..

كل شيء ثابت بحياتها عدا ذلك الذنب الذي لا يغفر وذلك العقاب الذي لا ينتهي..

لا تفهم..ألا يؤمنون بالنسيان!

السماح..الغفران..

هل ستظل جرثومة العائلة وعارها طوال العمر!

وجدت قدميها تلقائياً تضغط على دواسرة الوقود ،الشوارع أصبحت هادئة حد ما فالساعة قد قاربت على منتصف الليل بينما هي تتجول هكذا منذ غروب الشمس تقريباً.. ومازالت لا تحبذ العودة للمنزل..

على الأقل هي الآن تنفس،تمتلك لحظات تخصها وحدها، تحيا بعيداً عن دائرة فيروز.. ضغطت على المكابح بقوة لتتوقف السيارة فجأة وليكتمل الجنون صرخت ثم بكت وضربت على المقود بقوة آلمت يديها..

بعد أن هدأت نوبة بكاءها التقطت نفساً عميقاً وفكرت..

هل تعود الآن؟! إنها حتى متأخرة ولم يهتم أي شخص بالسؤال عنها..

أكدت ..هي لا شيء عديمة القيمة.. هي فرع أبو العز المنبوذ..

تلك مكانتك بشرى ويجب أن نتقبلي ذلك ولا تنتظري الأكثر..

نظرت إلى الساعة ووجدتها اقتربت على الواحدة بعد منتصف الليل وأدركت للتو أنها قد تأخرت كثيراً واستسلمت لفكرة العودة للمنزل فهي مؤكداً لن تظل طوال عمرها تتجول بالسيارة..

رفعت رأسها من على المقود وقبل أن تتحرك من مكانها وجدت أحدهم يقتحم عليها

السيارة ،جلس بجانبها ووضع المطواة التي يحملها على وجهها ثم أخبرها بنبرة مخيفة

ونظرات رفعت الأدرنالين داخل دمها لأعلى مستوياته..

- اطلعي..

وهي تجددت .. خافت وبكت.. قالت بنبرة متوسلة:

- أطلع فين ..إنت مين؟

وهو زعق بها ووضع النصل اللامع أمام عينيها..

- بقولك اطلعي ..

ولا إرادياً ضغطت على دواسة الوقود لتتحرك بها بأقصى سرعة..

ظلت تبكي لدرجة أنها شعرت أن الدموع ستنضب من عينيها.. هي مختطفة وذلك

الرجل المخيف الذي يجلس بجانبها حتماً سيؤذيها وربما سيقتلها بينما هي حتى لا تمتلك الشجاعة كي تصرخ وتطلب مساعدة أحد المارة..

رمقته من خلف دموعها بنظرة جانبية، كان تركيزه منصب على مرآة السيارة الأمامية.. يتلفت وينظر خلفه ثم يعود ويتابع الطريق من خلالها..

وهي نظرت نحوها هي الأخرى.. هل هي مطاردة الآن؟ لا تستبعد أبداً أن يعترض

طريقها الآن سيارة " جيب " سوداء ويخرج من فيها ليوجهوا نحوهم طلقات نارية لا تعد ولا تحصى..

سموت.. ستنتهي.. ستقتل..

قالت له متوسلة:

- لو عاوز العربية أسيدالك وخذ كل الفلوس الي عاوزها بس أرجوك سيبيني أروح..

وهو نظر لها بعدم اهتمام ثم عاد لمتابعة الطريق خلفه وهي استطردت:

- انت كده هيكون عليك مسئولية كبيرة.. سيبيني وصدقني والله العظيم مش هجيب لسيرة لحد باللي حصل أنا لا شوفتك ولا أعرف عنك حاجة..

وبكت أكثر عندما وجدته لا يهتم بالرد عليها وشعرت أن من المستحيل استعطافه..

يأست واستسلمت وتلفظت الشهادتين ودعت ربها بأن يسامحها على أخطائها، تذكرت أمها

.. يا إلهي ستحزن عليها كثيراً وتمتد داخلها ببعض الكلمات وكأنها ستصلها وربما حينها
تسامحها لأنها خيبت أملها بها..

سمعته يقول فجأة :

- اقفي هنا..

والسيارة توقفت والدموع أيضاً وتأهبت كل حواسها منتظرة أن تشهد نهايتها..
وللمفاجأة وجدته يخرج من السيارة دون أن يتحدث بكلمة ورحل بعيداً وتركها هي
والسيارة وأموالها ومعهم حافظة نقوده والتي سرعان ما فتحتها بسبب فضولها نحو ذلك
غريب الأطوار الذي هددها فجأة ثم تركها فجأة..
أمسكت بطاقته الشخصية ونظرت إلى المعلومات المدون بها وكان أول ما وقعت عيناه
عليها هو اسمه..

عمر سليم ..

الفصل الرابع والعشرون

" لا يوجد شجاع فى الظلام و لا يمكن لإنسان أن يحارب و هو وحيد "

مصطفى محمود

وعادت للقوقعة ومعها طباعها الحادة التي أصبحت جزءًا منها واليوم تطور الأمر لصراخ وتدمير كامل لكل ما هو موجود بالغرفة حتى حولتها لساحة حرب منتهكة..
مؤكدًا كان هذا سيحدث فبالحفل ظلت طوال الوقت تحت ضغط نفسي هائل لم تحمله
نفسيتها الهشة والآن حان وقت الانفجار، الدمار والتحول من النقيض للنقيض.. وكريمة
وحدها لا تكفي، لا تستطيع السيطرة.. أساسًا فيروز صرخت بها وأمرتها بالخروج بمجرد أن
استمعت لصوتها..

وحضر الأب وظل طوال الليل يبكي على بابها، يناجيا بأن تفتح له، أن تسمح له بأن
يحتضنها وأن ينتشلها من دوامات الغضب التي غرقت بها والأخرى لا تسمح، لا
تريد، فقط تبكي وتصرخ كلما استمعت لأصواتهم مرددة " أنا بكرهكم كلكم "
فيروز تكره!

تلعن!

فيروز تحجر قلبها ولم تتأثر بتوسلات أبيها الباكي!

فيروز تتغير.. تضع..

الوردة تدبل..

تموت بالتدريج..

ويا أسفاه على شبابها الذي يُهدر..

استيقظت من النوم متأخرة ووجدت نفسها مازالت بفستان الزفاف، سكنت قليلاً حتى تذكرت ما حدث، ابتسمت وشعرت بسعادة تسلفت إلى روحها الباردة بحياء ولم يكن سر السعادة هو خروج مروان من حياتها فهي تعلم أنه لم يخرج منها بعد ولكن سعادتها تكمن في شعور الأمان اللذيذ الذي يغمرها..

سعادتها بأخيها..

هو مهم بأمورها، هو لم يتخلص من عارها بزواج ولكنه اختار طريقة يستطيع من خلالها أن ينقذها بها من تلك الكارثة وبأقل خسائر ممكنة..

اعتذر لها بل وظل يهددها حتى هدأت من روعها واستسلمت للنوم الذي هاجمها ونامت على قدميه..

هي سعيدة لأنها لديها أخ وعدها بأن يظل معها وكما هي محظوظة لذلك ففي الحالات الشبيهة تعامل المعتصبة على أنها وباء وعار يجب التخلص بأسرع وقت ممكن ولا يهم الطريقة حتى وإن ماتت فذلك يعد أفضل لهم من فضيحة تطاردهم وعار يلتصق بهم..

بالطبع فالفتاة هي صاحبة الإثم، هي المتهمة الأولى والأخيرة وكأنها أرادت أن تنخر

وتغتصب براءتها وتقدم كوجبة نهمة لوحش ضاري..

وكانها قد اختارت قدرها الأسود..

مأساة وكما كانت الحياة رحيمة بها لأنها منحتها أخوة كانوا خير السند، منحوها الحب

والحنان على جرعات ولولا هم لربما ظلت تكرر محاولات الانتحار حتى تظفر في النهاية براحة أبدية وتوقف لمعاناة تتجدد مع الأيام وذكريات مخيفة لا تأتي الخروج من عقلها ومن أنين قلب ضعيف عاش بحلم واستيقظ على كابوس..

لولا أخوتها ما ابتسمت أسما هذا الصباح بعد أن جردها مروان من كل المعاني الجميلة التي كانت تملكها يوماً وبعد أن سلبها الحب والثقة والأمان بكشفه لها عن الوجه الآخر للعالم الذي كانت تراه من قبل جميلاً كالزهور في الربيع وفجأة تساقطت وريقاتها أمامها وذبلت وكأن فصول السنة الأربعة انقلبت جميعها إلى خريف..

كم كان ما فعله قاسياً وثقيلاً على فتاة مثلها ولكنها مع الأيام أصبحت أفضل حالاً بعد أن تعلمت أنه **ربما في الذبول حكمة فكي نلاحظ نضارة الزهور لا بد أن نشهد وهنها وموتها..**

أخذت حمامها الصباحي بنشاط وبدلت فستانها الأبيض بمنامة مريحة جعلتها تبدو أقرب لطفلة بالكاد أكملت عامها الخامس عشر ثم خرجت من الغرفة كي تذهب وترى أين أخيها الهمام وبطلها وماذا يفعل.. استمعت لرنين هاتفه ومنه علمت أنها بالشرفة، ذهبت إليه ووجدته يحتسي شايًا ممسكًا إياه بيده اليمني وبيده اليسري هاتفه..

كان يقول:

- صباح الفل يا حبيبي..

وهي تركته وخرجت كي تمنحه خصوصيته مع زوجته ولكنها استمعت إليه يقول ببعض الحزم:

- ممكن تسمعيني الأول طيب..

وكان الطرف الآخر أبعد ما يكون عن الهدوء.. تستمع! ماذا سيفسر تركه لها طوال الليل بالمنزل وحيدة ولم يكلف نفسه العناء بأن يخبرها حتى!!

- مش ههدى غير أما أفهم كنت فين يا إبراهيم وما بتردش على تليفونك ليه أنا خلاص كنت شوية وأبلغ البوليس!!

وهو أغمض عينيه.. يعلم أنها محقة ولكنه البارحة لم يكن به عقل كي يجمع كل هذا.. كل تركيزه كان مع أسما وبمجرد أن نامت سقط هو الآخر خلفها من التعب ولم يستيقظ إلا منذ قليل..

ماذا يخبرها الآن؟ فمن المستحيل أن يخبرها بأنه يمكث بمنزل شقيقته العروس ولا هناك أي شيء يبرر خطأه الكبير في حقها.. بالأخير أخبرها:

- يا ديدا حصل ظرف مفاجيء في الشغل واضطريت أسافر والمشكلة كانت كبيرة أوي ونسيت أكلهك و..

وهي قاطعته مرددة بصدمة:

- نسيت؟!

وأكلت بغضب بات يلزمها مؤخرًا:

- طب أنا بعذر لو أزججتك يعني..

- آسف بجد خلاص بقا خلي قلبك كبير..

سألته بنبرة مستسلمة بعض الشيء:

- هترجع أمتي؟

وهو أجاب بعد أن جال بخاطره عدة أمور وأولهم أسما فلا بد أن يؤمن لها فتاة تكن أهل
للثقة وكاتمة للأسرار كي تجلس معها وتهتم بها ولكن من أين سيأتي بفتاة بتلك
المواصفات وبسرعة..

تنهد بعد أن شعر بأن الوضع يزداد سوءًا ثم قال:

- غالباً أسبوع ..

وأضاف:

- روجي عند مامتك متقعديش لوحذك في البيت..

وسألها:

- زعلانة؟

وهي صمتت كي تجيبه محاولة أن تفسر تضارب مشاعرها ، كانت بالفعل ستفقد عقلها
بسبب اختفائه الغريب والغير مبرر والآن تشعر بأن المنزل من دون لا يطاق ومن جهة
أخرى هناك رجل آخر اعترفت له منذ يومان أنها تحبه وتوسلت إليه كي يظل معها
وبلحظة قررت من أجله التنازل عن كل شيء وأولهم إبراهيم ولكن وقت التنفيذ
اكتشفت أنها لا تستطيع الاستغناء عنه أبداً..

أي جنون هذا الذي تعيشه بحق الله؟!

أخبرها عندما وجدها لا تجيب وصمتها قد أكد له أنها مازالت غاضبة منه ويعلم أنها
محقة..

- بحبك..

وهي أصابتها قشعريرة خفيفة، رأسها يأخذها بكل الاتجاهات وقلبها تجمد من كلمة

بجبك" التي نطق بها ولسانها تفوه بكلمة نصف مماثلة وكان النصف الآخر لها يملكه شخص آخر على ما يبدو أنه اقتسم قلبها مع زوجها بالتساوي..
- وأنا كان بجبك..

أسبوع كان يكفها كي تتخذ قرارها..

فريدة لإبراهيم فقط.. مروان اختار طريقه وهي ستكمل طريقها وانتهى..

نظرت لهاتفها وكانت الساعة تخطت التاسعة مساءً بقليل وهو أخبرها أنه سيعود من سفره الليلة فقررت أن تجعلها ليلة مميزة تُحفر في سجل زواجهم وتُطبع في قلوبهم قبل عقولهم وتجدد العشق بعد فترة سكون وملل وفتور..

نظرت لنفسها بالمرأة وتأكدت من كمال مظهرها، كانت قد صبغت شفيتها بالأرجواني الذي يفضلها إبراهيم ونثرت على ثوب نومها القصير والملتصق بجسدها ويظهر كل انحناءاته المثيرة العطر الذي أثنى على جمال رائحته من قبل وأعادت تمشيط خصلات شعرها والتي قامت هذا الصباح بصيغها بعض خصلاته باللون الأحمر القاني مما منحها طلة مشتعلة تليق بامرأة مثلها فبدت بثوب نومها الذي يجمع غموض الاسود وإثارة الأحمر كشعلة إثارة حية ومتوهجة..

كل شيء كاملاً مكماً ، هي أصبحت متفجرة الأنوثة وسيتناولوا العشاء سوية على أضواء الشموع ويرقصا معاً على أنغام الموسيقى الهادئة التي ستسحر المكان وما ينقصها فقط عودته..

استمعت لصوت رنين هاتفها واتجهت نحوه وسرعان ما تضاءلت الابتسامة التي كانت تزين ثغرها حتى اختفت تماماً..

كان المتصل مروان وعندما لم تجيب عليه أرسل لها رسالة نصية كان محتواها..
" عاوز أشوفك ضروري.. كلميني "

وهي ألقت هاتفها بعصبية.. فهل للتو تذكرت فريدة! وشيطانها كان يوسوس لها بأنه كيف سيتذكرها وهو يغرق بالعسل مع عروسه الناعمة وبعدما اكتفى منها تذكر دميتها الأخرى!
.. أي لعبة تلك وأي فخ هذا الذي يريد أن يوقعها به!

ولكن فريدة أبداً لن تقع وستحيا سعيدة رغماً عن أنفه..

عادت الابتسامة لتضيء وجهها مرة أخرى عندما استمعت لصوت الباب وهو يغلق..
فلقد عاد إبراهيم .. عاد زوجها الذي اشتاقت له حقاً..

دخل لغرفة النوم ووجدها تستقبله بطلّة جديدة مختلفة ورائعة وتأمل المكان من حوله
من شموع ورود وأضواء خافتة توهي بالرومانسية.. للوهلة الأولى علت ملامحه بعض
الدهشة والتي سرعان ما تبدلت لابتسامة مرتبكة.. فها هي زوجته تستقبله بما يوحي
بشوقها وسعادتها لوجوده ولكنه يشعر بإنهاك عصبي ونفسي وجسدي لا يوصف وكل
ما يرغب به هو فراشه ووسادته الناعمة وفقط.. هو غير قادر حالياً على منحها ليلتها
الرومانسية التي تطالبه بها بعينها الجميلتين اللاتين ترسمان نظرات وإيحاءات غاية في الاثارة
مما يحجم قدرته على الابتعاد والنوم.. أي نوم سيطاله وهي بجواره بتلك الهيئة الصاعقة

والحركة لكل خلية منهكة ومجهدة بجسده ولكنها أيضاً خلايا رجولية بحتة.. ومشتاقة أيضاً
لبعض الدلال الأثوي

نظر لها بحبة وعشق وهيام لتتذكر هي أيامهم الأولى سوية وكم شعرت بتلك اللحظة أنها
تفتقد حرارة لهيب حبه الذي كان يبثه في أوصالها ويمنحها دفئاً وطمأنينة..

هي لا تعلم بتلك اللحظة إن كانت تحبه أم تحب حبه لها ولا تعلم إن كانت افتعلت ذلك
الجو الرومانسي كي تنتقم من مروان والذي برأيها تخلى عنها بعد أن تنازلت أمامه عن
كل شيء وأولهم كرامتها وهذا أبداً ليس بالقليل..

لا تعلم ولا تريد أن تعلم أو تفكر سوى بتلك العينان التي تعلقت بهم وأخذتها فوق
السحاب على بساط وإن لم يكن وردي ولكن يكفي أنه يشعرها بالحرية والسعادة
فريدة أبداً ليست وردية حاملة ولديها منطق وقاموس خاص بها بمنهج العشق فهي
تستطيع أن تأقلم عقلها وقلبها وتهيوها لما تريده فقط..

واليوم قررت أن فريدة لإبراهيم وإبراهيم لفريدة ومروان سيخرج من المعادلة..

اقترب منها إبراهيم وأحاط خصرها بذراعيه بينما يسأل بمكر:

- هو إنهاردة عيد إيه؟

وأكل متسائلاً :

- عيد الحب؟

وهي لكزته في ذراعه قائلة:

- عيد حب في يوليو؟!

اقترب من شفيتها ملثماً إياها بقبلة وقبل أن يتعمق بها كانت قد تملصت من بين يديه ثم قالت بعد أن التقطت أنفاسها وغمغمت بمكر انثوي:

- لاء.. الأول هنلعب لعبة؟

قطب جبينه يتساءل لاهثاً:

- لعبة!..

أومأت برأسها بإثارة وهو صمت منتظراً لعبتها ، يشعر أنها اليوم نتصرف بغرابة وبجنون إلى حد ما ولكنه سعيد بحماسها فمع انشغاله وغرقه بمشاكل عائلته كانت هناك فجوة بينهم تكبر وتزداد عمقاً مع الأيام حتى وصلا لمرحلة خطيرة وما كان يتوقع أبداً أن يصل الحال معه بأن ينسى أن له زوجة تنتظره بالمنزل ومن واجبه عليها أن يقوم بإيصالها أولاً لبيت أبيها ويطمئن عليها أو على أقل تقدير يخبرها بغيابه عنها لعدة أيام.. ولكنه نسي أمرها تماماً وهي في الصباح من أخبرته دون حديث مباشر أنه قد ارتكب بحقها ذنباً لا يغتفر وليس ذلك اليوم فقط بل منذ فترة وهي تتحمل وتحمل دون شكوى وتذمر..

لفت ذراعها حول عنقه ثم بدأت تحل به ازرار قيصره هامسة:

- مستعد؟!

وأضافت بدلال سلب أنفاسه من صدره:

- أنا هكتب حاجة على صدرك وإنت تقولي أنا كتبت إيه ولو قولت صح اللي تطلبه

أعملهولك والعكس صحيح..

سألها وكان يسخر منها:

- ودي عرفتيها من منتدى جمالات؟

لكرتة بكتفه تلك المرة وشرعت بكتابة بعض الكلمات لم يستطع تفسيرها فأخبرته محذرة:

- آخر فرصة .. ركز ماشي..

وأعادت نقش الكلمات على صدره ولكنه عجز عن التركيز واستنتاج الكلمات فأرهاقه
الجسدي بدا أقوى مما يظن وبدأ يؤثر بشدة على تركيزه.. بدا الذنب في عينيه فهمست هي
بإغواء :

- اम्मمم.. هسامحك بس عشان وحشتني..

واقتربت تهمس بأذنه:

- ما .. تبعدش.. عني.. أبداً..

جذبها وقال مبتسماً ونظراته جعلت خدودها تهرنجلاً وكرر كلماتها:

- مش هبعد عنك أبداً..

ابتسمت بتلاعب:

- كده إحنا الاتنين كسبانين..

ودفعته بحفة ليسقطا معاً بفراشهها وكانت هي بين ذراعيه امرأة جديدة عليه، امرأة

مشتاقة، امرأة قررت الظفر بمعركة هي وحدها من تعلمها لتثبت لنفسها أنه لها وهي له.

أنها أحسنت الاختيار وستستمر في طريقها للنهاية وهو كان جسده يئن شوقاً وإرهاقاً

وإثارة فقط هي تجيد تحفيزها ورغم احتياجه العنيف للراحة والاسترخاء إلا أن حاجتها

لوجودها بين ذراعيه كانت أقوى.. فكانت لها الغلبة...
 وكانت ليلة مختلفة ومميزة كما خططت وحملت بعد أن منحها هو الواقع والأمنيات ليحين
 بعدها دوره في طابور الأمانى وأخبرها بعد أن ضمها نحو صدره العاري بقوة:
 - فريدة أنا عاوز منك طفل..
 وأكل بعدما استدرات نحوه لتتلاقى العين والأنفاس :
 - خيلنا نروح لدكتور..
 وهي وافقته ،ستفعل أي شيء يطلبه منها وبعد ثوان عادت لأحضانه مرة أخرى وكانت
 تلك المرة تناشده بصمت بأن يقتلع جذور مروان من داخلها ويمنحها سلاماً داخلياً
 تشتهيهِ وبشدة..

"عمر سليم"

لاعب كرة قدم سابق بالنادي الأهلي وهجر الملاعب منذ عامان تقريباً بسبب تمزق
 بالرباط الصليبي أخفق من أدائه ثم بعدها تم الاستغناء عنه من قبل الإدارة وانتهى
 عهده..

هذا ما عرفته عنه من خلال الانترنت فبعد أن عادت للمنزل في تلك الليلة وهدأت
 أنفاسها المذعورة شعرت أنها قد رأت ذلك الشخص المريب بمكان ما من قبل ومن
 خلال الانترنت تعرفت على تاريخ حياته وصفحاته الشخصية على " الفيس بوك " و "
 التويتر" و " الانستجرام "وأصبحت تتصفحهم يومياً تقريباً حتى حفظت صورهِ
 ومنشوراته عن ظهر قلب ..

شغل تفكيرها وأصبحت تتسائل كل ثانية عن سره الكبير الذي لا يعلم عنه " جوجل " أي شيء وتفكر كيف لشخص رياضي يبدو عليه أنه من وسط راقٍ أن يصل به الحال أن يهدد فتاة بمطواة بل والأسوأ أنه كان يهرب من شيء ما يبدو خطيراً.. هي ليست على ثقة بأي شيء يخصه وربما كل ما تظنه بشأنه يدور بخيلتها فقط ولكن مؤكداً أنه شخص عبارة عن كتلة غموض متجمعة تغطيها هالة ضخمة من الشك والريبة..

" أنا بشرى البنت اللي انت رفعت عليها المطوة من اسبوع معرفش هتفتكرني ولا إنت كل يوم بتهدد واحدة بس أنا لقيت محفظتك في عربيتي من فضلك اديني عنوان ابعتالك عليه بالبريد"

كان ذلك نص الرسالة التي كانت سترسلها له عن طريق " الماسنجر" قبل أن تتراجع ككل مرة وتقوم بمسح الرسالة ولكن الآن ورغماً عنها ضغطت بالخطأ على زر الإرسال وحاولت بشتى الطرق أن توقف إرسالها ولم يفيد حركتها السريعة بإغلاق البرنامج في تمكينها من اللحاق بها قبل الوصول إليه..

the message sent..

ضربت بيدها على رأسها بقوة فيالها من حمقاء غبية وسيئة الحظ! ظلت تتابع طوال الوقت رسالتها الحمقاء منتظرة رده بشغف وبذعر بالغ وكأن مارده ربما سيخرج من هاتفها كي يقتلها لأنها أصبحت تعلم هويته وبإمكانها أن تقوم بفضحه على مواقع التواصل الإجتماعي والبرامج التلفزيونية التي لا يختلف منهاجها عن الصحف الصفراء وهو مؤكداً لن يسمح لنكرة مثلها بأن تشوه صورته أمام محبيه ومعجبيه..

مرت ساعة عليها بينما هي كانت على ذلك الحال تقوم كل ثانية بإعادة تحميل الصفحة

ومنتظرة بشغف جوابه عليها..

هذا إن أهتم وأجابها ولكنها لم يكن بيديها شيئاً تملكه سوى الانتظار فظلت تراقب

وتراقب حتى توقف قلبها عند كلمة "seen"

وتصلبت حواسها عند جملة "Omar is typing"

وآلتها معدتها بشدة بينما كانت تنتظر جوابه عليها والذي اختصره بجملة واحدة آمرة
ناهية ..

"أنا هكون في سيتي ستارز بعد ساعتين هاتي المحفظة وتعالى وده رقم تليفوني كلميني
أما توصلي"-----٠١٠٠"

ما باله يتحدث وكأنها خادمته!

كم هو مغرور.. متبجح.. وكم أثار حنقها ..

لن تذهب إليه ولن يحدث إلا في أحلامه..

ظلت محتفظة بقرارها ساعة أخرى.. فقط ساعة بعدها وجدت نفسها ترتدي ملابسها
سريعاً كي لا تتأخر عليه وكي تأمن شره...

بينما كانت تبحث عنه بعينها ولا تدري لم لم تتجراً على هاتفته كما أخبرها وربما كان نجلاً
أو ربما خوفاً منه ولكن بالنهاية هي لم تستطع أن تفعل..

انتفضت عندما وجدت أحدهم يطرق بيده على كتفها بشدة ثم اعتدلت ناظرة له
ببلاهة طفلة في يومها الأول بالمدرسة ..

سألها فلقد كان غير واثقاً من ملاحظتها ولكنه عرفها لأنها الوحيدة التي يبدو عليها أن

تبحث عن شخص ما..

- بشرى!

وهي أومأت برأسها موافقة إياه..

بسط يديه بينما كان يخبرها:

- المحفظة ..

وهي فتحت حقيبتها ولم تجدها، نظرت حول قدميها فربما سقطت منها ولكن لا شيء

يظهر، سارت عدة خطوات وكانت تتحرك تلك المرة بذعر ولكنها لا تجد لها أثر..

تباً لقد أضاعتها..

سمعته يقول بصبر نافذ:

- المحفظة فين؟

وهي هربت منها الكلمات، أي موقف سخيف هذا الذي وضعت نفسها به!

ليتها لم تأتِ إلى هنا وليت تلك الرسالة لم ترسل..

ما بالها خائفة هكذا منه فليذهب هو وأشياءه إلى الجحيم..

قالت قبل أن تفقد شجاعته:

- كانت معايا مش عارفة راحت فين؟!

وهو سألها بغضب مستعر:

- او مال انتي جاية ليه؟ ايه الغباء ده؟

وهي تشابك حاجبيها واحمر أنفها وقالت بغضب مماثل:

- من غير ما تغلط لو سمحت .. كانت معايا ومش لاقياها الدنيا خربت!

وأضافت :

- وياريت متناساش إنك هددتني بسلاح أبيض وأنا مش بس مبلغتش البوليس لا ده أنا كان جاية أرجعلك محفظتك..

وهو ابتسم ابتسامة مستفزة.. أخبرها بعد أشار لها بيده:

- قدامك القسم روجي إعملى محضر..

وهي لعنت نفسها ثم لعنته ووجدت نفسها تهرب من محيط تواجدته بينما يديها كانت تبحث عن مفاتيح سيارتها ولسانها يتهمها بالحماقة وعقلها يتمنى لو كانت لم تأت أبداً إلى هنا، توقفت بمنتصف الطريق عندما لم تجد سلسلة المفاتيح أيضاً، هدأت من روعها والتقطت نفساً عميقاً ثم بحثت مرة أخرى ووجدتها ومعها حافظة النقود واكتشفت أنها كانت أمام عينيها وهي التي لا تراها، بحثت بعينيها عنه في تلك الاتجاهات ووجدته يقف بالجهة الأخرى يشير لسيارة أجرة لم تتوقف له.. تساءلت في نفسها كيف لشخص مثله مشهور وكان من ضمن فريق كروي لأحد أكبر الأندية بمصر لا يمتلك حتى سيارة متواضعة!!!.. شعرت بفضول هائل يدفعها دفعاً نحوه مما جعلها بأن تقرر الاحتفاظ بتلك المحفظة عليها تمنحها فرصة أخرى قريبة للتعرف على أسرار ذلك الشخص غريب الأطوار وقليل الكلام..

"الرجل الغامض بسلامته"

سبعة أيام يسير بطريق ليس له نهاية، طريق مظلم وخالي من كل معالم الحياة.. عندما يغمض جفونه يتذكر ظلامها وعندما يفتحهم تداهمه صورتها..

كل حياته توقفت وكل قرارته تأجلت حتى يطمئن عليها..

كيف حدث هذا ومتى وكيف حالتها هي الآن وكيف نتعايش مع هذا الظلام المخيف! سبعة أيام في كل يوم منهم كان يتخذ هو قراراً بالذهاب إليها عله يجد عندها ما يطمئنه عنها ولكنه يتراجع فبأي صفة سيدخل منزلها وكيف سيقدم نفسه لعائلتها وبعدها يقرر انتظار خروجها لأي مكان ويقتنص فرصة بالحديث معها والإطمئنان عليها ولكنها لا تفعل أبداً ولم تخرج حتى لشرفتها وتروي ظمأ عينيه المشتاقة إليها..

بالبارحة بينما كان هو يجلس بسيارته ويراقب منزلها كالعادة وجد أحدهم يقترب من بيتها وكان سيطرق الباب ثم تراجع بعدها ليجلس أمام شرفتها مستنداً بجسده على شجيرة ضئيلة ربما كانت لا تحمل ثقله..

انتابه الفضول والخوف عليها من ذلك الرجل الذي يقبع مكانه منذ عشرة دقائق ولا يتحرك وقرر بالأخير الذهاب إليه وبمجرد أن اقترب منه وجد أن ذلك الرجل هو نفسه عادل حبيبها وكان يبكي ويخرج غضبه على وردة مسكينة أزال جميع وريقاتها ثم ألقاها بعصبية عندما وجد ياسر يقف أمامه.. نظر له ياسر نظرات ساكنة وصامتة ولكنها تستجوبه عن إن كان له أي دخل بما حل بحياة فيروزه من دمار ولكن الآخر لم يجيبه بل رمقه بنظرة حائقة ليرحل متجهاً بعدها نحو منزله..

تسلل لداخله بعض الأمل والذي سرعان ما أخفقه وبعدها لعن نفسه على أنانيته فالآن لا شيء يهم سوى أن تكن بخير.. هي فقط ياسر..

واليوم قرر أن يتخذ خطوة.. هاتف إبراهيم والآن ينتظره بكافتيريا تبعد حوالي شارعين عن البناية التي يسكنها سوية وقبل أن يرتشف أول رشفة من قهوته الصباحية وجد

إبراهيم يقف أمامه فنهض كي يحتضنه مصافحاً إياه وكان الآخر يسأله بلوم:

- إيه يابني فينك؟ أنا بسمع من البواب أخبارك ياسر سافر ياسر رجع..

ولم يعرف بماذا يجيبه.. هل يخبره بأنه كان يتحاشى ملاقاته وليس هو بعينه بل أي شيء بإمكانه أن يذيب الأسوار الجليدية التي وضعها على قلبه رغبة منه في إنحماره وعلاجه من عشق جميلة مدله استوطنت قلبه دون إذن منه وتلك الجميلة هي نفسها أخته..

- معلىش موضوع السفر حصل بسرعة شوية..

وأكل:

- تشرب إيه؟

أخبره إبراهيم بعد أن نظر لساعة يده:

- لأ مش هينفع مفيش وقت لازم أكون في الشركة بعد ساعة ولسه الطريق..

وأضاف:

- كنت بتقول عندك موضوع مهم..خير..

وسعل ياسر سعلة خفيفة وقال بعدما ابتلع ريقه، شعر بالحرج فكيف له أن يبدأ حديثه..

قال بالأخير:

- قبل ما اتكلم هسألك سؤال ..

والآخر تحفزت حواسه وانتابه بعض القلق..

- هي الأنسة فيروز مرتبطة؟

عقد إبراهيم حاجبيه وقال:

- لأ.. أه.. يعني كانت مرتبطة بس حالياً خلاص..

وأضاف:

- مش فاهم بتسأل عنها ليه؟

أخبره ياسر بعد أن أزاح كرسيه خطوة للأمام..

- بصراحة أنا يهمني أمرها..

قالها واختبر وقع الكلمات على ملامحه ولم يستطع تفسيرها إن كانت دهشة أم صدمة أم أنها غضب منه...

- يهملك إزاي مش فاهم؟

وابتلع ريقه ليقول بعدها وخرجت منه بكل صدق وحرارة:

- أنا بحبها..

الفصل الخامس والعشرون

- أنا بحبها..

لا يدري كيف خرجت منه بكل هذا الحنو، بكل هذا الصدق وهذا الاشتياق وليس بنادم أبداً ولا هو ينجل من مشاعره نحوها ولكن ربما هو شعر بالخرج من الموقف ككل والآن يبدو أن إبراهيم قد انزعج من صراحته فقد ترك الصمت يحيط بهما لثوان معدودة ثم قرر بالأخير الرحيل بعد أن أخذ سلسال مفاتيحه وهاتفه ولكن ياسر أمسك معصمه كي يوقفه وكان يقول:

- إبراهيم اسمعني للآخر..

وأضاف:

- أنت المفروض تحترم صراحتي معاك..

سكن إبراهيم بعض الوقت وبدأ يفكر في أن ياسر معه كل الحق فاستسلم وعاد ليجلس مكانه بصمت واستمع لياسر الذي كان مازال يتحدث:

- أنا آسف لو تجاوزت حدودي بس لو متكلمتش ده مش هينفي مشاعري ناحيتها ولا هيغير حقيقة إني سبت البلد كلها عشان أنساها وبرده معرفتش..

عقد إبراهيم حاجبيه.. متى وكيف أحبها؟! وكيف وصلت الأمور معه لتلك النقطة بينما كان هو غافلاً لا يعلم أي شيء عن هذا الموضوع.. أين كان هو في تلك الأونة؟!.. يخبره أنه أحبها وهجر موطنه كي ينساها.. متى حدث كل هذا؟!!

بدأ يشعر بالضيق وتسلل الحزن إلى وجهه وشرد بها.. هي فيروز الجميلة، المدللة، شعلة

الطاقة التي تركها ورحل وعاد ليجدها أخرى انطفأ نورها وأصبح قدرها كلون ظلامها
الحالك .. تنهد ثم قال بعد أن اقترب بمقعده منه:

- ياسر فيه حاجات كثير أوي اتغيرت إنت متعرفهاش و....
قاطععه ياسر بثقة:

- عارف..

تلجم لسانه لبعض الوقت ثم قال مصدوماً:

- عارف!؟

قال ياسر بعيون قد اشتعلت بطاقة غريبة:

- عارف وده مغيرش أي حاجة بالعكس ده مخليني عاوز أكون جنبها أكثر..

ظل إبراهيم يقلب الأمر بعقله، يشعر بصدقه، يفكر في أنه ربما هذا الشخص الذي
يجلس أمامه هو منقذ أخته من طريق مدمر قررت أن تسلكه وحدها ولكن سرعان ما
تراجع ففي الحب لا يوجد أي ضمانات ومع حالة فيروز تحديداً لا يمكن المجازفة فأني
صدمة جديدة لها ستصيبها بمقتل وحينها ستنتهي فيروز وهو أبداً لن يفرط بها ولن يسامح
نفسه إذا فعلها..

أخبره وكأن يحرك رأسه برفض:

- لأ.. صعب أوي هي مش حمل تجربة جديدة الأحسن إنك تنسى الموضوع كله.. إنت
يمكن دلوقت حاسس إنك عاوز تكون جنبها أكثر عشان هي صعبانة عليك وعشان
قاطععه ياسر بعد أن تنهد بضيق:

- إبراهيم معنى كلامك ده حاجة من اتنين يا إنت مش واثق فيا يا إما شايف أنني

واحد مراهق مش عارف يحدد مشاعره إن كانت حب ولا شفقة..
 وأكل ببعض العصبية وليست سبها كلمات إبراهيم ولكن لأنه لا يثق بأي شيء
 يخصها، لأنه قرر خوض حرب ربما لن ينل فيها الفوز في النهاية فهناك عادل ذلك
 الشخص الذي يصنع أكبر علامة استفهام بعقله، لا يعلم حقيقة مشاعرها نحوه فربما هي
 مازالت حتى الآن تعيش على أنقاض عشقهما وأطلاله، لا يعلم ويثق بأي شيء عنها
 ويخصها وإن ظل هكذا دون شك سيفقد عقله بنهاية المطاف لذا يجب أن يجد من يمنحه
 تلك الإجابات ووحدها من تستطيع فعل ذلك..

- إبراهيم أنا بتكلم معاك بصفتك واحد عارف كويس أنه لولا سفري كان زمانا أصدقاء
 وأخوات..

سأله إبراهيم بنبرة ظهر فيها نفاذ صبره..

- ياسر إنت عاوز إيه؟

وأجابه الآخر بعيون لامعة:

- أكيد عاوز أتجوزها بس ده حالياً شبه مستحيل .. الأول عاوز اتكلم معاها وأقرب منها
 وأعرف هي نفسها عاوزة إيه ومفيش حد أفضل منك ممكن يساعدني...

ثم صمت لبرهة بعدها وقال:

- وعاوز أعرف اللي حصل معاها بالتفصيل..

ما بالك ياسر أنت هكذا تضع الملح على الجرح..

ابتلع إبراهيم ريقه بعد أن شعر أنه لا مفر من هذا العنيد.. بدأ يتحدث منذ البداية جداً
 عن خيانة وحادث وظلام اقتحم عيونها وعن قرارها بعدم استكمال العلاج وانعزالها عن

الجميع وعن تحول طباعها من النقيض للنقيض والآخر مع كل كلمة منه كانت ملاحظته تنقبض أكثر، يتألم لأجلها وتملكه رغبة أكبر في احتواء وجعها بعد أن يقتل هذا العادل..

وبعدما انتهى إبراهيم من حديثه وودعه ورحل مع وعده بالتفكير بطلبه ظل ياسر قابلاً بمكانه.. يستعيد كلمات إبراهيم من جديد.. يتذكر آلامها ويتخيل مخاوفها.. يؤنب نفسه للمرة المليون لأنه تركها ورحل دون أن يحارب كي يفوز بقلبها.. ومع تضارب أفكاره يزداد أنين قلبه وشعور الذنب الذي يشعر به تجاهها ينخر بقلبه بلا رحمة.. يتخيل لو يعود به الزمان فحينها ما كان سيتركها له أبداً ويتخيلها أمامه كشخص حي يطلب السماح منها ويعدها بأنه لن يتركها مرة أخرى ورغبة عارمة في دعمها تسيطر على كل تفكيره وأحلاماً ينسجها بأن يكن هو ترياق قلبها المسموم ودوائه وقبل أن ينجرف أكثر بأفكاره ويشعر بنشوة أحلامه تجددت مخاوفه واستطاعت السيطرة على رأسه من جديد فمالكة قلبه لا تتألم من فقدان نور عيونها وفقط فهناك خيانة وهناك جروح بقلبها لم تندمل وهناك الثقة وشعور الأمان وأشياء كثيرة أخرى فقدتها قبل أن تفقد الرؤية وهو يعلم كم هي عنيدة ولن تستعيد ثقتها في الآخرين بسهولة..

طريقك لم يعد صعب فقط ياسر بل اقترب من حدود المستحيل..

وطاوعته رغما عنها..

نعم أخبرته أنها لا تريد الاختلاط..

لا تريد مغادرة القوقعة..

لا تريد أن تنزه طالما هي لن تستمع بأشعة الشمس ولن تتأمل خيوط القمر..

ولكن بالأخير حدث ما يريده.. هو ألح وهي لم تقاومه كثيراً وطاوعته خاصة عندما أخبرها أنه هناك مشكلة كبيرة يحتاج فيها نصيحتها ومشورتها وهذا إبراهيم مهما حدث سيظل يمتلك داخلها معزة خاصة ورغماً عنها تنهار حصونها وقلاعها أمام صوته الحاني القريب لقلبها..

كما أنها فكرت لو أنها ما عارضت وأطاعت رغبة إبراهيم وخرجت معه إلى النادي ربما ذلك يقلل من خوفهم وقلقهم الزائد عن الحد ومنه ربما تتخلص من كلماتهم عن الصبر والقوة وكل الأشياء التي أصبحت برأيها عبارة عن سراب ووهم كبير..

أجلسها إبراهيم على المقعد ثم جلس مقابلها وسألها:

- مرتاحة هنا ولا تحبي نتمشي شوية..

وهي أخبرته بعدما أعادت ضبط وضعية النظارة الشمسية على وجهها وكأنها تريد أن تتأكد أنها هكذا قد أخفت عاهتها ونقصها عن المحيطين بها..

- لأ كده حلو..

وسألت:

- إيه المشكلة بقا اللي حصلت؟

وهو سعل سعالاً زائفاً تملك المشكلة التي لا وجود لها على أرض الواقع ولكن ماذا يفعل فلم يجد حلاً غيره كي يهزم رأسها المصفح ويقنعها بالخروج من المنزل..

ولكنه تورط الآن ويأسر متأخر وهي صبرها نفذ من قبل حتى أن تخرج من المنزل ولن تقبل بالانتظار أكثر..

أمسك هاتفه كي يقوم بالاتصال بياسر ويعلم لم لم يأتِ حتى الآن ولكنه توقف عندما سمعها تسأل:

- إبراهيم؟!.. ساكت ليه؟ حصل حاجة في الشغل .. مع بابا .. مع فريدة..
والإجابة هي ليست بالاختيارات التي طرحتها والنتيجة أن سيقوم بجز رأس ياسر اليوم
على هذا الموقف السخيف الذي وضعه به ولكن الأخير حمداً لله قد ظهر من بعيد
يتعجل بخطواته وتوقف عندما أشار له إبراهيم ألا يتقدم أكثر..
قال لفيروز:

- استنيني هنا هعمل تليفون مهم وراجع..
وهي حاولت أن تستوقفه بصوت متلعثم ولكنه لم يكن بسرعة رحيله بالطبع..
بعد دقائق معدودة وجدت هناك من يجلس مقابلها وتوقعت أنه أخيها فسألت:
- أنت جاييني هنا عشان نتكلم في التليفون وتسينيني؟!
وجاءها الرد بصوت مميز لرجل تعرفه حق المعرفة.. رجل أتاها قبل أشهر وأخبرها عن
عشق يكنه لها بنفس الوقت الذي قام بتوديعها فيه ورحيله..
- إزيك يا روز؟!..

لم تجد ردة فعل على حضوره المفاجيء والغير المتوقع سوى ابتلاع ريقها.. لا تعلم لم
تجمدت هكذا وكان ما يدور بعقلها هو شيء واحد أنها لن تتحرك من هنا أبداً قبل رحيله
ولن تقم بخلع نظارتها الشمسية لأنه يجب ألا يعلم بما حل بعيونها فعلى الأقل تظل بنظره
وحده تلك الجميلة الواثقة من نفسها والتي لا ينقصها أي شيء..
- ياسر؟!..

حاولت الإمساك بكوب الماء الذي أمامها ولكنه سقط منها على قدميها وحينها لعنت نفسها لأنها فعلت ذلك .. كان يجب عليها أن تتخذ حذرًا أكثر ولا ترتكب مثل هذا الخطأ الفادح والآخر اتجه نحوها محاولاً مساعدتها ولكنها أخبرته ببعض الحدة:
- محصلش حاجة..

وحل بعض الصمت على الأجواء وفقط عقلها من كان يتحدث ببعض الأسئلة أولهم لم عاد؟ وآخرهم هل انتبه بأنها لا ترى بسبب ذلك الكوب اللعين أم لا..
قالت ولا تعلم سر غضبها الموجه له وحده:
- شايفاك رجعت..

وهو قال بعد أن ارتسمت على شفثيه ابتسامة ساخرة:
- أنا أصلاً ممشيتش عشان أرجع..

سب نفسه سرّاً.. لا يعلم لم لسانه يتفوه بحماقات الآن ولا يعلم ما سر التوتر الذي يعم على الأرجاء ولا لم تلك المقابلة تتخذ مساراً لا يجذبه وبدأ يشعر أنه لو ظل الوضع هكذا أكثر ستنتهي بشجارهما لذا قال كي يلطف الأجواء:

- رجعت من أسبوع عشان فرح واحد صحي .. كان قبل فرح أسما بيوم واحد..
وهي فغر فاهها وتملكت الصدمة من أطرافها وسألت وكانت تأمل أن تخرج من فه
إجابة مختلفة عما توقعت..

- هو إنت حضرت فرح أسما؟

وهو صمت قليلاً .. يفكر في سؤالها الذي سبب له بعض الضيق فهو ليس بغبي كي لا يفهم أن محور حديثها كله يكمن في رغبتها بمعرفة أن كان يعلم ما حل بها أم لا؟!!

وقال كي يريحها:

- أه حضرت ويومها حتى انتي روحتى بدري..

تجهمت ملامحها وفهمت ما يرمي إليه بكلامه فسألته مباشرة وصوتها كان يغلفه الكثير من الاحباط والاستسلام:

- إنت عارف صح؟

وعقلها كان يصرخ بالإجابة أنه يعلم بكل شيء لذا لم تنتظر إجابته وقررت النهوض بل والهروب من ذلك المكان بأكمله.. ظلت تنادي بنبرة متوترة:

- إبراهيم..

واستطردت بصوت حشرجه كانت واضحة..

- هو إبراهيم فين؟

اتجه نحوها وأمسك بيديها كي يساعدها وهي انتزعتهما بعنف ..

قال لها بعدما تقبل صدمته بتصرفها العنيف هذا ثم حاول استعادة هدوءه من جديد..

- إبراهيم وراه مشوار بس لو حابة تمشي أنا ممكن أوصلك..

وهي صرخت بوجهه امرأة:

- لأ.. اتصل بيه يجي دلوقت حالاً..

قال لها محاولاً الحديث معها بنبرة مرتفعة أكثر عليها تسمعه من برجها العالي..

- ممكن تسمعيني!

وكان جوابها مؤلم .. صادم.. كملاحمها التي يحاول التعرف عليها من جديد..

- لو متصلتش بيه أنا هعمل فضيحة هنا وساعتها هلاقي اللي يجيبه..

وما كان منه إلا أن يجيب عن طلبها .. وهل هي تركت له حلاً آخر؟! هي باتت كالقطار لا يتفاهم فقط يدهس المارة وبعدها يستمر بطريقه.. ظل يفكر ويتأملها.. من تلك الفتاة التي تجلس مقابله؟ لقد بدلها الظلام بالفعل.. عاودت الجلوس على مقعدها من جديد ولكن تلك المرة كان تشعر بأنها تجلس على جمرة من نار وهذا لا يعد شيء أمام طاقة الغضب التي تكبر وتكبر داخلها وأوشكت على الانفجار..

وأما عنه فهو فكان يشعر أن زمام الأمور تخرج عن سيطرته، لقد أخبره إبراهيم عن تغير طباعها ولم يتوقع أنها تغيرت لدرجة أنه أصبح من الصعب حتى الحديث والتفاهم معها، ما برأسها يظل برأسها وتلك القوقعة تأبى مجرد احتمالية الخروج منها بل وتشهر أسلحتها في حال اقتراب أحدهم منها..

قال ياسر بعد أن زفر زفرة حادة أخرج فيها كل احباطه:

- روز لو سمحتِ مفيش داعي لتصرفاتك دي و...

وهي قاطعته بسؤال نهائي لا يقبل المراوغة أو المماطلة:

- ياسر ممكن أفهم الفيلم اللي اتفقتوا عليه إنت وإبراهيم ده كان سببه إيه؟ إنت جاي ليه وعاوز مني إيه؟

وهو فرك عينيه بإجهاد.. ما بالها تصعب عليه كل شيء.. لا تستقبل لا تسمع فقط تهاجم

..

- روز إحنا في يوم من الأيام كنا أصدقاء ومن حق الصداقة دي إني أشوفك واتطمئن عليكى..

وقالت هي ساخرة وبنفس الوقت غاضبة وبشدة:

- بس إحنا عمرنا ما كنا صحاب..

- نكون..

- لأ....

وخرجت منها تلك ال " لا " ناهية بدرجة كانت مؤذية ومحبطة له فسألها:

- ليه؟

وأكل بعد أن تسرب إليه بعض الغضب..

- لأ ليه؟

رباه لم الجميع يضغط عليها؟! لم لا يعتبرونها جثة هامة ويقومون بدفنها والصلاة عليها بدلاً من تجديد جراحها وإخراج منها شخص آخر لا تحبه يهاجمهم ويجرحهم رغبة منه في دفعهم بعيداً عنها كي لا يتألمون من أجلها وكي لا يجرحونها بشفقتهم عليها.. شعرت بضيق بالغ اعتلى صدرها وتسلفت إليها بعض الدموع لا تعلم ماهيتها وقالت كي تنهي تلك المهزلة وكي يرحل هو بعيداً عنها..

- عشان إنت مش جاي تطلب أننا نكون صحاب.. إنت بس حاب تثبت لنفسك وثبتلي إن قراري لما اختارته هو وفضلته عليك كان أكبر غلط ارتكبته في حياتي.. وقالت مستطردة بألم فلقد ذكرها هذا الحديث بما ظنت أنها قد تناسته:

- ومن غير ما نتعب نفسك هاقولها لك أنا فعلاً غلطت أكبر غلطة أما حبيته وأما وثقت فيه..

وهو انصدم من طريقة تفكيرها..هربت كل الكلمات من عقله.. يا إلهي كيف وصلت

الأمر معها لتلك النقطة..

أنه عاد ليثار منها ولأجل كرامته؟!

قطع صمتهم وصول إبراهيم ومن تعابير وجوههم علم أن الأمور ليست بخير أبداً.. سأل وكان يشعر بالضيق من نفسه لأنه ربما كان قد ضغط على مشاعرها بموافقة على تلك المقابلة..

- روز إنتي كويسة؟

وأضاف بقلق عندما لمح بلوزتها المبتلة...

- حصل إيه؟

وهي نهضت بعصبية وكانت ستفقد توازنها لولا أن إبراهيم أمسك بيديها.. أخبرته:

- إبراهيم خدني من هنا...

ورحلا سوية لتركها الآخر صامتاً متجمداً بمكانه.. يحاول أن يستوعب ويفهم ما حل

بتلك النصف ساعة التي كانت عمر لقاءهم الفاشل بجدارة وكان يلوم نفسه على ذلك..

الفرصة الذهبية التي منحك إياها إبراهيم تهرب من يديك ومن بعدها لا أمل فقط موتك وموتها..

ألم يخبروك أن الأحلام تحتاج لمثابة؟!

ركض نحوهم وأوقفها من ذراعها قبل أن تتركب سيارة أخيها ثم أخبرها:

- أنا مش جاي عشان اثبتك أي حاجة وكل اللي قولتيه ده أوهاام جوة دماغك وبس

خلقتها وبتتعامل كإنها واقع..

وأضاف بعصبية وبنبرة مرتفعة:

- أنا مش هبعد ثاني يا روز..أنا بعدت قبل كده عشانك لكن المرة دي هقرب وأقرب وبرضه عشانك..

واشتعلت اللعبة من جديد برأسه بل تفحمت بالكامل فما فعله إبراهيم معه بليلة زفافه لم يكن سوى حافز جديد وجريمة بحقه أضافها هو في سجلاته والأخرى زوجته أصبحت تدلل، لا تجيب على مكالماته بعد أن كانت هي من تتوسل قربه! الأمور تعاكسه..لم ينل ابنة العز ولم يهزم ابن السلطان وبعد كل هذا سيكون الظفر لصالح فريدة..

هو لم يفعل كل هذا كي يخسر في النهاية وإن حدث ذلك فوته أفضل.. لن يحدث أبداً ولو كلفه الثمن روحه فلقد دفع ثمن تلك اللعبة مسبقاً من انسانيته ومن قلبه وكرامته..هو حتى لم يتبقى له شيئاً يملكه.. قرر وسينفذ اليوم سيسجل هدفاً في شباك العدو وستكن فريدته هي الطعم.. أرسل لها رسالة كان نصها..

"إنتي عارفة كويس إن مش أنا اللي اتهمش كده..إنهارة لو مشفتكيش الساعة واحدة في نفس المكان وديني لأهد المعبد على اللي فيه"

ووصلتها الرسالة بينما كانت هي وإبراهيم يتناولوا الإفطار سوية، أمسكت هاتفها وشرعت في قراءة الرسالة ثم فجأة تبدلت ملامحها لأخرى شديدة الحمرة، ساخنة، غاضبة وتراقص عليها الشياطين..

مروان إن كنت أنت عقابها في تلك الدنيا فأخبرها بجريمتها كي تكفر عنها وإن كنت

لعنة حلت عليها من السماء فلتقل ماذا تفعل كي تتخلص منها؟!
وهي لا تعلم إنه جريمتها التي تحولت لللعنة لا خلاص منها ولا نهاية فهناك أبرياء في تلك
اللعنة كان ذنبهم الوحيد هو العشق الذي أعمي عيونهم عن حقيقة من أحبوهم..
سألها إبراهيم عندما لاحظ تغير ملامحها المفاجيء:
- مالك؟!.. حصل حاجة ولا إيه؟

وهي ابتسمت ببلاهة أثارت تعجبه وبعدها لعنت نفسها فإن كنت تتعمدين يا فريدة أن
تجعليه يعلم أنه هناك شيء ما تخفينه عنه لن نتصرفين غير كذلك..
قالت كي تعيد بساط ثقته بها إليها فهي أبداً لن تسمح بأن تتغير علاقتها مع إبراهيم
مجدداً..

- واحدة صحبتي في مشكلة كده..متشغلش بالك إنت..

والكذبة تجر خلفها أخرى حتى يغرق صاحبها فحال الكذب كالأسمنت الفاسد يصنع
بنايات عالية وناطحات سحب ولكنها تكن هشّة تسقط صريعة أمام أول رياح تضرب
جدرانها..

ومن تدابير القدر أنه رآها بعد عدة ساعات تخرج من مقهى متواضع بعض الشيء
وتركب سيارتها بينما كان هو ماراً بسيارته بالطريق المعاكس لها.. لقد كان في طريقه
لمقابلة عمل خارج الشركة مع عميل جديد جاء إليه خصيصاً من روما.. أمسك هاتفه كي
يحادثها ولكن بنفس اللحظة هاتفته سكرتيرته الخاصة لتخبره عن بعض الأمور ومن بعدها
غرق في سلسلة مواعيد عمل أهله عن مهاتفة زوجته التي خرجت اليوم من دون أن

تخبره ولكن مؤكداً هي تملك أسبابها وهو لم يفكر بالأمر بنية سيئة فقط سيسألها أين كانت وهي ستخبره..

في المساء بمجرد أن دخل من باب المنزل جاءته هي راكضة ومحتضنة إياه بقوة بينما كانت تقول:

- وحشتني أوي وبجد اليوم يكون طويل من غيرك...

تغيرت ملامحه وعلتها الدهشة ثم سألها ببعض السخرية:

- ليه هو انتي مخرجتيش انهاردة ولا ايه؟

وهي خلعت عنه سترته ثم قامت بوضعها بمكانها وقالت ببعض التذمر:

- هخرج أروح فين.. بس عادي حتى أنا والحيطان بقينا أصحاب أوي..

نظر إليها بسكون للحظات أثارت الخوف داخلها ثم تركها ودخل غرفة نومهما غاضباً وهي تعجبت ولحقته.. فضولها دفعها كي تسأله:

- مالك؟

نزع رابطة عنقه وحاول أن يستعيد هدوءه..

لم تكذب وماذا تخفي عنه فهو يجب أن يعلم ولن يتنازل عن إجابات مُرضية..

- مخرجتيش إنهاردة صح.

عقدت حاجبها محاولة الفهم وقد تسرب إليها الخوف والذعر فهل من المعقول أنه بات يعلم بكل شيء وحينها تلقائياً تذكرت مروان وما قاله لها اليوم:

- فريدة أنا هسب أسما..

وأضاف بعدما بث سمه في عقلها بينما كانت غارقة في محاولة فهم سر سيطرته الغريبة عليها..

- وإنتي السبب..

وأخبرها بعدما قرأ في عينها أن إبراهيم لم يخبرها بأي شيء وهذا المتوقع ولكنه أراد التأكد فكيف له أن يخبرها بوضع أخته الخاص جداً والذي نجح بدفنه وإخفائه عن الجميع..

- كل ما أقرب منها بتخيلك إنتي.. قلبي يقول فريدة وعقلي يقول أسما زيك

بالضبط.. قلبك يقول مروان وعقلك بيدور على الأمان مع إبراهيم..

وضعت يديها على أذنيها ثم وبخته وسبته ولعنته ورحلت ولكن طيفه رحل معها ولم يفارقها إلى الآن فلقد استطاع بذكاء أن يلعب بأفكارها مثلما يفعل على الدوام.. هي تجاهد وتقرر وتنفذ وتظن أنها أقوى منه وهو بكلمة منه يقلب مكانها رأساً على عقب.. ظلت طوال اليوم تستعيد كلماته وتفاضل وتشتكي القرار ولكنها اكتشفت أنها بالفعل لا تريد التنازل عن أي منهما..

أنها تريد كلاهما.. ولكن كيف يا فريدة فلا بد من قرار..

استمعت لإبراهيم يقول بعصبية:

- خرجتي ولا مخرجتيش من البيت أظن سؤالي واضح..

وأجابته بسرعة:

- لأ.. أه.. إبراهيم هو فيه إيه مش فاهمة حاجة؟.. هو إنت متعصب ليه كده؟

اقترب منها وسألها بعيون يقده منها شراراً..

- شفتك إنهاردة الساعة ٢ الظهر يامدام.. طلعتي من كافتيريا الكورنيش وركبتي عريبتك..

وهي تساقطت دموعها.. لقد وقعت بالمحذور.. هو رآها وهي أنكرت وأبدأ لن يصدق أي مبرر منها..

ظل يدور بالغرفة ذهاباً وإياباً.. يحاول أن يهدأ وهي تثير جنونه ببكاءها أكثر حتى بدأ يشعر أنه سيرتكب جريمة..

- فريدة انطقي .. كنتي فين انهاردة؟
وأجابته بصوت متهدج:

- فاكر الرسالة اللي جاتي الصبح وأنا قولتلك مشكلة عند واحدة صحبتي.. اللي حصل أنه... سألها بعصبية:

- إيه اللي حصل؟

وهي جاوبته بعدما التقطت أنفاسها مجدداً:

- أنه أنا قابلتها في الكافتيريا اللي بتقول عنها..
وأضافت:

- كان فيه مشكلة عندها كبيرة بينها وبين جوزها وأنا حاولت أتدخل عشان أحلها و... قاطعها ليقول:

- وإيه اللي يخليكي تخبي موضوع زي ده؟ لأ وكان تكذبي عليا..

قالت مبررة وبكثير من الدموع ولم تكن دموع تماسيح فنظراته الحانقة الغاضبة وصوته العالي وعصبيته الزائدة جميعهم جعلوها تهابه بالفعل..

- أنت مبتجنش اتدخل في أمور زي دي وأنا خفت أزعلك وفي نفس الوقت هي ملهاش غيري..

واستطردت عندما وجدته صامتاً ونظراته معلقة بها لا تحيد..

- إنت مش مصدقني!.. والله العظيم هو ده اللي حصل لو تحب أنا ممكن أكلهمالك تسألها..

كانت سترحل كي تجلب هاتفها ولكنه أوقفها وأمسكها من ذراعها بقوة جعلتها تتأوه من شدة الألم..

- أنا أكثر حاجة في حياتي بكرهها هي الكذب أوعي تعيدها تاني..

وبعدها حمل وسادته وأغلق الباب خلفه بقوة أفزعته .. قضى ليلته وليال بعدها في غرفة أخرى ولم يكن يعاقبها بل كان بالفعل يشعر بالحنق منها ..الشك أيضاً بعد أن جال بخاطره مواقف أخرى وتصرفات كان قد تعجبها منها وظل يحاول الربط بينهما عله يفهمها هي زوجته وحبيبته..
من كذبت عليه بكل أريحية..

ستفقد عقلها..

سموت قهراً عليه وحزناً..

أربعة أيام لم يعد فيهم للمنزل فقط يتحدث كي يطمئن عليها بضعة ثوان وينهي المكالمة قبل أن يترك لها المجال كي تطمئن هي عنه..

لماذا يتصرف معها هكذا رغم أنه يعلم أنها لا تمتلك غيره في تلك الحياة فهو باختصار

كل شيء لها..

ما يجب عليه أبداً أن يفعل به هذا ويحرمها من حقها في حياة طبيعية كبقية البشر.. هي
تُعذب بغيبابه ويتملكها الذعر عليه والقلق ويأليته يعلم ويشعر بالمعاناة التي تعانيها وحدها
وبسببه..

رفعت رأسها من على سجادة الصلاة المبتلة بدموعها عندما استمعت لصوت باب الشقة
يُغلق.. انفرجت أساريرها فلقد عاد الغائب واستجاب الخالق وستتحسن حياتهما من
جديد.. أنهت صلاتها وذهبت إليه واصطدمت به بينما كان يخرج هو من غرفته ويحمل
معه حقيبة!

سألته بصوت قد أخفت ملامحه الصدمة:

- إيه الشنطة دي يا عمر؟

خفض ناظره فبالأساس هو يشعر بالجل الشديد من نفسه ووحدتها من تمتلك الحق في
محاسبته.. هي فقط من يسمح لها..

- أنا لازم أبعد فترة .. خدي بالك من نفسك يا علا وأنا ها كلمك كل يوم اتطمئن
عليكي..

كان سيرحل ولكنها وضعت يدها على صدره وأوقفته.. قالت بهوان:

- هتكلمني؟!.. لا بجد كتر خيرك أوي..

وانتزعت الحقيبة من يده وقالت بعد أن ألقت بها لمسافة بعيدة وأخبرته بانها:

- وليه تسأل أصلاً ولا نتكلم مهو إنت خلاص مبقاش فارق معاك حد ولا أي حاجة
غير الزفت اللي ماشي وراه ومضيعنا كلنا..

ودفعته بعصبية أكبر وقالت بينما سيل جارف من الدموع قد احتل وجنتها الساخنة..
- أنت فارق معاك حد ولا حاسس بحاجة أصلاً..

وهو صرخ بها كي يوقفها.. روحه تستقر بأنفه ولا يتحمل كلماتها السامة الجارحة
تلك.. قال بينما كان يحمل حقيبتها التي قامت منذ دقيقة بإلقائها ثم اتجه نحو باب المنزل..
- كفاية.. إنهمادة بالذات بلاش موشحك ده.. أنا على أخرى ومش مستحمل..
وهي ذهبت خلفه أمسكت بيده وقالت متوسلة:

- أنا أسفة.. مش هتكلم خالص ولا هقولك تعمل إيه ومتعملش إيه بس عشان
خاطري متسبنيش وتمشي..

ولا يعلم ما حدث له.. وكأنها أشعلت حرائق ب صدره.. لم تصعب عليه كل شيء فلتتركه
وشأنه.. لم ينطق ولم يمتلك الجرأة كي يلتف لها ويشاهد دموعها التي تذرّفها من أجله..
رباه إنه لعنة يزرع الحسرة في قلوب من حوله ويدمرهم لذا كان يجب عليه أن يرحل
ومنذ فترة.. هكذا أفضل.. سيعتصر قلبه ويثبت على قراره ولن يتراجع فوجوده معها
معناه أن يلقي بها وسط نيران الخطر.. هو يجب أن يرحل ويبتعد وهي مؤكّداً ستعتاد على
غيابه وتناقلم على العيش بمفردها.. يعلم جيداً أنه بالأخير راحل لذا إن كان الغد أو اليوم
فما الفارق فهو يدرك أن أمثاله لن يكتب لهم حياة طبيعية آمنة فذلك الشيء كالسّم
يجري بعروقه مجرى الدم ولن يتركه إلا وهو جثة هامدة لا نفع لها ولا فائدة بعد أن
يتمص منه كل هرمونات الحياة..

- عمر؟! بصلي طيب..

أدار وجهه لها وهي لم تستطع الانتظار أكثر فأسرعت نحوه محتضنه إياه وهو أحكم يديه

عليها وتمنى لو كان عاد بوقت متأخر أكثر وتفادى مقابلتها فوكدًا حينها رحيله كان سيكون أسهل..

قال لها بالأخير:

- أنا مش عاوزك تفكري إني همشي من البيت بسببك بالعكس أنا ماشي عشانك..
وهي رفرت بأهدابها المبللة عدة مرات ثم سألته:

- يعني إيه عشاني؟

تنهد وأغمض عينيه ثم ابتلع ريقه:

- مش هقدر أقولك غير إني وجودي هنا بقا خطر عليكي..

وأضاف بعد أن طبع قبلة على رأسها:

- لا إله إلا الله..

ورحل وتركها متسمة مكانها وللتواستطاعت فك شفرات كلماته المهمة المائعة والقاتلة.. عمر بخطر؟! مهدد.. يا إلهي لقد وصلت الأمور لدرجة أسوأ مما تخيلت بكثير..
قالت منادية وكانت تصرخ وليته يسمع..

- عمر؟!!

الفصل السادس والعشرون

ليتنا لم نلتقي منذ البداية، ليتني يومها تأخرت في النوم عشر دقائق أخرى، كنت اختصرت عمراً من الوجود...

نزار قباني

ما زالت فريدته.. زوجته التي يعشقها رغم كل شيء والتي قرر أن يبتعد عنها حتى يظهر دليل براءتها أو إدانتها..

والأدلة عند العاشق لا تحتاج مجهود خرافي.. فقط يستفتي قلبه..

والقلب يبطئه طبقة وعلى قدر سمكها نرى الحبيب وتلك الطبقة إما تغذيها بالحب والاهتمام فتصبح صلدة متماسكة وربما تظل تنحل حتى تهترأ وتمزق وقلبه هو ما زال متعلق بخيط رفيع يتشبث به ويحاول بكل قوته أن يحميه من تمزق كامل لا اصلاح له ولا ترقيع..

للتوانبه أن قهوته الصباحية قد بردت وأصبحت بلا طعم وبلا تأثير بسبب شروده بها وبحياتهما معاً والتي أصبحت مؤخراً لا تختلف كثيراً عن مذاق تلك القهوة الفاتر..

لم تكن تلك البداية.. كانت كل خلاياه تهمس له باسمها.. كان أسيراً لعيونها العسلية الداكنة فلا هي أخذت لون حبات القهوة ولا اكتسبت لون العسل بل ظلت تتأرجح بينهما..

واليوم يشعر بأنه غارق في الكثير من الأحاسيس..لقد أصبح واثقاً من أنها تخفي عنه شيئاً هاماً كما أن تصرفاتها التي باتت حذرة أكثر من اللزوم في تلك الأيام تثير وتغذي تلك الشكوك داخله أكثر حتى اقتربت من التهامه ولم يكن الشك من ينخر داخله فقط ولكن هناك الشوق والحب الذي ولد بقلبه على يديها ومن أجلها وهناك الحنين لذكريات تجمعهما كان يظن حينها أنه أسعد رجل بالعالم..

وكان يظن..

وهي يبدو أنها اعتادت جفائه..تتلاقى الأعين فتهرب بعينها بعيداً دون حديث ولا تدري إن كانت عينيها بالفعل نجمة منه أم أنها تستخدم طريقة جديدة تسترد بها زوجها الضائع منها...

وفي النهاية كعادته تلك الأيام يرحل للعمل دون أن يتفوه بكلمة ويتركها هي مع أشواق ضميرها التي تخرها لأنها أضاعت من يديها ثقة رجل كان متيماً بها حد الثمالة..يرحل ليغرق في العمل ويتركها مع هواجسها التي تأكل رأسها وتجعلها تتخيل مشهد فراقهما وطردها من حياته كل ثانية في الدقيقة..

وتموت فريدة من جفاء إبراهيم...

عدة أيام كانت كافية بالنسبة لها كي تستعد نفسياً لخوض المغامرة مع ذلك الرجل الغامض.. لاعب الكرة الذي هجرته الملاعب منذ فترة وأعطته بدلاً من تلك الكرة التي كان يراقصها بقدمه مطواة بين أصابعه وخوف من شيء ما يسكن داخل عرين عينيه..

حادثته كي تلتقيه وتعيد إليه حافظة نقوده التي أصبحت غالية القدر جداً على قلبها المشتاق لمغامرة مع رجل مثله.. مغامرة تنسيها واقعها الذي تجاهد بشتى الطرق كي تعتاد عليه أو تتجاهله وتحي من عقلها ذنب تحمله داخل ضلوعها ويمزقها كلما التقت عيونها بشقيقتها المدمرة بسبب غيرتها وحقدتها وكلما صادفت أبيها الذي أنهكتها الهموم وبات كشبح يتنفس ولكن لا يعيش..

تهدت.. هي جاءت هنا كي تنسى.. ألن ترحل عنها كل تلك الأفكار وتركها؟! فوجئت بوقوفه أمامها وتعجبت فلقد كانت تنتظر قدومه وعينها لم تفارق بوابة المقهي؟! لا تعلم ما حدث لها فلقد اصطدمت برؤيته وهو صاحب طلة قوية كنجم سينمائي وسيم وبجدارة جعلها ترسم أحلاماً تخص مشهد قبلة النهاية..

كان من المفترض أن يلقي السلام .. مرحبا .. أي شيء ولكنه صامت كالعادة ينتظر أن يأخذ أمانته كي يرحل وهي لن تسمح تلك المرة قبل أن تفك لغزه..

قالت مبادرة طالما الطرف الثاني لن يفعلها:

- مساء الخير..

شبه ابتسامة ظهرت على فمه ولا تعلم إن كانت حقيقية أم ساهرة ولكنها بالفعل ساهرة ثم سرعان ما تلاشت وفاجئها بالقول وهي لم تفهم لم هو حانقاً هكذا:

- مش قولتلك استنيني برة الكافيه دخلي ليه؟؟

تبدلت ملامحها بسبب حدته المبالغ فيها وسلبها الغضب الابتسامة الخافتة التي كانت تزين ثغرها ثم أحمر أنفها ووجنتها وقالت وكانت عضلة لسانها تتحرك لا إرادياً:

- هو الكافيه مكتوب عليه ممنوع الدخول أصلي بجد مخدش بالي وبعدين أنا جاية

أرجعلك أمانتك يا كابتن يعني لا هو موعد غرامي ولا إنت تعرفني أصلاً عشان نتأمر
وتتشرط عليا..

لقد تهورت مؤكداً وتحذث بصورة غير لائقة ومؤكداً هذا الوحش الكامن خلف ملامح
الوسيم سيخرج وحتى أنها توقعت أن تجد مطواته العزيزة تحفر إسمه على وجهها كي تتعظ
وتأخذ عبرة من أغلاطها ولكنه خالف توقعاتها فقط بسط يديه كي تعطيه حافظة نقوده
دون أن يتفوه بكلمة وكأنها كانت تحدث نفسها منذ قليل..

ما هذا الشخص حتى الجبل يهتز والثلج يذوب والشمس تفقد سطوتها أمام الغيوم
ولكنه يحتفظ بمجوده بطريقة مبالغ بها جداً والغريب أن هذا يحفز داخلها رغبة في
التقرب منه لا الهروب والنجاة..

اغتاظت داخلها ولوت شفيتها بطفولية لن ينكر أنها لفتت أنظاره.. وضعت يديها داخل
حقيبتها ثم أعطتها له قائلة بتذمر وإحباط تعمد تجاهله :
- اتفضل..

وكاد أن يرحل.. والرحيل بتلك اللحظة سيكون أبدي ولكن لن تكن بشرى إن سمحت
بأن يهرب من يديها هذا الوسيم بسهولة فنادته:
- كابتن عمر..

توقف ونظر لها بطريقة شعرت هي أن معناها الوحيد..

" انجزني مش فايقلك "

أخبرته:

- أنا طلبتك إكسبريسو معايا ممكن تستني تشربه الأول؟!

سألها بعد أن عقد حاجبيه متعجباً منها.. أهل هي جريئة أم ساذجة حتى تقترب من عمر سليم؟ ولكنه يعلم الإجابة فهي على ما يبدو أنها معجبة ومفتونة ومتطلعة لمغامرة جديدة يكن هو قائدها فهو يمتلك من الخبرة ما يؤهله لفهم نظرات النساء ورغباتهن دون تصريح ولكن عذراً يا فتاة هذا العهد بالنسبة إليه قد ولى وانتهى..

- ليه؟

وهي تخنحت لتجيب ببعض الحرج:

- عادي يعني..

- أيوة ليه؟

ما بال هذا الرجل أصبح كمسجل رديء يكرر الكلام وفقط؟!

- مش عارفة مالك في إيه؟!.. بقولك طلبتك قهوة بس كده..

عم الصمت على الأجواء للحظات بعد أن غرقت في بحر عينيه رغبة منها في سبر أغواره وكشف غموضه ولكنها تاهت عن الهدف الرئيسي وتحولت نظراتها لأخرى هائلة ويبدو أنها قد تعدت مرحلة الثمالة بكثير فقد سألته فجأة:

- كنت هربان من إيه؟

أهل يحق قتل الفضولين؟! محوهم تماماً من الوجود كي لا يتكاثروا ويصعب بعدها

التخلص منهم.. ما شأنها به؟ هل تظن لأنه قد هددها بالمطواة ذلك اليوم فذلك يعطيها

الحق في التماذي معه هكذا؟ هو برأسه مائة موضوع وألف حكاية ولا ينقصه ثرثرة

مثلها..

تأفف ونظر بضيق ثم توحشت نظراته عندما أخذته أفكاره إلى نقطة أخرى بعيدة.. فهل

من الممكن أن تكن صحفية أو إعلامية تسعى لسبق صحفي على حسابه؟
 لم تفهم ما يحدث فقط وجدت يديه تعبت بحقيبتها الخاصة وتفرغ كل محتوياتها وكان
 يبحث عن هويتها أو أي شيء يثبت جنوح أفكاره وتوقعاته وهدأت أنفاسه وقلت حدة
 نظراته عندما لمح تلك الجملة في هويتها
 " حاصلة على بكالوريوس تجارة أنجلش " ..أي أنها بعيدة كل البعد عن الاعلام
 والصحافة وخلافه..

نظر إليها وكانت بالفعل مشدوهة.. مصدومة من جرأته ومما فعل وهو لم يبرر لها أي شيء
 وليس هو ذلك الشخص الذي يبرر تصرفاته فقط أعاد إليها حقيبتها وقال بطريقة لا
 تراجع فيها ولا نقاش:

- امشي وياريت مشوفش وشك تاني..

تجمعت أنفاسها كلها في حلقها وتعثرت عن الدخول أو الخروج فشعرت فجأة أنها لا
 تستطيع التنفس.. رغبة في البكاء سيطرت عليها حتى أن عينيها قد بدأت بتجميع بعض
 قطرات الدموع والتي كانت تجاهد كي لا تسقط أمامه وتحفظ ماء وجهها ولكن كل
 قواها لم تمكنها من ذلك واستسلمت لفكرة أنها ستبكي أمامه لا محالة.. لم ينقذها من تلك
 الإهانة سوى رجل ضخم عظيم الجثة تقريباً يبلغ ضعف حجم عمر وهمس بالقرب منه
 قائلاً:

- يلا يا عم الناس ييسألوا عليك جوة...

ورحل دون أن ينتبه لتلك المزهرية التي كان يقف معها والتي انفجرت في البكاء بعد
 رحيله بسبب إهاتته لها وبسبب تعامله الفظ طوال الوقت حتى أنها كانت تشكك في

صلته بكرة القدم فذلك السخيف لا يليق به سوى الملائكة.. خرجت وكانت دموعها هي من تقودها نحو سيارتها والتي اكتشفت للتو أنها لا تحمل مفاتيحها.. ظلت تبحث عنها في حقيبتها ولم تجدها فازداد معدل البكاء وارتفعت حرارة العبرات حتى أنها شعرت بسخونتها على وجنتيها..

ياله من يوم سيء للغاية..

حاولت أن تلهم شتات روحها وأفكارها من وسط دموعها وتذكرت أخيراً أن آخر مرة قد رأت بها مفاتيح السيارة كانت بيد عمر التي أفرغت محتويات حقيبتها أمام عينيها.. عادت سريعاً إلى داخل المقهى ولم تجد المفاتيح على الطاولة المنحوسة.. قامت باستجواب النادل ولكنه أخبرها بأنه عندما قام بتنظيف الطاولة كانت فارغة تماماً.. همست داخلها.. "عمر.. المفاتيح معه مؤكداً"

داهمتها بعض الشكوك بأنه ربما قد يسلبها السيارة وهذا ما ينقصها.. يا إلهي ماذا فعلت هي بنفسها؟!

من هو؟ أهو لاعب كرة أم سارق ولص محترف وصاحب سوابق إجرامية؟ والجواب لن يحتاج مجهود كبير منها ففي البداية هددها بمطواة والآن قد سرق مفاتيح سيارتها بكل أريحية وهي بكل حماقته وثقت به وساعدته بإكمال خطته بل كانت تقريباً تطارده لأنه وسيم؟!.. فعلى ما يبدو أن حتى أذكى النساء تملكهن الحماقة أمام الرجال الوسيمين وخاصة المشاهير منهم..

عزيزتي بشرى الوسامة ليست كل شيء وشرير الحكاية لا يشترط أن يكن قبيح المنظر وحكايات قبل النوم تلك لا علاقة لها بأرض الواقع وسيارتك المسلوقة خير دليل..

وكانت بتلك النقطة قد ظلمته فقبل أن تخرج من بوابة المقهى كان قد التفت إليها ورمقها بنظرة فضولية كي يتأكد من رحيلها ولكنه انتبه لشيء يلعب على الطاولة التي تركتها فعاد ليكتشف أنها نسيت مفاتيح سيارتها.. فكر هل يخرج خلفها؟ ولكن تلك الثرثرة قد عطلته بالفعل بما يكفي وهو لديه أمور أهم منها وأفضل ولا تحتمل التأخير أكثر.. قرر الاحتفاظ بهم وبعدها سيعيدها إليها بوقت آخر.. أي وقت لكن غير الآن.. وأما عنها فهي ظلت بمكانها عدة ثوان منتظرة رؤيته فهي تعلم جيداً أنه لم يخرج بعد .. فتشت عنه بعينها بكل الاتجاهات ولكن لم تجده، حادثته عدة مرات وكانت تلك الرسالة السخيفة نفسها تكرر على أذنيها بأن الهاتف خارج نطاق التغطية .. مؤكداً لن ترحل من ذلك المكان قبل أن تصل لعمر وتأخذ منه مفاتيح سيارتها العزيزة.. انزوت بأحد الأركان بيأس والذي سرعان ما تلاشى بسبب رؤيتها لذلك الرجل الضخم الذي همس له بأذنيه عن شيء هي لا تعلمه.. ركضت نحوه وكانت تقول لاهثة:

- من فضلك ممكن تبلغ عمر ضروري إني عاوزة أشوفه..

وقال بعنجهية لا تناسب ملامحه الكريهة المثيرة للغثيان ولا جسده الذي يصلح كحائط سد في مباراة وتعلم أنه لن يمرر الكرة أبداً وسيقوم بواجبه الدفاعي على أكمل وجه..

- عمر مين؟

وهي قالت بصوت متهدج تسلل إليه بعض الخوف:

- عمر.. عمر سليم..

أجابها سريعاً ليثير تعجبها:

- مفيش حد هنا بالاسم ده..

قرأت في عينيه تحذيراً بعدم الاعتراض لذا فضلت الخروج والمكوث والانتظار بجانب
سيارتها حتى يخرج الغامض الصامت اللفظ وفاقد الذوق والاحترام من عرينه وتأخذ
مفاتيح سيارتها وبعدها لن تطارده.. ستهرب وتتجو بنفسها فعلى ما يبدو أن مغامرات ذلك
الرجل مؤذية ومخيفة و.. خطيرة للغاية..

وللعبة قواعد يحفظها جيداً وأولى قواعدها أنه لا ضمانات ،لا تراجع ولا مجال للإحباط
والاستسلام فمن عادة الحظ أنه لا يصاحب البائسين معدومي الإرادة..
جلس على مقعده الذي يتفاءل به ولا يقبل بالجلوس وقت اللعب سوى عليه فلقد شهد
ذلك المقعد انتصاراته وأيضاً نكباته على مدار عامين وأكثر..
استمع لصوت أحدهم يقول وكان متذمراً:

- إيه يا عم التأخير ده كله؟!.. إحنا خلاص كنا هنبدأ من غيرك..

وهو تجاهله وتنهده.. رأسه يفكر فقط بالمكسب الذي لن يتنازل سوى بالحصول عليه
فالبارحة قد حالفه الحظ ويأمل بأن يحالفه اليوم أيضاً وهكذا بعد عدة أيام سيستطيع
تسديد ديونه ومنها يشتري حياته ويلتقط أنفاسه..

أخرج خمسة آلاف من جيبه كبداية للرهان.. حصل على أوراقه وتمعن بها ثم بدأ يتأمل
الوجوه من حوله محاولاً استكشاف أوراقهم من تعابير وجوههم وبعد نصف ساعة
قضاها في حرب أعصاب باردة وضع أوراقه على الطاولة قائلاً بفخر:
- ستريت فلش..

والثاني الذي يجلس مقابله وكان يهابه كانت أوراقه " هاي كارد " وبعد أن عرض الخمسة الآخرون أوراقهم ملأت السعادة شذقيه بعد أن اكتشف أنه صاحب أفضل الأوراق أي النصر في تلك الجولة..

هل يكتفي وينسحب بما كسبه من أموال؟

ظل هذا السؤال بعقله وتجول به كثيراً فالمغامرة تلك المرة كبيرة وعصفور في اليد يا ولدي خير من ألف على الشجرة ولكن في الجهة الأخرى هناك مكسب مغري ومال إن كان من نصيبه ستتحقق كل الأحلام وتنتهي كل المشاكل والحظ على ما يبدو أنه معه الليلة ومن الغباء ألا يستغله ويستنزفه لآخر قطرة..

تهد مرة أخرى وتراجع حماسه بعد أن تذكر المرة التي تسببت في قطع ظهره منذ شهر تقريباً فبسبب تهوره ورغبته في تعويض خسارته قام باستدانة مبلغ خرافي من مالك ذلك المكان الذي من الواجهة مقهى نخم ومعروف بالبلدة اعتاد الذهاب إليه عائلات محترمت ومن الداخل عبارة عن صالة قمار خفية تحوى الكثير من القاذورات وما خفي كان أعظم..

وكان داخله يصرخ " كفى عمر .. انسحب ولا تطمع "

استسلم لنداء عقله وكان سيتراجع ويشهر انسحابه لولا الرجل الذي يجلس مقابله والذي قام بإخراج دفتر شيكاته وأخبره بتحدي:

- تراهن على اللي كسبته؟

ذلك التحدي منحه طاقة خرافية والمكسب مغري للغاية والمجازفة خطيرة وهو رجل المغامرات ولن يهرب فوافقه وخاض التحدي وبدأت الجولة الثانية..

وخسر الجولة الثانية والثالثة وخسر معهم كل ملهم يملكه في جيبه..
والخسارة بحد ذاتها حافز فإن كان قد تردد وقتما كان المكسب لصالحه وظل يتردد بين
الانسحاب والمواصلة فهو مع الخسارة يتحول لشخص آخر من الممكن أن يبيع جلده
ولحمة من أجل التعويض وبتلك اللحظة يكتشف فيها أن عمر سليم اللاعب الرياضي
المشهور قد تخطى في إدمان البوكر مراحل كبرى..

ماذا يفعل الآن وكيف يعوض ما خسره بعدما خسر كل ما يمكن أن يضعه على تلك
الطاولة اللعينة والتي ابتلعت كل شيء فقط تركت له شعور جارف بالفشل ورغبة في
تخطيم ذلك المكان بأكله على رؤوس مالكة ورواده..

ابتلع ريقه وتناول بضعا من مشروبه الأحمر كي يهدأ قليلاً وحينها داهمت عضلات
كتفه بائعة هوي قررت أن تهدأ من روعه وتلقائياً أزاحها بعيداً عنه فداخله يتفحم
ويشتعل وما كان ينقصه سواها.. وضع يديه في جيب بنطاله من جديد وكان يفتش عن
أموالاً يعلم ويثق بعدم وجودها وتفاجئ بعدم خروجها خاوية كما توقع بل التصقت بها
مفاتيح سيارة تملكها فضولية حمقاء ثرثرة..

هل يراهن عليها؟ ولكنها لا تخصه.. ماذا لو خسرها هي أيضاً؟ ولكن هناك سؤالاً آخر
يجب أن يطرح فإذا لو كسب الرهان وفتحت تلك المفاتيح بوابة الحظ والمال من
جديد؟!

بعد دقائق من التردد والتفكير استسلم ووضعها على الطاولة وقام بالرهان عليها ليخسرها
في النهاية...

ومع خالص الأسف والأسى له و... لها..

ظلت طوال النهار تعيد حساباتها من جديد.. تقيد ما لها وما عليها بدقتر وهمي لا وجود فعلي له على أرض الواقع ولكنها نقشته في عقلها بحروف من نار.. شيء من داخلها يهمس لها بأن المفاضلة غير عادلة بالمرّة ومن الغباء أن تخسر إبراهيم من أجل مروان فتصرفاته المريبة وزواجه من أسما بحد ذاته يكفيها بالألا تمنحه ثقتها وتسلم له.. فقط لو تستطع أن تخرجه من حياتها.. ليتها تستطع فاللعنة على ذلك الشعور الذي يسيطر عليها فور رؤيتها له وكأن جزءاً من خلاياها ملكٌ له يسيطر عليه ويتمرد عليها.. ولكن أيضاً لإبراهيم مكانة خاصة داخلها فهو الحب والسلام والأمان والراحة النفسية والسند وأشياء كثيرة..

نتيجة المباراة التي تحدث داخل عقلها مازالت حتى الآن تعادل ولكن على أي حال وحتى تمتلك القدرة على حسم الأمر قررت ألا تخسر أي منهما..

إن نفذ مروان ما وعدها به وترك الحمقاء الأخرى فحينها ستفكر في عرضه وتفاضل وترى من منهما يحمل أكبر رصيد لديها ويملك الأغلبية من أسهم مشاعرها حتى تختاره ولكن حتى الوقت الذي يحدث فيه ذلك هي يجب أن تستعيد ثقة إبراهيم وتعيد البساط إليها من جديد فذلك الجفاء الذي أصبح يغلف حديثه الاضطراري معها لا يمكنها احتمالاه أو تقبله..

ولكن في النهاية هي فريدة ما إن وضعت شيئاً داخل عقلها يتحقق وهي انتوت أن هذا الشجار سينتهي أمره الليلة وأن تعود المياه لمجاريها ولم يتبقى الكثير على عودته للمنزل لذا فعلها التخطيط جيداً..

الهدف .. استعادته..

وكل الأساليب مباحة ومشروعة..

والنتيجة تستحق محاولة مُستمِية..

والأدوات المستخدمة..

طلاء شفاه بطعم التوت..

غلالة مثيرة..

عطر آخاذ..

وحمام محشي فريك "دليفري"

والأدوات أصبحت جاهزة فقط كانت تنتظر بدأ المباراة التي راهنت علي كسبها بقلبها

ومشاعرها..مباراتها مع زوجها العزيز الذي هجرها ويعاقبها والذي قد عاد للتو ليصفر

الحكم معلناً بدايتها..

بمجرد أن تجمعت أعينهما ركضت نحوه محتضنة إياه وسددت **الهدف رقم واحد** في شباك

مرماه..

قبلت يديه بدلال ونعومة وهمست له قائلة:

- حبيبي سامحني..

هدف رقم اثنان..

- أنا مقدرش استحمل بعدك..

هدف رقم ثلاثة..

- أنا بحبك..

هدف رقم عشرة..

ومبادرة لقبلة بشفتيها المغوية الماجنة..

هدف رقم مائة..

والنتيجة أنه أبعدا عنها وللتو اكتشفت أنه كان ساكناً طوال الوقت ولا يتحرك فقط يتابعها دون رد فعل واضح وبالأخير رحل للغرفة التي يقيم بها منذ عدة أيام ليتركها وحيدة مع الحمام المحشي؟!!

شعرت بإهانة بالغة جعلت الدموع تتجمع في عينيها ووجنتها باتت ساخنة لدرجة لا تحتمل.. هي حاولت إرضاءه بشتي الطرق وأشهرت كل أسلحتها تجاهه وهو **قصف** **جبهتها** ببروده..

وخسرت فريدة أول مباراة ضد إبراهيم منذ عمر زواجهم الذي قد اقترب من العام والسبب كان كذبة منها والأمر لديه قد تخطى مرحلة الغفران باعتذار وقبله..

" أنا مش هبعد ثاني يا روز أنا بعدت مرة عشانك والمرة دي هاقرب وأقرب وبرضه عشانك "

وضعت يديها على أذنيها عليها تحرس ذلك الصوت الذي بات يلزمها كظلها.. ما بالها؟ وكيف استطاعت تلك الجملة أن تخرق قوقعتها الفولاذية وتسمح لنفسها بأن تتردد صداها في أركانها..

ربما هي تأثرت بها لتلك الدرجة لأن مازال هناك جزءاً ضئيلاً منها ينشد الحماية وينبذ الوحدة.. يرغب بالأمان وقد وجدته بنبرة صوته التي كانت تحمل الكثير من الدفء وربما

هي أيضًا قد تأثرت بكلام أخيها الذي أجابها على اتهاماتها الكثيرة بأنه قد استدرجها وخدعها واتفق معه عليها وأنه أزعجها وأنها غاضبة منه ولن تسامحه ببجلة وحيدة..

"أنا واثق في ياسر وياريت نثقي فيه إنتي كمان"

نعم.. لقد تأثرت بكلام أخيها ولكن هل هذا يكفيها؟

بالطبع لا.. وهل فاقده الشيء يعطيه؟

كيف نثق ولماذا من الأساس ومن الحماية أن تقع بنفس الخطأ مرتين..

خرجت من عينيها دموع متمرده مزقت قلبها وقطعته إرباً ثم ابتسمت ساخرة عندما

تذكرت عرض الصداقة خاصته!

لم نثق به وكيف توافق على وجوده جانبها حتى كصديق كما أدعى بعد أن اكتشفت أن

الحب يقابله الخيانة وأن الأخوة يقابلها حقد فماذا ينتظر بعدها من الصداقة؟!

مازالت تتذكر ذلك اليوم المشؤم.. تتذكر شعورها بالسعادة فقد كانت كطير شارد حر

ذبحه بسكين ثلم وتركه يتخبط بالطرقات حتى فقد عينيه أيضاً وكأن فقدان الروح لا

يكفي..

مازالت تتذكر وتعلم أن أختها من تجري في عروقها نفس دمائها هي من خططت

لدمارها وكسر قلبها بدم بارد!

هي لم تنسى وإن تناسست الظلام الملتصق بعيونها يُذكرها وإن تريدونها أن تنسى وأن تشفى

فلتفقدوها الذاكرة..

فلأنها لا تنسى مازالت تنزف ولأنها مازالت تنزف قررت أن تختبئ من أي أوجاع

محتملة ومن مشاعر كانت على الدوام تكسرهما..

هي لا تريد الصديق ولا الأخ ولا حتى الأب فارتباطها بهم من جديد يعني استمرار
النزيف وهي لا تعرف طريق الحياد أو الوسطية..

إما أن تحنو أو تقسو..

تقترب حد الاحتراق أو تبتعد حد الجفاء..

تحيا بكل جوارحها أو تتحول لكلمة جامدة لا شبهة بها لأي معالم الحياة..

وطالما كذلك فهي قد قررت..

ستقسو وتبتعد وتجمد وهكذا أفضل..

خرجت من صراعاتها بسبب صوت طرقات باب خافتة على غرفتها وكانت أسما والتي
سرعان ما ركضت نحوها احتضنتها بكل جوارحها.. لا تعلم ماذا أصابها؟ وكأن مشاعرها

وضعت بخلاط كهربائي فلم تعد تعلم من هي وماذا تريد؟

يا إلهي لم لا تسمحون لها بأن تقتل كل معالمها الحية؟ لم لا تتركوها تموت بهدوء؟ هي

تسير على خيط رفيع بين الحياة وبين الجمود وتسدد الثمن قهر ووجع وألم ونزيف لا

يتوقف وأنتم تعيدوها لبداية الخيط من جديد..

لم تنفوه فيروز بكلمة ولم تستطع أن تنهرها أو تعاقبها على اقتحام قوقعتها فبالنهاية هي ستظل

أسما الصغيرة الرقيقة والتي تمتلك نحوها شعوراً فطرياً بالحماية وإن كانت هي من تحتاج

تلك الحماية الآن لا أسما..

قالت فيروز:

- العروسة عاملة إيه؟

وأجابتها الأخرى بسخرية:

- العروسة هتعيد السنة.. النتيجة ظهرت إنهارده راسبة مع مرتبة الشرف..

صمتت فيروز لتقول بعد فترة سكون:

- مش مهم.. هتعوضها السنة الجاية وتتخرجي إن شاء الله..

ضمت أسما أصابع فيروز لتقول:

- أنا مش زعلانة عادي.. يعني ده شيء متوقع أصلاً..

وقالت ممتنة:

- لولا كي إنتي وإبراهيم كانت كل حاجة هتكون أسوأ..

دفة الحديث تسير نحو طريق لا تحبذه..

المشاعر.. الأخوة.. الحب..

قررت أن تغيره بمحمود وسألته:

- مرتاحة؟

تهدت أسما لتقول:

- مش عارفة.. اللي عمله إبراهيم شال مني حمل كبير بس..

وأضافت وكانت تهرب من كلام قد يؤذيها ويجدد جراحها:

- مش مهم خيلنا فيكي..

أبعدت فيروز يديها تلقائياً ولم تفهم السبب فقط كررت..

- فيا أنا؟

وكانت أسما ستحدث لولا اقتحام " دادا كريمة" لجلستهم الثنائية وكان معها باقة ورد

اشتمت فيروز رائحتها المميزة على الفور وقالت:

- إيه الريحة دي ياداد؟

أسرعت أسما نحو باقة الورد واختطفتها من يد كريمة وكانت تقول بانهار واضح:

- الله على لونه لو تشوفي جماله يا روز يجن ويريحته بجد تحفة..

ثم تجهمت فجأة عندما لمحت تأثير كلماتها على ملامحها..

"لو تشوفي؟"

فالمشكلة تكمن أنها لا ترى.. لا تستطيع.. والخيال مهما كان لن يرتقي للحقائق..

اقتربت منها أسما قائلة بأسف بالغ:

- روز أنا آسفة بجد مكنتش أقصد..

وهي ما فعلته أنها رفعت رأسها لتقول بكبرياء مصطنع:

- عادي محصلش حاجة أصلاً..

وتسائلت:

- من مين الورد ياداد؟

- مش عارفة بتاع الورد سابه ومشي..

قالت أسما:

- استني فيه كارت..

وأخرجته ثم سألتها:

- تحبي أقراهولك؟

بالطبع ستوافق.. وهل لديها خيارات مثلاً..

أومأت برأسها ببطء والأخرى اقتربت منها وجلست بجانبها وشرعت في قراءة الكلمات..

" الورد للورد.. أول ماعيني وقعت عليه حسيته شبك بس إنتي أكيد أحلى ومفيش
أجمل من ريحة اللافندر ممكن تونسك"

ياسر

- زيدي يا زيدي على الكلام..
وصمتت أسما عندما لمحت الدموع تخرج من قبر عينيها.. سألتها بقلق:
- فيروز مالك؟
والأخرى أخبرتها بعصبية بالغة:
- إرمي الورد ده في الزبالة..
وصرخت:
- ارميه دلوقت حالاً..

وفي الصدف روايات وحكايات تصنع سلاسل ومجلدات..

قد التقاها صدفة أو هكذا يظن فهو إلى اليوم لا يعلم أنها تمت بتدبير منها.. واليوم أيضاً
التقاها صدفة بمتجر كبير بوسط العاصمة.. رآها على الرغم من الزحام وكانت معها طفل
صغير متذمر يبكي وملاحمها كانت ممتعضة ولا يفهم إن كانت تتشاجر مع الطفل أم
تهدهده وتحاول إسكاته..

بطنها المنتفخ للغاية جذب عينيه وأفكاره وشرده به وكأنه يستجوبه بتحقيق رسمي
ويسأله.. ينتظر إجابته عن هويته وعن أبيه الأصلي وهل إن كانت أمه صادقة بشأن أبوته
له أم لا؟

والجواب كان مبهم والطرفين صامتين وما هي إلا دقائق أخرى مرت ليتمكن منه الجمود
..فلقد انتبهت له وتلاقت أعينهم لتصنع من ملاحظها المشدوهة أيقونة للصدمة...
وبعدها هروب...

الفصل السابع والعشرون

وَقَفَ الزَّمَانُ حَبِيبَتِي

بَيْنِي وَبَيْنَكَ

أَعْطَاكَ فِي يَوْمٍ لَغِيرِي

وَبِرْغِمَ مَا فَعَلَ الزَّمَانُ

بَقِيتُ يَا عُمْرِي أُحِبُّكَ

شَيْءٌ مُحَالٌ

أَنْ يُحِبَّ الْقَلْبُ بَعْدَكَ

حَاوَلْتُ أَنْ أَنْسَاكَ لَكِنْ

مَا نَسِيتُ

وَاللَّهِ مَا مَرَّ النَّسِيمُ مُحْمَلًا بِالْعِطْرِ

إِلَّا قَدْ ذَكَرْتُكَ

مَا مَرَّ طَيْفٌ فِي عُيُونِي عَابِرًا

إِلَّا وَبِالْعَيْنِ احْتَضَنْتُكَ

كَيْفَ الْهُرُوبُ وَأَنْتِ سَاكِتِي

كَيْفَ الْهُرُوبُ

وَأَيْنَمَا وَلَّيْتُ وَجْهِي

تَلْتَقِي عَيْنِي وَعَيْنُكَ

أَنْتِ الْحَقِيقَةُ دَائِمًا

فِي كُلِّ شَيْءٍ

أَلْقَاكَ فِي اللَّيْلِ الْمُسَافِرِ غَنَوَةً

وَأَرَاكَ فِي الْعَيْنَيْنِ ضِيًّا

وَأَرَاكَ حُلْمًا رَائِعًا

وَأَرَاكَ قِيدًا فِي يَدَيَّ

وَأَرَاكَ نَهْرًا مِنْ حَنَانٍ

فَاضَ أَشْوَاقًا عَلَيَّ

يَا أَلْفَ شَمْسٍ أَشْرَقَتْ

فِي مُقْلَتِي

مَهْمَا السَّنِينُ تَغَيَّرَتْ

أَوْ سَافَرَ الزَّمَنُ النَّقِيَّ

سيظلُّ حبُّك داخلي
نهر الحنين السَّرمدي

((ياسر وفيروز))

عبد العزيز جويدة

دموع ، شهقات ..
جسدها بأكله يرتجف ..
قلبا ينبض ألم ، يزفر آهات ، وكأنك جلبت سكيناً وظللت تقطعه إلى أجزاء دون استخدام
مخدر ..

لا تعلم ماذا أصابها!.. وكأن داخلها في عراك دامي ..
جزء منها يريد الوثوق به ، يشتهي قربه ، يريد أن يحيا تحت حمايته ويتمنى أن يطهره من عشق
قديم أسود أفقده هويته ..

و جزء آخر يرتجف ، يخاف من كلمة تجربة ، لا يثق بالنتائج ولا يتحمل خيبة أمل جديدة ..
وهي ما بين هذا وذاك خارت قواها وسقطت صريعة ، عينها منزوعة الروح والحياة
شفقت عليها وكانت ترثيها بكثير من الدموع ..

تساءلت ألن ينتهي هذا العذاب!.. ألن تشرق شمسها وتبعث الحياة في عروقها من جديد
أم ستظل هكذا تعيش ببقايا قلب وأنقاض روح!؟

- كانت أسما شاهد حي على هذا الصراع، تألم لأجلها وتشتي لو أنها تمتلك قوى خارقة تستخرج بها آلامها وتعيدها للحياة الطبيعية من جديد..
- لم تعارضها كثيراً وألقت بباقة الورد في سلة المهملات ثم عادت لتحتضنها كأم وليست أخت صغيرة لها.. قالت لها بعد أن أضاءت وجنتها لؤلؤتين من الدموع:
- شكله يبجك أوي.. ياريتك لو تديله فرصة بس..
- رفعت فيروز رأسها من داخل حضنها وكأن كلمة "حب" تمنحها قوة خفية ومضادة ..
- سألتها بعد أن اشتعلت رأسها بالأفكار:
- إبراهيم حكاك وانتي جاية انهاردة عشان تقنعيني مش كده؟
- حركت أسما رأسها نافية مؤكدة حديثها:
- لأ.. إبراهيم حكاكي اللي حصل وأنا جيت عشان أقولك حاجة... حب زي ده مش موجود في أيامنا دي ومينفعش تخسريه..
- وأضافت بضحكة خافتة خرجت من بين دموعها مشوهة:
- على فكرة أنا عارفاه.. واحدة صحبتي شافته في فرح إبراهيم كانت مركزة معاه ووجعتلي دماغي عشان أخلى إبراهيم يعرفها عليه بس هو عينيه كانت متابعاكي إنتي يا روز..
- وأمسكت أصابعها وكانت مازالت تتحدث:
- مش كل الناس عادل ومينفعش تحطي البيض كله في سلة واحدة..
- انتزعت فيروز يديها منها عنوة وقالت بعصبية:
- غريبة أوي إني أسمع منك إنتي بالذات كلام زي ده ..
- ابتسمت أسما ابتسامة ساخرة أظهرت مدى تألمها وأخبرتها:

- عندك حق أنا آخر واحدة نتكلم عن الحب...

تهدت فيروز وشعرت بجرمها البالغ.. لا تعلم ماذا يحدث معها ولم تحولت لآلة حادة تجرح من حولها تلقائياً!

كانت أسما سترحل ولم تكن غاضبة منها بل شعرت بأنها محقة.. هي آخر شخص بإمكانه التحدث معها عن هذا الأمر.. كيف تنصحها بأن تطرق باب الحب وهي إحدى ضحاياها! هي شهيدة الحب وماريونت مروان..

قبل أن تخرج من الغرفة استوقفتها فيروز بجملة واحدة أظهرت مدى ضعفها وجعلتها تركض نحوها من جديد بكل جوارحها.. وكأن قناعها الفولاذي قد تصدع بالكامل وهي مهما تظاهرت بالقوة فذلك لن ينفي حقيقة أنها لا ترى، لا تحيا بصورة طبيعية، تعيش مع ظلام تعلم أنه يفترس آدميتها وينتهك روحها أكثر كل ثانية..

- أنا خائفة أوي وكل ما أقول أنا اتأقلمت ألاق نفسي بترعب من الضلمة أكثر..

بمجرد أن تلاقى الأعين تحركت مذعورة بخطوات سريعة وكانت تجرب ابنها خلفها بجرو صغير.. لا تنتبه لبكائه الغير مسبب ولم تنتهي من شراء إلا نصف قائمتها تقريباً ولكن كل هذا لا يهمها فهي لم تعد تفكر سوى بالهروب من محيطه..

لن تسمح أبداً أن تستمع لكلمة جارحة منه تشوه صورتها في عيون طفلها ولن تسمح بأن تنهار دنياه البريئة على يده وإن فعلها لن يكفيها حينها روحه..

هروبها منه أثار اهتمامه أكثر.. ظل يتابعها بعينه لا إرادياً وهي ظلت تبتعد وتبتعد حتى وصلت إلى زاوية قريبة من بوابة المتجر، قامت بدفع المال للموظف الجالس أمامها ثم

واصلت طريقها ولكن ومع الأسف ومن استعجالها الشديد اصطدم جسدها بأرفف عرض متحركة لتحف كريستالية ليسقط كل ما فيه ويتهشم بأقل من ثانية واحدة.. شهقت رودينا وتلقائياً تساقطت دموعها.. أخبرت الموظف الذي هرع نحوها:

- أنا أسفة بجد..

وأكلت:

- أنا هدفك كل التكاليف حضرتك بس قولي كام..
وبعدها جاء موظف آخر وأخبرها:

- الحاجات التي اتكسرت تمناها ما يقلش عن عشرين ألف جنيه يا فندم..
وهي شهقت مصدومة ولاحظت تجمع بعض الناس حولها وتهدت بطمأنينة لأن عادل ليس من ضمنهم.. أخبرته على الفور:

- أنا أكيد مش معايا المبلغ ده حالياً.. بس ممكن اجيبهم بكرة الصبح..
ولم تسمع سوى كلمة واحدة منه أحبطتها بالكامل:

- آسف مش هينفع..

نظرت لساعة يدها ووجدتها تخطت الثامنة مساءً.. فكرت متى ستعود للمنزل وتجلب بطاقة " الفيزا " ثم تأتي لها مرة أخرى ولكن بالفعل لا تمتلك حلاً سواه فقالت:

- طيب ساعة بس لأن كارت الفيزا مش معايا هروح اجيبه واسحب الفلوس من البنك وارجعلك...

وهو أوماً رأسه بالرفض وتحدث بكثير من الأسف:

- لازم تسببي أي حاجة تضمنلنا إنك ترجعي تاني.. معلى حضرتك لازم تعذريني لكن

لو معملتش كده أنا اللي هتحمل الفلوس دي..

ازدادت عصبيتها وقالت بنبرة مرتفعة:

- أيوة يعني أنا أعملك إيه دلوقت بردك؟

وأضافت بضيق:

- أنا عاوزة أقابل المدير لو سمحت..

قطع حديثهم صوت صراخ حاد خرج من فم طفلها وكأن قد لدغه ثعبان سام..

انتفضت وركضت نحوه وسقط قلبها منها عندما شاهدت الدماء تسقط من يده المضمومة ومنها فهمت أنه يضم بأصابعه على قطعة زجاجية سقطت من ذلك الرف اللعين..

رباه ما هذا اليوم؟!

حاولت أن تفتح يده ولكن لم تستطع فكلما كانت تحرك إصبعاً من أصابعه يزداد صراخه أكثر ويضمها هو لتساقط منها المزيد من الدماء..

تلفت أعصابها وانهارت.. تصلبت بالكامل ولم تنتبه إلى ما يحدث حولها إلا بعدما وجدت أحدهم يحاول أن يساعد ابنها في فتح يده ولم يستطع وفي النهاية حمله وصرخ بها كي تلحقه إلى السيارة وكان هو..
عادل..

- لازم يروح مستشفى...

وهي تلقائياً نزعت من إصبعها خاتم زواجها المزيف الذي يحميها من ألسنة الناس ومن نظراتهم المتفحصة ثم أعطته للموظف قائلة بينما كانت تركض كي تلحق بابنها:

- هاجي بكرة أجييلك الفلوس ما يرضنيش حد يتأذي بسبيي..

لم يخرج وهي أقسمت إن اضطر الأمر ستنصب خيمة بجانب سيارتها وتنتظره.. لن تجعله يهنأ بها ولن تكن أبداً حمقاء الحكاية التي ساعدت الوسيم كي يسرقها ويهرب..

لن تكن بشرى إن سمحت..

ظلت منتظرة لوقت طويل والحال كما هو عليه فهو يخرج وهي لا تستطيع الدخول، قدماها تشنجت وبدأت تؤلمها ففكرت أن تذهب وتجلس داخل المقهى لبعض الوقت ولكن سرعان ما تراجعت فهو إن خرج سيقود السيارة ويرحل ولن ينتظر أن يأخذ الإذن منها مثلاً..

فكرت.. ربما يراقبها هو من مكان ما وينتظر أن تتحرك من أمام السيارة كي يأخذها ويهرب.. دارت بعينها باحثة عنه في الأماكن القريبة ولا أثر لشيء غريب ورجحت أنه ربما يكن متخذ حذره.. غمغمت داخلها:

" هق مش عليا أنا يا كابتن "

انزلت بقدمها مستندة على سيارتها من الخلف ولم تبالي بملابسها التي ستسوخ بسبب جلوسها على الأسفلت ولا لمظهرها الاجتماعي الذي سيتدمر بالكامل إذا رآها أحد أصدقائها أو معارفها..

لقد أخذت نصيبها من الإهانة في هذا اليوم ما يكفيها لعام قادم، جرت على أسنانها وشعرت إن لم يعطها ذلك الرجل مفاتيح سيارتها حتماً ستقتله..

ظلت هكذا لوقت ليس بالقليل حتى في النهاية مددت قدميها وكأنها استسلمت بأنها

ستيت ليلتها هنا.. نظرت إلى الساعة ووجدتها تخطت الحادية عشر مساءً!!

متى ستخرج من بحرك يا عمر افندي!

غفت بعدها لثوان ولكن سرعان ما استيقظت بسبب تحرك سيارتها المستندة عليها فجأة وتسبب ذلك بارتطام رأسها بالأرض، نفضت شعرها من حبيبات الرمال التي التصقت بخصلاتها، سالت دموعها وركضت بأقصى ما فيها من قوة خلف سيارتها المنهوبة بينما كانت تصرخ:

- عرييتي يا حرامي.. عرييتي..

وتوقفت عندما وجدته قد ابتعد بها ويأست من اللحاق بها..

"البوليس"

همسة خرجت من داخلها سرعان ما استجابت لها.. أخرجت هاتفها وقامت بالضغط على عدة أرقام على الشاشة وقالت:

"بوليس النجدة.. أنا عاوزه أبلغ عن سرقة عرييتي"

"أيوة.. في مصر الجديدة حضرتك"

ولم تكمل المكالمة بسبب "عمر" الذي اختطف منها الهاتف وأغلق الخط ثم رمقها بنظرات غريبة أثارت داخلها مزيج من الرعب والترقب والاستياء أيضاً..

ليتها ما خرجت في تلك الليلة المشؤمة التي قابلته فيها وليتها لم تتوقف بسيارتها في ذلك الشارع بالتحديد..

ليتها لم تطارده بعدها ولكن الليتات لا تعيد الماضي ولا تصلح الحاضر..

فربما هو عقابها المقدر لها في تلك الدنيا...

ظلت هكذا صامته.. ساكنة..

تنظر نحوه وتحاول استيعاب تصرفاته ولا تجد مبرر..

أخذ هاتفها منها بكل وقاحة!!

شعرت أنها من داخلها تغلي ولسانها يشتهي سبه ولعنه..

مجنون.. وقع أكثر من اللازم.. غريب الأطوار ومكانه الطبيعي بمستشفى الأمراض العقلية..

لم تجد نفسها سوى تخبره:

- إيه هتاخذ الموبايل كان؟

وهو تنهد.. نكس رأسه بالأرضية.. لا يعلم ماذا يفعل ولا كيف سيحل تلك المعضلة

ولكن ما يعلمه هو أنه يجب أن يمنعها من أي تصرف أحق غير محسوب العواقب..

هؤلاء الناس العبث معهم يقابله الموت .. هي لا تدرك ومن أين ستعلم وكيف ستفهم

تلك المدللة الساذجة؟!

الآن حان دوره كي يتحدث.. كي يقنعها بأي شكل وأي صورة..

كيف سيفعلها؟ ماذا سيشرح؟! وهل هناك مبررات تشرح تصرفه الذي قد تخطى كل

الحدود؟!

كل يوم يمر يكتشف أكثر حقيقة كونه لعنة تمس أي شخص يقترب منه.. ليتها لم تقع

بطريقه وليتها استمعت له ولم تدخل ذلك المقهى اللعين فحينها ما كانت سيارتها ضاقت

ولا هو اشتغل غضباً بسبب ضعفه أمام تلك الطاولة الحقيبة مثلها يحدث الآن..

أعاد إليها هاتفها وتحدث بهدوء ينافي ما يحمله في صدره من عواصف وزعابيب..

- هرجعلك العربية.. مفيش داعي تبليغي البوليس..

وهو وضعت يدها في جيب بلوزتها وقالت متحدية إياه:

- اتفضل رجعهالي..

- أكيد مش دلوقت.. إديني كام يوم..

- ولا دقيقة.. نتصل باللي خد العربية يرجع بيها حالاً..

وهو ابتسم.. يا لحماقتها؟!.. هو سيتصل والآخر سيعيدها هكذا ببساطة؟!!

- ما ينفعش..

صرخت بوجهه:

- ليه؟!.. هو مين أصلاً وأخذ العربية بصفته إيه؟

وأضافت بعدما شردت قليلاً:

- ااااه .. أنا فهمت حضرتك بتضحك عليا بكلمتين لحد ما الثاني يتصرف في العربية

وتقسموا سوا..

وأكلت بينما كانت تلوح بيديها ونبرة صوتها قد وصلت لأعلى مستوى:

- أنا همشي من هنا واطلع على القسم وهاوديكم كلكم في ستين داهية..

ألم يخبروها ألا تعبث مع الأشخاص قليلي الكلام والاحتمال وبالمعنى الدارج " اللي

خلقهم ضيق" .. ألم يحذروها بألا تنفخ في البارود المشتعل؟!!

جفاة وجدته ينظر للجهة الأخرى ، يزفر بشدة ، يغمض عينيه ويستعين بهدوء العالم ثم لم

تفهم كيف تحرك سريعاً ووضع مطواته الثمينة على رقبتها وقال مهدداً إياها:

- تاخدي رقم بطاقتي معاكي عشان ميتعبوش وهما بيدوروا؟
وأضاف ومن بعدها انتهى كل الكلام:
- بصي يابنت الناس هتستنى لحد ما أرجعك العربية وكام يوم وهتلاقها عندك مش هتستنى شوفي أكبر حيلة وإخبطي دماغك فيها..
وأشار بأصابعه لداخل المقهي واسترسل بحديثه أو بتهديدها بالأصح:
- شايعة الكافيه ده.. هدخل حالاً أجيب عشر شهود يقولوا إنك مجنونة وبتطارديني بقالك شهر وعشان أنا منفضلك عملي فيلم عربي واتهمتيني زور ووريني بقا هتستحملي الفضيحة التي هتحصل بعد الكلمتين دول ولسانك هيفضل طويل كده ولا هتبلعيه؟! ومن بعدها لا حديث.. فقط ارتعاش فكها من كان يخرج صوتاً ووحدها من تستمع إليه..

- كان يراقب انقباض ملامحها وكل ثانية يشعر أنه يكتشفها من جديد.. تلك المرأة بها شيء غريب يجذبه ولم يفهمه حتى الآن.. مؤكداً ليس بعشق فقلبه مازال أسيراً لساحرته الشقراء ولكن ما السر؟!.. ربما عينيها!
- فعينيها كانت ويبدو أنها مازالت ملاذه الآمن ومرسى همومه..
تنهد.. نفخ رأسه كي يوقف سيلان أفكاره وبذلك اللحظة كانت رودينا تصرخ بالمرضة التي تقوم بتقطيب جرح صغيرها:
- براحة شوية الولد مش مستحمل...
- والأخرى لوت شفتيها بضيق ثم أغلقت باب الغرفة لأن رودينا لا تسمح لها بالتركيز

بأداء وظيفتها وحينها جذبها عادل بعيداً فلقد شعر أنها ثانية أخرى وستفقد وعيها من فرط انهيارها..

وهي نظرت ليديه القابضة على ذراعها لتتوقف دموعها، تستوعب تصرفه وتذكر آخر كلماته لها فتبتعد رغبة منها في حماية نفسها من جراح لن تتحمل فتحها من جديد بالوقت الراهن وهناك قلبها الذي خرج من صدرها فرحة بقدومه معارضا إياها لينتهي بها الحال إلى حيرة ثم سكون وجمود..

خرجت من سباتها على صوت باب الغرفة يفتح ليخرج ابنها الباكي ويهرع نحوها مطالباً إياها بأن تحميه من ملاك الرحمة الشريرة التي كانت تقوم بتعذيبه وأصابه كانت مازالت تشير نحوها..

حينها ابتسم عادل بعفوية واتجه نحوه وقال بعدما جثي على ركبتيه مقترباً منه:

- الرجالة مبتعيطتش مش كده؟

وهو أوماً برأسه الصغير موافقاً وهدأ نحيبه ثم نظر تلقائياً نحو أمه وكأنه يسألها من هذا الشخص الغريب الذي يحادثه وهي اتجهت نحوه وأمسكته من يده السليمة ثم أخبرته عادل برسمية واضحة:

- شكراً.. تعبناك معانا...

كانت بالمتجرت هرب وهنا أيضاً ولا يستوعب السبب.. ظل أياماً يسأل نفسه ويتخيل لو أنه قد قابلها مرة أخرى فما ستكون ردة فعلها ولم يظن أبداً أنها ستتهرب منه وتشعل فضوله وشغفه نحوها من جديد..

هناك أسئلة كثيرة تطفو على السطح دون إجابة.. أولهم من هو والد الطفل الذي تحمله

بأحشائها ولماذا لم تخبره من قبل أن لديها طفل بالفعل وأين كان يقطن في الفترة التي
كانا بها سوية بالساحل؟!

تلك المرأة لغز لا يستطيع حله.. أهل هي العاهرة التي أغوته أم هي العاشقة التي كانت
تسقيه من شهد حبها! أم هي الأم الخنونة المرهفة التي شهدها منذ قليل! أم أنها هجين من
كل هذا؟!

وربما تكن أخرى لا يعرفها..

ذهب خلفها وأوقفها من ذراعها وكان يقول:

- استني هوصلك..

وهي نزعت ذراعها بعنف ثم أخبرته:

- هركب تاكسي..

مازالت تفاجئه ومازال يغرق باستكشافها.. فمن خلف تلك الباكية خرجت أخرى
متمردة تبعده عن طريقها.. سألها بعد أن نظر نحو بطنها:

- ابني؟

احتدت نظراتها واتسعت نظراتها وأحمر وجهها من شدة الغضب.. لقد ذهبت لعقر داره
منذ أشهر وتوسلت إليه بينما كانت بأقصى لحظات ضعفها أن ينقذها من ورطتها وهو
ماذا فعل؟ نهرها وعاملها بخشونة بل وطردها ووبخها وأخبرها بطريقة غير مباشرة بأنها
في نظره ليست مجرد سوى عاهرة منحت جسدها للكثير من الرجال واليوم يريد أن
يتأكد من كلامها وأين في الشارع أمام المارة وأمام طفلها!

نظرت نحو ابنها الذي حقاً انهكه البكاء وجعله في قمة الهدوء والسكينة.. يبدو أن طاقته

قد فرغت تماماً فكان فقط يظل يقترب من جسد أمه ملتصقاً بها ويرمق ذلك الغريب الذي تحدثه بنظرات متوجسة.. لا تفهم سبب رهبته من عادل هل لأنه لا يعرفه أم لأنه يشعر أنها تذرف تلك الدموع من أجله الآن وكل ليلة!

وهو انتبه أنه تحدث بأشياء لا يقال أمام طفل صغير.. أخبرها بالنهاية:

- مش هتلاقي تاكسيات هنا هتضطري تمشي للشارع الرئيسي والولد مش قادر يقف حتى..

وهي استسلمت وانتظرت حتى أحضر سيارته وظلت صامته طوال الطريق فقط كانت تعبت بشعر طفلها النائم على قدميها ورأسها يكاد ينفجر من كثرة الأفكار وقلبها يعتصر قهراً ووجعاً فهي لا تحتمل أن تكن بذلك القرب منه..

اللجنة لم رآته اليوم ولم ذهب لهذا المتجر بالتحديد بل لم خرجت من بيتها من الأساس.. أليس لهذا العذاب من نهاية وهل ستظل تدفع ثمن خطيئتها من روحها وقلبها وكرامتها؟ هل سيظل قلبها العاشق ينزف دماً وروحها المتعلقة به ستظل تفتت حتى تذوب وتختفي؟! هل سترى يوماً جميلة بتلك الحياة أم سيظل الشقاء يلاحقها ويلتصق بها؟ إن كنت ظهرت اليوم يا عادل من أجل أن تزيد الحمل عليها فلتختفي من حياتها أفضل فلقد أنهكتها الهموم ولن تتحمل أكثر.. لم يتبقى شيئاً كي تقتنصه منها أنت أيضاً..

انتبهت لتوقف السيارة وحاولت ايقاظ ابنها ولم تستطع وكأنه لم يمم منذ سنين.. لم تجد حلاً سوى أن تخرج به من السيارة ولكن ومع بطنها المنتفخ كان مستحيل تقريباً.. حمله عادل عنها وخرج من السيارة وقبل أن يغلقها مدت هي يديها كي تأخذ ابنها فقال:

- هو صلك لفوق..

لم تنتظر ثانية أخرى كي تأخذه منه.. أخبرته باستنكار وتهكم وسخرية:

- والجيران أما يشوفوك أقولهم مين الأستاذ؟ هما فاهمين إن جوزي اللي حامل في ابنه جوة بطني مسافر ومش هسمح لأي حاجة تبوظ الحياة اللي رسمتها لنفسني ولولادي بعد ما سيادتلك اتخلت عننا..

والدموع كانت سيدة الموقف وبتلك اللحظة لا تعلم لم أرادت قتله وليس هو فقط بل والآخر الذي بدأ سلسلة عذابها وجردها من البراءة ووردية الحياة قبل الإرث والمال.. تريد قتله وبعدها تحتضنه..

- عارفة إني غلطت غلط كبير بس كالعادة أنا بتحملة لوحدي..

أيقظت كلماتها وجدانه واستشعر كبر ذنبه في حقها.. إن ولد هذا الطفل وكان ابنه حقاً دون أب وعقد حلال وشرعي فكيف سيتحمل أن ينظر لوجه بالمرأة كل صباح وأن يضع رأسه على الوسادة كل مساء بينما طفله يعاني ويتعذب بسببه!.. كيف سيتحمل عذاب الوجدان الذي سينخر ضلوعه حتى تتآكل وتذوب؟ ألا يكفي جرمه الكبير في حق فيروز لتأتي رودينا تضع على عاتقه ذنب طفل لم يخرج بعد الحياة؟!!

لا يعلم أي شيء.. ما الخطأ وما الصواب؟ أهل هي وفيروز والطفل الذي مازال يشك بنسبه ضحايا ضعفه وتشتته أم أنه هو ذبيحتهم؟

- هتقدري تطلعي وإنتي شايلاه؟

وأخبرته بجملة وحيدة، تائهة ومقهورة مثلها:

- أنا طول عمري شائلة لوحدي.. متخافش عليا..

ربما هي معجزة.. مغناطيس في جسد إنسان..

تجذبه نحوها بشكل ما دون تكلف منها.. لا يفهم ماهيته ما يحدث معه وكأنها تنتظر أشد لحظاته ضعفاً حتى ثلبسه وتتحكم بأفعاله.. وكأنه معها يتحول لشخص آخر.. حقيقة لا يمكن إنكارها الليلة معها ومع طفلها نسي العالم واسترد آدميته التي كان يؤمن أنه فقدوها مع عيون حبيبته ليتحول بعدها إلى هلام لا روح فيه ولا فائدة من وجوده.. الليلة فقط نبض قلبه لها، وإن كان النبض ضعيف، خافت، لا يذكر أمام دقائقه السريعة والقوية بحضرة الفيروز ولكن فليكفي أنه تحرك من سباته وأعطى إشارة له بأنه مازال على قيد الحياة...

ربما يجد فيها مرسى ومنفذ لحياة أصبح مؤخراً يشتهي مفارقتها.. وربما تكن ترياقه من عشق أنهكه وذنب يقتله..

ظل طوال الليل يفكر.. لم تعرف عينيه طريقاً للنوم فكلما أغلق عينيه رأى صورتها أمامه أوضح حتى بدأ يتعامل مع صورتها وكأنها نسخة حية منها، يسألها وينتظر جوابها.. كلما يلين قلبه لها ويشفق عليها من تحمل خطيئتهما وحدها يجد نفسه يتوعد لها بأن يدمرها في حال إن كانت إن كانت تود أن تلصق به نسب طفل لا يخصه وليس من صلبه.. لا يعلم كيف انتهى الليل وبجرد انقشعت خيوط الشمس من داخل سواد الظلام ارتدى ملابسه وذهب إليها راکضاً يطرق بابها في وقت أبعد ما يكون مناسباً للزيارة.. فتحت له بعيون ناعسة مازالت لم تستيقظ بالكامل، شعرها الغير مهندم الذي ظهر من

تحت وشاحها الغير محكم لفت أنظاره وهيئتها الفوضاوية سلبت أنفاسه وكأن جسده ينتمي إليها ويتمرد على قلبه المحتل من قبل جيوش الفيروز..

- هتجوزك...بس عندي شرط..

وعدها بأنه سيحل الأمر في خلال أيام وها هو اليوم الثاني كاد أن ينتهي بينما لا خبر منه ولا اتصال..

ماذا تفعل؟

هل تخبر أبيها؟ ولكنها اضطرت أن تخبرهم أن السيارة بالصيانة بسبب عطل ما بها فكيف تأتي اليوم وتخبرهم أنها كانت تكذب عليهم؟!..هي تسير على خيط رفيع ومازالت تتأمل أن يأتي اليوم الذي تسترد ثقتهم فيها من جديد وإن أخبرتهم سينقطع الخيط ويموت الأمل...

قامت بالاتصال به.. وهو لا يجيب ولا يمتلك جواباً يعطيها إياه..

لقد حاول إقناع الرجل الذي فاز بسيارتها على تلك الطاولة بأن يعيدها إليه مقابل سندات أمانة أو أن يقسط له على المبلغ على شيكات محددة التاريخ ولكنه أخبره أنه قد باع السيارة لأحد رجال " الكبير " صاحب الصالة والمقهى والرجل المديون له بمبلغ خرافي يعلم إن لم يسدده بالوقت المحدد سيقتله ويجعل منه عبرة للآخرين..

كامل الأهواني..

لقد تشابكت الأمور بدرجة لم يكن يتخيلها والآن أصبح عاجزاً عن التفكير.. لا يوجد أمامه سوى تلك المحاولة وإن فشلت سيرفع الراية البيضاء..

أخرج من جيبه لفافة تبغ ومنحها للرجل الذي يجلس مقابله في المقهى وأخبره:
 - صاحبة العربية عاملة قلق وهتوجعلنا دماغنا رجعلها العربية وتتصافى سوا..
 والآخر لم يجيبه.. كان يبدو عليه أنه يفكر بالعرض أو ربما يلعب بأعصابه فهكذا شعر عمر
 من تعبيرات وجهه..

- عاوزة العربية تيجي تلعب...

عقد عمر حاجبيه من الصدمة بل اتلصقا ببعضهما البعض..
 - هي ملهاش في اللعب..دي واحدة تبغي وحوار العربية ده كله غلطة بسببي..
 رجع للخلف مستنداً على ظهر مقعده:
 - أنا عارف كل حاجة عنها ومليش دعوة باللي بينكم المهم عندي إنها زبونة سُقع
 ومتريشة.. يا أخي خلينا نجرب وجوه جديدة..عاوزة العربية تبقى تلعب عليها..
 مات الكلام..

الفصل الثامن والعشرون

" اللي أوله شرط آخره إهانة "

ولكن إذا قرر التغاضي عن كل تلك الشكوك التي برأسه بشأن هوية الجنين، غموضها معه، غوايتها له وموافقتها على منحه شهد أنوثتها مقابل ورقة يعلم كلاهما أنها ليست سوى تزييف لحقيقة كانت تلك الوسيلة الوحيدة للهروب منها ألن يكن ذلك امتحاناً أكبر لها وعذاب وثيد سيظل ملازماً له؟!!

قالها مباشرة:

- نكتب الكتاب دلوقت وبعد الولادة هنعمل تحليل DNA..
وأضاف موضحاً:

- عشان ميتولدش ابن

ولم يستطع أن يكمل فلقد كانت ثقيلة لدرجة أنها لا تخرج من فمه أو تعود إلى حنجرتة فبقيت عالقة في المنتصف..

وهي استقبلت حديثه ببسالة.. تدرك أنها كانت ومازالت أنثى رخيصة مثلها مثل السجادة جميلة المنظر منتهكة، مستغلة وتدهسها الأقدام ولم نتوقع أن يضعها هو بدرجة مختلفة وتلك المرة هي تستحق ما يحدث وعن جدارة.. فقط أخبرته:

- وأنا عندي كلام عاوزة اقوله..

اتسعت عيناه ليسألها:

- بخصوص الولد؟

حدقت عينها وتجمعت بها كتلة لا بأس بها من الدموع أثرت على نبرة صوتها التي قذفت بالكلمات سريعاً دون تفكير..

- عادل طالما إنت مش متأكد كده إنه ابنك جاي ليه؟!

رق حاله لدموعها.. أي رجل مازال يمتلك جزء ضئيل من الانسانية تنهار حصونه أمام دموع الإناث وإن كانت فولاذية وإن أظهر غير ذلك..
احتضن رأسها وأخبرها:

- يبقى مش عاوز أعرف أي حاجة.. خلينا نبدأ صفحة جديدة..

ارتعش جسدها بين أنامله، تحاول أن تتفهم نبرته الداكنة في الحديث، لم يكن سعيداً ولم يكن الأمر نابغاً من قلبه وكأنه يدفع جوارحه للخضوع لسلطة العقل والمنطق وسياسة الوضع الأفضل والذي يترجم في عقل وقلب أي أنثى عاشقة مثلها على هيئة نبضات من وجع..

سألته:

- مش لازم نقفل الصفحة القديمة الأول وبعدين نشوف الجديدة؟

وهو أغمض عينيه، يهرب مما تريد التحدث عنه، يخاف أن يكتشف شيء آخر يثنيه عن

قراره بينما ينازع بالرمق الأخير ويبحث عن أي خيط يربطه بالحياة من جديد.. وهي

معها الدفء والعائلة والهروب الآمن من جرمه بحق شقراءه مالكة قلبه دون منازع التي

انتهت بسببه وعلى يده..

- ساعات الكلام في اللي فات يموت الأمل في اللي جاي..
 رفعت رأسها مبتعدة عنه وسألته بتوجس بعد أن نظرت له بعمق وكانت النظرات أقوى
 من الحروف والكلمات:
 - متأكد؟

ولم يجيب وكيف يفعلها وكل معاني التأكيد خرجت من حياته وتركته يصارع
 الاحتمالات وأما عنها فهي لم تصر على البوح بسر تعلم أنه سيبعده عنها في النهاية.. هي
 كأي أنثى تحتاج وجوده كرجلاً تحيا تحت كنفه ويشاركها المسؤولية ، تبثه الحب
 فيمنحها الأمان..

- شوفي العربية عاملة كام وأنا هسدلك تمنها على شيكات..
 وما كان بها إلا أن رفرفت بأهدابها عدة مرات ثم أخبرته متسائلة:
 - بس أنا مش عاوزة تعويض أنا عاوزة عرييتي وإنت مسئول تجهيالي..
 نفى برأسه ولم يخرج حديثه عن المتوقع..
 - لأ..إنسى العربية هي مش هترجع..
 - ليه؟

وكان سؤالها مفاجئاً له بدرجة جعلته يشعر باختناق مفاجيء .. سعل عدة مرات ووصلها ضيقه من الحديث وربما يكن منها شخصياً لتخرج الإجابة قاطعة وراغبة في إنهاء الحوار:

- ملكيش فيه..

- إنت فاكر إني هوافق على كلامك من غير ما أفهم يا كابتن؟!

وهو تنهد.. تلك الفتاة إن لم تفهم خطورة الموقف ستتصرف بحماقة وتعرض حياتها للخطر.. شعر بسأم شديد.. حاول تجميل الموقف ولكن لا يجد بداية.. وكأنه طالب ثانوي يشعر بالخل من استاذة لأنه اخفق بامتحانه؟! اللعنة فلتذهب هي وسيارتها إلى الجحيم فمذ متى يهاب عمر سليم أي شيء بالحياة؟!

- بصي من الآخر العربية أنا لعبت عليها قمار وخسرتها.. كنت فاكر إني هعوض بيها بس ده اللي حصل..

فغر فاهها وحدقت عيناها.. لا تصدق وهو كان مازال يتحدث..

- متتصدميش أوي كده ليغمن عليكي لسه فيه الأدهى عشان عربيتك ترجع من الناس اللي بقت في أيدهم المطلوب من حضرتك إنك تلعي..

قبضت بأصابعها على زر بلوزتها كرد فعل تلقائي على حماية نفسها من أشياء مجهولة تدور حولها ولا تستوعب مداها بعد.. فقط خرجت منها الأحرف تائهة ومبعثرة من أثر الصدمة..

- أَلْعَب؟

وهو لا يعلم لم تذكر علا بتلك اللحظة.. تلك الفتاة التي من أجلها فقط مازال يتعلق ببقايا آدميته التي تضمحل كل ليلة في هذا المكان المقرز والذي قانونه المال وسلطانه المكسب ولا عزاء للضعفاء والحمقاء.

- متخافيش أنا بلغتهم إنك مش هتلعبي..

- بلغت مين؟

وكان جوابه صريحاً متعمداً بأن يثير خوفها ورهبتها وحينها ستفكر قبل الإقدام على أي تصرف أهوج قد يؤدي لهلاكها..

- ناس كل هدفها في الحياة أنهم يصطادوا زباين جداد يغروهم بالمال والمكسب في الاول وبعدين أما يدوقوا طعمها يعطشوهم لحد ما يتحولوا لعبيد للترايزة..
وأكمل:

- والعربية مجرد طعم متفرقش معاهم هما عاوزين يشدوكي إنتي وأنا مش هسمح بده.. الغلط غلطي من الأول وأنا هتحمله وبس كده..

لا تعلم لم ارتكزت الدموع في عيونها.. لا تخاف ولا تهتم بحديثه ومنذ متى بشرى تبالي بأي شيء سوى فيروز فقط لأمسها خوفه عليها، وعده بحمايتها من شر لا تفهم أبعاده.. وربما حنانه المختبأ خلف حنقه وعصبيته أو هي من تتوهم كل ذلك..

لا يهم..

هي اكتفت بتلك اللحظة بأن هناك شخص في هذا الكون يهتم بأمرها ويخاف عليها وهي

من أجل هذا الشعور الذي تشعر به بالآن كانت من الممكن أن تبيع الدنيا بما فيها.. ما كانت اهتمت بما تفعله فيروز ولا كانت استبدلت الفراغ الذي يملأ حياتها بطاقة سلبية حقودة وجهتها بالكامل نحو أختها التي في نظرها سبب تجاهل الكل لها..

فكرت لبعض الوقت.. داعبت خصلات شعرها وقالت في النهاية:

- معنى كلامك إن هما هيكسبوني العربية عشان يجروا رجلي مش كده؟! وأكلت:

- إحنا ممكن نطلع أذكي منهم وأروح وأخذ العربية و امشي..

يا لها من فتاة خارقة الذكاء بل وتظن أن لا أحد سيصل لمستوى عبقريتها الفذة؟!

كلامها أثار ضحكه حتى أنه لا يستطيع التوقف وهي مع استمراره بالضحك كانت تشعر بالإهانة أكثر حتى انفجرت..

- كفاية ضحك لو سمحت.. إنت اللي قولت إنهم هيغروني بالمكسب..

- مش أكيد.. هناك مفيش أي حاجة مضمونة..

- بس في احتمال..

- لأ..

- وأنا مش هسيبلهم عربيتي كده بالساهل..

وفي النهاية سأم من غباءها فلقد كان يحاول منذ نصف ساعة أن ينقل لها حجم الخطر الذي يحدق حولها وهي بكل بساطة تخبره أنها تريد الدخول للمصيدة بسهولة لذا قال كلمته الأخيرة قبل الرحيل:

- عريبتك دين في رقبتى وهسددهولك وخلصنا مش هنفضل نرغي ونحرق طول اليوم
عشان أنا بجد مش فاضيلك..

وكان يظن أنه قد حسم الأمر ولكن يا عزيزي للفضولين ردود أفعال مغايرة دوما عن المتوقع..

وللعلم بالشيء هي تستحق لقب فضولية عن جدارة..

متى تبدأ النهايات..

هل عندما تنتهي مقاومتنا لحاضرنا المزيج أم عندما يحن موعدها المقدر لها؟

سؤال يدور في فلك سؤال آخر أشمل وأعمق هل الانسان مسير أم مخير؟

وهو ليس بمرحلة تفنيد أسباب ولا نحن بصدد امتحان دراسي كي نجعل الأسئلة غاية عليا.. لقد أصبح مشاهد صامت ونهايته يراها على هيئة فيلم تلفزيوني قصير يتكرر كل ليلة مع كل زائر مستجد يشهد بعيونه حماس التجربة ثم نشوة المكسب وبعدها مرارة الخسارة ومحاولة تلافيها بشتى السبل ويراهها أيضاً مع كل زبون دائم يعلم عن طريق

المصادفة خبر موته أو إفلاسه وانتهاءه..

متى بدأت نهايته؟

هل بدأت نهايته عندما دخل بقدميه لهذا المكان رغبة منه في نسيان واقعه المشين أم أنها بدأت عندما انتهت أسطورة عمر سليم من الملاعب بسبب تمزق لعين أصاب رباطه الصليبي لينتهي مستقبله الكروي وتندمر أحلامه ويفارق المكان الوحيد الذي وجد به نفسه وبني عليه كيانه عن طريق ساحرة مستديرة كان يعشقها لا يمارس موهبته عن

طريقها ليتحول بعدها إلى شخص يشتم رائحة النهاية في كل شيء حوله؟!

النهاية واحدة عمر مخير أو مسير لقد أصبحت أسيراً لهذا المكان ذو الجدران العالية عديمة المنافذ.. المكان الذي لا تدخله الشمس كي لا تشعر بالوقت ولا تجد على الطاولات أموال ضخمة بل يتم إدخالها أولاً بأول عن طريق فتحات جانبية بالطاولات كي لا تشاهد حجم خسارتك والمكان الذي يتحول فيه الإنسان إلى دمية بيد الحظ والمال..

كل تلك الحلقة المفرغة من الأفكار دارت بعقله عندما رآها بعد خمس ساعات فقط من تركه لها قادمة من بعيد تفتش عنه بعيونها خلف المقاعد وأمام الطاولات.. وضع المشروب الذي بيده بحركة سريعة تسببت في سكب جزءاً منه على الطاولة ثم ركض نحوها ولكن كان هناك من يسبقه كي ينال شرف الترحاب بها فن قواعد المكان أن يعامل كل شخص على أنه الأفضل، الأهم من بين الجميع..

كان هو نفسه أحد كلاب " كامل الأهواني " المخلصين والذي قام بشراء سيارتها ويطلب من عمر بكل حقارة أن يساعده على استدراجها الآن يقبل يديها بشيكة ويخبرها بلغة الأمراء...

- شرفتنا يا هانم..

والثراثة مرتبة وكان الأمر جلياً على ملاحظها ومازالت تبحث عن عمر بينما شفتها تنفرج بابتسامة باهتة ممتنة للآخر على مجاملته الرقيقة ولم يجد نفسه سوى أن يجذبها من ذراعها على انفراد ليخبرها:

- انتي اتجننتي؟ مش قلتك متجيش..

وهي قالت بتحدي وبعض العصبية:

- لتاني مرة يا كابتن هقولك إنك مش وافي عليا وتقولي أعمل إيه ومعملش إيه..
عريتي هرجع بيها البيت انهاردة مش بكرة.. أنا عندي مخ ولسان وعين..
- غبية..

رده كان اتوماتيكياً وخرج بنبرة أعلى من المسموح به لينتبه الجميع له.. قال بعد أن جال بنظره نحوهم:

- امشي دلوقت وتكلم بعدين..

اقتحم الآخر خلوتهم ليخبرها بينما كانت أصابعه تشير لما هو خلفها:

- بشرى هانم التريزة جاهزة ومادلين هتشرحك اللعبة سريعاً قبل ما نبدأ..

وهي التفتت نحوها والحماس الذي لمح به عينها ألقه وبشدة ولم يعد بعدها بإمكان أي شخص إيقافها..

حتى هو....

بعد شهر

طلتها أصبحت مختلفة مؤخرًا وتصرفاتها أيضًا..
واليوم يبدو أن هناك حالة من الجنون تلبستها.. أناقة زائدة عن الحد وكأنها تُلذذ بتدمير
نفسها، فستان ذهبي لامع يحيط بجسدها بأنوثة ويتسع عند ساقها بثنيات أنيقة، شعرها
البنّي تركت له العنان مثلما تركته لظهرها النصف عاري وصبغت شفيتها بلون أحمر قاني
مما أعطاهها طلة شيطانية مثيرة تناسب المكان الذي تعتبره الآن منزلها الثاني بل الأول
منذ اليوم الذي استردت فيه سيارتها العزيزة..

هنا لا شعور بالوقت.. لا هموم ولا تفرقة ولا ضغينة.. هنا هي ملكة حتى وإن خرجت
منه خاسرة قدر لا بأس من أموالها..

هنا هي رقم واحد وهنا وجدت ضالتها وكل الشكر لعمر ومطواته العزيزة..
لقد وقعت بعشق "الروليت" مؤخرًا وتلك اللعبة هي من كانت سبباً رئيسياً في جعلها
تتردد على المكان كل يوم تقريباً على عكس الأسابيع الماضية كانت متفرجة أكثر مما هي
مشاركة فلم يكن البوكر قد استحوذ على اهتمامها وتفكيرها ولم يمتلكها مثلما فعلت بها
الروليت..

بالروليت لا مجهود ولا تفكير مضمّن فقط حظ وأصابع الشخص الذي يصنع لهم بها
الوهم..

جلست على طاولتها المفضلة واحتست مشروباً لا تستسيغ طعمه وفي الجهة الأخرى كان
هناك رجل يتابعها وبين أصابعه تحترق لفافة تبغ لعينة ليهمس رجلاً آخر في أذنيه مردداً

بفجور:

- صحبتك وصلت..

التفت عمر تلقائياً ونظر للأوراق التي يمسكها بأصابعه ثم قال بعدم اهتمام:

- أنا مالي بيها ياعم تيجي متجيش يكش تولع..

ولكن داخله هو من كان يحترق لا هي فلقد كان هناك رجلاً آخر يقبل يديها بشفتيه مخبراً إياها بسعادة أن الحظ لازمه بسبب جلوسها على المقعد المجاور له...

شهر كامل مر عليه وهو يحاصرها، يبعث على هاتفها برسائل صوتية لا تجيب عليها، يحادثها أحياناً ولا أمل ويرسل إليها بين الحين والآخر بورود وهدايا رغبة منه في رؤية أي رد فعل وإن كان غاضب ولا يعلم إن كانت تستقبلهم من الأساس أو لا.. وذات مرة قام بإرسال بطاقتين لدار الأوبرا خاصة بحفل "عمر خيرت" في منتصف الشهر الحالي وما زال يأمل بأن تتغير الظروف حتى تحين موعدها ولكن من أين سيأتي الأمل وهي منغلقة على نفسها في بحر صنعته لنفسها فلا هو يراها ولا يستطيع العبور إليها؟!!

فقط الضوء الدائم الذي يتسلل من نافذة غرفتها في الصباح والمساء هو ما يخبره أنها بخير، أنها موجودة وعلى قيد الحياة وغير ذلك لا يعلم ولم يعد بإمكانه طلب المساعدة من إبراهيم مرة أخرى..

وهو بشر ولديه طاقة ومخزون طاقته قد فرغ تماماً..

لو فقط يرى أملاً صغيراً ما تركه وكان سيحارب من أجله ولكن حربه مجهولة الأطراف

غير مضمونة النتائج وهذا الوضع محبط، ظالم وقاتل للمشاعر..

منذ عدة أيام وهو تلقائياً ابتعد، يفاضل شعوره باليأس منها ورغبته بالبقاء بجانبها وفي النهاية يظل واقفاً عند نفس المرحلة فلا هو يتقدم ولا هو يتراجع..
إن تراجع سيكره نفسه لأنه تخلى عنها وإن استمر هكذا سيفقد نفسه التي تتعلق بأمل فارغ لا وجود له سوى بعقله..

يا لها من معضلة ياسر؟!.. هل قدر لك أن تحترق بنارها وتحيا على أنقاض عشقك لها؟!
تلك ليست بحياة...

واليوم قرر أن يضع النقاط على الحروف، إن كانت خائفة وضائعة بين متاهات الظلام فبين ضلوعه سيحميها وإن كانت لا تثق في الحب فسيضع قلبه النابض أمانة بين يديها
وحينها ستعلم أنه لا ينبض سوى من أجلها وفقط ولكن إن كانت لا تشعر به من الأساس ولا بمشاعره وتحيا على ركام عشق قديم لا تستطيع التخلص منه فهذا ما لا يحتمل مجرد احتماليته..

لم يجد نفسه سوى يرسل برسالة صوتية كان هذا محتواها:

" لازم نتكلم .. ضروري انهارة يا روز والي عاوزاه هيكون "

وكانت نبرته مُحْبَطَةً بشكل كبير ولم تجد بعدها مفر من المواجهة التي أجلتها كثيراً لترسل له بدورها رسالة نصية بمساعدة مربيته فلم تمتلك بعد الشجاعة كي تحدثه..

" ساعتين بالظبط وأكون في النادي "

وهو لم يفهم مشاعره بتلك اللحظة التي رقص بها هاتفه معلناً عن وصول رسالتها إن كانت فرحة بلقائها أم أنه ترقب لنهاية حكايتهما؟!

" العند يولد الكفر "

وفي قانون العشق.. العناد يُولد حب..

تسأل كيف؟

** ما يرفضه العقل بدرجة العناد يتمسك به القلب والحرب بين العقل والقلب لغز كبير لم يحل بعد..

** في مقاومة تيار العشق لذة، مذاق خاص بنكهة القتال وما بعد القتال إما موت أحد الطرفين أو استسلام تام وكلاهما يولد حب..

** في العناد خوف من الرضوخ والاستسلام والخوف يعني ضعف والضعف أمام العناد قمة الحب...

ويأتي السؤال الأهم.. هل ولد من عنادها حباً؟!

وهي لا تعلم ولا تميز من صخب مشاعرها سوى أنها لا تريد رحيله، ترغب سنده وتفتش عن الأمان في رسائله..

أدمنت اهتمامه بشكل ما وإصراره يربطها بالحياة ولكن كبريائها لا يسمح بالتماذي وعنادها يلعب على أوتار حساسة تخص كرامتها..
وكرامتها خط أحمر بالنسبة إليها..

القلب يهمس هو عاشق انثري نبضه في شرايين جسدك فبه حقيقي لدرجة خيالية والعقل يعارض، يحمي، يخاف من تكرار تجربة مميتة فالحب روعته على قدر وجعه..
أفكار سوداء تنهش في عقلها..

هو يشفق عليك.. إن كان اليوم يريدك فغداً سيندم فمن الذي سيحتمل العيش مع امرأة نصفها إعاقة وربعها ممزق والربع الآخر يحاول أن يحتفظ برونقه ويحيا.. هي حالياً ربع امرأة والبقية مشوه، مشئت وضائع وهو إن كان اليوم راضي ففي الغد سيكون نادماً..

لم تجد خلاص من عواصف مشاعره سوى برده عن طريق سلاح قاتل تعلم أنه لن يتحمله في البداية ولكنه سيحميه من تصرف أهوج لا يدرك حجم عواقبه.. اتخذت القرار قبل شهر والتنفيذ لا يحتاج لمدة طويلة ولكن ربما هي من كانت وحيدة بدرجة زائدة عن المعدل المسموح وتريد أن تلمس فكرة أنها مازالت أنثى مرغوبة وهناك شخص غيرها يجابه معها وحدتها..

ورسائله حفزتها على اتخاذ القرار ومنحتها الشجاعة المفقودة بطريقة حديثه، نبرة صوته، إصراره على التقاءها كل هذا يحمل بين طياته مقبلات وداع ورائحة فراق.. وهكذا أفضل له ولها....

النهاية تقترب..

نهاية قصة لم تبدأ ولن تسرد على آذان الصغار لأنها لم تحدث.. كانت بشكل ما مرتبة، الدموية قد اختفت من وجهها تماماً وهذا أكد شكوكه، نزعته عن عيونها نظارتها الشمسية وظلت تعبت بنخصلاتها وهو لا يعلم لم يراقب تفاصيلها بتلك الدرجة!

هي الحب بصخبه وهمسه.. رفته وجنونه..

كانت ساكنة، واضعة على ملامحها أسواراً جليدية ومن خلف تلك الأسوار هناك عالم مختلف تعلم وحدها بوجوده..

صراع دامي، فيضانات وبراكين..

صدرها يحترق، تحول في لحظة إلى قطعة من جهنم..

كيف لهذا الكلام القاتل لها بدرجة أكثر مما ستكون بالنسبة له أن يخرج من شفيتها بحق الله؟! كيف ستخبره أن قلبها مازال ينبض لشخص آخر قتلها وهي حية ترزق كي تجبره على الرحيل من حياتها!.. شخص نسفت بقاياها من داخلها منذ زمن فلم تعد حتى تكرهه أو غاضبة منه فقط غاضبة من نفسها لأنها اختارته..

- إزيك؟! -

بمجرد أن خرجت من شفيتها واخترقت أذنيها توترت.. لا تتحدث أتركها تلهم الكلمات وتقذفها بوجهك وترحل..

حقيقة أدركتها بتلك اللحظة.. أنها ضعيفة أمامه.. لم تكن في الماضي تحتاج لكل هذا الوقت كي تنفذ فكرة رغب بها عقلها وعارضه بها قلبها..

لا تعلم لم تذكرت بتلك اللحظة اليوم الذي أتاها فيه مصارحاً إياها بحبه لها ومودعاً لها بقرار قد خطط لأبعاده جيداً.. نظراته لم تستطع محوها من مخيلتها أبداً فقد كانت مُعَذِّبَةً، مُجَبَّطَةً وموجعة وأحرق قلبها..

كانت لم ترد رحيله حينها مثلما لا تريد الآن..

هي تريد أن يساعدها في ألمة جراحها.. تشتهي الشفاء ولا تستطع وحدها.. تتمنى أن تجدد ثقتها بالناس والحياة مرة أخرى عن طريقه..

تريد أن ينتزع الخوف الذي يملأ صدرها ويضع محله حب وأمان وسلام وراحة مفقودة..

تريد أن **تحيا**.. تتعلم العيش من جديد.. تحتاج نبضات قلبه العاشقة كي تستطع التغلب على رائحة الموت التي تشتمها بكل شيء..
إذا كانت هي الحب ياسر فأنت الحياة..

- روز؟!.. إنتي كويسة؟

وما زالت لا تتحدث، غارقة في نزاعها الداخلي وتستحضر قوى خارقة تساعد في التخلص على رغبتها ببقاءه.. تريد أن تفعلها من أجله فهي أضعف من أن تخوض تجربة جديدة، لا تثق بكونها أنثى قادرة على الحياة والحب ولا تثق باستمرار حبه لها فهي اعتادت مفارقة كل ما تريد حد الزهد..

- ياسر.. أنا عاوزة أقول كلمتين..

أخيراً دفعت مقدمة الكلام المحشور بمنجرتها وما بقي كان أصعب..
فجأة ازدادت رغبتها في البكاء حد الاختناق لتجاهد رغبتها في البكاء أيضاً؟! فإن سقطت دموعها ستتهار حصونها أمامه ولا تراجع ولن تسامح نفسها إن فعلتها..
ما يحدث معها كثير.. كثير جداً..

أي بشر هذا الذي بإمكانه أن يحمل داخله هذا الكم من التضاد؟!

الضيق على صدرها يزداد ومنبع الدموع مازال تحت السيطرة..

تجاهد ضعفها.. تستحضر قوى وهمية ولا تجدها..

الأوكسجين يقل في الأجواء والجو أصبح خانقاً بدرجة زائدة عن المعتاد..

والأمر مع الوقت يزداد سوءًا بينما هو عاجزًا عن فهم حالتها تتحدث وتصمت وشحوب وجهها يسوء..

- روز فيه إيه؟

وهي تنهد.. يزداد معدل تنفسها.. تتحدث بصوت متهدج، تائه بين الشهيق والزفير..
- ياسر...

ومن بعدها خارت كل قواها الممكنة.. أغمضت عينها باستسلام واستندت على ظهر مقعدها وهو ركض نحوها دون تفكير حاملاً إياها..

جسدها على ذراعيه.. نبضه يصلها أقوى.. خوفه عليها الساكن بين ضلوعه انتقل كنبضات كهربائية وعبر إليها..

فجأة باتت لا تتحرك.. ساكنة كالمتوترة..

وهو كان يركض بها بأقصى قوة.. يبتهل للخالق..

يا الله لا تحرمه منها بعد كل هذا...

وهي تطالبه بصمت بأن يمنحها الأمان دون قيد وشروط..

بلا ندم بالمستقبل...

مع كل دقة قلب جديدة يقابلها نداء روحها الذي يصرخ من الوحدة، الضعف والموت

البطيء الذي تسعى إليه منذ أشهر..

لا تتركني..

أحتاجك..

انتشلي من بؤرة الموت ودوامة فقدان التي أغرق بها..

حتى في النهاية استسلمت تماماً واشتدت الموت على ذراعيه وبين ضلوعه..
 وضعها على المقعد الخلفي بسيارته وحينها تذكر حقيبتها التي مازالت على المنضدة، سائقها
 اختفى مع السيارة وربما بخاخة الدواء بها مثلها كانت المرة الفائتة..
 وربما كانت بالحقيبة!
 كان تأثراً.. عقله توقف تماماً.. هل يعود للداخل ويتركها أم يتحرك بها نحو أقرب مشفى
 ولكن ربما لن يلحق..
 قام بإحضارها بأقصى سرعة وعاد ليفرغ محتوياتها بالسيارة عندما تعثر عليه البحث عنها
 وفي النهاية لم يجدها ليقوم بالوثب على مقعد القيادة وينطلق بها..

هو تأخر..
 وهي لا تنفَس..
 رباه لن تموت.. ليس بعد أن وجد نفسه معها..
 ليس بعد أن تعلق بها لتلك الدرجة..
 وهو جامد، صابر حتى الآن بطريقة يحسد نفسه عليها.. يتحرك بين أروقة المشفى وهي بين
 ذراعيه باحثاً عن أي طبيب ينقذها حتى في النهاية فرت من جهنم عينيه دمعة وحيدة
 سقطت من مقلتيه لتصفع خدها..
 وضعها على أقرب سرير بحجرة الطوارئ وترك للطبيب ومساعدته مهمة انقاذها.. أخضعها
 الطبيب سريعاً تحت جهاز التنفس الصناعي بنفس الوقت الذي قامت فيه مساعدة
 الطبيب بفك أزار بلوزتها العلوية ليولي هو وجهه تلقائياً للجهة الأخرى ثم يخرج من

الغرفة في النهاية عندما اطمئن أن أنفاسها قد عادت للحياة مرة أخرى...

- روز فين؟

قال إبراهيم مجيباً على أبيه فما استطاع فهمه منها أن لديها أمر عاجل بالنادي ولن تستطع المجيء للعشاء وما خمنه أنها تهرب من التقاءها ببشرى ولم يقم بالضغط عليها فيكفيها ما تحمله بصدرها من هموم..

- في النادي بتقول عندها مشوار مهم وهتحاول تيجي..

وحينها وقعت عيناه على مقعد بشرى الفارغ.. خائنه عيناه ولكن لن يخونه لسانه.. مازال الذنب لم يغفر فهي لم تطلب السماح بعد ولا تتقبل العقاب..

لمحت حورية اضطرابه وشهدت شروده ومن نظراته على مقعد بشرى الفارغ فهمت ما يدور بخلفه فأخبرته وكأنها تلومه بأن هناك شخص غائب عن الجمع غير فيروز.. ابنتهما الوسطى ومن حقها عليه أن يسأل عنها لا يظل يتجاهلها فهما ارتكبت من أخطاء ستظل ابنته..

- هي كان وراها مشوار مهم..

الجميع لديهم أمور هامة ليحضر هو على رأس طاولة عشاء عائلية بلا عائلة! كانت تلك الجملة يتردد صداها بعقل محي وظهرت على شكل تهيدة ساخرة خرجت من فمه ثم لاحقها بالقول بعدما نظر لأسماء:

- جوزك فين؟

شحب وجهها تلقائياً عندما اصطدمت أذنيها بتلك الكلمة.. زوجها؟! هي لم تعتد تلك

الكلمة بعد وتحاول التأقلم على عدم وجوده بحياتها قدر المستطاع ولكن مهما حاولت لن تستطع محو حقيقة أنها **زوجته..**

زوجته التي لا تعلم له طريقاً ولا تريد ولكنها تخاف من هذا الصمت الغريب فمن عادة الصمت أنه يسبق العواصف..

هي لم تراه منذ ليلة الزفاف على غير العادي والمتوقع.. من قبل كان دوماً يضايقها.. يعتمد تذكيرها بما تجاهد بنسيانها.. يجرحها وكأنه لا يكتفي منها ولن يقبل سوى بتوقف أنفاسها وموتها.. وفي النهاية يختفي فجأة ليركها مع هواجس لا تنتهي بشأن خطط ما يستعد لها..

اختفاءه المريب يربكها.. يقلق راحتها ويجدد كواييسها..

انتبهت أن ابراهيم ينظر نحوها، يطالبها بعيونه بأن تجيب على سؤال أبيها فابتلعت ريقها لتقول بالنهاية:

- مروان مسافر..

عقد أبيها حاجبيه في النهاية قائلاً بلوم مختلطاً بغضب:

- مسافر وسايك لوحدك وانتو مكملتوش شهرين جواز!

- لأ هو جاي انهاردة..

ولا تعلم لم أجابته هكذا وكأنها تنفي عنه تهمة وأرادت حمايته.. وربما ردها يكمن في

رغبتها بعدم شك أبيها في صلاحية زواجها..

وقالت مؤكدة:

- ظروف شغله صعبة شوية..

ولم يعلق أبيها.. أساساً هذا الزواج لا يبتلعه بأي صورة من الصور وهي على الرغم من

دفاعها عنه إلا أنها ليست سعيدة وهو يشعر..

وحينها تدخلت حورية:

- فيه إيه يا محي؟!.. متسيب الولاد براحتهم..

ما باله اليوم يستجوب الجميع فأساساً الأجواء متوترة بالعائلة بما يكفي وهي فكرت أن ربما هذا التجمع على شرف حضور أسما عروس العائلة سيخفف من حدتها ولكن على ما يبدو أنها كانت مخطئة..

شرعت في توزيع المأكولات على أطباقهم بابتسامة أرادت بها تلطيف الأجواء ولكن تلك الأجواء قد تفجرت تماماً عندما قطع صمتهم بكاء فريدة الهستيرى المفاجئ والغير مبرر وكأنها ظلت تكتم وتكتم مشاعرها بداخلها وظلت تتظاهر بأن الأمور طبيعية حتى انفجرت..

فقدت السيطرة على نفسها تماماً بعد حديث أسما وحماها عن مروان.. مروان الذي ظل يدمر علاقتها مع إبراهيم وبالنهاية اختفى من حياتها ولم تستطع منذ ثلاثة أسابيع الوصول إليه بأي شكل من الأشكال وتركها معلقة لم تتذوق عنب الشام ولم تنهأ ببلح اليمن وكان هذا المتوقع فلا تلومين غيرك الآن..

ووسط نداء الجميع وتجمعهم حولها.. وسط نبرات أصواتهم القلقة عليها خرج صوت لا تريد سواه فقط يسألها عن سبب بكائها ليزداد منسوب الدموع وتحتد الشهقات..

وكان إبراهيم.. زوجها البعيد الذي يهجرها منذ فترة طويلة ولا تستطيع إرضاءه بشتى الطرق..

عندما أخبرته مساعدة الطبيب أنها استعادت وعيها وبإمكانه اصطحابها دخل للغرفة تلقائياً.. كانت جالسة على السرير بينما تحتضن ركبتيها وتدفن رأسها ما بين المنتصف.. آله رؤيتها على تلك الحالة.. ما بالها اليوم؟ ولم نتصرف بغرابة هو لا يستوعب بعد.. تحركت أنامله بتردد كي تمسد على شعرها رغبة منه في طمأنتها ولكنها أتت بنتائج عكسية فلقد انتفضت خوفاً..

أخبرها بعدما أمسك يديها المرتجفة:

- هششششش.. إهدي أنا ياسر..

وسألها بترقب:

- مالك؟

عمَ يتسائل؟!.. المشكلة بالأساس تكمن في وجوده.. في ضعفها نحوه..

لويعلم كم هي غاضبة من نفسها لأنها انهارت أمامه بتلك الصورة اليوم ما جاء يسألها الآن ولا كان عاد من الرياض قبل شهر وأكثر..

أخبرته بعد أن سالت على وجنتيها شلالات دموع لتختلط حروفها بدموعها فخرجت مشوهة أكثر مما يجب:

- امشي يا ياسر.. روح..

الفصل التاسع والعشرون

تعودتُ على الظلمة..

على العتمة..

وصرتُ الآن ألفها..

وتألفني..

وتؤسفني..

انفعالاتي..

إذا صرحتُ بالقول..

وبالفعل..

لمن منكم يُخالفني..

وصرتُ أحاذرُ النور..

لأن النور يكشفني..

مروان

"عبد العزيز جويذة"

- امشي يا ياسر..روح..

يذهب؟ أين سيذهب بحق الله؟!.. وهل تركت له مكاناً يهرب إليه منها؟!
وكانه يملك القرار..

وكان ظلها سيفارقه..

شعر بالسأم منها فبينما هو يعشقها لتلك الدرجة هي تحارب نفسها كي تبعده عنها..فقد
رباط جأشه بل فقد نفسه وأخبرها وكان حانقاً للغاية:

- ليه؟ عاوزاني أمشي أنا كان عشان تثبتى لنفسك إني زيه وساعتها تلاقي مبرر جديد
لدور الضحية اللي عايشاه!

لوت شفتيها بألم..أهكذا يراها؟ يصغر من أزمتهأ ومما فقدته..

وكيف سيشعر بها؟..لن يشعر بها سوى أمثالها من فاقدى البصر محاربي الظلام وقليل
الحيلة،العاجزين والمتعثرين بسيرهم على الدوام..

من فقدوا هويتهم مع عيونهم..

- ضحية؟!..سهل أوي نحكم على الناس من بعيد على فكرة..غمض عينك وشوف
هتستحمل أد إيه..

اقترب منها فجأة فارتعش جسدها..أمسك كفها فسحبته نحوها..

- ومين قالك إني مبعملش كده؟

واستطرد بعدد من الأسئلة:

- جيتي تقابليني ليه؟

وإجابته كانت " صمت "

- بتستقبلي رسايلي ليه؟

ومازالت لا تتحدث..

- عاوزه تهربي مني ليه؟

وآخر الأسئلة أصعبهم وإجابته كانت انهيار..

سب نفسه داخله.. ما هذا الذي يفعله؟

يُحزنه بنفسه!.. يبكي فيروزه!

مسح دموعها بأصابعه واللسان فقد لجأه ومن بعدها لا سيطرة:

- دموعك دي بتقتلني.. عارفة ده؟

وهي اقشعرت لحركة أصابعه، تريده، تحتاجه ولكن لا تستطع الشرود مع مشاعرهما التي

بدأت تستجيب له لمسافات بعيدة..

الواقع المجسد أمامها يمنعها، الماضي يذكرها وغموض المستقبل يكفيا..

- أنت بتصرف كده عشان ظروفى وعشان صعبانة عليك بس...

وهو قاطعها بقسوة.. بحدة..

هل تظن أن قسوتها في الحديث حصرية؟

تتحدث عن لسانه.. تقرر عنه وتحكم هي في النهاية..

كفى..

- برده بتدوري على أسباب تبعدينى بيها وإنتى نفسك مش مقتنعة بكلامك.. ليه

مش عاوزة تفهمي إني مش شايفك زي ما بتوصفي نفسك.. انتي بالنسبة ليا ما نقصتيش حاجة بالعكس إنتي كل يوم بتزيدي في نظري.. أنا محبتش عنيكي وملا محك أنا حبيت يكانك وروحك.. حبيت روز مش شكل روز.. روز اللي انتي عاوزة تدمريها بس أنا مش هسمحلك..

- وانت إيه ذنبك؟

- انتي جالزتي..

- إفرض فشلنا!

- أكيد هتنجح..

تهنت.. استسلمت.. ارتاحت ملامحها المشدودة..

سألته بعد ثوان من التفكير:

- مش هتندم؟

وخرجت الإجابة بتلقائية شديدة:

- هندم لو سبتك تاني..

واستغل سكونها ليكمل:

- اسمحيلي أفتح باب قلبك أو حتى أقف على بابه..

صمتت.. "والسكوت علامة الرضا"

وبالأخص صمتها..

كم هي عنيدة وكم أرهقته معها ولكن إن كانت هي أميرة العند فهو سلطانه..

وخاصة بما يخصها..

مدت يديها المرتجفة له كي يساعدها على النهوض وهو تلقاها بتنهيدة راحة بينما صدره

يردد

"أخيراً يا روز"

"النساء يستحقن جائزة نوبل في البكاء والرجال في تحملهن"

نتوقف دموعها ثوان ثم تتجدد..

لقد كسر قلبها الليلة..يجنى عليها بينما هي في أشد لحظاتها احتياجاً له..

متى تغيرت طباعه هكذا؟ زعق بها أمام أهله وجرها خلفه كهرة ثم أخبرها في السيارة

بعصبية شديدة أنه يعلم أنها تعمدت البكاء كي تخرجه أمام أهله..

وهي لم تتعمد ذلك..أقسمت ولا يصدق وله الحق فكيف تطالبه بأن يصدقها مرة أخرى

بعدها كذبت عليه بكل أريحية؟!

بمجرد أن دلفا للمنزل ركضت هي نحو سريرها وأخبرته وكانت باكية:

- إبراهيم إنت عمرك ما كنت قاسي كده..

وبتلك اللحظة تذكرت ضحيتها الأخرى..الموقف مشابه ونظراتهم كانت واحدة تقريباً..

"إنت عمرك ما كنت كده يا مروان"

وكانت إجابته قاطعة..موجهة نحوها وحدها:

- البركة فيكي..

وقعت عينها على الصورة التي تجمعهم بحفل زفافهم والمعلقة على حائط الغرفة..نظراته

كانت مختلفة..ابتسامته التي تثير وجهه تكاد أن تنطق بحبه لها..كان هائماً بها وكانت

سعيدة معه..

لقد دمرت كل شيء بغاءها..

ما هي؟.. ما جنسها؟

تقتات على المشاعر، تستهلك كل من يقترب منها حتى تدميه وتحوله لمستنسخ لا يشبه
النسخة الأصلية سوى بالملاح..

هل تعلمهم الجلود وتسقيهم القسوة؟

رباه لو يعلم كم هي نادمة لأنها أضاعته من يديها.. كم تشتتي عودته وكم تحترق من هجره..
كم تمنى لو عاد بها الزمن ما استجابت لمروان ولا ضعفت أمام هجومه..

- إنتي فاكرة إني بعاقبك صح؟!

وهي لم تحرك رأسها.. لم تنفي ولم توافق ولكن الإجابة قد وصلته من مقلتها التي ثبتت في
محلها..

- هي دي مشكلتنا يا فريدة.. مش بتبصى لصلب الموضوع وبتركزي على مواضيع متطرفة
وتسيبي الأساس..

وأضاف:

- أنا مش بعاقبك أنا معدتش واثق في أي تصرف يخرج منك.. مش قادر أعدي الموقف
زي كل مرة واسامحك..

والنبرة كانت أعلى وهو يؤكد:

- وحقني على فكرة.. إيه اللي يضملي إنك مكذبتيش في حاجات تانية أو إنك مقضياها
معايا كذب في كذب..

وما كان عليها سوى أن توقفه صارخة:

- كفاية يا إبراهيم..متكلمش..

سكن للحظات..وكانه يفكر بقرار أو يستعد لقرار..

- الظاهر إننا مش هنقدر نكل سوا.. كل يوم بتثبتي إنك إنتى مش فريدة اللي حبتها وقررت التجوزها..

ركضت نحوه..احتضنته بقوة..التصقت به كطفلة مدللة تخاف رحيل أبيها وتمسكت برقبته حتى كادت أن تمنع ذرات الأكسجين من الولوج لرئتيه..كانت تقبله بدموعها،توسل إليه وتحارب جفائه..

- إبراهيم إنت لو سبتي أموت..

" هي ملكة الغباء دون منازع "

فتاة غريبة الأطوار ساقتها الأقدار باتجاه الطوفان فركضت نحوه حتى غرقت..
ظل يراقبها من خلف أوراقه..تشرب بحدة وتحسر بجداراة ومازالت مستمرة..
انتهت نقودها فتخلت عن قرطها ومازالت مصرة على الخسارة..
لم يراقبها؟ ألم يخبرها أنه لا شأن له معها وألم يتجاهل وجودها منذ فترة!
ولكن اليوم هي مختلفة،أكثر غرابة،تخطو خطوات سريعة نحو دمارها..
نتعمد ربما..

قرر أن يجلس بمقعد آخر عله يظفر ببعض التركيز في تلك الجولة،عليه ديون ولديه مصائب ولا ينقصه مجنونة مثلها..

ما هي إلا دقائق وهمس نفس الرجل الذي أخبره بقدومها للصالة..

" الحق صحبتك عاملين عليها حفلة "

التفت نحوه.. كانت وسط مجموعة رجال كل منهما يعطيها رشفة من مشروبها وهي مغيبة، ثملة حتى النخاع..

لم يحتمل الجلوس بمكانه عندما وجد الفتى المدلل للصالة " زيزو " والذي كان يناولها سيجارة مشبوهة أو بالأحرى " سيجارة بني " ..

" حشيش هي حصلت! "

قفز قفزاً من المقعد والتقط السيجارة من يديها قبل أن تلتصق بفمها والآخر نهره بمياعة:
- مالك يا كابتن قفشت كده؟ ما تسيبها تجرب وبعدين إشمعنا أنا..

وهو جز على أسنانه وأخبره دون أن ينظر لوجهه فقد كانت عيناه متعلقة بتلك العيون
الثملة الضائعة التي يحاول فهم غرابة تصرفاتها..

- معلش يا زيزو بكرة هجيها من بدري إن شاء الله..

وأمسكها من رسغها بشدة محاولاً التحكم في ثباته الانفعالي الذي أوشك على الانفجار:
- يلا قومي..

وهي سقطت على الطاولة وكانت تتحدث ببقايا حروف:

- لأ.. لسه هلعب تاني..

لم ينتظر موافقتها فقد جذبها بقوة وأخذ حقيبتها ثم بجرها خلفه وهي من شدة ثملتها
تعثرت.. ساعدها على الوقوف ثم خرج بها من باب المقهى نهائياً بينما يسألها:

- راكنة عربيتك فين؟

وكانت تتحدث بعين نصف مغمضة، بصوت مبحوح وهمهمة لم يستطع تمييز منها سوى القليل..

- أنا مش عاوزة أروح..

وجذبت يديها من قبضته وأكلت:

- سيبي..

انفجر بها.. نهرها.. وزعقه بها أعاد إليها بعض وعيها المفقود..

- إنتي غريبة جداً.. بتصرفي كده ليه؟

والنبرة تحتد والثبات الانفعالي ينهار وشعر أنه على وشك أن يفقد أعصابه ويصفعها.. ما

تلك الفتاة؟!.. أبتلاء هي!.. أكان ينقصه أن يتحمل وزرها ويشعر بالذنب تجاهها كلها

رأها؟!!

- هتروحي ومشوفش وشك هنا تاني فاهمة..

كان يتحدث ولا يعلم إن كان يصلها كلماته.. تغمض عينيها وتفتحها على أضواء السيارات

المارة أمامهم والتي برأيها كانت تراها مزعجة للغاية.. كان يشعر أنها على وشك النوم تهرباً

من حديثه مثلما تهرب من حياتها..

شعر بالعجز.. ماذا يفعل بها؟ أيلقى بها في وسط النيل كي يرتاح منها!

وهي ألقت برأسها على صدره.. أغمضت عيناها وكانت الحروف تلك المرة مميزة وقاطعة

وحابسة لأنفاسه..

- أنا بحبك يا عمر.. بحبك قوي..

واستسلمت بعدها لسلطان النوم والثمالة..

وأما عنه فكانت صدمته لا توصف..
فأن تقع ملكة الغباء في حب رئيس جمهورية الضياع قمة الغباء..
وربما كانت تهذي.. وكان يتمنى ذلك..

الأمان..

كلمة من أربعة أحرف ولكل حرف قصة..

أ: أنا معك..

م: مسكنك..

أ: أمانك..

ن: نور دربك..

الأمان.. الكلمة الوحيدة التي لا تقال ولا تنفذ.. فقط تُشعر وما أروع من شعور ،خارق
ولا يوصف..

هي ولأول مرة منذ فترة طويلة تشعر ببعض السلام، الهدوء والسكينة.. بالأمان.. قل
خوفها من الظلام وربما كانت تلك مقاومة منها بعد أن وجدت أملاً جديداً يستحق أن
تتشبث بالحياة من أجله ولأجله..

قررت بعد استسلامها له اليوم أن تجابه مخاوفها وتقتل ماضيها وتخطو معه خطوات
جديدة للأمام..

تبحث عن الحياة في حبه..

تسألت .. ما هو الحب؟

أهو ترياق سحري.. أم أنه سم قاتل؟!

الحب يا عزيزتي سُمّ وعسل.. خلطة مختلفة المقادير فبعض الناس لهم النصيب الأكبر من السم فماتوا والبعض محظوظ نال العسل..

وهي أمام تجربة جديدة تأمل عسلها وتخاف سُمها وجسدها لن يتحمل جرعة سم زائدة.. ولكنها إلى حد ما مطمئنة، تثق بياسر أكثر من الحب..

اجتاحها طوفان مشاعره فسكنت ثوراتها..

ربما هي لا تعشقه ولكنها تثق به فقلبها الآن كصفحة بيضاء وداخلها فراغ كبير تنتظر أن يملئه بسيل عشقه.. تتنى أن تتعلم الحب من جديد على يده وأن تتجدد الحياة في جوارحها المدمرة من جديد..

تشتهي أن ترى الحياة بعينه وأن تجد الأمان الذي فقدته في خضام حربها مع الظلام.. بتلك اللحظة أعلن هاتفها عن وصول رسالة صوتها وكانت تنتظرها..

" تصبحي على خير "

لتغمض عيناها بأمان فلو كان الظلام شبحاً فصوته حارسها..

بمجرد أن عادت لمنزلها العزيز وبالأخص غرفتها ألقت بجسدها في منتصف الفراش ثم زفرت بحدة قاذفة حذائها لأعلى واحداً تلو الآخر بآلية..

كانت بالفعل تبدو كإنسان آلى مفتوحة العينين، متيقظة الحواس ولكنها هائمة لا ترى، لا تسمع ولا تنتبه لأي شيء حولها..

الوقت توقف بالنسبة إليها عند إجابتها على سؤال أبيها ودفاعها المبطن عن مروان ومنذ

ذلك الحين وهي شاردة تفكر بسؤاله وتكرر إجابتها وتحاكم نفسها في محكمة هي المجنى عليها والجاني والقاضي الحاكم بالقضية..

ربما مر الموقف مرور الكرام على أهلها ونجحت في اقناعهم ولكن في سبيل ذلك كانت قد ضغطت على جراحها لتنزف مجدداً وعندما شعرت أنها قد فقدت قدرتها على التمثيل بطبيعية الأوضاع أكثر استغلت فرصة انشغال الجميع مع فريدة وقلقهم عليها وودعتهم متحججة بالعائد من السفر الذي ربما ينتظرها..

آه لو يعلموا الحقيقة.. حقيقة زواج كان كذبة وحب كان فخ وخدعة..

شعرت باختناق فجائي وتذكرت حياة أخرى كانت تشتهيها معه وحده..
رجل تعشقه وبيت دافئ وطفل يحمل ملامح مروان..
أكان كثيراً عليها مثلاً؟!

حمقاء هي.. هو دمرها وهي تدافع عنه تلقائياً بغيبابه؟!

عندما بررت لأبيها كان دون ترتيب منها، انطلقت الكلمات رغماً عنها وإن قالت لنفسها أنها كانت خائفة من أن يعلم أبيها حقيقة زواجهم ستكون كاذبة..
يا الله من هذا القلب الذي أصبح غريباً عنها ولا تفهمه..

شعرت بغصة في صدرها والعين مازالت جامدة وكأن مروان قد أخذ نصيبه وأكثر من منبع دموعها ونفذ رصيده..

وضعت يديها على أذنيها كي توقف سيل الأفكار المتدفق على رأسها وخاصة عندما وصلت لنقطة قاتلة..

أنها قلقه من أجله.. تريد معرفة أخباره.. فقط تطمئن عليه..
شفت بقوة.. يا إلهي هل من المعقول أنها مازال يملكها؟

هل مازال قلبها ينبض من أجله؟

الغصة تزداد والحلق يجف والعقل سيفقد..

ما يحدث معها مزحة ربما.. مانشيت رئيسي في جريدة عنوانه

" مريض نفسي سيطر على شخصيته! "

وفي تلك الحالة هي المريضة النفسية لا هو..

المواجهة قاسية والأفكار تنهش بعقلها وهي تحاول إنكارها قدر المستطاع..

إن كان كذلك فالقلب خائن ويستحق أن يقصى بعيداً عن دائرة الجسد.. الجسد الذي
عانى وتآلم.. الجسد الذي دنسه وانتكح حرمة وسلب منه حتى حقه الشرعي الدفاع عن
نفسه..

إن كان قلبها قد نسى فهو حقاً ملعون..

مازالت العين لا تبكي والجسد أصابه شلل لحظي..

عقلها يكرر صور متفرقة مشتتة عن فتاة كانت سعيدة غارقة في الحب انتهت على يده..

كانت نظراتها تنطق باسمه.. أنفاسها وهبتها له.. تهديداتها من أجله.. دقائق قلبها تخصه..

باختصار كانت له وهو اقتنص ما كان ملكه..

لم فعلها ولماذا دمرها فن يحب لا يؤذي حبيبه!

هو لم يحبك أسما وأنت كنت صيد ناله بسهولة وتلك الحكاية..

لو القلب كاد أن ينسى فكل خلية من جسدها ستذكره بما يجب عدم نسيانه..

أغمضت عيناها مستسلمة للنوم أو بالأحرى الهروب من أفكار لا تعلم مدى صحتها ومن داخلها تبتهل ألا يكن بطل أحلامها تلك الليلة..

لعبة الانتقام خاصته تحولت إلى لعنة على رأسه..
وهذا المتوقع..

ألم يخبروه بأن هناك رب منتقم جبار لا يقبل بالظلم فهو العدل..
لقد قرر أن يأخذ حقه من الحياة على طريقته ولم يفوض أمره إلى بارئه وترك العنان
لشيطانه أن يتلبسه ويعمي بصيرته..والنتيجة!

هناك بريئة دهس عليها بطريق انتقامه وتلك البريئة فوضت أمرها لخالقها والخالق يهمل
ولا يهمل..

ولتتحمل يا مروان..

الأب طريحاً منذ شهر بمشفى عام ينتظر يوم حتفه..

بسبب المال مجدداً يعيش مروان شعور العجز بعدم قدرته على إنقاذ ذويه..

وكأن حسناءه، وجعه الأكبر وجرحه الأول لا تكفي..

الشقيقة المسكينة كانت بحاجة لنقل قلب ودورها بالعلاج جاء بعد ثلاث سنوات من وفاتها والأب الآن بحاجة إلى كبد جديد بدل ذلك الذي أنهكته المياه الملوثة

والمأكولات المملوطة بالأوبئة لتتركه بالنهاية مريض كبد في مراحلها النهائية ظل يتظاهر بالصحة لآخر لحظة من أجل مسؤولياته ولقمة عيشه وسقط فجأة صريعاً أمام دكانه..
والعلاج بحاجة لأموال طائلة وهم لا يمتلكوا شيئاً بالأساس كي يبيعوه فالمنزل إيجار قديم والدكان مديون للضرائب العقارية والأهل والمعارف من نفس الطينة بالكاد يمتلكون قوت يومهم..

ماذا يفعل؟ لم يترك باباً إلا وطرقه ولم يترك طريقاً لم يسلكه وإن ظل عاجزاً هكذا سينتهى الأمر بموته..

" حسناء "

همسة خرجت من فم أبيه الذي فعلياً منذ يومان بغيوبة.. لا يتحدث ولا يشعر بأي شيء حوله.. واليوم ينطق باسم ابنته المتوفاة!
النهاية تقترب والفراق قادم لا محالة..
نظر لأمه التي لم تتحمل ما حدث فبمجرد أن استمعت لإسم ابنتها وجرحها الأول بكت بهستيرية..

الابنة فُقدت والأب سيلحق بها ويا الله على وجع القلب..
القهر والضعف والعجز..

إن كانت هي عاشت بعد رحيل فلذة كبدها فالفضل كان له والآن هو يريد أن يتركها وحيدة ويخون عهده!

بعدما يتركها لمن تحيا بعده؟!

الفتاة ذهبت لخالقها والولد يحيا في محرابه الخاص وهو السند، العكاز، الصديق والزوج

والحبيب وكل شيء..

ظل يتأمل ملامحها، انقباض وجهها والألم الذي صنع من مجرى دموعها بحوراً.. لم يتحمل أن يظل ينتظر مفارقة روح أبيه لجسده.. إن حدث ذلك أمام عينه ربما يموت..
 مهما وصل جبروت الرجل، جمود قلبه وقسوته حتماً سينهار أمام شبح الموت فلا جبروت يعلوه ولا قسوة تساوى انتزاع الأرواح من الأجساد ولا وجع يوازي فراق الأعبة..
 فجأة وجد نفسه يترك المشفى بأكمله ويرحل فثملاً كان في الماضي عاجزاً عن مساعدة شقيقته الآن تكرر المأساة بحذافيرها..

العجز والضعف نفسه والنهاية واحدة...

واللعنة على المال الذي يقيد ذراعيه على الدوام..

قادته قدميه إليها.. إلى زوجته.. ضحيته.. بريئته.. لعنته وعقابه..

وجدها نائمة وجلس على حافة السرير يراقبها..

لا يعلم لم ساقته قدميه إليها؟! ولا يفكر فقط يريد الغرق بملامحها البسيطة عله ينسى ما يهرب منه..

ربما أراد يطلب السماح منها فلو كان موت أبيه هو عقابه على جرمه الكبير في حقها فلتأخذ روحه الآن عوضاً عنه ولكن يا الله لا تعاقبه بأبيه.. مازال يحتاجه كي ينتشله من بؤرة الضياع التي يغرق بها وأمه لن تحتل فقدان آخر بالعائلة وهي بذلك العمر ومؤكداً ستلحق به..

داخله يغلي.. كان يريد عفوها وبنفس الوقت غاضب منها..

أليست هي منهم؟ تنتمي إليهم.. مدللة مثلهم..
هي الأخرى من هؤلاء الناس الذين يظنون أنهم طالما يملكون المال فقد امتلكوا أمثاله
أيضاً.. أمثاله الذين لا يفعلون سوى الرضوخ لهم كي ينالوا رضاهم وكي يأمنوا شرهم..
ربما لو كانت بقلوبهم قليل من الرحمة.. فقط القليل..
ما كان ذلك حال الدولة ولا كانت الأمراض ظلت تنهش في عظام قاطنينا حتى
تآكلت..

لو كان هناك عدل لتكفلت الدولة بعلاج الفقير قبل الغني..
أهل ماتت العدالة وقتلت المساواة يا قوم؟!
ظل يتأملها وهي تثقل على فراشها الوثير بينما أبيه ينازع الموت على سرير بمشفى لا
يصلح للاستخدام الآدمي..
توحشت نظراته وخرج منه مروان المقهور على أبيه وحل محله النسخة القاسية منه وكأنها
نسخة حصرية لها فلسوء حظها بتلك اللحظة فتحت عيونها لتصطدم بتلك النظرات
وكانت نفسها نظراته لها بتلك الليلة المشؤمة..
انتفضت من سريرها وقفزت خارجه ثم كتفت صدرها بذراعيها رغبة منها في حماية
جسدها منه..

يقترّب خطوة لتراجع وكانت دموعها المقهورة توازي خطواتها وارتعاش فكها حتى
اصطدمت في النهاية بخزانة الملابس لتتوقف الخطوات ويحاصرها هو بذراعيه.. قالت
وحاولت تصنع القوة وكانت حلاوة روح منها:

- إنت دخلت هنا إزاي؟

أخبرها ببروده المعتاد:

- عادي رنيت الجرس والبنت فتحت وقالتلي حمد الله على السلامة يا بيه كان..
واقترب منها أكثر ليصطدم وجهها بفحيح أنفاسه:
- ولا نسيتي إني جوزك يا مدام..
وأضاف:

- جوزك وليا حقوق عليكي وأما نشوف الاستاذ إبراهيم أخوكي المبجل هيعمل إيه
عشان يحميكي مني..

دفعته بعيداً عنها.. جسدها لا يحتمل قربيه وهو يصر أن يعبث بجراحها التي لم تلتئم بعد..
كل شيء يعاد أمام عينيها من البداية وكل ما فعلته كي تحيا بعدما قتلها يهدمه
بلحظة.. ارتعاش الفك يزداد طردياً مع الذعر الذي تملك منها وأقصى أمنياتها الآن أن
تفارق الروح جسدها عله يستريح فتجد هي الأمان الضائع منها..
وضعت يديها على أذنيها رغبة منها في إسكات صدى صوته الذي مازال يتردد داخلها
وقالت وكانت تبكي بهذيان:
- إنت قتلتني..

ماذا تفعل تلك الحمقاء؟.. لا يجب أن تتحدث هكذا أمامه وبالأخص في تلك الليلة فكلمها
يعتلى شعوره بذنبه وجرمه في حقها على مسرح أفكاره تتحرك حواسه لطمس أي ملامح
لميلاد ضعف قد يؤدي بهلاكه في عالم لا يعترف سوى بالأقوياء فقط..
هو لا يعلم لم يتصرف معها هكذا.. وكأنها متنفس لضيقه وانتقامه من الحياة..
يقهرها بحثاً عن راحة ويقسو عليها منتقماً من أوجاعه فيها..

ظل الحال لثوان أخرى هي تبكي وهو يحاول أن يتحكم في ثباته حتى في النهاية انتصر على صراعه وحافظ على نسخته القاسية والتي التصقت بشفتيها في أقل من الثانية ليخبرها بطريقته الخاصة بأنها مهما فعلت فهي ملكه ومسموح لها أن تتحرك فقط في مداره ولن ينفعها أخيها ولا شفاعة دموعها في الخلاص منه وربما كانت تلك طريقته الخاصة في التغلب على ضعفه نحو دموعها اللعينة..

ولم يتخيل أن يكن رد فعل جسدها بتلك الصورة القاسية فبمجرد أن تلامست الشفتين خرج كل ما في جوفها خارجه وظلت ثقیلاً حتى عصارة معدتها وكانت مازالت تشعر بالغثيان أيضاً..

تراجع خطوة للخلف بينما من داخله يلعن نفسه..

حولت حبها لك يا أحق إلى غثيان والسبب انتقام أعمى من امرأة لا تستحق..

وأما عنها فقد وقعت عيناها على صورته بالمرآة وكانت عيناها مازالت تحمل نفس

النظرة، نفس القسوة فألقته بزجاجة عطر حتى تهمشت..

فليموت.. فليختنف من حياتها.. فليفعل شيئاً جيداً ويرحمها..

لن ينالها مرة أخرى.. ستدافع عن جسدها تلك المرة ببسالة وإن لم تستطع فالموت أفضل لها..

الموت!!

تلقائياً ترجمت ذلك بعقلها على أنه الخلاص الوحيد منه.. التقطت بدموعها قطعة زجاجية

كانت قد تدرجت وتقف في النهاية أمام قدميها ثم وضعتها على حافة شرايين يديها

لتتوقف دموعها فجأة بينما لسان حالها يردد:

- لو قربت مني تاني هموت نفسي..
وتنهدت بيأس.. على أساس أنه يبالي بأمرها.. يخاف عليها مثلاً..
تهدده بنفسها!

لم تنتظر رد فعله، موافقته أو رفضه..
فهو على الدوام يؤذيها.. وهي أمامها طريقة خلاص وحيدة..
فقط الموت سيحميها منه..
سيطرت الفكرة على رأسها فلم تعد تراه ولا تشعر بوجوده رغم أنه كان يصرخ بها
ويتوسل لها بأن تهدأ وتترك هذا الشيء اللعين من يديها..
غرست حافة الزجاجة في لحمها ورؤيتها لدمائها أعادت سيلان دموعها من جديد وأما
عنه هو فلم يجد حلاً لإنقاذها سوى بدفعها بأقصى قوة...

مكتب آية في الفخامة والبرخ.. كل ركن به يحوي تمثالاً ذهبية أو تحفة باهظة الثمن
..مقاعد نخمة وتكلف زائد بكل تفاصيل المكان..
مؤكداً سيكن كذلك فهو عبارة عن مصب لأموال الآخرين وتأتيه الأموال لبابه بمنتهى
السهولة.. هم يعملوا في الخارج ويأتوا إليه ليأخذ ما يمتلكوه ببساطة مع بالغ الشكر
والامتنان...

هو كامل الأهواني.. الفيضان الذي يتلعب الأخضر واليابس والحوت الذي لا يشبع..
دخل عليه أحد رجاله والمكلف بنقل تفاصيل تفاصيل ما يحدث الصلاة وكان يلهث..
- عمر يا باشا..

والآخر عاد بكرسيه للخلف منتظراً أن يلقي ما في جعبته..

- أخذ المزة والمصلحة وطار..

ألقى بسكين كان بالقرب منه على باب المكتب وكاد أن يصيب أحد رجاله لولا أنه تفاداه بأعجوبة..

وإن لم يتفاداه ليس مهما.. فبالنسبة إليه ليس هناك ما هو أرخص من أرواح البشر فأموالهم أهم بكثير..

عاد لحديثه وكان يتحدث بهدوء قاتل:

- فاضل له أد إيه ومهلة تسديده تخلص؟

- مش كثير.. شهرين تقريباً..

واقترب تلك المرة برأسه للأمام كي يصدر فرمانه..

- شهرين كثير.. ابعتله تذكّار عشان ما ينساش..

الفصل الثلاثون

العجز يفرز مخدر من نوع خاص بالأجساد..

نوع يقتل ببطء...بهدوء...وبمنتهى الألم..

العجز كثعبان قاتل يلدغ ويتركك تعاني من سكرات الموت ويرحل ببساطة..

وهو من عجزه يقهرها ثم كالعادة أدرك ذلك بعد انتهاءها، ينقل سمه إليها ثم بعد فوات الأوان يتذكر أنها ليست سوى ضحية له ولا ذنب لها..

رد فعلها على هجومه القاسي كان عنيفاً ومتوقفاً ومع ذلك ما فعلته كان بمثابة صدمة له، صفة قوية أعادت إليه وعيه الضائع منه ..

ببساطة هي تموت.. تتركه هي الأخرى ويشهد هو نفاذ آخر قطرة من مخزون البراءة بدنياه..

لم يعلم كيف قفز ولا متى وكيف دفعها في أقل من ثانية لتسقط على الأرضية وتترك الزجاجة الملعونة أثراً على ذراعها بعيداً عن شرايينها بمسافة قليلة وخيط دماء بدأ في التدفق خارج حدود جسدها على هيئة قطرات كانت فعلياً لا تشعر بها..

وضع كف يده بقوة على منبع الدم ليختلط عرقه بدمائها ويديه الأخرى التقطت من خزانها التي كانا بالقرب منها قطعة علوية من منامة لها واستخدمها في تضميد جراحها بمنتهى البدائية..

وعن نظراتها له بتلك اللحظة.. كقطعة شرسة تخرج من عينيها شرارات تخبره بصمت
برغبتها في الثأر لروحها التي اقتنصها منها في ليلة شديدة البرودة..

لم قتلها بتلك البشاعة؟

سيبقى ذلك السؤال العالق الذي لا تمتلك شجاعة تكفي خروجه من سجن لسانها والذي
لا يمتلك هو له جواباً يمنحها راحة..

راحة!.. أي راحة..

بعالمها انتحرت الراحة وماتت الإنسانية..

ظل يهرب من نظراتها قدر الإمكان عن طريق جدار عازل وضعه على ملامحه ونظرات
مبهمة كانت من نصيبها ليعم صمت قاتل على الأرجاء فلا هي تصرخ بوجهه ولا هو يبوح
لها بندم يشعر به ولا يمتلك القدرة على المصارحة به...

فقط ظلت تنظر نحوه بحلق بالنسبة إليها كانت منتهى العجز..

لو لم تكن قليلة الحيلة هكذا كانت فصلت رأسه عن جسده وهذا سيكون أقل عقوبة
يستحقها في قانون أي امرأة وبما أن الانتهاك كان بإسم الحب فالجرم مضاعف والجرح
غائر والندم لن يفيد لها بشيء..

تلقائياً دس أصابعه بخصلات شعره.. نظراتها رغم ضعفها إلا أنها أربكته..

تسائل في نفسه.. لم جاءها اليوم ولم تعتمد أن يخيفها منه وكأنه يستخرج من رعبها لقاحاً
يستخدمه في مقاومة رائحة الموت التي سيطرت على أنفه وكل أعصابه وجوارحه..

عاد بنظره إليها..مازالت ترمقه بغضب ومازال لا يريد أن يرحل بعيداً عن دائرة براءتها..

مازالت تحلم بانتقام ومازال يصارع لسانه الذي يبحث عن غفرانها..

في النهاية سأها:

- بتكرهيني صح؟

وهي نظرت ليديها التي ضمدها بنفسه ولا تعلم لم شعرت بأنها أصبحت غريبة عنها وربما

لأنها تحمل بصماته ورائحته ثم نظرت للجهة الأخرى وتركت العنان لدمعة كانت ربما

ستختنق وتموت لو ما كانت سمحت لها بالخروج..

صمتها مؤذي ودموعها تجذب تعاطف أي رجل ولكن غير مروان..

لا تعلم ما حدث معها..فجأة وجدته يتجه نحوها..أحاط جسدها بذراعيه لتتصادم أسنانها

خوفاً ثم التقط القطعة الزجاجية التي لوثتها دماؤها مسبقاً ووضعها أمام عينيها ولسانه

يتفوه بأمنية..

- اقتليني لو حابة..

- اطلع برة..

وصراخها كان بتلك اللحظة ضرورة حتمية..دموعها المقهورة منه فرض عين وتوقف قلبها

عن النبض عله يجد راحة رغبة دفينه..

وهو أخبرها بهذيان واضح بينما كان يلقي بالقطعة الزجاجية بعيداً عنها..

- هي السبب..الله يلعنها..

ونظراتها الحائقة تحولت فجأة لعلامة استفهام كبيرة وشعور باختناق عام بدأ يزداد وكأن وجوده بالغرفة يسحب منها الأنفاس..

وفجأة وجدته يطرق برأسه على الحائط بعنف وكان يهمهم ببعض الكلمات ما استطاعت تمييزها منها..

- هي السبب..

ثم فجأة انزلت قدميه ليتراخى جسده على الأرضية هو الآخر..

وتعبيرات وجهه كانت غريبة.. مروان أكثر رجل متلون على سطح الكرة الأرضية وسيظل لغز أسمهان الذي لا يمكنها فكه..

أخرج من جيبه صورة نصفها ممزق والتفسير المناسب لهذا هو أنه أراد التخلص منها من قبل ولم يستطع..

كان يتأملها بعيون ترغب في قتل وحرق وتدمير وبنفس الوقت هي غارقة بأوحوال من الضياع للحظات ثم بعصبية قام بتجعيد الصورة وألقاها بعنف على المرأة التي كسرتها أسما لتندرج وتستقر في النهاية بجانبها..

وكان مروان مازال يهذي وهي لا تفهم:

- دمرتني..وأنا دمرتك عشانها..

شعرت أسما بجفاف شديد بحلقها كان موازياً لضربات قلبها السريعة..

عن ماذا يتحدث؟ ومن تلك المرأة التي أجهض حبها له من أجلها؟

أو السؤال الأصح هنا.. من تلك المرأة التي قهرته بتلك الصورة والتي يبدو أنها استولت على قلبه وعقله في فترة من الزمان!

غيره المرأة شعور فطري للغاية مهما بلغت درجة أذى الحبيب وربما هي استثناء خاص فشعورها المتناقض والمتأرجح على الدوام نحو مروان ربما جعل منها مرضية بالانفصام في مراحلها الأخيرة..

وربما سبب ذلك جهلها عن حقيقة كبيرة تشعر بهاتها ولا تعلم مداها.. والحقيقة تجسدت في عينيها على هيئة صورة جعدها وتحركت ببطء لتستقر أمامها.. مدت يديها وتناولت الصورة بأنامل مرتجفة تخاف ردة فعل ذلك المجنون الذي لا تثق به على الإطلاق ثم فتحتها لتتعطل حواسها بعدها!

زوجة أخيها تحتضن مروان بذراعيها وملاحظتهما عبارة عن أيقونات سعادة وابتسامتهما توحى بحب كبير يجمع بينهما..

- فريدة!

دار رأسها وتجدد غثيانها من جديد.. من هذا الرجل؟ ألغنة هو لم يكتفي بدمارها ليحين دور أخيها!

نهضت من مكانها بهوان ثم توجهت نحوه لتلقي الصورة بوجهه ولا تعلم مصدر قوتها تلك بعد وربما لأن مخزون القهر وصل حد الامتلاء وربما رغبة منها في حماية أخيها من مخطط جديد يرسمه وهذا المتوقع منه فهو رجل الغدر وأستاذ الحيل والمؤامرات..

قاهر لها على الدوام..

- أنت كذاب.. عاوز مننا إيه؟!.. أنت مين.. إحنا عملنا لك إيه؟.. كفاية بقا حرام عليك..

وما كان منه إلا أن رفع عينيه نحوها ببطء.. من الجاني الآن هو أم هم وتحول الوضع إلى منصة اتهام كانت على هيئة نظرات وجهها كل منهما للآخر.. نهض من مكانه ليقف مقابلها بتحدي تراجع معه شجاعتهما..

- إئتوا عاوزين مننا إيه؟.. عندكم كل حاجة وبردوا عاوزين تاخدوا أبسط الحاجات اللي في إيدينا..

وأضاف بعدما قبض على ذراعها فجأة وبغف انتفضت هي بسببه..

- مكنتش عاوز من الدنيا غيرها وأخوكي جيه وأخذها.. اشترى وهي باعت.. باعتني قبل ما تبيع نفسها ليه..

ونظراته تزداد حدة وابتعادها عنه بات أمنية بسبب قبضته التي لا تسمح لها بالتحرك.. هي حتى من شدة خوفها منه لا تستوعب كلماته جيداً ولا تمتلك القدرة على الاستفسار منه..

تهدت وتركت العنان لكلماته أن تكون جملاً متفرقة داخل عقلها..

أخوكي جيه وأخذها..

اشترى وهي باعت..

سألته في النهاية بتردد:

- إنت بتتكلم عن مين؟

أخبرها بعد أن اقترب منها خطوة أخرى:

- كانت خطيبي وهو أخذها مني..

ارتعشت أهدابها لا إرادياً.. تقهقرت للخلف وتلك المرة انتزعت يديها بعنف بينما لسانها

يردد بذهول:

- إنت كذاب.. كذاب..

وعقلها ينفي الأفكار التي تدافعت على رأسها.. لن تكن تلك الحقيقة أبداً ولن يكن انتهاكها ثمن لا انتقام من أخيها..

دائرة النار تتسع أطرافها وهم ألقوها في المنتصف دون ذنب منها وبلا أي أمل بالنجاة من زماريرها..

تأمل حالتها الضائعة وشرد بدموعها المصدومة بحقيقة أخرى كانت تجهلها ولا يمكن أبداً أن ينكر أن قلبه رق من أجلها وأن تلك جريمة جديدة أضافها في سجلاتها بدم بارد..
رنين هاتفه وأد لحظة مصارحة لا يعلم مداها وإلى أي أين كانت ستنتهي.. وضع الهاتف على أذنيه بآلية تامة وبحواس مدمرة استمع لصوت خالته تخبره الخبر اليقين بصوت باكي أسال دموعه بسلاسة..

- شد حيلك يا بني..

وصرخات أمه الباكية والتي وصلت لأسماء سدت أذناه عن الحياة..
وكان خبر متوقع يتهرب منه قدر الإمكان وكأنه برحيله عن المشفى ربما يمنحه نجاة لأنه ببساطة لعنة ولأن إثمه أكبر من ندمه ولأنه يبحث عن دماره بنفسه..
ومع كل محاولاته نفذ القوس وقبضت الروح ورحل الأب والسند وزاد شعوره بالعجز أكثر واتهم نفسه بأنه السبب في فرط عائلته..

مات الأب..

وموت الأب يعني انحناء قاس للظهر، غربة ولدت داخله برحيل أنفاسه عن الحياة ،
 وجع كبير يتمكن من كل خلية في جسده ، لجام غير مرئي وضع على فمه يمنعه من
 النطق أو التنفس ووهن استقر بعظامه حتى سقط في النهاية الهاتف من يده بسبب شلل
 لحظي أصاب أطرافه..

وأما عن أسما فربما كان هذا بالنسبة إليها يوم الصدمات
 أو المفاجآت..

صرخة هزت جدران الغرفة من حوله وأعادته من دوامة الأحلام لدائرة الواقع..
 والواقع يقول أنه تزوج وبات رجلاً يحمل مسئولية منزل وبعد قليل سيولد طفله أو
 بالأصح " طفله حتى يثبت العكس"
 مازال لا يعلم.. لا يثق ويعيش بهالة من الشك منعتة من إخبار عائلته بأمر زواجه من
 رودينا..

أين أنت يا عادل؟

أنا في الشغل..

مع صحابي..

في اسكندرية..

وما أكثرها من حجب.. الإسم متزوج والحقيقة أنه مختلس..

عاد من شروده علی صوتها یکرر..

قام بفتح الخزانة وارتدى قميصه بالمعكوس ثم عاد إليها يسألها:

- مش عارفة.. ااااااااااا...

لا يعلم إن كان يغار منه ام أنه يحاسبه على ارتباطه بأمه!

شیخانہ صیغہ وردی

وأما عنه هو فهو كان بعالم مختلف، غارق في أفكار متناقضة ومشاعر متشابكة ورهبة الموقف كانت مسيطرة على انفعالاته بشكل واضح..

ظل ساعتين وأكثر متأرجح بين غرفة العمليات والصغير الذي يبكي لأنه يريد الدخول لأمه ولا يعلم كيف يقنعه ومهما فعل لن يستطع لأن الطفل كان لا يتقبل حديثه معه من الأساس حتى في النهاية توقفت الأفكار بل والأنفاس على صرخة أحدث مولود بالعالم..

عمار عادل الشهاوي..

ارتجف جسده بمجرد أن وضعته الممرضة على ذراعيه.. ضربات قلبه تزايدت وعلى ما يبدو أنها وصلت للوليد والذي ابتسم تلقائياً ثم أغمض عينيه مستسلماً لملاك النوم.. ظل يتأمل ملامحه.. أن تمتلك روح صغيرة جداً تنبض برفق إحساس وهمي صعب وصفه حتى وإن كان مجرد احتمالية.. لقد استولي على قلبه ومشاعره باللمحة التي احتضنه بذراعيه فيها وسلب أفكاره حتى أنه لم يشعر بقدميه التي تتحرك به بعيداً عن الأشخاص المحيطين به وكأنه إعلان صريح منه عن عدم رغبته في مشاركة أي مخلوق له بتلك اللحظة الخاصة جداً..

ببساطة ودون تعقيدات أو تحليلات خرافية هو طفله من صلبه..
وهكذا شعر..

أن تشاهد حلم طبيعي..
أن تراه وأنت متيقظ ممكن..

ولكن أن تشارك بالحلم ويتحول إلى حقيقة مجسدة أمام عينيك فهذا هو المستحيل ..
 ظلت نتابعه بعينها.. في البداية كان يهلوس ببعض الكلمات تخص عجزه عن إنقاذ أبيه من
 الموت ثم في النهاية ضرب بقبضة يديه على الأرضية مردداً:
 " أبويا مات.. مات "

وبعدها كان الصمت الفجائي ضرورة قصوى لتقبل الصدمة قبل أن يذرف دمعة نهائية
 لم يشعر سوى بطعم ملحها الذائب في فمه..
 وهي على ما يبدو أنها تتابع مخلوق خارق لا تفهمه فلقد كانت لا تتخيل أبداً أن ترى منه
 نسخة مختلفة عن تلك الصلدة التي تحرمها الأمان وتسلبها الراحة بل ويذرف من عينيه
 دموعاً كبقية البشر..

حتى الذئاب تبكي وكانت تلك حكمة اليوم..

على قدر تعجبها منه حظى بشفتها عليه.. ماذا تفعل بقلها الأبله الذي لم يستطع أن يتعلم
 من دروس الحياة الصلدة الكراهية والشماتة!
 تشعر بألمه، تريد مؤازرته بمصابه ولا تمتلك شكيمة الاقتراب من دائرته بل وحتى النطق
 بأي شيء فقط نتابعه وتواسيه بدموع توازي قهرها منه ونزف داخلي لجراح كانت ظنت
 أنها ضمدتها مع الأيام ولكنها اكتشفت أنها عارية، مكشوفة صعبة الالتئام..
 معضلة وقعت بها وحيرة شديدة سقطت فيها دون إرادة ورغبة منها حتى قررت في
 النهاية ألا تفكر فقط نتابعه بدموع مختلفة الهوية والمعالم..
 انتبهت لتحوله.. مسح دموعه والتقط نفساً عميقاً يحاول به أن يسترد به مروان الذي تعرفه
 هي..

مروان الذي لا يشعر..الا مبالي..الذي لا يقهر بل يقهر..
والذي أيضا لن ينظر نحوها كي لا يضعف أكثر فيكفيا ما شهدته منه اليوم ولتتركه يللم
شتاته ويذهب لعائلته التي اقتصرت الآن على أمه..
قبل أن يخرج من المنزل استوقفته بحزم:
- استنى..

وما كانت تنظر نحوه بل نحو الأرضية وهذا أقصى ما استطاعت فعله..
وأضافت في النهاية..
- هلبس هدومي وأجي معاك ومش عشانك عشان كلام الناس..
وارتدت ملابسها سريعا وتبعته في الطريق وكانت تسير خلفه فهو لا يستحق أن تسير
بجانبه ولا تثق به كي تسير أمامه..

وفي البدايات تنثر أمنيات..
أحلام تتخطى حواجز الخوف وسلام تستسلم له الروح..
وهي استسلمت له، ابتلعت مخاوفها وتركت الأمانى تطفو على سطح أفكارها وهو منتفع
قرر أن يستغل سكون ثورتها حتى آخر قطرة..
هي الآن تجلس بجانبه بدار الأوبرا سلمت حواسها بالكامل لسحر عمرو خيرت وهو
يتنقل من مقطوعة لأخرى وتغسل روحها من هموم وصلت بها حد الامتلاء
والاكتفاء..
- النهر الخالد دي أول مقطوعة اسمعها ليه في حياتي..

وكانت ملامحها أيقونة سعادة.. كطفلة تستكشف الحياة من جديد..روح الفن داخلها
يبدو أنها اشتعلت على أنغام موسيقاه..

- جميلة فعلاً..

وأكل بعدما استند بالخلف في معقده:

- Pains of the soul المفضلة ليا حاجة كده تبدأ بيها يومك الصبح مع كوباية
القهوة..

وأخبرته بحماس سرعان ما تلاشى:

- عارفاه.. كانت ملهمتي في لوحة..فعلاً إحساسها عالي جداً..
وصمت وهو فهم..

هي تستعيد ذكرياتها..تذكر ما فقدت..تشتاق لحالة كانت تنثرها على لوحاتها..

والآن لا تفعل أي شيء..تستيقظ كي تنام وتهرب من شعور الضياع بإدعاء اللامبالاة..
تشتاق لكان وجدته بألوانها وهواية كانت متنفس لوحدها ومنبع قوة لها..
والآن تتسائل داخلها..

" هل أخطأت عندما طاوعت ياسر وجاءت معه إلى هنا؟ "

وما كان منه إلا أن ظل يتأملها بصمت..يترك لها مساحتها الخاصة..يشعر بها ويحاول أن
يجد طريقة تساعدك كي تسترد مكانها من جديد..

سألها بينما كانت جالسة بجانبه في السيارة شاردة تستقبل تأثير الهواء على خصلاتها
بخنوع لم يعجبه:

توقف فجأة بالسيارة وهي شهقت:

- فيه إيه؟

وهو أخبرها:

- بتعرفي تعزفي على البيانو؟

- إيه؟.. لأ..ليه؟

وهو اعتدل بمقعده مواجهاً لها:

- وأنا في الكلية كان فيه دكتور قال جملة علقت في دماغي اوي..الحياة زي ال dart board لو معرفتش تصيب الدائرة من الذكاء إنك تعمل بنفسك حوالها دائرة..

وكان الحماس من نصيبه والبلاهة من نصيبها فأكل موضحاً:

- يعني لو القدر حصرنا في ظروف معينة بدل ما نعتبرها نهاية نخليها بداية..وعلى فكرة النهاية والبداية إحنا اللي بنقررهما مش حد تاني..

وقال مختتماً حديثه:

- اسمعي..حسي..عيشي بروحك جوة حاجة تقويكي بدل ما تستسلمي لفكرة الشيء الوحيد اللي ناقصك..

وشردت في كلامه..واليوم اكتشفت أنه يمتلك قوة جبارة على الاقناع..

كم يشعر بها وكم يحتاجها وربما هذا سبب ارتباطها الداخلي الآن..حتى أن رغم صمته الحالي مازالت جملته الأخيرة تصدو في أنحاء عقلها..

- اسمعي..حسي..عيشي..

بمجرد أن دلفت إلى منزل مروان شعرت بانقباض في روحها..الموقف كبير عليها والآن باتت تلعن وتسب نفسها لأنها جاءت إلى هنا من الأساس..

لم جاءت ومن ستواسي؟

هي بحاجة إلى من يواسيها والشخص الوحيد الذي تعلمه بهذا المنزل هو مروان.. الجبروت الذي انهار وتحول لنسخة أخرى تتحرك ولكنها منزوعة الحياة مبهمة الملامح.. ذهب لغرفة والدته المسطحة على فراشها منذ أن استمعت لخبر موته من الطبيب والذي فعل كل ما بوسعه كي ينقذه ولكن بالأخير لا سلطة تعلو سلطة الموت ولا يحدث سوى ما يريده المولى عز وجل وهي مؤمنة وموحدة بالله وتعلم ولكن للبشر طاقة محدودة أقل بكثير من احتمالية موقف كهذا..

قالت لها أسما بمجرد أن رأتها بتلك الحالة بدموع صادقة حارة:

- البقاء لله يا طنط..

وإجابتها لها كانت على شكل دمعة خرجت من جانب عينيها مع ايماءة ممتنة من رأسها عجز لسانها عن التعبير عنها..

نظرت إلى مروان الساكن الذي كان يتأمل أمه بعيون دامعة كسيرة ثم بعدها جلس على الأرضية بجانب سريرها وقبل يديها بدموعه وأخبرها بحشرة كانت مسيطرة على ملامح صوته..

- أمي شدي حيلك أنا محتاجلك..ابنك محتاجلك..

والأخرى غطى على ملامحها سيل من الدموع وشعرت أسما وكأن أنفاسها ستتوقف عن الولوج إلى صدرها من حدة الشبهات..

- ربنا يرحمه هو في مكان أحسن دلوقت..

وخرجت الجملة منها تلقائياً ولكنها تفاجئت بنظرات مروان الحادة لها وكأنه اكتشف للتو وجودها معهم بالغرفة..

وتلقائياً خرجت من الغرفة رغبة منها في منح الابن وأمه وقتاً خاصاً يحتاجونه سوية وأيضاً لأنه يعد الحل الآمن والسلي لها..

خرجت وجلست بالصالون المهترى الذي انهكه الزمان كحال أصحابه ثم تأملت المكان من حولها.. شعرت بغربة شديدة وقشعريرة تتسلل داخلها لا تعلم ماهيتها..

المكان كئيب لدرجة لا تتحملة وكأن العزاء وحده لا يكفي..

وقعت عينها على صور معلقة على الحائط تخص العائلة ولفت انتباهها واحدة منهم تجمع مروان بفتاة تبلغ نصف طوله وحجمه تقريباً وتشبهه بالملاح إلى حد ما ولكن كانت تبدو أكثر منه حيوية ومرح..

انتبهت لامرأة تحشر نفسها بينها وبين التي كانت تجلس بجانبها وتسألها:

- انتي مرات مروان مش كده؟

أومأت برأسها دون حديث.. فأكلت السيدة:

- دي حسناء أخت مروان واضح إنك أول مرة تشوفها.. ربنا يرحمها كانت زينة الحارة كلها والله..

والثرثرة في التعازي حق مكتسب..

- موتها أثر في الكبير قبل الصغير كانت حنينة أوي وبنت أصول..الله يرحمها ويعين

الست أم مروان مش ملاحقة ياعيني على المصايب..

وقالت عندما وجدت أسما مستمعة صامته:

- أنا سمعت إنك من عيلة كبيرة أوي هو إنتو اتقابلتوا فين قبل ما تتجوزوا؟

سخرت أسما داخلها بقهر..تلك المرأة تسألها عن أشياء هي آخر من علمتها..ما هذا اليوم يا

إلهي لو كان دهسها قطاراً لكان أهون من حالة التمزق الفظيع التي تعيشها الآن فالغربة

عن النفس أشد أنواع العذاب..

أين هي وماذا تفعل وكيف ستتحمل ثلاثة أيام بكاملهم ترتدي فيهم قناع زوجة الابن

المتعاطفة في هذا المكان الذي يقتات من روحها وأعصابها وحتى نسيمات الهواء والتي

من حقها كآدميتها تشعر بأنها محرومة منها..

وكان السؤال الأهم..

لم لا ترحل؟..وإن قررت من سيمنعها مثلاً؟!

هو يحتاج مساحة خاصة ووقت مستقطع من حياته كي يُصفي ذهنه ويتخذ قراره..وهي لا

تمنحه إياها تشبثت به بقوة استحال معها المفارقة وقلبه تلقائياً تعاطف مع دموعها التي

كانت تتوسل إليه وتطالب بقربه..

كانت غريبة وشعر بأنه البارحة اكتشف فيها شيئاً جديداً كان مجهولاً بالنسبة إليه عنها

ففراقه عنها يساوي موتها وهذا كان واضحاً بعينها التي غرقت ببحر من التيه والفقدان

وتلك التعابير الخاصة يستحيل إدعائها بأي صورة وبأي شكل من الأشكال..

تراجع خطوة بأفكاره إلى الخلف ووضع نفسه تحت جلاذ قلبه الذي على الرغم من كل شيء مازالت هي أميرته وانتظر حكمه..

والنتيجة كانت على هيئة عريضة اتهام يتوسطها كلمة أنت ظالم..قسوت عليها كثيراً ولم تمنحها فرصة تكفير عن ذنب ربما لها أسبابها الخاصة في تفسيره..

ولكن على الرغم من حكم القلب الواضح كانت هناك غصة تمنعه من أن يمنحها صك غفرانه وإشارة اقتراب لحدوده من جديد..

وجد نفسها تلقائياً يهرب منها..يعود لمجره..يبحث عن راحة ويتأرجح بين عقاب وغفران وفي النهاية لا يصل لقرار..

والمرأة تتمتع بذكاء فطري خارق..شعرت بتراجع حصونه وتردده..لمست لين يحارب قسوته عليها وبعدها هروبه..

دلفت إلى غرفته وهو تلقائياً أغمض عينيه فهو لا يريد المزيد من الأحاديث التي مؤكداً بتلك اللحظة ستفسد أكثر مما ستصلح وما كان منها إلا أن احتضنته وأسندت رأسها على ظهره ونامت..وهو سمح لها فلقد كان هو الآخر بحاجة إلى راحة خصلاتها عليها تسكره فيرتاح رأسه..

وفي الصباح تعمد الخروج من المنزل بوقت أبكر..دفن نفسه بمواعيد عمل رغبة منه في السيطرة على اشتياقه إليها..

يعاند ويكابر وقلبه يطالبه بالعودة والبدء من جديد..

لا يعلم كم مر من الوقت عليه وهو هائم بسيارته من شارع لآخر وفي النهاية توقف عن السير..

تنهد..

تذكر فيروز وشعر باحتياجه إليها ولكنه يعلم أنها لم تعد فيروز التي بإمكانها أن تستقبل هموم الجميع..

قرر أن يحدث أسما فلو لم يجد شخص يفرغ له ما بداخله من تخبط وحيرة ربما يموت ولكن شقيقته العزيزة لا تجيب..

مرة واثنان وعشرة ثم في النهاية حادثها على رقم المنزل فأجابت الخادمة بتلقائية:

- ألو مين معايا؟

- أيوة يا وردة ناديلي أسما..

والأخرى قالت:

- إنت سي إبراهيم..الست أسما مش موجودة خرجت..

سألها إبراهيم بعد أن نظر لساعة يده ووجدها تخطت الثانية عشر مساءً وهذا غريب وباعث للقلق..

- راحت فين ونزلت إمتى ومش بترد على تليفونها ليه؟

- هي خرجت مع البيه الصبح بدري..أنا صحيت ملقيتهومش..

ولم يتركها تكمل فلقد انطلق بسيارته بأقصى سرعة ممكنة كانت ستتسبب في عدة كوارث وكان أمامها في أقل من ربع ساعة ولا يعلم كيف وصل إليها..

سألها بمجرد أن فتحت له الباب:

- بيه مين؟

وهي ارتبكت وأخبرته بتلعثم:

- البيه جوزها..

وأشارت بأصابعها على صورة بمنتصف الصالون تجمع بينهما بالزفاف

وهو صرخ بها بحدة اهتزت له البناية وهي لا تفهم:

- إنتي إزاي متكلمينش أول ما جيه؟

والمسكينة ازداد زعرها ولا تفهم ما يحدث فقط كانت تخبره وتبكي..

- وأكلهك ليه؟ هو حصل حاجة يا ساعة البيه؟

وهو أبعداها عن طريقه بقوة ولسانه يردد:

- غبية..

فتح باب غرفة أسما المغلقة وتجمدت حواسه من حالتها المنتهكة..مرآة مكسورة وملابس

أسما على الأرض ووقعت عيناه على بقعة دماء

التفت للخادمة مصدوماً وهي شهقت بعد أن تخطته ودلفت للغرفة..

- يالهوي..

وأضافت مبررة:

- أنا لقيت باب الأوضة مقفول إنهاردة على غير العادة قلت الست إسما يمكن مش

عاوزاني أدخلها في غيابها لكن والله ما اعرف حاجة ولا ايه اللي حصل..

تجاهلها واقترب من المرأة المكسورة بذهول..ينظر لدمائها ويديه تلقائياً أعادت الاتصال

بها ولكن مع الأسف كان رنين الهاتف يدوي بالغرفة نفسها أي أنها خرجت دون

هاتفها..

ألقي هاتفه بعصبية ولعن نفسه..هو من فرط بها وتركها فريسة لهذا الكلب مرة أخرى..

انحنى كي يستجمع قطع هاتفه ويرحل من هنا ومن داخله يقسم بأن لو تأذت شعرة أخرى من أسما فلن يكتفي فيها بخروج روحه من حلقه..

وقبل أن يخرج من الغرفة استوقفته ورقة مجمدة ملقية بإهمال بجانب بابها..التقطها ثم قام بفتحها وأبت عينيه أن تصدق ما رآته..

فريدة زوجته تحتضن مروان بذراعيها!

ربما تلك مزحة اليوم..أو لوثة لحظية أصابه ولكن أبداً ليست بحقيقة..

الفصل الحادي والثلاثون

قالوا عن الخيانة

إن الخيانة لا يغسلها.. من خاطئ دمع ولا ندم..

في الكثير من مواقف الغدر نحن لا نتحسس مواضع الألم، بل نتحسس حجم الدهشة التي يخلفها فينا، سقوط قناع ما عن وجه نجه!

الحب كالزهرة الجميلة والوفاء هي قطرات الندى عليها والخيانة هي الحذاء البغيض الذي يدوس على الورد فيسحقها..

فلا تستغرب إذا ماتت أحاسيسك أمام عينيك وماتت أمانيك أمام عينيك ولفظت حياتك أنفاسها أمام عينيك واكتشفت أن القاتل هو أقرب الناس إليك.. فلا تستغرب إذا حكموا عليك بالشنق حياً وبالضياح حياً والموت حياً واكتشفت أن القاضي هو أقرب الناس إليك..

السيطرة على المواقف شيمة من شيم العقلاء..

وهو تلبسه شيطان، يعبث بأفكاره كيفما يشاء، يصور له مواقف ربما لم تحدث ويحلل
القتل في عينيه ويهيئه بأنه السبيل الوحيد للراحة والسكينة..

وتستحق..

فهي خائنة.. خادعة.. ممثلة بارعة قامت بدورها حد الاحتراف..

وهو كان منوماً مغناطيسياً بعشق حمله لها وبمشاعر نبئت داخل صحراء قلبه وأعتمته عن
حقيقتها..

كيف خدعته؟ وكيف كان هو مغيباً لهذا الحد؟

نعم مؤخراً زُرعت داخله شكوكاً تخص غرابة تصرفاتها ولكن لم يصل عقله أبداً لتلك
المرحلة.. كان يعلم أنها كذبت عليه ولكن لم يتخيل أبداً أنها تخدعه أو تخونه..

يا رباه سيفقد عقله وليته يحدث فذلك ربما حلم بعيد وأمنية ليست من نصيب أمثاله..

ضرب بيده بقوة على المقود عندما وقع فجأة بازدهام مروري فظيع لا يفهم سببه.. ليس
وقته.. وليس وقت أفكاره بشأن خيانتها.. أسما وحدها هي الأهم والأولى بتركيزه وعليه

أن ينقذها منه وبعدها يقتله أو يقتل كلاهما ويكمل وأد قلبه حتى النهاية.. معه عنوان

منزله وقد حصل عليه من ذراعه الأيمن "حسن" والذي جاء له من قبل كي يأخذه له

بناء على أوامره ولكن مازال غير مطمئن فماذا لو لم تكن بذلك المنزل ورحل بها هذا

المريض النفسي إلى مكان لن يتمكن من معرفته والوصول إليه!

اللعة عليه.. كيف آمن بعد كل هذا بأن يتركها وحيدة من أجل مسلسل سخيف قام بتأليفه وإخراجه وبدافع أخوي شريف عفيف ألا هو طمس معالم فضيحة والتستر عليها! كان يجب ألا يبعدها عن ناظره، يحميها بجوارحه ويظل عليها بأهدابه لا أن يتركها فريسة سهلة المنال بيده مرة أخرى!

كيف كان يفكر حينها وكيف ظن أن الخط الذي قام برسمه سيسير الجميع على حذوه دون انحراف عن المسار!.. من أين جاءته تلك الثقة؟!

ضرب يديه بقوة على المقود مرة أخرى.. الازدحام لا ينفك ولا يوجد وقت كي يهدره فأسمهان وحيدة مع هذا الحيوان...

قرر أن يصف سيارته ويكمل الطريق سيراً على الأقدام خاصة أنه اقترب جداً من الحي المنشود ولكن مع شدة الازدحام وتوقف السيارات علق بالمنتصف وكان التحرك بالسيارة من سابع المستحيلات وليس رابعها فقط..

تنهد والتقط أنفاسه بعدما انفك الازدحام فجأة كما حدث فجأة ومن بعدها تحركت السيارات واستأنف طريقه..

كان يركض بالشوارع، ينتقل من عقار لآخر كالمجنون ويسأل جميع المارة عن منزل مروان عبد العزيز حتى وصل في النهاية.. دق جرس الباب والشياطين تتجسد أمامه في هيئة إنسان وللمفاجئة كانت أسما من تفتح له الباب مرتدية ملابس سوداء ومكحلة إياها بوشاح من نفس اللون يغطي شعرها!

ماذا تفعل هنا؟..تصرف وكأنها من أهل المنزل وتستقبل الضيوف بنفسها! ترك دهشته على جنب،احتضنها ثم مرر يديه على وجهها وسألها:

- انتي كويسة؟..الكلب ده أذاك..

وهي كانت مدهوشة..تتعجب مجيئه..كيف علم ولم جاء؟

كرر سؤاله:

- أذاك يا أسما..

وكان صائحاً تلك المرة..نظرت خلفها خوفاً من أن يكن أحد المعزين المقيمين بالمنزل يستمع إليهما فأخذته من يديه ثم تحركت بعيداً قائلة بهمس:

- فيه إيه مالك؟ أنا كويسة..

- بتعملي إيه هنا؟

وهي حركت شفتيها بآس وحرص..نظراته المشتعلة تخيفها..لن يفهم ولا أحد بإمكانه أن يفهم سبب وجودها بمنزل ناعرها وقتلها..

سالت من عينيها بعض الدموع أشعلت جنونه وكأنه ينقصه..

تحرك من أمامها متجهاً نحو باب شقته ولكنها أوقفته..تعلم وجهته ومن يريد..عينيها تطالبه بالهدوء وقبضتها قيدت حركته..

- مش هنا..باباه مات انهاردة وهو خرج من شوية..

ما بالها تتحدث بكل هذا التأثر والحزن والهدوء الذي لا يتناسب مع احتراقه هو أمامها!! هل حزينه من أجل والد مروان أم أنه من يتخيل! أتؤدي دور زوجة الإبن بإخلاص وتفاني أم أنها تمثل عليه هو دوراً لا يليق بها كي تخفي عليه شيئاً لا تريد إخباره به!

هناك شيء خاطئ بتلك الليلة؟!.. أم أنه يحيا بكابوس ما وسيستيقظ منه بعد قليل ويكتشف أن ما علمه اليوم ما كان إلا وهم وسراب ولا وجود حقيقي له على أرض الواقع..

لم يكن قد وجد تلك الصورة التي قبضت روحه وهو مازال يحيا ويتنفس ولن يكن قد ذهب لمنزل شقيقته من الأساس.. لم يرى دماءً بأرضية غرفتها بجانب ملابسها ولم يعش ذلك الفزع الفظيع عليها.. سيكن مجرد كابوس وانتهى بعد صحوه..

تفحص الظاهر منها بعينه سريعاً في قلق يبحث عن مصدر الدماء التي مازال أثرها جافاً على أرضية غرفتها قبل أن يجذب يديها ويرفع كمها بتدقيق أكبر ليكشف في النهاية عن جرح يديها والذي كانت تخفيه بذلك القميص الأسود..

سألها بعد أن بحظت عيناه خارج حدود مقلتيه:

- ايه ده؟.. انطقي يا أسما عمك ايه؟

وكانت الإجابة تلقائية سريعة كتدافع دموعها التي لا تتوقف عن السيلان أبداً:

- معملش.. معملش..

حسناً لم يفعل البارحة ولكنه فعل من قبل وهو يعلم..ولأنه يعلم يحترق ولا يتحمل..
أخذها من يديها فتوقفت وتحجرت مكانها وقالت بصوت مرتجف يخشى ردة فعله
وبنفس الوقت يتأمل تفهمه لرغبتها بالمكوث..
- أنا هافضل هنا.. طنط تعبانة ومحتجا.....

صرخ بها..هل نتمد أن تزيد من حنقه وفورانه؟!..إن كان ذلك هدفها فهو قد وصل
لمرحلة الغليان منذ زمن..

- أروح دلوقت أدفنهوك جنب أبوه..إنتي عاوزة تجنيني؟
واستأنف بنبرة ظهر فيها رغبته بعدم المماطلة والجدال..
- هوديكي الفيلا ومش هتطلعي منها ولا حتى هتروحي حتى تزوري بيتك لحد ما
أقولك..

ولم تدافع عن رغبتها، لم تصرخ بوجهه وتخبره بأنها كائن حي مستقل ومن حقه أن يحيا
بالطريقة التي يراها مناسبة وبالأسلوب الذي يريده..
هي فقط مُستقبل عام مكتوف الأيدي يتحرك في مدار معين هم يصنعوه ولا يمكنها
الحيد عنه..

تحركت أمامه بمنتهى الخنوع، لا تستطيع معارضته ولا توجد لديها مبررات قوية كي
تفعل ولا تعلم لم هي لا تريد الرحيل من هنا كي تتحدث..

الصمت من ذهب وخاصة بالمواقف المشتعلة..الوضع لا ينقصها هي الآخري..هناك
طوفان قادم سيغرق به الجميع بعدما يعلم ما علمته هي..

والآن أخذتها أفكارها لجهة أخرى..مختلفة كل الاختلاف..

كيف تخبره؟.. كيف تنحره بنفسها؟.. وكيف ستستطع فعلها؟!

ظلت تتابعه بنظراتها من حين لآخر..يقود السيارة بجسد حاضر غائب..قسمات وجهه

ثابتة حد الجمود وعينه تغرق في دوامات في الحزن والشتات..

وجدته فجأة توقف بالسيارة وهي شهقت مخبرة إياه:

- فيه إيه؟

وكأنه كان يحبس سؤاله داخله وفي النهاية انفجر ولم يتحمل انتظار حتى ثانية أخرى،ألقي

الصورة بوجهها وكان يتسائل بنظرات تبحث عن الشيء المسمى حقيقة أيًا كانت..

وهي نكست وجهها هروباً من مواجهة ليس أي منهما مستعد لها ولكنه رفعه متمعناً

في عينها وخرج سؤاله الذي لا يقبل أي تهرب منها أو مراوغة بصياح وعصبية ارتجفت

هي على أثرها:

- إيه ده؟

بكت بشدة..لم يفرغ غضبه عليها وكأنها ضلع مشترك بتلك المعادلة..هي الضحية وهي من

تسد الثمن أيضاً...

لا تفهم ولا تعلم بماذا تجيبه وهو يجن من صمتها..يزعق بها أكثر وهي بكل قلة حيلة

تبكي..

- انطقي يا أسما..

ازداد معدل بكاءها ونظراته تخيفها أكثر لتخبره في النهاية من خلف دموعها وشهقاتها:

- معرفش..روح إسألهم..هو يقول كانت خطيبته وإنت خدتها منه..أنا معرفش حاجة

ولا فاهمة حاجة...

وهو أغمض عينيه مستقبلاً كلماتها التي كانت بمثابة عيارات نارية أصابته بالصميم.. يجز على أسنانه ويشعل ناراً داخل قلبه عليه عجي أي أثر لها داخله.. يكرر كلمات أسما من جديد..

- خطيبته!

وهي سكنت ثورتها لتتوقف دموعها فجأة.. تراقبه بعين حنونة تود أن تنتزع ألمه.. تشفق عليه وتمنى أن تجد ما يخفف عنه صدمته ويهون عليه..

تحركت أصابعها لتحتضن يده بقوة وحنو.. تشتهي مؤازرته وتنفوه بكلمات ربما هي نفسها لا تصدقها ولكن ربما تخفف عنه..

- إبراهيم أكيد إنت مش هتصدقته؟.. ده واحد مريض ومجنون..

أغمض عينيه.. كيف لا يصدقته وتلك الصورة دليل كاف على معرفة سابقة بينهم ومعنى أنها أخفت معرفتها بها فهذا يكفيه كدليل لخيانتها له..

ربما يكن ما خفي هو الأعظم ولكن تخيله ربما يتفوق على بشاعة الحقائق بمراحل فيكن الأظلم والأقسى..

أعاد تشغيل السيارة بآلية مرة أخرى وكأنه اكتفى بما قالته أسما ولا يحتمل صفعات جديدة قد يعلمها فما كان منها إلا أن تخبره بحزم:

- إبراهيم إنت لازم تهدي وتكلم معاها الأول.. بلاش عصبيتك تتحكم فيك أبوس إيدك.. وهو لا يتحدث وربما لم يكن يسمعها وكأن رأسه المشتعل بأفكار سوداء جنونية قد منعت حواسه من العمل بشكل جيد..

- إبراهيم طيب وديني بيتي..أنا هدخل الفيلا وش الفجر وأقولهم إيه؟
هو ابتسم بسخرية داخله..مازالت خائفة من انكشاف الحقيقة بعد كل ما حدث!..لم
تعد الأمور كسابق عهدها وربما حان وضع أن توضع الأشياء في مسارها الطبيعي..
كررت كلامها بعدما اجتاحتها خوف رهيب بسبب صمته:
- إبراهيم إنت مش هتعمل أي تصرف ممكن يأذيك ويضيعك مش كده!..هتسمعها
وتفكر بهدوء وتأخذ قرار صح..
وأضافت عندما ذعرت بسبب صمته:
- إبراهيم متخوفنيش عليك..
ولا إجابة منه ولا أي رد فعل يطمأنها عليه..فقط قام بتوصيلها وبعدها تحرك منطلقاً
بسيارته سريعاً وهي ذهبت لفيلا فيروز فلا يمكنها أن تلتجأ سوى لها بتلك الظروف
وبذلك التوقيت المتأخر من الليل..

هل تعلم تلك المرحلة التي تسبق خروج الروح من الجسد؟!
يتنفس وربما يكن هذا الاثبات والدليل الوحيد على انضمامه لقائمة الأحياء، تحرك
قدماه بإعياء ويتنقل عبر الدرج من طابق لطابق ببطء شديد وكأنه يريد تأجيل مواجهته
معها قدر الإمكان..

هي زوجته،خاطفة عقله والوحيدة التي وضعها بقلبه ودفنها مع شرايينه..
من حطم من أجلها قيود تدعى فوارق طبقية ومن أراد أن يثبت عن طريقها للعالم أن
الحب هو معجزة كونية من الظلم تدميرها بسبب أفكار فارغة صنعها جمود مجتمع..

من جمع بينهما مودة ورحمة..

في قانون الحياة الصفعة لا تأتي سوى من الأقرب والأهم والأغلى..

من أحب؟ ..من تزوج؟ من شاركها نفس الوسادة لشهور طويلة..

محتالة..

كاذبة..

شاركت بدمار شقيقته الصغرى عن طريق لعبة قدرة كانت من تديرها مع حبيبها!

كيف لم يكشفها وكان غافلاً لتلك الدرجة؟

وضع يديه يصم أذنيه عن تدافع أفكاره..

ربما لم تكن تلك الحقيقة..احتمالية براءتها من اتهامات أفكاره وظنونه التي تتمكن منه

موجودة ولكن تصرفاتها الغريبة معه مؤخراً لا تمنحها فرصة ونجاة منها....الآن فقط

امتلك تفسيراً منطقياً لتلك التصرفات التي وضعها هو من قبل بدائرة ألغاز وشك لم ترتقي

لدرجة الحقيقة بعد..

والحقيقة باتت عارية، مجسدة بصورة مجمدة يعتصرها الآن بين قبضته..

وصل لباب المنزل والتقط نفساً عميقاً ينفذ به إنها كه ووهنه العام والذي لم يكن

بسبب صعوده عشرة طوابق ولكن بسبب حقيقة تلخصت في أن الحب كان مجرد إدعاء

منها ودور بمسرحية اتقنته بحرفية..

نظراته مع كل ثانية تزداد توحشاً وقسوة ورغبة داخلية للثأر منهما تسيطر عليه وتطفو على

قائمة أمنياته ورغباته..

وجدها نائمة بالغرفة ولم يتحمل..هي بكامل راحتها وهو وشقيقته تلتهمهم نار حامية هي

من بدأت شرارتها..

أيقظها بعنف وهي انتفضت لا استيقظت وعينيها تصادمت مع صلادة عينية ففسها دُعر
انتقل داخل أوردتها كسيل عصبي..

ابتلعت ريقها وقالت بالكاد:

- إبراهيم.. إبراهيم هو فيه إيه؟

وكان الجواب على هيئة نظرة قاتلة كادت تسقط من أثرها مغشياً عليها وقبضة منه على
ذراعها بعنف تأوّهت على أثرها ولسانه يترجم أفكاره بعدة كلمات..

- تعرفيه منين؟

وأما عن لسانها فقد تلجم بلجام من نار من هول المفاجئة..

تراه علم بما تخفيه عنه؟

بسرّها الذي حاولت جاهدة حتى تخفيه عن الجميع وهو أولهم..

عن ماضيها الذي كلما تدفنه ينبثق من جهة أخرى حتى ضعفت..

كيف علم؟ هل هو من أخبره؟

هل كان تقربه منها نخاً وقعت هي فيه بسهولة؟!.. ولكن لم الآن هي منذ فترة طويلة جداً

لا تعلم عنه أي شيء وكركست كل حياتها وجهودها كي تستعيد استقرارها مع زوجها

من جديد..

زوجها الذي تحبه والذي تلعن نفسها مائة مرة باليوم لأنها أبعدته عنها بسبب ترددتها أو

بالأحرى أنايتها..

زوجها الذي تمنى الآن أن يعود بها الزمن للخلف كي تصارحه بأنه لم يكن أول حب

عَلِقَ بقلبها وحينها كانت ستغلق الباب في وجه مروان للأبد وما كان وجد ذلك الثقب الذي تسلل به لحياتها ودمرها عن طريقه بعدها..

كم هي تحترق من جفائه، تشتتي عودته، تبغي حنانه ودلاله..
إبراهيم منحها كل شيء تشتهي أي امرأة.. جعلها ملكة، حافظ على كرامتها ووضعها أمام أهله.. بث في عروقها الحب والأمان ومعه فقط وبسببه أصبحت فريدة ذات شأن وقيمة..

غبية أضاعت كل شيء من أجل لا شيء..

وضع مقابل عينيها مشهد انتزع كل صدمات العالم وقام بتجميعه ودسه بأوردتها كسم ساري المفعول.. كان المشهد مجسد على هيئة صورة قديمة لها تجمعها مع مروان قبل زواجها بل قبل معرفتها بإبراهيم ولكن هي تعلم هو أبداً لن يصدقها..

- إبراهيم.. أنت.. أنت فاهم غلط خالص..

زعق بها بقوة شعرت بها أن الحوائط تصدعت وأن المنزل بكامله قد اهتز..

لم تملك سوى البكاء، بكت حتى كادت أنفاسها تتوقف نهائياً تاركة إياها جثة هامدة لا حياة فيها ولا شفيع لها..

- ليه؟.. عملي فيا كده ليه؟.. وكنتي فاكرة حقيقتك هتستحي أد إيه؟.. كل ده عشان الفلوس.. ملعون أبو الفلوس على اللي اخترعوها على اليوم اللي شوفتك فيه..

وهي ازدادت اختناقاً حتى شعرت أن الخرس مرحلة قادمة، يقتلها بشكه وتموت من قسوته معها..

إبراهيم يضع من يديها.. خسرت بهاء منها وبسبب أنانيتها.. كانت تتحدث والشهقات أخذت محل الأحرف والنبرات فشوهت كلامها..

- ده كان زمان.. أنا كنت تقريباً مخطوباله من قبلك وهو بيكذب متصدقوش..

لوى ذراعها بعنف صرخت هي على أثره ثم تركها فجأة فكادت تصدم بالحائط ولكنها لم تأبه سوى بتلك العيون المشتعلة بغضب لا نهاية له ولا آخر..

- كفاية كذب.. فكراني هصدق كلمتين هبل حتى مش قادرة تحكيهم..

وقرب الصورة من عينيها أكثر حتى أغمضتها.. الصورة لا تكذب.. ابتسامتها دليل اتهام وذراعها الذي كانت تحيطه بها سوط حول رقبتها..

قالت باستسلام وهوان وبكاء ازداد حدة:

- كنا مرهقين وقتها وبخب بعض.. كان جار واحدة صحبتي وفضلنا مرتبطين لحد ما

اتخرجت.. اتقدملي وبابا رفضه وقاله كون نفسك الأول وبعدها اتقدم وبعدين سبنا بعض وأنا اتعرفت عليك وحببتك وقفلت صفحته من حياتي والله العظيم كنت قفلتها..

الشهقات تزداد قوة تناسب طردياً مع حنقه المنبثق من ملامحه ونظراته الموجهة لها..

- بعد الجواز لقيته بيهددني ويقول هيبعت صورنا ليك وأنا خفت.. خفت أوي أخسرك بقيت أقابله عشان أتوسل ليه يبعد عني ويسبني في حالي وهو مسابنيش... بعد خطوبته

من أسما معرفش إيه اللي حصلي مشاعري اتلخبطت وبقيت مش فاهمة نفسي بس بعد
ما بعدت عني عرفت إن حتى النفس اللي بتنفسه لو مش معاك وجنبك يبقى عذاب
ونار بتحرقني من جوة..

وأضافت بنبرة مرتجفة، باكية وصادقة:

- أنا بحبك إنت ومخوتتكش.. عمري ما خنتك صدقني..

وكانت الإجابة الغير متوقعة منه صفة قوية تركت أثرها على صدغها وكلمات اختلطت
بالألم وخيبة الأمل والحسرة وخرجت بتلك الصورة التي جعلتها تكره نفسها..

- الخيانة مش جسمك وبس يا مدام.. عاوزة تقنعيني إنك بريئة؟

وأضاف بعدما اقترب منها أكثر:

- أما كان بيهددك مصارحتنيش ليه؟ وطالما اللي بينكم قبل الجواز كان برىء كنتي
خيفة ليه؟

صرخت في وجهه منادية إياه كي يتوقف:

- إبراهيم!

ضرب يده بقوة على خزانة الملابس وعاد ليسألها بصياح:

- كام مرة كذبت عليا عشان تقابليه؟ وكام مرة لمسك فيهم وسلم عليكي؟

وهي وضعت يديها على أذنيها وأضافت ببكاء لم يعد يمتلك عليه سحر وتأثير.. هو بالأساس
يشعر بخدر يسري في أطرافه وكأن هناك شبح ما يتلبسه ويقوم بالمشهد نيابة عنه..

- إبراهيم كفاية..

أمسكها من ذراعها وهزها بعنف وشعر وكأنه حتى لو اقتلعه من ذراعها فلن يقلل ذلك من ثورته..

- كانت مشاعرك متلخبطة إزاي؟..أما كنت بقرب منك كنتي بتتمنيه هو..
ضغطت بيديها أكثر كي لا تستمع لكلماته الجارحة ولكن على ما يبدو أنها حتى لو ثقت
طبله أذن لها لن تنلها..

- كفاية..متكلمش..

هو الآن قد وصل لأقصى مراحل الهذيان..
يتخيلها وهي في أحضانه..

وهي تقبله..

وهي بفراشه..

حتى باتت الصورة مشوشة في عينه..الدموع تتحجر في مقلتيه وقلبه جريح يئن وينزف دون
توقف..المشاهد في عينه تتجمع أكثر لا تتفرق وخيانتها سكين غادر غرزته في ظهره..
يدور بالغرفة كالجنون..شعرت أن عروقه النابضة ستنبثق منها الدماء من شدة
فورانه..يمسح على وجهه ويستدعي هدوءاً وصبراً بعيد المنال عنه..
يقتلها في خياله..يمزقها بأسنانه وينقض بيداه على رقبتها حتى يشهد فراق الروح من
جسدها..

كيف تفعلها؟ وما ذنب شقيقته بأن توضع ضمن تلك الدائرة القدرة..

وجدته فجأة ينقض على ذراعها..يعتصره بقبضته وشعرت أن عظامها ستفتت في
يده..قربها نحوه بقوة أصابتها بهلع منه:

- سبتيه يتجوز أسمهان..ومش بعيد تكوني متفقة معاه على اغتصابها من الأول..
- حاولت أن تكرر كلماته ولم يأبى لسانها أن يساعدها في البداية فلقد أخذت من الصمت ما يكفيها لتقبل صدمتها ثم تحدثت بعدها:
- إنت بتقول إيه؟..هو عمل كده؟ مروان اغتصبها؟ مروان ميعملش كده..هو فيه غلط..إبراهيم صدقني أنا مليش علاقة ومختكش..إبراهيم أنا بحبك..
- كلمك في الخطوبة وأنا شوفتك وسألتك وإنتي أنكرتي معرفتك بيه..
- جثت على ركبتها..قبلت قدميه بدموعها..توسلت إليه أن يصدقها..هي لا تعلم أي شيء مما يقوله وتفاجئت..اللعنة كيف فعلها؟ كيف وصل الأمر معه لتلك الدرجة من البشاعة؟..ألا يشعر؟ كيف استطاع؟ أي حيوان أحببت هي ومن الذي سلمت مشاعرها له في يوم من الأيام؟
- هو يومها كان يقولني أنا طلعت أشطر منك..يمنتقم مني عشان سبته واتجوزتك..ده إنسان مريض وأنا مليش ذنب..إبراهيم صدقني وأنا هعمل كل اللي تقولي عليه عشان اثبتلك..ممكن أعمله كمين وأوقعه في الكلام وتسمع منه بودانك إني مليش علاقة بكل ده بس اديني فرصة أخيرة..
- سخر داخله بألم؟.. ما الفارق من استماعه للحقيقة منه؟ هل سينفي خيانتها وهل سيغير صورتها في عينه؟ هل سيغير حقيقة أن ما حدث لأسما كان بسببه وبسبب قلبه الذي اختارها دوناً عن بقية الفتيات؟
- لا شيء سيتغير..فقط هو من تغير..بل كتبت شهادة وفاته اليوم ووقعت هي عليها..

جذبها من شعرها كي يبعدها عن قدميه ويوقفها وأخبرها بنبرة قاتلة حد أن تأتي بنصل بارد وتغرسه بصلوعها ثم تخرجه منها بقسوة..

- إنتي طالق..

واتجه نحو باب الغرفة ثم عاود النظر إليها وأخبرها بلهجة محذرة:

- ارجع ملقيش أثر ليكي في البيت لإني مش عارف لو لقيتك ممكن أعمل إيه.....

منذ أن جاءت وهي تبكي.. ترتجف.. وهي ستجن، تقتلها بتلك الدموع وتمزق نياط قلبها من شدة خوفها عليها..

تحركت بهدوء حتى جلست في النهاية على الأريكة بجانبها.. تحسست الفراغ بأصابعها حتى وصلت ليديها.. أمسكتها مخبرة إياها بتوسل:

- أسما إهدي وفهميني إيه اللي حصل؟

وأضافت متسائلة:

- شوفتيه انهاردة؟.. جالك؟.. خوفك؟ حصل إيه؟

وهي قالت نافية كل اختياراتها وضاربة بتوقعاتها عرض الحائط:

- إبراهيم!

ارتجفت فيروز هي الأخرى.. تملك منها الذعر.. حالة أسما لا تبشر بأي خير وإن لم تراها

بعينها ولكن تشاهد ما بقلبها من خوف ومن قهر..

- ماله؟.. ماله إبراهيم؟

- وبعدما سردت لها أحداث اليوم جملة وتفصيلاً شقت فيروز بعدم تصديق وشعرت بأن هناك رجفة تمكنت من أطرافها وثقل عام أصاب جسدها فجأة..
- أنا مش مصدقة.. فريدة كانت مخطوبة للحيوان ده.. أنا مكنتش مرتحالتها من الأول..
- وأضافت بصوت متهدج.. ضائع وضعيف..
- كلمتيه يا أسما؟
- والأخرى أنزلت الهاتف من على أذنيها بيأس:
- مبيردش بردك.. روز أنا مرعوبة..
- قالت فيروز موبخة إياها بصوت عالي حانق وبشدة من سذاجتها:
- إنتي تسكتي خالص.. مش قادرة أفهمك إنتي بتفكري إزاي!.. بعد كل اللي عمله رايحة معاه البيت برجليكي..
- وأكلت حديثها بعدما نهضت فجأة وتوجهت عدة خطوات بطيئة تستكشف طريقها بذراعيها ومتجهة نحو باب الغرفة:
- لازم بابي يعرف ويشوف إبراهيم فين..
- ركضت خلفها أسما وأعادتها نحو الأريكة من جديد مخبرة إياها بتوسل:
- انتي بتقولي إيه بس ياروز.. بابا كده هيعرف كل حاجة والدنيا هتولع..
- وكانت الإضافة مؤلمة وموجعة لكلاهما:
- عمره ما هيسامحني ولا هيسامحك لإننا خبينا عنه اللي حصل..
- تنهدت فيروز بعدما اقتنعت بكلام أسما، هي محقة كما أنها تشفق على أبيها من قهره على حال أولاده..

يكفيه قهره وحزنه عليها.. على ما أصابها وما فقدته..

- كلميلي ياسر.. يروح يشوفه في شقته ويطمنا..

والأخرى تعجبت وقالت معارضة إياها:

- الوقت متأخر وكمان يمكن إبراهيم يتضايق انتي عارفة الموضوع حساس..

- عادي ياسر مش غريب..

وارتبكت عندما شعرت أن الجملة خرجت منها دون وعي وتفكير.. قالتها تلقائياً فخرجت

دون تنقيح وقالت موضحة لأسما:

- يعني قصدي هو قريب من إبراهيم.. وبعدين أنا أصلاً مش هقوله تفاصيل كفاية يطمنا عليه..

قامت بالاتصال مرة اثنان عشرة ولا يجيب هو الآخر.. تخمنت أنه يضع هاتفه على وضعية الصامت ولكن ما لا تعلمه عنه أن ياسر يحتاج لسبل وجهود خرافية كي يخرج من سباته وخاصة في مثل هذا التوقيت من الليل.. حتى أنه غالباً لو وقع المنزل بأكمله فوق رأسه ربما لا يشعر..

وفي النهاية استسلمت الفتاتان لدوامة الانتظار والقلق حتى أشرقت الشمس وحلّ

الصباح واستيقظ النائمون وأولهم ياسر وأخبرهم ما علمه من حارس العقار بأن إبراهيم خرج ليلاً ولم يعد وزوجته خرجت بعد الشروق حاملة حقيبة سفر!

تنهدت فيروز براحة مؤقتة وظلت بجانب أسما حتى استسلمت للنعاس وعقلها كان يفكر بأخيها الذي تعلم وتذكر شعوره الآن جيداً فلقد مرت بتلك التجربة مسبقاً وعاشت كل مراحلها.. تجرعت قسوتها وتعايشت مع ألمها لشهور طويلة..

ما بال الحب يأخذ منهم أكثر مما يعطي؟
 وكأنه يثأر من آل أبو العز..
 وكأنهم جميعاً يدفعون ثمن قصة حب قديمة ،ملعونة وظالمة..
محي وجويل..

مر يوم آخر..بمره وعلقمه..
 بسوداه..
 يعلم أنها ستمر..وأن ذلك العزاء سينتهي ولكن هذا الفراغ الذي يغرق به ويتشعب داخله
 سيزداد اتساعه مع الوقت لا العكس..
 من الآن وهو لا يتحمل..كلما ينظر لنفسه بالمرآة يرى على جبينه كلمة "عاجز"..
 لم يستطع إنقاذه ومساعدته..لم يمنحه ولو راحة مؤقتة قبل حتفه بل ترك المرض يتمكن
 من جسده حتى التهمه..
 منذ وفاته وهو يتحرك بآلية..يجلس بالعزاء طيلة اليوم يستقبل الأقارب والأهل ومن
 داخله يتمزق لأنه لا يستحق مكانة الابن الوفي المطيع لأبيه في حياته والذي تحول لسند
 العائلة بعد مماته..
 هم لا يعلمون..لا يدركون ..لا يرونه مثلما يرى هو نفسه..
 مغتصب..مدمر..مجرم ..وعاجز أيضاً..
 يريد أن يصرخ بهم..يوضح لهم نفسه التي يجهلوها وبالأخير يصمت..يؤدي دوره باتقان
 ويحبس كل همومه وضيقة داخله ثم يفرغها على قبر أبيه..

هناك فقط وجد الراحة.. هناك يترك كل ثقله على غفران يستجديه من أبيه.. هناك يبكي ويفرغ كل مكنوناته..

هناك يكن مروان ثالث مختلف عن الذي تعلمه أمه أو الذي تعلمه أسما..
يكن مروان الذي يعلمه هو ويريده..

منذ اثنان وسبعون ساعة لم تغفل عيناه للحظة أي من قبل وفاة أبيه بيوم ومع ذلك لا يشعر بالنعاس بل شعر بأنه ربما لو أغمض عينيه سيرى كل ما يهرب منه في واقعه..
ربما تأتيه حسناء كعادتها غاضبة منه وربما يخبره أبيه أنه أبداً لن يسامحه وربما يزوره شبح أسما وينقض على رقبتة كي يثأر لها منه..

ومن الممكن أن يجتمع ثلاثهم عليه فالثلاثة ضحايا لعجزه وقلة حيلته..
هو الآن يهرب من الواقع والأحلام.. ترك مسؤولية أمه لشقيقتها كي تهتم بها ويظل طيلة النهار بالعزاء ثم يقضى الليل بأكمله على قبره ويعود ليستأنف يومه..
لم يتعجب حتى رحيل أسما المفاجئ من المنزل فالغريب كان مكوثها به لا رحيلها عنه ولم يفكر أبداً بأن يسألها..

فلترحل هكذا هي بأمان أكثر فهو على ما يبدو لا يستطيع فعل أي شيء بالحياة سوى أذيتها وفقط..

ما يضايقه الآن هو أن اليوم الثاني من العزاء قد أوشك على الانتهاء ولن يتبقى سوى الغد وفقط ومن بعدها سيرحل الجميع كي يستأنفوا حياتهم ويتابعوا أعمالهم ومسئولياتهم ولن يتبقى بالمنزل سوى هو وأمّه فقط..

يتسائل.. هل سيستطع تحمل نظراتها الضعيفة المكسورة؟ هل بإمكانه أن يراعيها ويهون

من ألمها؟

لا يظن أن سيتحمل تلك المسؤولية ففاقد الشيء لا يعطيه وهو الآن بأقصى مراحل الضعف.. حبال اليأس والعجز تلتف حول جسده وتكتفه.. تخنقه وتزيد من هوانه..

- عاملة إليه إنهاردة يا أمي؟

أومأت رأسها ببطء كعادتها وهو وضع كيس الأدوية الذي ابتاعه من أجلها بجانب سريرها ثم أخبر خالته:

- خلي بالك منها يا خالتي.. الأدوية في معادها مش هوصيكي..

وهي قالت بعدما ابتسمت له مطمئنة إياه:

- متقلقش يا حبيبي في عنيا..

منح أمه قبلة على جبينها وأخبرها بخنو:

- أنا هنزل أقعد مع الناس تحت مش عاوزة حاجة يا أمي..

وهي أومأت رأسها بنفي وبصمت دون حديث كما اعتاد منذ وفاة أبيه وكأنها ترفض التواصل مع البشر من بعده وهو تركها ليخرج من الغرفة وعينيه توصي خالته بالناية بها..

بجرد أن خطى خارج الغرفة وجد أمامه جارته المسنة تخبره بذعر..

- مروان يا بني..

- خير.. فيه إيه؟

ابتلعت ريقها وأخبرته:

- الحكومة برة وبيقولوا عاوزينك..

انتفضت أم مروان من رقدتها رغم هوانها الشديد ولحقت بإبنها بمساعدة شقيقتها..

نظر مروان خلفه عندما وجدها تلحق به ولسانه ينطق بدهشة واستنكار:

- قتي ليه من السرير بس يا أمي؟!!

وأشار لحالته كي تصطحبها للداخل بينما ملامحه كانت قد تمكن منها خوف بالغ عليها من

سماعها أي شيء سيصدمها بحقيقة ابنها ولن تتحملة:

- دخلها جوة يا خالتي..

وقاطع حديثه صوت الظابط الذي يتحدث بسرعة وبمنتهى الرسمية:

- إنت مروان عبد العزيز؟

- أيوة يا باشا..

- تعالي معايا عاوزينك في القسم..

تدخلت جارته متوسلة للرجل:

- يا ساعة البيه مينفعش المشوار ده يتأجل لبعد العزا.. ده يتيم وأبوه لسه ميت امبارح

ومفيش غيره يراعي أمه العيانة..

في عرف القانون لا شيء أهم من القانون..

وهو يعلم أن في عرفه أيضاً ألا يطبق سوى على الفقراء قليلي الحيلة وفقط أو " الغلاظة

.."

أخبرها الظابط:

- آسف يا حاجة مينفعش..

وأشار للعسكري كي يقوم بمهامه والذي سرعان ما وضع القيود بيده ثم قام بجره أمامه

بينما ركضت أم مروان نحو الباب محاولة جاهدة أن تمنعهم وكأن هناك قوى خرافية تلبستها كي تحمي صغيرها من براثن خطر مجهول المعالم بالنسبة إليها.. قالت بهوان وكانت تلك المرة الأولى التي تتحدث فيها منذ وفاة زوجها:

- مروان!

وتدخلت خالته صائحة واجتمع كل الجيران من صراخها وكانت تقول:

- كلابشات ليه؟.. هو عمل إيه؟.. حد يفهمنا.. مروان.. لأ يا مروان متروحش معاهم.. ولا حياة لمن تنادي فلقد كان قد رحل من أمامهما بالفعل..

ركضت أمه نحو الشرفة.. ثابعه بدموعها وتناديه بأقصى ما تمتلك من قوة..

- مروان.. مروان..

ثم سقطت في النهاية دون حراك لتعم الفوضى بالمكان، هرج ومرج وصياح امرأة بجانبها مذعورة مما يحدث حولها..

- حد يطلب الإسعاف بسرعة..

- حد يطلب الإسعاف الراجل سايج في دمه يا أخوانا..

فتح عينيه ببطء على صياح رجل لا يعلمه.. يحاول أن يتذكر ويستعيد ما حدث له خلال آخر ساعة قبل أن يفقد وعيه..

بمجرد أن خرج من الصالة شعر بتتبع عدد من الرجال له.. ظل يتابع خيالاتهم بهدوء كي لا يلفت نظرهم وبمجرد أن وصل للشارع الرئيسي قفز بمهارة رياضية بأول سيارة أجرة ظناً منه أنه هكذا قد فلت منهم وتهد بارتياح..

ولكن بعدما اقترب من الشارع الذي يقطن فيه مع صديق له مؤخراً استغلوا تأخر الوقت وهدوء المنطقة وتجمعوا حوله..

لا يعلم أي شخص منهم ولكنه كان يعلم جيداً من أرسلهم..

سألهم متصنعاً الشجاعة ولكن أي شجاعة تلك التي تخرج من رجل يواجه وحده خمسة مسلحين بعصي غليظة!

منتهى الظلم والإجحاف..

صنعوا حوله دائرة متحركة متلفة للأعصاب بينما عمر كان يدور حول نفسه في كل الاتجاهات مترقباً غدرهم ثم سألهم:

- انتو مين وعاوزين إيه؟

وتطوع أحدهم بالرد وكان يبدو أنه رئيسهم:

- مبعوتلك سلام ورد السلام أمانة..

- من مين؟

ولم ينتظر رده فلقد قذف بأول رجل يقربه وحاول الهروب ولكنهم تجمعوا عليه وانهالوا عليه بالضرب بأماكن متفرقة من جسده وهو لا حول له ولا قوة فقط يستدعي جلدًا وقوة لا تكفي أبداً لصد أو تحمل هذا الهجوم العنيف..

بعد عدة دقائق لم يعد يشعر بأي شيء وكأنه من شدة الألم تخدر.. دخل مرحلة ما قبل فقدان الوعي فقط كان يشعر بدماء تسيل على أذنه ولا يعلم مصدرها ولكنها كانت تسيل بغزارة..

استمع لنفس الرجل الذي كان يتحدث معه يخبره:

- الكبير يقولك ده مجرد تذكّار بس عشان متنساش اللي عليك وعشان متدخلش في
 اللي ملكش فيه وتركز في ديونك.. وخلي بالك عشان المرة الجاية فيها كسر رقبة...
 أغمض عينيه باستسلام مرة أخرى ولم يفتحها إلا بالمشفى على صراخ آخر لطبيب نهن
 أنه لمساعدته:

- الجرح مش سطحي.. لازم ينخش عمليات فوراً.. بسرعة مفيش وقت..

الفصل الثاني والثلاثون

دعيني..

أقولك ما بين نفسي وبينني..

وما بين أهذاب عيني، وعيني..

دعيني..

أقولك بالرمز، إن كنت لا تثقين بضوء القمر..

دعيني أقولك بالبرق،

أو برذاذ المطر..

دعيني أقدم للبحر عنوان عينيك..

إن تقبلي دعوتي للسفر..

لماذا أحبك؟

إن السفينة في البحر، لا تتذكر كيف أحاط بها الماء..

لا تتذكر كيف اعتراها الدوار..

لماذا أحبك؟

إن الرصاصة في اللحم لا تتساءل من أين جاءت..

وليست تُقدِّمُ أيَّ اعتذار..
لماذا أُحبُّك.. لا تسأليني..

فليس لديَّ الخيار.. وليس لديك الخيار.
(نزار قباني)
فيروز وياسر

ألم الرأس لا دين له..

والهاتف لا يرحم وخلطته الثلاثية التي تحوى أكبر نسبة منبهات يتعاطها بشري من
خلال مشروب واحد والمكونة من (قهوة + كاكاو + نسكافيه) لا تسعفه..
وكان الجميع متفقين عليه..

هناك كارثة بالجمعية تخص اختفاء سيولة آخر معرض أقيم وكل من يعلم بها يحادثه كي
يخبره عنها بصفته أحد المؤسسين ومن جهة أخرى فيروز تتصل به كل دقيقتان كي تسأله
عن أخيها دون أن تشرح له أو يفهم ما يحدث معهم وهو فقط يحتاج لنصف ساعة كي
يستجمع رأسه ويبدأ يومه اللطيف جداً وأمنيته الوحيدة أن يتوقف هذا الهاتف عن
الرنين فقط قليلاً..

أمسك هاتفه وأجاب بعصبية دون أن ينتبه لمن يحادثه:
- نعم...

وأجابه الطرف الآخر بينما ينهره:

- إيه نعم دي؟..وبعدين مش بترد عليا ليه يا ساعة الباشا؟!
- طرق بيده على جبينه..ماهذا الذي فعله؟ فليتحمل الآن وصلة التويخ كعقاب يستحقه..
- سوري مخدش بالي والله السلوك بتاعت التليفونات دخلت في بعض..
- وأضاف مازحاً معه كعاداته:
- وحشتني والله يا حاج..
- والآخر أخبره مباشرة:
- هتيجي امتي يا ياسر؟ ومتععدش تقولي أصل وفصل زي كل مرة إنت قربت على الشهرين في مصر كفاية أجازة بقا ونشوف شغلنا..
- وأضاف:
- الناس بتوع شركة الراوي كلوا دماغى عاوزين الدفعة الأولى وإلا هيفسخوا التعاقد وأنا مش ملاحق..
- وتلقائياً ذهب تركيزه نحو الفيروز..كيف يتركها وحيدة بعدما وعدها وعندما وجدها؟!..كيف بإمكانه أن يقضي ثانية من عمره في بلدة أخرى بعيداً عنها؟
- نعم..هو متخذ قراره..فهى بلدته وموطنه ومعها هو سيكون ولكن هو لا يستطيع إخبار أهله عن عدم عودته دون تمهيد ودون أن ينهي كل الأعمال العالقة بالرياض والتي تنتظر رجوعه كما أن أمه تلك نقرة أخرى..يوميّاً تحادثه ومتخوفة من استقراره بعيداً عنهم مرة ثانية ،تخبره بأنها تتوحشه وأن روحها عادت لها بعد عودته وتحاول أن تنتزع منه وعداً بالرجوع إليهم..
- هو لا يعيش بمفرده بهذا الكون كي يتخذ قرارات عشوائية وعليه أن يعود بالرياض

بأقرب فرصة ولكن عن فيروز ماذا ستفعل بغيابه؟! وماذا سيفعل إن عاد ووجدها قد عادت للقوقعة مجدداً وعادا لنقطة الصفر من جديد؟! معضلة ومشكلة ويجب عليك الحل والتفكير والتدبير وسريعاً فع الوقت تسوء الأوضاع أكثر وتتعقد لا تُحل..

- ياسر.. أنت روح فين؟

- أنا هنا..

- عرفني بقا هتيجي أمتي؟

- هشوف كده ممكن أول الشهر..

وقال أبيه بنفاز صبر واضح:

- آخر الأسبوع يا ياسر.. وده آخر كلام عندي..

تفشى الضيق في صدره وقرر تأجيل التفكير بأي شيء لحين استرداد تركيزه

بالكامل.. الأمر بحاجة عاجلة لكوب قهوة في مقهاه المفضل الذي يبعد عن منزله

بشارعين تقريباً بعدما فشلت قهوته المركزة في القيام بمهامها وهو رجل جعل من القهوة

وقود لعقله وليس بإمكانه التفكير بأي شيء دون أن يتعاطى جرعة كافية منها..

وتم الأمر بنجاح مع شطيرة جبنة حارة تناولها على عجل مع قهوته ثم عاد لأمام المنزل من

جديد كي يأخذ سيارته ويبدأ نهاره بكارثة الجمعة..

ولحها..

كانت تخرج من سيارتها بمساعدة سائقها.. خصلاتها الذهبية تصنع مع أشعة الشمس

إنعكاساً رائعاً ووجنتها التي اكتسبت من الطماطم حرمتها بفعل الغضب زادت تألقاً

وجمالاً..

هل هناك حد للعشق؟! حد للاكتفاء.. وإن كان كذلك لم يظل يشعر أن مع كل يوم يمر
يزداد منسوب عشقه لها في قلبه أكثر؟!!

اتجه نحوها.. أخبرها بعدما أمسك بيديها بدلاً من السائق:

- روز.. مالك؟ خير؟ قلقتيني عليكي..

وهي بمجرد أن استمعت لصوته ضعفت حصونها وأرادت البكاء من فرط توترها وربما
يكن هو الوحيد بهذا العالم الذي سمحت لنفسها بأن تضعف أمامه وربما تلك معجزة..

قالت بينما دموعها قد وجدت طريقها عبر وجنتيها الغاضبة الساخنة:

- قلقانة على إبراهيم أوي..

مسح دموعها بإصبعه ثم قال لها بنبرة مطمئنة:

- متخافيش يمكن يكون حاب يقعد لوحده بس كده..

ارتجفت أصابعها تحت أصابعه ثم سألته:

- يعني هو مش فوق؟

- مش عارف..

- طب خلينا نطلع..

ضغط على زر المصعد وأخبرها بعدما انغلق بابه..

- فاكدة لما خلّيتني أطلع عشرة أدوار على رجلي.. على فكرة أنا مش ناسيالك..

وهي شردت بذلك اليوم.. شبه ابتسامة تكونت على شفّتها ولكنها وأدتها لعدة أسباب..

قالت له:

- وقتها كان كل شيء مختلف..

وهو أخبرها على الفور:

- بالنسبة ليا دلوقت أحسن بكثير..

وفهمت مقصده ولم تعلق فلم تجد من الأحرف ما يناسب كلامه..

خرجت من المصعد وهي متشبثة بأصابعه ولم يكن بسبب أنه يرشدها للطريق ولكنها ببساطة لأنها وجدت الراحة في احتواءه لكف يديها..

توقف أمام باب أخيها وقام بطرقه وهي ظلت ساكنة للحظات ثم بدأت بطرق الباب بعنف وبطريقة توحى ببدأ انهيارها..

أين ذهب؟ وماذا يفعل الآن؟ وكيف يشعر؟

أخبرها ياسر بعدما ربت على كتفها:

- فيروز إهدي شوية.. هو مش جوة..

وهي سكنت رعشتها وحاولت التقاط أنفاسها وهو أخذها على شقته وأجلسها على أقرب أريكة ثم عاد إليها بكوب من الماء تجرعتة بأنامل مرتعشة..

أخذت عدة ثوان كي تهدأ سريرتها ثم قالت له برجاء:

- ياسر ممكن تفتح الباب..

وهو انتبه للتو.. نهض وفتحه وسمعها تقول مبررة:

- عشان لو إبراهيم جيه..

فاقترب منها والنبرة كانت مختلفة.. عالية تطالبها بعودة عنفوانها وتسليطها.. هو هكذا اعتادها وأحبها...

- من غير ما تبرري..إعملي اللي عاوزاه ويريحك..

استندت برأسها على الأريكة وهو على ما يبدو أن سلسلة مكالماته الهاتفية بدأت من جديد..

- أيوة يا صدقي..صعب والله أجي بس عامة ابتدوا الإجتماع وأنا مع الأغلبية ..إحنا لازم نعمل محضر سرقة ونشوف بقا الفترة الجاية لو هنفتح حساب في البنك نجمع فيه فلوس التبرعات عشان اللي حصل ما يتكررش..

وأضاف ببعض العصبية:

- يابني بقولك صعب..قول الاقتراحات دي في الإجتماع وأنا هعدي عليكم بليل.. سألته فيروز بعدما استشعرت بعض الحرج بسبب أنها ربما تعطله عن أشغاله..

- أنا معطلاك صح؟

- لا خالص .. القعدة معاكي أكيد أرحم من صدقي.. وابتسمت رغماً عن ضيقها وأتاه اتصال آخر ولعن هو الهاتف وكل وسائل الاتصالات لأنها تقطع حديثه معها..

كل العالم بكفة وهو يختار كفتها..

- حاضريا بابا هشوف الموضوع ده..

وأكل بعدما أغمض عينيه متذكراً شيء ما وهي تخيلت صورته هكذا تماماً في مخيلتها..

- ممممم...تقريباً كانت المناقصة في ٢٠٠٨..

لا تفهم لماذا سرق تفكيرها؟!.. تكتشف ياسر رجل الأعمال الذي تجهله، تشعر أنها تراه من جديد ،تغرق بتفاصيله متناسية واقعها وتختيل ملامحه في كل مكالمه من خلال

طريقته بالحديث المتأرجحة بين الهدوء والغضب..

توترها كله يذوب معه ورغبة قوية في استمرار مراقبته عن طريق تحليل نبرة صوته والتعرف على كل ما تجهله عنه تحتاجها بقوة..

والآن ما يبدو أن أبيه أعطى لمساعدته الهاتف لأنها استمعت له يقول بعدم تذكر:

- والله مش فاكر يا مليكة الرقم بالظبط..هراجع الإيميلات القديمة وابعثوك عامة إنتى ابعثيله المسودة وعلقي الاتفاق لحد ما اجى..

وهو قالها سريعاً ثم انتبه بعدها فراقب ملامحها وهي كانت تحلل الجملة برأسها فهي على علم أن أهل ياسر مقيمين بالرياض وقررت في نهاية المطاف سؤاله..

- إنت مسافر؟

والطريقة كانت توازي سؤال آخر صامت..

" هتسيني لوحدي؟! "

والكذب في تلك المواقف حق مشروع..

ترك هاتفه واقترب ليجلس بجانبها على الأريكة ويقول:

- لأ..هسافر أروح فين..

وهي ارتاحت ملامحها المشدودة التي كانت خائفة من وحدة تعيشها مجدداً ومن ظلام تقاومه فقط لأنه وعدها بأن يظل معها ويساعدها على تجاوز محنتها..

تأففت بضيق:

- إبراهيم مجاش بردك..

وكان اقتراحه مجدداً:

- ها كلمه في الشركة يمكن هناك..معاكي الرقم؟

وأعطته هاتفها ثم سمعته يقول بعدها:

- السكرتيرة بتقول أنه موجود هناك..ارتاحي بقا..

والرد كان بديهيًا:

- عاوزة أشوفه..

وهو أخبرها:

- مظنش أنها هتكون فكرة كويسة..هو يمكن حاب يكون لوحده فسببه على راحته المهم

اتطمنتي انه بخير..

وهي تنهدت لتقول باستسلام:

- حاضر..

الصددمات تتوالى وهي قررت أن تحبسها داخلها..لن تضعف مجددًا ولن تنهار..ستجاهد

وتسترد نفسها الضائعة من جديد وستنسى حالة التخيبط التي عايشتها في آخر يومان..

فاستهلاك مشاعرها من أجله منتهى الظلم..

يكفيها أنه قطف زهرة براءتها في ريعانها وحاططها بأشواك من الألم وبأسوار من اليأس

والمرارة فلم تتمكن بعدها من تخطيه أوتجاوزه..

ولكن هي يجب عليها أن تعود..وجودها قربه أذى آخر لها وقلبها الذي يخفت من أجله

عليها أن تسكته قبل أن تصبح خفقاته مسموعة بوضوح...

ليتها تبدل وتعلم اللامبالاة والقسوة..بدأت تشعر وكأنها تبحث عن لدغة مصاص دماء

تقوم بسحب الإنسانية والتسامح من داخلها وتضع محلهم جمود ويزرع بداخلها كره يُمكنها مع التعامل مع البشريين..

كانت بغرفتها تجمع ملابسها التي تحمل قطرات من دموعها بالحقيبة، تودع غرفتها المنتهكة بنظرات ملتاعة وتفقد شيئاً آخر منها بهذا المكان..

أخذت هاتفها الذي كان ملقى بإهمال على سريرها ثم وضعت به بحسب بنطالها، رمقت الغرفة بنظرات أخيرة مودعة ثم نظرت للفتاة التي كانت بخدمة مرودة بنظرات ممتنة ودودة:

- اعتبري نفسك في أجازة يا وردة..

والأخرى امتلأت عينها بالدموع ثم سألتها:

- يعني مش هشوفك تاني يا ست أسما؟!

احتضنتها أسما مودعة إياها.. هي لا تملك إجابة سؤالها ولا تعلم ما الذي سيحدث بعد ساعة وليس على مدى طويل..

- أما أسس بيتي أكيد هتكوني معايا فيه.. بس يكون بيتي لوحدي وأنا اللي عملت كل ركن فيه على مزاجي وأنا الوحيدة اللي اكون صاحبة الكلمة والقرار فيه.. بس قولي يارب..

كانت تتحدث بحالمية وبنفس الوقت بحسرة كان يقابلها من جهة الفتاة عدم فهم ودموع غزيرة لأنها ستفارقها.. لقد تعلق بها بفترة وجيزة وتخطت معها فكرة الخادمة وسيدة المنزل وصاحبه.. باختصار لم تجد الراحة والفرح إلا معها بسبب قلبها البريء النقي ومعاملتها الحسنة لها على الدوام والآن باتت تتساءل هل ستعود إلى حياتها السابقة

وتنقل من منزل لآخر فتتحمل إهانة تلك ونظرات هذا الوحشة!.. كم ستحتاج من عمرها كي تجد الهدوء النفسي كما وجدته بهذا المنزل وتعلم أنها معجزة كونية فأمثال أسما نادرين الوجود..

وكان أسما قرأت مخاوفها.. لمحت ارتجافها ولمست شعورها بالضيق فلم تتحمل، ربتت على كتفها مخبرة إياها بابتسامة:

- خلاص متزعليش.. جهزي نفسك هتيجي معايا الفيلا..

وما كان من الفتاة صغيرة السن إلا أن سمحت لطفولتها المكبوتة بأن تطفو على تصرفاتها.. احتضنتها مهلة ثم ظلت تقفز بفرح وركضت كي تجمع أغراضها هي الأخرى.. ارتقت أسما على مهدها منتظرة إياها ثم أخرجت هاتفها بملل وانتبهت لوجود رسالة نصية وصلتها قرب الفجر تقريباً وكانت لم تقرأها بعد..

" عارف إن قلبك الأبيض هيفليني تراعي أمي.. خدي بالك منها أنا سايبالك أمانة "

وهي ظلت صامته تعيد قراءة حروف رسالته للمرة الألف حتى انفجرت باكية في النهاية.. الآن تذكر قلبها الأبيض!.. قلبها الذي أحرقه بنفسه وذرع فيه بذور القهر والضيق.. هل يتلذذ بعذابها؟ كلما تنهض وتقوى على نكبتها يجذبها للقاع مرة أخرى.. وكان تلك الرواية لن تنتهي سوى بموت أحدهما أو كلاهما؟!

نهضت من فراشها في النهاية وحملت حقيبتها والوجهة معروفة..

منزل مروان..

فهي كما يصفها دائماً.. بريئة، نقية وحمقاء أيضاً..

صباح لطيف جداً بشركة أبو العز..

المدير غاضب للغاية على غير العادة وعلى الأغلب أن جيش من الشياطين احتل مكتبه.. يزعق في هذا ويسب ويلعن ذاك على أمور تافهة لا تستحق كل هذا الانفعال وقام بإقالة عدد اثنان من الموظفين بسبب تأخرهم عن مواعيد العمل الرسمية! كان غريباً بدرجة ملفتة للنظر حتى أن نصيحة اليوم التي تقاسمها الموظفون " ينصح بعدم الدخول لهذا المكتب إلا في الضرورة القصوى "

وهي كانت تشاهد وتذكر ولكنها سكرتيرته الخاصة وهذا قدرها ونصيبها ولا يمكنها الانعزال عن محيطه مثل البقية.. التقطت نفساً عميقاً وأعدت خصلات شعرها للخلف بعدما شعرت بالحر الشديد وربما يكن هذا من خوفها وارتعابها من صوته العالي ومزاجه المعكر.. طرقت الباب وسلمت أمورها لله ثم دلفت لمكتبه ببطء..

- مستر إبراهيم..

- نعم؟!

وكانت نبرته صارخة لدرجة مخيفة.. ابتلعت ريقها وتحركت عدة خطوات أخرى ثم وضعت الملف الذي بيدها أمامه وقالت بعدما تقهقرت للخلف قليلاً:

- ده جرد المخازن الشهر ده ومعاه الطلبيات الجديدة والكميات اللي محتاجينها..

وهو نهض من على مقعده.. طرق بيده على المكتب بقوة ثم أخبرها زاعقاً:

- أظن يا نجلاء المفروض التقارير دي كانت تكون على مكتي عشرة الصبح بالكثير

مش الساعة خمسة العصر..

وهي قالت مدافعة:

- مهو حضرتك كلفتني أخلص ريبورت مناقصة بورسعيد الأول ده غير مواعيد انهاردة وبكرة اللي اتأجلت وكان لازم ابلغهم بنفسي واحد واحد..
- وهو أجابها بضيق وبزق فجر منبع دموعها:
- والله ده شغلك لو مش قده ألف واحدة كفاءة مستنية مكانك..
- أنقذت أسما تلك الفتاة المسكينة دون أن تدري بعدما دلفت لداخل المكتب بقوة وقامت بغلق الباب خلفها بعنف ثم أخبرتها:
- سيينا لوحدنا لو سمحتي..
- وهي ركضت نحو الباب وأغلقتة خلفها..
- اقتربت أسما من إبراهيم غير مبالية بملاحه القاسية ولا بعيونه التي تخرج منها شرارات وليس نظرات..
- إنت إيه اللي أنت عملته ده؟
- وهو مال برأسه بعدم فهم.. هو لا يتحمل أي الغاز من أي نوع ولون فلقد نال من الأغاز والصدمات حد الشبع..
- وهي قالت موضحة:
- خلتهم ياخدوه من عزا أبوه؟ إزاي جالك قلب تعملها؟!
- وهو توحشت عيناه أكثر.. عن من هي تدافع وعن ماذا تلومه؟
- أجنون هذا أم هذيان؟
- إنتي إيه اللي بتقوله ده ؟
- وهي أخبرته مباشرة دون لف ودوران.. وكأنها أخرى لا تعلمها هي وتكتشفها ولا يفهمها

هو..

- طلعه من السجن يا إبراهيم..

وأضافت بنبرة تتأرجح بين التهديد والرجاء..

- لو ليا عندك خاطر طلعه..

وهو اقترب منها..هزها بعنف رغبة منه في إعادة وعيها المفقود إليها..هل ما تفتوه به حقيقي أم أنه يتخيله؟..عن ماذا تدافع ومن أجل من غاضبة هي بتلك الصورة بل وتتحداه؟!؟

- إنتي اللي بتقولي الكلام ده؟!..المفروض ده يكون طلبك أنا بجد مش قادر أفهمك..نسيتي هو عمل فيكي إيه؟..اللي حصل ده اللي مفروض يحصل من زمان يا أسما..

وهي دفعته لتبتعد عن قبضته ثم بكت..يصرّ هو على فتح جراحها مثله ويجعلها تتحدث..وعلى ما يبدو أن لا أحد يفهمها بتلك الحياة ولا أحد يستوعبها.. يتحدث الآن بالثأر على لسانها..أين كان كل هذا عندما كانت تنازع الموت وحدها؟..أين كان انتقامه وقتها؟..لقد وصل بها الضعف واليأس إلى التخليّ عن روحها كي تبحث عن عدالة مفقودة بدنيها وعن أمان انتزع من خلاياها بعنف ومنتهى القسوة.. من الذي قرر أن يزوجها منه بل وأصرّ على ذلك رغماً عن إرادتها؟! من الذي يتحدث عن انتقام فات أوانه وفقد تأثيره منذ زمن؟!؟

- متضحكش على نفسك يا إبراهيم..

وأضافت موضحة بقسوة:

- إنت سجنته عشان تنتقم منه بسبب فريدة وعشان كرامتك مش أكثر...
 هل هناك ما هو أكثر من الغضب الشديد؟!.. كلما يشعر أنه بقمته يجد سقفاً آخر ويصل
 إليه بثواني حتى كاد يشعر أن ذلك الغضب قد صنع نيراناً تلتهم أعضائه الآن..
 ما كان يجب أن تنطق باسمها أمامه أبداً ولا أن يجب أن تتحدث بحماقة.. تتحدث وكأنه
 حقير لا يفكر سوى بنفسه وانتزعها من حسابه!
 وما زالت تفاجئه وتصدمه بحديثها المؤلم ونبرتها الجامدة الصلدة..
 - يمكن لو ده حصل زمان كنت ارتاحت.. بس أنا خلاص اتقتلت ومعدش يفرق معايا
 حاجة..

اقترب منها أكثر.. يتأمل عينيها ويحاول أن يكتشف تلك الفتاة التي تواجهه.. أهكذا
 تراه؟!.. ألم تشهد احتراقه من أجلها؟!.. ألم تشعر بكرامته التي دهسها تحت قدميه من أجل
 أن يضمن لها رأس مرفوع يجتمع كل تفكيره ارتكز على شرف الفتيات وبكارتهم..
 كان الكل سينهش في لحمها وهي لن تتحمل.. كانت ستري جرحها في عيون الناس ولن
 تقوى على الاستمرار وكان سيفقدها نهائياً.. كيف أجزمت أنه ما كان سيقوم بحبسه في
 النهاية أيضاً وأن ما علمه ما كان إلا تعجيل للنهايات لا أكثر ولا أقل..
 - أنا كنت هحبسه كده كده.. الموضوع كان توقيت مش أكثر..

وهي تجاهلت حديثه.. عقلها تركته بالمشفى.. رأسها بأمه المسكينة التي دخلت بغيوبة
 وتحولت لجثة طريحة الفراش تنتظر يوم حتفها..

عندما رأتها بتلك الحالة لم تتحمل.. ركضت خارج المشفى ومعها شعور بالذنب وأنها ربما
 تكن السبب في مفارقة روح لجسدها.. ستكون قاتلة لها وهي لن تتحمل فهذا الوزر أكبر

من قدرتها على تحمله..

- مروان لازم يطلع.. أمه بتموت والدكتور بيقول الدم مش واصل لمخها.. بتصحى تنادي عليه وتغيب عن الوعي تاني.. لو مروان مطلعش هتموت.. إنت هتقدر تستحمل ده؟! وأضافت بعدما احتضنت أصابعه عله يفهمها:

- ده ذنب كبير يا إبراهيم إنت مش قده.. وأخبرته بإصرار:

- أنا ممكن أدفعله الفلوس بس الإجراءات هتاخذ وقت وإنت بعلاقاتك ممكن تطلعه دلوقت لو عاوز..

والتوسل من جانبها والتعجب كان من نصيبه..

- عشان خاطري يا إبراهيم.. مروان لازم يطلع.. خليك فاكر إن في حياة إنسان مرتبطة بقرارك قبل ما تاخده..

ولم تتحمل قسوة نظراته لها وعدم لينها وكأنه كان يلومها بصمت على سذاجتها فقررت الرحيل وعقلها بدأ بالتفكير بطريقة أخرى تساعد بها وقبل أن تخرج من الغرفة توقفت بسبب سؤاله الذي حولها للوح من الثلج فجأة..

- هتطلقي منه ولا هتفضلتي على زمته يا أسما؟

ولم تعلم إن كان لوم يحمل أمر أم حيرة منها نمت داخله بشأنه وقرر أن يحسم أمرها.. ولكنها غير مستعدة لجوابه بالمرة..

طباعها تتغير وهي تشعر..

تبتعد بقلبها وتقسو عليهم بنظراتها كل يوم جديد يمر بحياتها..

تقترب من مرحلة الجفاء، تنام طيلة النهار وتهرب من المنزل متحججة بأي شيء ليلاً ثم تعود وهم نيام..

لا تعلم ما الذي يمكنها فعله.. تشاجرت معها أكثر من مرة بسبب تأخيرها الذي بات عادة مؤخراً.. هددتها كثيراً بأن تخبر أبيها ولم تهتم بل ومنذ ذلك اليوم وهي لا تدخل المنزل قبل الثالثة فجراً وكأنها تتحداه..

وهي سأمت.. تشعر بأن ابنتها تضيع منها.. يزداد الحمل على ظهرها ولا تجد من تلتجأ إليه كي يساعدها باستردادها من جديد فهي لا تأمن جنون الأب بتلك المواقف ولا عصبية الأخ الذي لا يتناسب مع عناد بشرى ورأسها المصفح..

استوقفتها عندما رأتها خارجة كعادتها مؤخراً بأناقة تزيد عن الحد المسموح كما ان زينة وجهها الصارخة تزيد من انقباض قلبها وخوفها عليها..

- رايحة فين؟

والأخرى أخبرتها بعدما أعادت وضعية خصلاتها أمام مرآة كبيرة تتوسط الصالون:

- خارجة مع صحابي..

- هو كل يوم صحابك؟ مش هنخلص بقا من الموال ده؟

وما كان من بشرى الا أن تبسم ابتسامة متكلفة وتقول بعناد:

- عاوزاني أقعد في البيت اعمل إيه؟.. أكلم الحيطان مثلاً..

تهدت حورية واجتاحها رغبة قوية في البكاء لأنها لا تستطيع احتوائها.. لا تسيطر على الوضع كما يجب ويكون وكما تتنى..

- أسما هتقعد معانا كام يوم مش عاوزة تشوفيا؟

وما كان من بشرى إلا أن تسألها:

- هي فين؟

- راحت تجيب هدومها من البيت بتقول جوزها مسافر.. كانت بايئة مع روز امبارح وقلبي بيقولي انها متخافقة مع جوزها ومش موضوع سفر ولا حاجة..

وعن رد الفعل من الجهة الاخرى كان تجاهل.. كانت ترتدي حذاءها وتلقى نظرة أخيرة على نفسها بالمرآة ثم قالت بنبرة هادئة عن اللزوم ومثيرة للغضب:

- مش هي اللي أصرت تتجوزه.. تشرب بقا..

وكانت سترحل لولا أن أمها قبضت على زراعها بقوة مخبرة إياها:

- أنا مش عاجبني حالك ده.. بتقعدي برة البيت أكثر ما بتقعدي جواه مش طريقة دي..

تأفقت بشرى وامتعضت ملاحظها لتقول بضيق:

- تاني يا ماما الموشح اللي مبيخلصش..

- ثاني وتالت وعاشر لحد ما عقلك يرجع لراسك..

حسناً هي أرادت المواجهة وتصبر عليها بقوة فلتتحمل إذاً..

- انتي عارفة كويس إن مفيش حد غيرك حاب وجودي في البيت ده.. أنا هنا بتختق يا ماما.. سييني أمشي الله يخليكي..

ازدادت حورية من قبضتها على ذراع ابنتها وتألقت عيناها ببعض الدموع لتصنع مع عيون بشرى صورة معاكسة ومرآة لها..

- وأنا مش كفاية عليكي يا بشرى!؟

والأخرى لا تجيب.. فقط خفضت ناظرها.. تفكر بكلام أمها وتعيده برأسها والإجابة نفسها..

" هي لا تكتفي بها "

ربما لو كانت الظروف مختلفة كانت اكتفت ، ربما لو لم يكن في حياتها غيرها لملأت دوامات الفراغ المتسببة بضياعها..

ما يقهرها أنهم حاضرين غائبين بحياتها.. يسلكوا جميعاً طريقاً مختلفاً عنها.. مأسورين بسحر الفيروز الذي أعماهم عنها ويمنعهم عن رؤيتها..

كيف تجيب أمها بأنها تغنيها عن الجميع وقلها يتلوى من نبذهم لها، من عقابهم الأبدي حتى من قبل أن ترتكب تلك الحماقة وذلك الجرم بأختها وكل هذا لأن غيرتها من فيروز كانت واضحة ولأنها أعلنتها صريحة وتركها تتحكم بتصرفاتها..

كيف تخبرها أنها تموت من الوحدة لذا قررت الانتحار بطريقة الخاصة؟!

سمعت أمها تكرر:

- كفاية عليكى ولا مش كفاية؟

سحبت بشرى يديها من يد أمها ببطء وعينيها تتبدل تعبيراتها كل ثانية ما بين الرغبة بالبكاء، الضياع واستدعاء القسوة والجمود ثم في النهاية أجابتها على سؤالها بينما تهرب بعينيها من محيط نظراتها:

- انا أتأخرت ولازم امشي..

خرجت من الفيلا وركضت نحو سيارتها بعدما زفرت بقوة حاربت بها رغبتها بالبكاء بحثاً عن ارتياح.. داخلها يرتعش وتلك المواجهة أنهكتها بالفعل لدرجة أنها شعرت أنها تزفر دخاناً لا ثاني أو أكسيد الكربون..

ربما هذا الدخان ناتج احتراق قلبها وربما يكن نتيجة فوران الدم بشرايينها وخلاياها وهي لا تتحمل فقط تقود السيارة بلهفة تبحث بها عن نشوة لحظية تنالها على الطاولة بلحظة مكسب أو خسارة.. باحثة عن لحظة ترقب واهتمام تفتقده بعالمها الحقيقي.. مع الأسف تحول هذا المكان بفترة قصيرة لعالم موازي تهرب إليه من واقعها وسكرة لحظية تنالها بانجراف نحو الضياع وبلهفة عينية الخائفة عليها..

هو **عمر**.. الوحيد الذي يأسرها بقلقه عليها واهتمامه والذي احتل قلبها منذ البداية جداً وبمقاومة بسيطة منها.. الوحيد الذي يظل بجانبها رغم رغبته بالهروب والتي تقرأها على جبينه و بنظراته لها..

هو الذي نال لقب متواجد في حين أن أقرب الأقربين خارج نطاق حياتها.. دلفت إلى الصلاة بخطوات سريعة متعجلة تلهث نحو خدرها.. جلست بثقة على مقعدها المفضل ثم طلبت كأسين من الفودكا وابتلعتهم دفعة واحدة ثم أعادت خصلات شعرها للخلف قائلة بتركيز شديد:

- thirty five (٣٥)

وبعدها صرخت بزهو:

- yes ..

وعينها تبحث عن عمر المختفي اليوم وكأنها تريد أن تشاركه لحظة السعادة تلك ولو بنظرة.. جاءها رجل يهمس بأذنها مخبراً إياها:

- بشرى هانم واضح إن الكارد فيه مشكلة أو الحساب مفيهوش رصيد.. حضرتك لو تحيي ممكن تكتبي شيكات آجلة الدفع..

وهي اتسعت عينها واتهام له بالغباء واضح في ملامحها قبل لسانها الذي أخبره بضيق:

- إزاي يعني؟!.. أكيد فيه مشكلة عندك..

- جربت كتير ياهانم.. إحنا آسفين لإزعاجك ولو تحيي تاخدي أي مبلغ أنا تحت أمرك.. وهي انتزعت البطاقة بعنف وأخبرته بنزق:

- أنا مخلص الفيش اللي معايا وأمشي إنت فصلتني خلاص..

وأكملت بضيق موجهة إليه تساؤل ودت طرحه منذ ولوجها للصالة:

- هو عمر مجاش انهاردة؟

والآخر أخبرها بعدما رسم على ملامحه بعض التأثير وكان إدعاء منه ففي هذا المكان لا اعتبارات للإنسانيات والعواطف..

هنا المال هو رب العقول وأسير القلوب ومالكها...

- إنتى معرفتيش؟.. عمر في مستشفى يقولوا حالته خطيرة ادعيه..

صفعها بكلماته ورحل ليتركها واجمة، مفصولة عن العالم الخارجي.. تفكر وتحاول أن تتقبل ما مر على أذنيها من كلام كان بدرجة القتل بالنسبة إليها ورجفة تتمكن منها وتنتشر في دواخلها مفتشة عنه بعالمها وهمسة خرجت من فمها تناجيه بألا يتركها...

- عمر!

الفصل الثالث والثلاثون

الحب عندما يتحد مع الجنون يزداد سطوة وتجبر، يتمكن من خلايا الحب ويغمض عينيه عن حقائق واضحة مثل شروق الشمس وكروية الأرض.. ينسحب العقل وتطفو المشاعر على الساحة حسب قانون نيوتن بأن لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار ومضاد له في الاتجاه وربما في حالتها هي تحتاج قانون خاص يمثلها بما إن الهروب من الواقع قد أصبح ضلعاً من أضلاع المعادلة..

لا تعلم كيف انتظرت الصباح حتى ركضت نحو المشفى ولا كيف وصلت.. أعصابها تجمدت وقلها يعتصر من شدة الخوف عليه وهمسة تشاؤم داخلها تحاول كتبها قدر الإمكان وأسئلة تكاد تفتك بعقلها التائه منها بالأساس..

فماذا لو كانت قد تأخرت؟.. ماذا لو كان قد أصبح في عداد الموتي وتركها وحيدة؟!.. وكيف ستعيش بعد أن وجدته؟!..

هي حتى لم يسعفها الوقت كي تخبره عن حقيقة مشاعرها.. لم تعيش قصة حب معه على أرض الواقع كما رسمتها في أحلامها.. لم تتمكن من الاعتراف بحبها له سوى وهي في غاية المثالة لأنها ببساطة خافت مواجهته وهي بكامل وعيها.. خافت رفض متيقنة منه وأعلنها هو بكل تصرف يخرج منه ويخصها..

توقفت أمام الغرفة المنشودة وتوقعت أن تراه بأسوأ صورة ألا وهي جسد ساكن، غائب عن الوعي ومحاط بعدة أسلاك حتى أنها استمعت لصفير الأجهزة الموصولة بجسده وتلقائياً حضرت دموعها كسيل جارف.. تعلم أنها لن تتحمل رؤيته بذلك الوضع

وحاولت التماسك ولكنها خرجت من حلم اليقظة على صوت فتاة تسألها:

- حضرتك مين؟

وهي انتفضت ذعرًا.. شهقت بخفوت.. لا تعلم من هي وبماذا تجيبها وكان يبدو من ملابسها العادية أنها ليست من طاقم المستشفى..

- هاه!

والأخرى أصرت على الجواب بطريقة أشعرتها وكأنها بصدد تحقيق رسمي بأحد أجهزة أمن الدولة..

- أنا جاية أزور عمر..

قالتا بخفوت وكانت هي الأخرى بانتظار أي شيء يخرج من هذا الفم يطمئنها ولكنها لم تفعل بل قالت بتأثر:

- حبيبي الحادثة مخليه بينام طول الوقت..

وسألته بشرى على عجل واللهفة التي كانت مع دموعها تعد بحد ذاتها فضيحة لمشاعرها نحوه:

- يعني هو كويس؟!

- لحد دلوقت مفيش حاجة تقلق الدكتور قال كده.. هو بس هيفضل شوية يحس بعدم اتزان ودوخة وهي نام كتير عشان مكان العملية كان صعب..

ثم مدت يديها مصافحة بينما تردد:

- أنا علا.. أخت عمر..

ومدت هي الأخرى يديها بينما شبه ابتسامة ارتسمت على شفتيها على استحياء فعلي

الرغم من عدم غلاطة الفتاة معها بالحديث إلا أنها تشعر بأن بطريقة تعاملها معها هناك شيء غريب لا تستطيع لمسه أو تحديده..

- بشرى..

وتركتها بالخارج ودخلت للغرفة دون حديث زائد وهي سكنت لبرهة ثم دخلت خلفها رغبة منها في رؤيته وأن تطفأ نار قلبها المشتعل برؤيته.. ظلت تتحرك ببطء نحوه وتتأمل به بكل خطوة تخطيها بينما شقيقته كانت ممسكة بمنديل تمسح عرق الغارق بنومه وبالنهاية تركت ما تفعل عندما شعرت بوجودها لتقول ببعض الحدة الفوجائية واللامبررة:

- الدكتور مانع الزيارة على فكرة..

- أنا هتظمن عليه بس وامشي..

ولم تجيب فقط اشارت لها بالتقدم للأمام وذهبت هي لتجلس على الأريكة تطالع هاتفها..

تلك الفتاة غريبة عن حق.. على الرغم من جبروت بشرى، جنونها، لسانها الحاد بأغلب الأوقات إلا أنها تحولت لقطة أمامها تهاب رد فعلها وتحلل نظراتها مع أنها كانت محتفظة بلباقتها معها أثناء الحديث ولم تتجاوز حدود الأدب قط..

تجاهلتها ثم اقتربت من المستلقي على فراشه بسلام ومررت يديها على وجهها ولسانها يبحث عن كلمات يصف خوفها عليه واشتياقها له ولكنها اكتفت بالقول بهمس:

- خوفني عليك..

وأملت بعدما سرت داخل عروقها رجفة بسيطة جعلتها ترتعش بخفوت:

- قوي ..

والإضافة كانت مهمة للغاية مع قليل من الدموع:

- أنا مقدرش أعيش من غيرك..

وبتلك اللحظة اقتربت منها علا حتى أنها ارتعدت من فكرة أنها استمعت لحديثها معه رغم أنها تقريباً لا تستمع لصوتها من ضعفه وخفوته..

- كفاية كده لو سمحتِ عشان منتعبوش اكر من كده..

وهي أومأت برأسها ودموعها تجددت دون سبب واضح لتقول بتفهم:

- مفهوم مفهوم.. عامة أنا ماشية..

وقبل أن تخرج من الغرفة استمعت لهمسة منه وكانت جافة كحلقه:

- علا اتيلي ماية..

تركت بشرى حقيبتها على الأريكة المواجهة لباب الغرفة وكانت هي الأقرب لزجاجة الماء فصبت كوباً منها وأعطتها له على الرغم من حنق الشقيقة الواضح عليها لأنها فكرت أن تأخذ من نصيبها في أخيها والذي تغار عليه بشدة..

تصرفها هذا زاد من جفاف حلق عمر فلم يكن قد انتبه لوجودها بعد بسبب دوران رأسه وعدم تركيزه..

شعر بالضيق.. وكأنه حتى لو مات ستأتي خلفه..

عذاب في الدنيا وسعير بالآخرة..

ألن يتخلص من تلك الفتاة أبداً؟!

- حمد الله على السلامة.. خوفتنا عليك..

واكتفى بإيماءة من رأسه والمعنى ارحلي فلا هو رجل يصلح للحب ولا الحب في

حساباته فقط كوارث وموت يلاحقه ودمار يعلم أنه نهايته والوضع لا يتحمل فتاة
متهورة تظن أن الضياع نوع من المغامرة ويكفيه ما حل برأسه بسبب محاولته في إبعادها
عن هذا الطريق المدمر..

- هو انتو تعرفوا بعض منين؟

والسؤال خرج من طرف ثالث قطع نظراتها الهائلة به ونظراته الهاربة منها..
سارعت بشرى بالقول:

- كنا زميل في الجامعة واتقابلنا صدفة قريب..

ثم نظرت لعمر متسائلة:

- هو إيه اللي حصل معاك؟

وضع عمر يديه على رأسه بعدما اجتازها ألم شديد لا يتحمله وحينها قالت علا بضيق
واضح:

- مش وقته يا آنسة الكلام ده..

ثم اقتربت من أخيها لتسأله:

- أنا دي الدكتور..

- لأ قولي بس للممرضة تعلقلي مسكن..

وهي ركضت للخارج متجهة لغرفة التمريض بينما بشرى قد اتجهت نحو الأريكة وقبل أن
تجلس استمعت له يقول بصوت يغلب عليه الإنهاك وبنفس الوقت يحمل بعض العصبية:

- هو إنتي لسه هتقعدي؟!.. ياريت تروحي..

هل هناك مغيبات طبيعية للعقول؟

مُسكِرات حلال..

لو سألتهم لأخبروك دون شك " لا "

فكل مُسكِر حرام والمغيبات رجس من عمل الشيطان..

وربما لأنهم لم يلتقوها..

هي رودينا صاحبة الخصلات الفحمية ذات الأطراف الملتوية والتي منحتها قطرات
المياه التي تتزلج عليه وتتساقط منه رونقاً وحيوية ..هي القرية جداً من الأرض والصغيرة
في الحجم والمفعمة بالأنوثة..

مغرية كالشيكولاتة وشهية كثمرة البرقوق..لاذعة، طازجة وبنفس الوقت لم تفقد حلاوة
السكر..

كانت أمام المرأة تجفف شعرها وعيونها الناعسة بفضل رضيعها قد زادت من أنوثتها
وربما هي هكذا في عينه..

ظل يراقبها، يغيب عن الوجود بملاحمها وينسى الواقع بتأمله لها..

والآن يقترب هو منها أكثر مقررًا السكر والتهيه حد الإدمان..

حد التخلص من سحر الفيروز، نسيان الماضي والتأقلم على الحياة من جديد..

حاصرها من الخلف بذراعيه وقبلها من رقبتها فشر برجفتها ثم جمودها المفاجئ..
 تلاقت أعينهم بالمرأة.. قطرات من الدموع تتجمع بعيونها ولا تعلم هي إن كانت سعادة
 بقربه أم خوف من كابوس يحوي فراقه وعدم وجوده..
 وهو اقترب أكثر.. أدراها ناحية وجهه ولثمها بقبلة طويلة تملصت هي بعدها بينما تقول
 بخفوت وشبه دلال:

- عمار هي صحي..

وهو تجاهل حجتها وعادوا باستكمال القبلة ولكنها تلك المرة دفعته ببطء عنها وقالت
 بابتسامة:

- إنت عارف انه مينفعش دلوقت صح..

- عارف..

بينما ملامحه قد امتعضت بعض الشيء لأنها قد وأدت مزاجه وليد اللحظة.. هو لا يريد
 منها سوى القبلة.. أن يهرب من رأسه بها.. أن ينتشي بفعل مخدر حلال ألا وهو شفيتها..
 وهي وإن لم ترتقي لدرجة الحبيبة في قلبه ولكنها امرأته والتي تمتلك من الجاذبية والأنوثة
 ما يكفي لإثماله وإغراقه وكأنها خلقت في الحياة من أجل مساعدته على الهروب
 والنسيان..

ارتدى ملابسه مستعداً للذهاب للعمل بينما هي كانت على عكسه ترتدي ملابس النوم بعد ليلة طويلة قضتها مع طفلها الوليد متمنية أن تنال ولو قسطاً قليلاً من النوم قبل أن يستيقظ كريم هو الآخر ويأتي للجلوس بأحضانها بدافع الغيرة كعادته منذ ميلاد عمار..

أخبرته بينما كانت تقوم بوضع كريم مرطب للبشرة على يديها وقدميها:

- عادل!

- نعم..

نهضت من على سريرها باستحياء ثم اقتربت منه متسائلة بهدوء:

- بعد ما عملت تحليل النسب واتأكدت انه عمار ابنك..ايه اللي هيحصل؟..بقالي كام يوم مترددة أكلهك بس..

وأضافت:

- بس أكيد مش هنعرف نستمر كده..

ومن حقها السؤال عن الخطوة القادمة..حتى أنه كان ينتظره..ولم يجد سوى الصمت كإجابة مفكراً في مواجهة كانت حتى حديثها مؤجلة..

وأما هي فقد ظلت تتأمل صمته بخوف..تفكر بالأسوأ وتوقع رحيله وربما هي محقة بشأن سوداوية أفكارها لأنها اعتادت أن تتجرع من الحياة علقمها ومرارها..

اقترب منها وربت على كتفها بهدوء مطمئناً إياها ورحل بينما رأسه يفكر في مواجهة قريبة..

حتمية ولا تتحمل التأخير..

خطوات بطيئة بفعل جسد تخلله الكدمات وأنهاك الوجع بعد يومان كاملان قضاهم في حجرة متر في متر لا منفذ فيها لأي ضوء.. وضع يديه في منتصف ظهره فكل أنش في جسده يصرخ من الألم فالبارحة جاءته زيارة غير متوقعة بالمرة من غريمه اللدود " إبراهيم " والذي اقتحم عليه زنزانتة وانهاه عليه بالضرب والللكات دون أن يتحدث معه بأي شيء وهو كان يستقبل هجومه بلا دفاع وبمنتهى اليأس وبقناعة داخلية أن نهايته قد اقتربت وبعقل ساكن يفكر في وضعية أمه المريضة وإرادة قد محت من قاموسه بعد وفاة أبيه ورحيله وقبل أن يخرج أخبره بوعيد:

" ابعد عن أسما أحسلك "

واليوم أيضاً قد اكتملت سلسلة المفاجآت بعدما فتحوا له باب الحجرة الكئيبة الموصدة مخبرينه ببساطة أنه سيخرج!

سينال حريته!

متى وكيف؟!

الوضع لم يحتاج للكثير من التكهّنات وحل اللغز كله يكمن لدى أسما وهو متيقن ولا يستطع تفسير شعوره إن كان سعادة لأنه مازال يترعرع في أنحاء قلبها أم خزي من نفسه لأنها مازالت تمنحه ما هو جيد في حين أنه يذيقها مرارة الأسوأ!

وصل أخيراً أمام غرفة العناية المشددة بالمشفى الخاص الذي نقلتها أسما إليه كي تضمن لها عناية أفضل وبمجرد أن فُتح الباب المغلق تقدم مروان نحو الطبيب الذي كان يرغب

بالخروج متسائلاً:

- كنت عاوز أسأل عن عائشة عبد التواب حالتها إيه؟

وهو أوماً برأسه بآلية تناسب وظيفته:

- حالياً الحالة مستقرة.. الدم وصل للمخ بس هي جسدياً ضعيفة وممكن نتعرض لانتكاسة

في أي وقت عشان كده هتفضل تحت الملاحظة اليومين الجايين ونقرر..

ولاحق حديثه بسؤال هام:

- إنت مروان؟

هزّ مروان رأسه موافقاً فلاحقه بالقول بعدما أشار له بالدخول:

- ادخلها.. كل ما بتفوق مش بتبطل سؤال عنك..

بمجرد أن خطى خطوة لداخل غرفة العناية ووقعت عيناه عليها فتحتها.. وكأنها اشتمت

رائحته أو ربما خلاياها كانت مكلفة من عقلها بالتفتيش عنه وارتوت ونبضت بالحياة

فور استشعارها لوجوده..

دمعة سقطت من عينيها سريعاً ثم تلاها المزيد.. اقترب منها مروان مقبلاً يديها بينما

يقول:

- متخوفنيش عليكي ياست الكل..

وأضاف بصوت كانت نبرته مخنوقة بفضل رغبته المكبوتة في البكاء:

- إنتي عارفة إني محتاجلك مش كده!

وهي أطبقت على شفيتها وأجبرت لسانها الجاف على الحديث فقالت:

- مروا.. مروان إنت عملت إيه يابني متخيش عليا؟!

وارتبك وابتسم وتحجج بأموال استدانها بفترة علاج أبيه كي يقنعها..
وهي لم تصدق فاتخذت من الصمت أحرف غير مسموعة وحمدًا لله أن الطبيب طالبه
بالخروج مانحاً إياه هروباً آمناً من دائرة نظراتها التي أربكته..
خرج من الغرفة واصطدم بعيون حمقائه الدامعة وكأنها تحولت لصفة طبيعية فيها
والفضل يعود له..

تلعثت مرودة:

- أنا جاية اطمئن على طنط..

وأكلت:

- بس معدش ليه لزمة وجودي..

وهو لاحقها بالقول ببروده المعتاد:

- بالعكس.. هي لوحدها شاكّة وحاسة انه فيه حاجة مخبئها عنها وإنتي لو مش موجودة

أكيد هتسأل فين مرات ابنها..

وهي لم تحمل اختتام جملة فهمت راحلة ليستوقفها منادياً:

- أسمهان..

استدارت نحوه مبتعدة بناظرها عنه قدر الإمكان فهي مهما تصنعت الجلد والقوة لا

تستطع التحكم بالخوف الذي ترتعد أطرافها بسببه كلما التقت عيونهم أو استمعت لصوته..

أخبرها بعد فترة صمت وكأنه وجد صعوبة في التفوه بها:

- شكراً..

- فيروز..إنتي صاحية؟

بمجرد أن استمعت لصوته نهضت من فراشها على عجلة ثم تحسست بأصابعها الأغراض حولها واستخدمت قلبها كدليل ومرشد حتى استقرت في احضانه بالنهاية..
يا رباه لقد كانت ستجن من خوفها وقلقها عليه..سألته بعدما مررت أصابعه على ملامحه:

- إنت كويس؟

وأخبرها بعدما أخذها نحو الأريكة وأجلسها:

- متخافيش عليا..

- إبراهيم!

رباه هي مصرة على جعله يتحدث عن نفسه وهو لا يجد قدرة تكفيه للحديث..ماذا يخبرها بحق الله!..أنه لم يستطع النوم منذ ذلك الحين!
كلها يغمض عينيه يراها معه ورائحتها التي تعبق بمنزله تخنقه ولمساتها التي على كل شيء
بالمنزل تشعل الحميم في صدره والأصعب ذكرياته معها لا تفارق مخيلته لتكن استكمال
لمسلسل قتله بالتصوير البطيء..

- عادي..عائش..

وسألته:

- إنت بلغت بابي وطنط حورية إنك طلقته؟

وهو تنهد.. زفر بجدة ثم أخبرها:

- ايوة..

- ورد فعلهم إيه؟

ونبرته حملت ضيقاً زائداً بينما كان يتحدث:

- بابا استغرب وقعد يسأل عن السبب ويحاول يفهم بس ماما سككت ومعلقتش .. قالتلي

اييع الشقة وارجع الفيلا كأنها كانت حاسة ومتوقعة إن ده يحصل ..

وأخبرته فيروز على الفور دون تفكير:

- أنا كان مكنتش برتحالها ..

وهو ابتسم ساخراً من نفسه ومردداً :

- واضح إني الوحيد اللي مكنتش حاسس بحاجة ..

وأكل بجدية ونبرته اكتسبت بعض الحدة والخشونة:

- المهم دلوقت خيلنا في أسما .. عقلها ياروز .. أنا مش عاوز افقد اعصابي عليها ..

قالها دون أن يعلم أن أسما تقف خلف باب الغرفة مترددة بين مواجهته والهروب من

محيطه ولكنها لم تتحمل كلمته الأخيرة فتلقائياً فتحت الباب قائلة بلوم واستنكار:

- أنا خلاص بقيت في نظركم مجنونة!

والآخر اقترب منها حاملاً معه عواصف غضبه ..

- مهو من تصرفاتك ..

وحينها تدخلت فيروز صارخة بهم:

- بس انتو الاتنين .. ده مش اسلوب تفاهم ..

وتجاهلتها أسما مرددة بصوت متحشرج:

- أصلاً أنا مش متوقعة حد يفهمني ..

تهد إبراهيم ودار بالغرفة محاولاً كبح جماح غضبه.. عن أي شيء هي تتحدث بل ومنتظرة منه التفهم..

- أفهم إيه؟!.. إيه اللي ممكن يتفهم أصلاً..

اقتربت أسما من إبراهيم أكثر ونبرتها بدأت تأخذ منحني التوسل:

- مقدرش اتطلق منه دلوقت ومامته لسه في مرحلة الخطر.. هي لوحدها شاكة وحاسة إنهم مخبين عليها حاجة..

- إنتي مصدقة نفسك!

وتدخلت فيروز محاولة السيطرة على الوضع ولكن لم تنجح..

- إبراهيم ممكن تهدى شوية..

ولكن الأخير اقترب من أسما ولسانه يخرج رصاصات لا كلمات تصيب صميم القلب والروح ..

- فوقى.. الحيوان ده لعب بيكي.. استغلك.. اغتصبك..

وما كان من أسما إلا أن تراخت قدميها بانهايار بينما انفجرت عيناها بشلالات من الدموع لم تستطع التقاط أنفاسها بعدها..

تبعته فيروز مصدر صوت نحيبها ومن خوفها عليها تعثرت لتقع بالقرب منها.. تحركت بجسدها حتى وصلت لها أخيراً واحتضنتها بقوة ثم أخبرته إبراهيم غاضبة:

- حرام عليك يا إبراهيم..

وزادت من احتضانها لها ولكن أسما كان ترتعش بين يديها كطير مذبوح وقلبا كان يعتصر ألماً بالمقابل..

أما عن إبراهيم فقد انهيارها المفاجئ له بصدمة في البداية ثم عاقبه بهروب ليقول قبل أن يأخذ هاتفه من على المنضدة ويرحل..

- لو ناوية تكلمي معاه براحتك بس ساعتها اعتبريني مش موجود..

التعلق والحب..

أزمة العشاق ومقتل للحالمين..

خدعوك فقالوا أن الحب عذاب..

الحب دموع.. آهات..

انتكاسات..

واللعنة كل اللعنة على المسلسلات والروايات العاطفية التي مزجت بينهم حتى أفسدت رونق الحب وشوهرته..

التعلق هو أن يعلق الشخص كل رغباته، حياته وسعادته على الطرف الآخر ولو تركه

لمات من دونه.. التعلق بشكل ما مرحلة مرضية ومتطرفة من الحب ومختلفة كل

الاختلاف عن الحب الحقيقي ..

الحب الحقيقي يسمو بشأن أصحابه، الحب عطاء متبادل وطاقة جبارة تجبر الشخص على

فعل ما بوسعه لإرضاء من يحبه على عكس التعلق رضوخ واستسلام وحرب متبادلة

يعمل كل طرف فيها على إرضاخ الآخر تحت سطوته..

الحب طاقة تدفع للأمام والتعلق يقتل المشاعر ببطء حتى تدمي صاحبها وتنتهي..

كانت أسما جالسة مع طبيبها النفسي الذي لم تذهب إليه منذ فترة طويلة جداً وربما آخر

مرة كانت قبل زواجها من مروان ولكنها الآن تحتاجه بشده لأنه ربما يستطيع أن يمنحها إجابة السؤال الذي ينخر رأسها ألا وهو

" ماذا تريد؟! "

وهي روت له كل التفاصيل وهو كعادته كان أفضل منصت لها ولم يجرحها حتى بتعجب او امتعاض مثلما يفعل معها اخوتها مؤخراً وكأنها باتت مريضة نفسية تنال دهشتهم وتستحق شفقتهم..

تعرفت يديها بعد سؤاله لها:

- بتحيه؟! -

وهي حركت رأسها بمعنى " لا أعلم .. لا أفهم .. وساعدني كي أفهم " ارتدى نظارته الطبية وأخبرها بجدية:

- بصي يا اسما فيه فرق كبير بين الحب والتعلق وشعورك ناحية مروان عشان تحديده لازم تعرفي تفرقي بينهم..

وهو كان يتحدث عن الفروق على هيئة نقاط بينما هي تستوعبها وتحللها مستعينة بما برأسها من ذكريات تجمعهم..

١- الحب يعني الإيثار بينما التعلق يعني الأنانية..

وهي لا تعرف طريقاً للأنانية.. كانت مستعدة بأن تفديه بروحها مقابل نظرة راضية منه وياها من حمقاء كبيرة...

إذاً هو حب..

٢- الحب يعني الحرية والتعلق يعني السيطرة..

وبالنسبة إليها كانت مشكلة بقيوده منذ الوهلة الأولى .. جعلته محور تفكيرها ومدار حياتها ومحت شخصيتها ورغباتها وأمنياتها في الحياة وصنعت من عشقها له أكبر الأحلام ..
إذا هو تعلق ..

٣- الحب يعني نمواً متبادلاً بينما التعلق العاطفي يعني إثقالاً بالأعباء ..

وتحليل تلك النقطة من ابسط ما يكون ..

مروان تخطى مرحلة الأعباء منذ أمد ووصل لمرحلة الأذى وحتى قبل تلك الليلة السوداء .. فقد كانت على الدوام خائفة من غموضه، مرتعبة من غرابة تصرفاته وثقل نفسها بأعباء تخص تقلباته بينما هو كان لا يشعر بها ولا يبالي ..
إذا هو تعلق لا حب ..

٤- الحب دائم والتعلق مرحلي ..

؟؟؟؟؟؟

وعجز عقلها عن تحليل تلك النقطة ..

٥- الحب يقلص من الأنا والتعلق يعزز من الأنا ..

وهي دفنت ال " أنا " خاصتها مقابل منحه هو " أنا " مطلقة ..

أعادت شعرها للخلف بيأس فحتى الطبيب لم يساعدها على فهم مشاعرنا نحوه ..
أحياناً تخرج من الاختبار الذي صنعه لنفسها محبة وأحياناً أخرى متعلقة به وربما هي في الأصل مريضة ..

أو أن حكايتها مع مروان هي التي لا تخضع لأي مقاييس أو قوانين وفي النهاية لعنت نفسها لأنها مازالت تحلل وقررت سؤال الطبيب عن دواء لها وشفاء منه ..

خلاص وراحة..

وهو أخبرها ببساطة أنها هي صاحبة السلطة الوحيدة على نفسها ومشاعرها وعليها أن تعلم وتفهم ما تريد.. وهي بكت فأساساً لو كانت تعلم ما تريد هل كانت ستأتي إلى هنا! ناولها كوباً من الماء بينما كان يخبرها:

- أسما لو مش قادرة تفهمي فإنتي لازم تقرري..

والإضافة كانت مهمة للغاية وأخبرها أنه لا يريد منها جواباً ولكن عليها أن تواجه نفسها به..

- هتقدري تسامحيه؟ ده السؤال المهم حالياً..

معه لا عامل للوقت أو المكان..

لا التفكير أو التدقيق..

فقط تطلق لجام رأسها كي ترتاح وتفضفض معه لا إرادياً بطمأنينة..

تكتفي بوجودها معه وتصنع من اللحظات القليلة كئوساً من المقاومة تتجرعها في بقية أيامها..

حقيقة واضحة.. الفيروز باتت كزهرة تنمو أوراقها وتفتح من جديد وتكتشف الحياة معه وبعيونه..

كانا يسيران سوية بالنادي مستمتعة بنسمات الهواء الخافتة التي تلمح جبينها في هذا الطقس الحار.. كان يروي لها عن عائلته وتذكر معها مواقف سالفة أضحكهم ولكنها قاطعت حديثه فجأة بالسؤال الذي خطر لعقلها للتو..

- ياسر كان نفسك في إيه ومعملتوش؟

وهو أجابها تلقائياً:

- التجوز..

وهي ابتلعت ريقها من صدمتها بجوابه، أحمرت وجنتها ثم شحبت وصمت فجأة مثلما تحدثت فأخبرها هو بعدما استطاع بالكاد التحكم في نوبة الضحك التي أصابته..

- الله مش انتي اللي بتسألني!

وأكل:

- والله الواحد حاسس انه قرب يعجز..

ثم لاحق بالقول:

- خلاص خلاص شوية جد.. كان نفسي في إيه ومعملتوش غير اني التجوز طبعاً ممممم

مممكن مثلاً افتح شركة برجة تنافس أبل ومايكروسوفت واسمها روز ونغرق السوق

لابتوبات بينك والماوس يكون بفيونكات..

وهي نهزته بنجل:

- بطل هزار..

- لا بجد مفيش حاجة معينة كان نفسي اعملها للدرجة يعني..

وأكل بسؤالاً:

- وإنتي؟!

وهي فتشت في خيالها عن إجابة سؤاله بابتسامة ثم أخبرته:

- كان فيه رواية كنت بقراها قبل الحادثة ومكلمتهاش..

وسألها:

- رواية إيه؟

وهي أجابته بسؤال:

- هو إنت بتقرأ أصلاً؟

- لأ.. عادي مجرد فضول..

وكان الرد من جانبها:

- اسمها بعد الفراق..

- النهاية أكيد هيرجعوا..

وسألته بسخرية:

- وعرفت منين؟

وأخبرها بمنطقية:

- ما هو يا هيرجعوا يا هيموتوا وكل واحد بعيد عن الثاني..

ثم توقف عن السير ليخبرها:

- بما إنك فتحتي السيرة فأنا من زمان عاوز اتكلم معاك في موضوع..

ثم سألها سؤالاً جمدها:

- إبراهيم كان قالي إنك رافضة تكلمي العلاج.. ليه ياروز؟!

وهي أومأت برأسها رافضة وكأنها تنفض عنها آثار تفاجئها بسؤاله..

- مش عاوزة..

وهو أصر على السؤال:

- ليه؟

وهي أجابته بعناد مصطنع:

- ممكن منتكلمش في الموضوع ده..

ومازال مصرّاً على فتح جراحها التي تحاول إغلاقها لدرجة ضايقتها وهو يشعر بهذا الضيق ويتجاهله لإيمانه بأن هذا الهروب لا يغلق الجروح بل يساعد على انتشارها وتقيحها..
ظلا على هذا المنوال هي تتجاهل وتهرب وهو يصر على جعلها تتحدث وتخرج ما في قلبها حتى انهارت بالأخير وأخبرته باكية وبملل واضح:

- عشان خيفة..

وأضافت والدموع شكلت نبرة حروفها:

- خيفة احلم.. خيفة احط أمني تاني في حاجة مش مضمونة.. أنا فضلت ست شهر في الضغط ده وفي النهاية شالوا الشاش من عيني ومفيش حاجة اتغيرت..
واكملت مؤكدة:

- مش هقدر أكرر التجربة.. مش هستحمل خيبة أمل جديدة وهعيش وهحاول اتأقلم..
وحاول أن يمتص غضبها ببضعة كلمات معذرة ولكنها ترفض، تقصيه، ترتجف من الغضب وترغب العودة لقوقعتها من جديد ولم يجد حلاً لاحتوائها سوى أن يحتضنها بقوة غير مبالياً بمن حولهم.. تملصت هي وقاومته في البداية ثم استكانت له في النهاية مستعينة بخفقات قلبه كي تعيد إليها أمانها الهارب منها وأخبرها هو بصمت أنه سيظل معها سواء تجاوزت تلك المحنة أو لا بالنسبة إليه لا فارق فالأهم لديه هو راحتها وسعادتها...

الفصل الرابع والثلاثون

عقول الصغار دنيا..

عالم مختلف ومتاهة..

نظراتهم الواضحة فاضحة وتعبيراتهم الصادقة جرس إنذار وفرصة أخيرة ومن يظن أن الأطفال لا تشعر ولا تعي ما يحدث حولهم أغبياء وبشدة..

وهو كان يراقبه من خلف الستار وعادل لاحظ، يرمق أخيه الذي نال كل الدلال مؤخرًا بحيرة، يبتعد عن الصورة بإرادته مكتفياً بألعابه وبمراقبتهم من خارجها..

ومن داخل عقله الصغير يفكر ويشتهي أباً يهتم به، يعشقه ويدلله مثل أخيه وإن كان لا يعي تلك الصورة جيداً ولكن نظراته لهم كانت تفسر الكثير من مشاعره..
افتقاد وكفى..

كان يراقب ذلك الغريب الذي اقتحم عائلتهم ويلعب أخيه، يداعب فمه بإصبعه منتزعاً منه ابتسامته الملائكية ويفتعل بفمه ووجهه حركات يلفت أنظاره ومن غيظه تلقائياً ألقى اللعبة التي كانت بيده لتكن جرس إنذار لعادل من الجهة الأخرى والذي ظل يرمقه بصمت سرعان ما اقتحمه صوت الصغير الغاضب..

- عمار آوز ينام.. هو قال كده..

وابتسم عادل سائلاً إياه:

- هو قالك كده؟.. وقالك ايه كان!

حركه رأسه بنفي وبأحرف تسلل إليها الإحباط:

- مقالش..

- مقالکش إني جبتك أيس كريم وشيكولاتة كتييييييير..

والطفل شدد على سؤاله:

- لكوكي!

وهو أخبره بنفس التأكيد:

- لكوكي بس..

صمت الطفل ولم يفهم عادل ماهية صمته.. أهل يتقبل وجوده!.. سعد بكلامه أم ينبذه

على طريقته!.. ولكنه بادر بالقول وكانت محاولة أخيرة له:

- إيه رأيك نسيب النونو لما و نزوح الملاهي راجل ل راجل كده..

وابتسم الطفل فضربه عادل على مؤخرته ولسانه يردد:

- روح لما قولها تلبسك..

وكانت عدة ساعات مرحلة نقية كمشاعر الصغار ورائعة كبرائتهم.. تنقلا من لعبة لأخرى

بحماس.. ابتاع له الحلوى مقابل عدة قبلات وأحضان وفي النهاية عادا للمنزل سوية بينما

كانت الشمس مازالت تشرق في وجه كلاهما.. أحدهما شعر ببداية نجاح ولمحة استقرار

والآخر شعر باهتمام ودفء لطالما كان يفنقده..

استقبلت رودينا طفلها السعيد بقبلة عميقة حفرت بها علامات الفرحة على وجنتيه ثم

أخبرته بأن يذهب ليبدل ملابسه ويغسل أسنانه استعداداً للنوم ثم أخبرت عادل بامتنان:

- شكراً..

وأضافت بسؤال:

- هتبات هنا؟!

وهو نظر لساعته مخبراً إياها بأسف:

- صعب أوي انهارة..

ومن داخله كان لا يريد الرحيل حقاً.. دخل وقبل طفله النائم عدة قبلات وقبل أن يفتح باب الشقة استوقفه كريم متسائلاً:

- إنت ماشي؟!

وأشار له عادل برأسه موافقاً فالآخر اقترب منه مانحاً إياه سيارة صغيرة في حجم الميدالية ثم رحل لغرفته راكضاً..

وعادل لم يفهم تصرفه ونظر نحو رودينا والتي كانت دموعها بدأت تتسلل على وجنتيها ومسحتها هي برفق بظهر يديها..
فأخبرته:

- العربية دي بقالها ثلاث سنين معاه .. كان قالي مرة انه هيديها لباباه أما يرجع عشان يكبرها وتبقى عربية بجد ويسوقها..

وأضافت موضحة:

- كده بقا هو حب يقولك انه يحبك على طريقته..

نظر عادل للسيارة الصغيرة ووضعها في جيب سترته بعد حيرة بينما من داخله يشعر بالخطر..

المسئولية..

الخوف من المستقبل..
وهذا ليس بالأمر بالهين..

مع كل يوم جديد يبدأ أمل..
ومع اشراقة كل صباح تتجدد الفرص..

وهي منحت نفسها أمانة له..ثق به وتثبت بوجوده معها كفرصة منحتها الحياة إياها كي
تحيا مرة أخرى..

تجتاحتها راحة وسكينة غريبة في وجوده، تناشد عقارب توقف الساعة في حضوره وأن
تتجمل بالخطى أثناء غيابه..
تشاقه..

لا تفهم ولا تفسر ماهية شعورها نحوه وكأنها تخاف لو منحتها صفة العشق فتحترق بنار
لعنتها لذا قررت أن تخفيها عن التصنيف قدر الإمكان..

بلا مسمى أو قالب خاص فقط تترك نفسها لها كي تتوغل داخل حجرات قلبها وتستقر في
دواخلها، تسير بشرايينها فتمنحها ترياق مضاد لها..

استمعت لصوت باب السيارة يغلق ومنها علمت بعودته فسألته على الفور:

- كنت بتعمل ايه كل ده؟وايه المفاجأة اللي مطلعني عشانها من البيت ثمانية الصبح..
وهو أخبرها على الفور:

- ابلعي ريقك طب الأول..الصبر حلو..
ثم أعطاها ورقة مردداً:
- دي المواعيد بتاعت تعليم البيانو..ممكن حد يجيلك الفيلا يعلمك بس أنا شايف لو
جيتي هنا هيكون تغيير ليكي..
وهي سألته على الفور:
- إنت لسه فاكر الموضوع ده؟
ولم يتردد بإخبارها بلهفة وإصرار:
- أنا مش بنسى أي حاجة تخصك ياروز..
وهي ابتسمت ومن داخلها كانت تضحك بطفولية وسعادة وتكتم ضحكتها من
نجلها..سعيدة هي لدرجة بالغة ولم تتذكر أنها قد شعرت بهذا الشعور يوماً ما بحياتها
بأكملها..
- أن يهتم شخص ما بكل ما يخصك شعور وهمي،رائع وسعادة لا توصف..
انتبهت له يردد:
- بس مش دي المفاجأة..
وأضاف:
- اربطي الحزام..أنا خاطفك انهاردة..

وللخطف قواعد..

أولهم عدم السؤال وثانيهم الاستسلام وثالثهم عدم الاعتراض..

كانا قد وصلا للتو لمنتجع سياحي بالعين السخنة كان قد حضر لمجيئه معها له مسبقاً واعتبرها هو حفلة وداع صغيرة قبل عودته في الصباح للرياض ومن بعدها سيعود ولن يفرقه أي شيء أو مخلوق عنها..

فهما سيحدث هي ملكه ،استحقها بصبر وستكون له بكل حب..

انتبه لها تسأله باستنكار:

- ياسر إنت مجنون..جاينا بورتو نعمل إيه؟!

وأمسكها هو من يديها وقادها للتحرك معه بينما يردد:

- هتعرفي..

جلسا بعض الوقت في الثثرة أمام المسبح..جلب لهما عصير الفراولة بناءً على طلبها ثم جذبهم الحديث لأيام الجامعة فسألته:

- حبيت قبل كده؟

وهو أخبرها بعدم تركيز:

- أها..زمان..

وامتعضت ملامحها بضيق دون أن تشعر ولتكتمل الحماقة بادر لسانها بالقول:

- كانت حلوة؟

وصمت للحظة ثم ابتسم وسألها:

- هتفرق معاكي؟

وأضاف:

- بتغيري عليا ولا إيه؟

بادرت بالقول ببعض التلعثم:

- وأنا هغير ليه..مجرد سؤال..

ثم أخذها من يديها فجأة فكاد أن ينسكب العصير على بلوزتها فحمله عنها واضعاً إياه بجانبه بينما يردد:

- وانا حاجات كتير مفيش وقت..

وتوقف فجأة بعد فترة من السير فسأله:

- إيه!

- هنركب التلفريك..

وهي تلقائياً ابتعدت عدة خطوات قائلة بينما الذعر قد ظهر جلياً على وجهها:

- لا لا مش هينفع..مش هقدر خلىنا نكل تمشية الجو حلو..

- انتي خايفة؟

- لأ..

قالتا بتردد ولو كان الخوف له لسان لتحدث وأخبره أنها كاذبة فلقد كانت خائفة وبشدة..

أخبرها بطريقة أثارت غيظها:

- جبانة..اللي يشوف لسانك الطويل ميقولش أبداً إنك جبانة كده..

ولم ينتظر إجابتها جذبها وهي أصرت بخوف:

- ياسر لأ مش هقدر..

وأضافت باستسلام:

- أنا جبانة خلاص ارتحت..

وما كان منه إلا أن يخبرها ضاحكاً:

- متخافيش أنا هركب معاكي.. مينفعش نكون هنا ومتركبهوش بجد هتندمي..

واقنعت على الرغم من استمرار خوفها ولكن بالنهاية لا بأس من التجربة، أغمضت عينها أكثر كرد فعل تلقائي لارتعادها الداخلي، وضعت يديها على قدميها بترقب وبمجرد أن انطلقت العربة بالسير صرخت بقوة..

والصرخة صاحبها شعور لذيذ بنشوة التجربة..

الطيران..

الغوص بالفضاء والانطلاق..

سعادة غامرة تسلت إليها وأيقظت روح الطفولة خاصتها من سباتها..

عالمها كان أروع من الحقيقة.. خيالها بفضل عيونها المغمضة تلقائياً منحها لذة حصرية.. شعورها بأدق التفاصيل كهبة ونعمة منحها إياها الخالق بعد الحادث بدأت للتو تستشعر حلاوته ومتعته..

وهدأت سريرتها..استكانت دون أن تدرك وتلاحظ ما فعلته أثناء نوبة خوفها ولا تعلم أن أظافرها خلفت خدوشاً بذراع ياسر وقتما تشبثت به..

وسألها بعدما نزلا من العربة:

- هاه إيه رأيك؟

- تحفة بجد حسيت إني طيارة بجد..

- مش قولتلك..

احتضن كف يديها واستمرا بالسير لفترة ثم أجلسها على مقعد بمقهى يتوسط ممشى المنتجع.. كان قد رأى على الجانب آخر لافتة لرسام فأوحت إليه بفكرة سرعان ما شرع في تنفيذها.. اتفق معه على رسمها دون علمها والآخر أحضر أدواته وتوقف بالقرب منهم وبدأ برسمها..

بينما هو عاد لمقعده وهي ظلت تصف له بسعادة عن شعورها بعد انطلاق " التلفريك " دون أن تعلم أن انفعالاتها مصورة من شخصين أحدهما ينقلها للوحة مستخدماً ريشته والآخر يحفر ملامحها بوضوح أكثر بقلبه..

" إذا أردت شيئاً بشدة فأطلق سراحه فإن عاد إليك فهو ملك لك من البداية "

لا يعلم لم دوت تلك الجملة في أذنيه الآن وربما لأنه استشعر أنها باتت له أو كانت له من البداية وما حدث بالمنتصف كان مجرد عوائق لا أكثر..

استمع لصوتها تسأل:

- إنا قدام البحر مش كده؟ حاسة إني سامعة صوته..

وفجأة استمعت لصوت فرقة لشيء ما فانتفضت صارخة فطمأنها هو أنها مجرد ألعاب نارية وصف لها ألوانها المتداخلة بين الأحمر والأخضر والأصفر فشعرت أنها قد رأتها أمامها..

كانت هي تجربته بنفس الوقت الذي قام النادل بإحضار طاولة الكعكة المتحركة من داخل الفندق حتى الشاطئ عبر الممر المضيء:

- هو فيه إيه؟ أنا مش فاهمة حاجة..

وأجابها بعدما وضعت الطاولة أمامها:

- كل سنة وإنتي طيبة..

ضحكت ضحكة متقطعة بعدما وضعت يديها على فمها متفاجئة ولسانها يردد:

- ياسر إنت.. أنا.. مش لاقية كلام أقوله بجد..

اقترب منها ياسر مخبراً إياها بنبرة هادئة حد إثارة بعض التوتر لديها:

- أنا عارف انه بكرة بس لو استنيت مضمنش أكون أول واحد يقولهالك..

واستطرد بحديثه مخبراً إياها:

- اتمنى أمنية..

وهي التقطت نفساً عميقاً مستعدة ومحضرة كل جوارحها كي تستحضر أمنيتها وبساطة لم

تجد سوى " هو "

تريده أن يظل كما هو..

دون أن يقل منسوب عشقها في قلبه..

دون فراق ودون عذاب فهي تعلم أن سعادتها باتت مرتبطة بوجوده..
صدحت الموسيقى من حولهم على أغنية لا يعلم هو أن تدمنها حقاً..

أوعدي جنبي تعيش ولا ليله تنساني

وليك عليا أعيش وأموت يا حبيبي وأنا وياك

أوعدي ماتسبنيش ولا حتى لثواني

ده عمري كله هيسوى ايه لو يوم ماكنش معاك

سألها:

- نرقص!

وهي ضحكت وبنفس الوقت سقطت دموعها.. أعاد إليها يوم واحد احساسها بنفسها
كملكة.. نمت داخلها الثقة فاستعادت نفسها القديمة..
وكان ما حدث لم يحدث..

وضع يديه على خصرها وأصابها هي استقرت على كتفيه.. نغمات الأغنية مع هدير
البحر منحتها السعادة ، الدفء الذي أذاب تلال همومها، والرغبة الشديدة في اتخاذ
أحضانها سكنى وملاذ من مصاعب الحياة ومشاكلها..
بألا ينتهي كل هذا..

تعرف بحس بايه طول مانت ويايا

أحلام حياتي بشوفها فيك حبك واخديني معاها

قلبي بتسكن فيه يا حبيبي وكفاه

تفضل في حضني واعيـش معاك كل اللي بتمناه

تلقائياً أراحت رأسها على كتفه.. تقترب من دفتـه ..تحتـمي به وتنصهر بروحها معه بينما هو كان يحترق بنار قربها، تسكره خصلاتها ويدوب من عشق يخفق قلبه صارخاً به.. ولم يشعر بنفسه سوى وهو يقبلها من خدها نخذشت القبلة بداية شفـتها بسبب تحركهم فأصابها رعشة خفيفة ابتعدت هي على أثرها عدة سنتيمترات بينما وجنتها تلونت بلود الورد الأحمر في موسم الربيع..

جنبك على طول خليني

ما تغيش ف يوم عن عيني

ده انا لما بقول يا حبيبي قلبي بيرتاح

جنبك على طول خليني

على حلم بعيد وديني

هنفكر ليه في امبارح ماهو عدى وراح

وانتهت ثمالتهما اللحظية مع انتهاء الموسيقى المفاجئ فزفرياسر مستعيداً الهدوء بعد عاصفة مازالت آثارها واضحة على كلاهما..

أخرج من جيبه علبة تحوى داخلها خاتماً عبارة عن قطعة من الزمرد النقي ناعمة، شفافة كالكريستال.. خليط من صفاء البحر و بهجة الشمس.. وفي النهاية تلك الرقة يحيط بها بالتفاف مثير ألماس مبر وقوى يحميها ويمنحها هالة أسرة..

ساحرة مثلها..

هكذا اختاره وهكذا رآته هي بقلبها..

ولسانه يردد:

- كل سنة وإنتي حبيبي ومعايا..

وهي متأثرة بما يحدث لدرجة عدم الوعي.. مصدومة ربما وفاقة للنطق..

- أنا واثق ومتأكد إني مش هحب غيرك وإنك الإنسانية الوحيدة اللي هتملى عليا دينتي..

ووضعه بقبضة يديها المتعركة:

- تجوزيني ياروز؟

وقبل أن توافق أو تعترض وضع إصبعه على فمها مكماً حديثه:

- مش مستنى إجابة دلوقت.. هنتظرها منك وقت ما تكوني جاهزة لده ..

لمدة أسبوع تأتیه يومياً دون كلل..

رغم أنه ينهرها لا تستطع تركه..

رغم خشونته قلبها يتلهف لرؤيته..

لا تفهم كيف ومتى عشقته لتلك الدرجة ولا تجد نقطة رجوع تنقذ نفسها بها من عشق

بلا أمل يفتتها ويطحنها بلا شفقة..

أدمنت رؤيته.

غرق وتورطت..

تاهت في أروقة عشق رجل يملك زمام اللعبة كلها في يده..

روض شراستها دون أدنى مجهود..

أمتلكها كما يمسك أوراق لعبه.. يحركها ويلقيها كما يرغب وكيفما يشاء..

تحول بفترة قصيرة من رجل أثار فضولها لرجل احتل تركيزها..

حتى أنها الآن لا تنتبه لتعاقب الليل والنهار.. تشرق الشمس وقتما تأتي لرؤيته وتغيب

وقتما ترحل بناءً على طلبه..

لم تذهب إلى الصلاة منذ ذلك اليوم ولم يأت ببالها حتى..

ولا تحتاج..

فوجهه مخدر، وسامته القاتلة تسكرها وعشقه الذي يسكن بقلبها تغنيها عن الدنيا بأكملها..

أمسكت مقبض باب غرفته بالمشفى بيد مرتجفة، طرقت الباب بخفوت كي تشتري

عصبيته وكي لا تزعج شقيقته التي إلى حد كبير تشبهه في حداثته..

تحولت على يدهم بأسبوع واحد من نمره لهرة ومازالت تتفاجيء من نفسها..

فتحت باب الغرفة أخيراً بعد ثلاث طرقات ولم تدخل إلا بعدما سمح لها بالدخول ولك

أن تتعجب!

بشرى التي لم تهتم بتلك التفاصيل طوال حياتها.. تدخل المكان الذي يعجبها دون اهتمام

لخصوصية شخص ما أو عدم أحقيتها لاقتحام خلوة الغير الآن تنتظر إذنه وتهتم بعدم

إثارة حنقه وغضبه ولا تعلم إن كان تغيرها بسبب العشق أم بسبب مهارته السابقة
كلاعب محترف حولها لكرة يتلاعب بها ويقودها بقدمه!

خطت لداخل الغرفة ووجدته يقف أمام سريره يكل إغلاق قيصه ويرتدي قبعته
الرياضية كي يخفي آثار تقطيب جرح رأسه ويتحرك في الغرفة ويكل جمع أغراضه بآلية
دون أن يأبه بوجودها بينما عينيها هي تبحث عن شقيقته والتي سعدت لعدم وجودها
فأخيراً ستنفرد ببعض اللحظات معه بعد أسبوع كامل بل الحقيقة منذ أن تعرفت عليه..
وكأنه قرأ تلك الفرحة اللحظية بملاحها فقرر وأدها:

- علا راحت توضع الشقة وزمانها على وصول..

ولا تعلم إن كان يخبرها بسؤال تجول برأسها أم أنه يطردها ويقطع أي أمل بشأنه لديها
كعادته..

سألته:

- هو أنت هتخرج من المستشفى ولا إيه!

هز رأسه موافقا فأخبرته:

- فرحتني أوي.. الحمد لله عدت على خير ورجعت أحسن من الأول كان..

كانت حينها تقف خلفه فتصلبت ملامحه ورأت هي انعكاسها بالمرآة التي يقف أمامها
منذ ولوجها للغرفة كي يهرب عن طريقها من الحديث معها..

توقف الزمان لبرهة.. هي تحاول الوصول لما هو برأسه وهو يفكر بكيفية التخلص منها..

تحاول الاقتراب فيصدمها بالهروب..

ولكن ربما لم يعد للهروب نفع وفائدة معها حسناً فلتتحمل أيتها الثرثرة قسوة المصارحة..

جلس على سريريه وسألها مباشرة بعدما زفر بجدة نفث بها كل توتره:

- إنتي عاوزه ايه بالظبط؟!

وهي اقتربت عدة خطوات مخبرة اياه بنفس التحدي والوضوح:

- يعني إنت مش عارف!

وأكلت بنبرة تجمع بها كل مشاعرها نحوه فكانت قاتلة لكلاهما:

- بحبك وعاوزه أكون معاك..

وهو ابتسم ساخراً.. لقد أغلق دفاتر الحب منذ زمن.. بمَ تطالبه تلك الحمقاء بينما روحه معلقة بين السماء والأرض منتظراً فرمان إعدامه ونهايته المنطقية للطريق الذي قرر يوماً ما أن يسلكه دون أن يعي كامل خطورته..

- النمرة غلط..

وأكل بعدما نهض بعصبية مزياً قبعته الرياضية ومشيراً لها لآثار جراحه ولسانه يردد:

- شايقة ده إيه!..مبتقوليش لنفسك إنهم بكل ببساطة كانوا ممكن يقتلونني واللي حصل ده كان مجرد قرصة ودن..معقولة مش مدركة اني شايل روعي على كتفي..ابعدي عني يا بنت الحلال لو عاوزة تعيشي..

ماذا يخبرها وبما يطالبها!
تعيش!..وهل هناك حياة لها دونه!..هو لا يعلم أن حتى أنفاسها الخالية من زفيره تخنقها..
وترجمت أفكارها بصراحة:

- اني أموت معاك أرحم بكثير من اني أعيش بعيد عنك..
أثارت عاصفة جنونه..ستنجح هي وتقتله..أهل الطريقة الوحيدة التي يتخلص بها منها أن يحكم قبضته على رقبتها ويستخرج روحها..
- استغفر الله العظيم..

وأضاف:

- الله يخربيت الافلام العربي..
واستفزها..يسخر من مشاعرها بوضوح..ينخرها ببطء ويدهس كرامتها كأنثى بكل ببساطة..
اخبرته زاعقة:

- هو انت شايفني تافهة أوى كده!

وهو بادلها بالقول ساخرًا:

- لا العفو إنتي ست العاقلين..

وأضاف:

- أنا اللي منفعكيش.. انتي متعرفيش حاجة..

وهي اقتربت منه أكثر بإصرار:

- مين اللي قالك إني عاوزة أعرف.. عمر أنا عاوزة أكون معاك وبس..

وأضافت بصوت يصرخ بعشق وعيون دامعة مشتاقة حد الاحتراق:

- الموضوع مش هيتحل بريموت كنترول.. أنا بحبك وبحبك أكثر مما نتصور كان..

وهو حلق بها لبرهة.. يستجمع قواه كي يردعها وينتوى اذيتها عليها تنجو..

- وأنا مش حاسس ناحيتك بأي حاجة..

وكأنه يخبرها ألا تفهمين!

ملاحه تطالبها بالرحيل من أمامها بينما عينيه بها شيء مختلف..

لمحة أمل..

تعارض بسيط مع جمود ملاحه..

ومن الممكن أن يكن هذا كله مجرد خيال برأسها وحدها..

والإجابة على ما قاله كانت قبلة منها!!

تحدى خاص قررت خوضه وفرصة أخيرة خطرت ببالها فتشبثت بها ولا عزاء للمجانين أمثالها..

وأما عنه فكانت ملامحه مبهمة.. صدمته المفاجئة.. لم يبادلها القبلة ولكنه غرق في طوفان خاص مستسلماً لها..

مهما ارتفع سقف الصعوبات.. أسبابه ورغباته ففي النهاية لتلك الأمور حسبة مختلفة..
رجل وامرأة.. مشاعر وفطرة..
آدم وحواء..

وابتعدت هي مصدومة باستسلامه وعينيها تصرخ دون حديث..

" أنت تبادلني مشاعر!.. تحبني.. أرايت؟! "

ولم يسعفهم الوقت للتخلص من حالة الجمود، البلاهة واللا تصرف ففجأة فتح الباب المغلق عن طريق طفلة صغيرة ومعها امرأة طويلة، شقراء ومع الأسف جميلة وبمجرد أن رأت الطفلة عمر ركضت إليه متشبثة بأحضانه مرددة:

- بابي!

من قال أن المفاجآت فرحة ومن لصق بها السعادة..

أحيانا المفاجآت تصدم..

تجرح وتعذب وتقتل وبلا شك دون تعمد..

ولكن ما الفارق طالما الامتحان واحد!

عندما أخبرها أنهم سيذهبوا سوياً لمنزل أهلهم طارت من الفرح.. احتضنته بشدة وقبلته على وجنتيه بدموعها..

لأول مرة منذ سنوات طويلة ترك مخاوفها على جنب لتستسلم لشعور الأمان..
والآن انقلبت الآية..

دموع الفرح تلبسها اختناق والأمان تحول لطائر ترك العنان لأجنحته وحلق أمام عيونها..
بمجرد أن دخلاً للفيللا استقبلوها بدهشة في البداية وبعدها أخبرهم عادل تلك زوجتي
وهذا طفلي جذبه إليه من يديه كطفل والأم ظلت واجمة للحظات ثم لحقت بهم..
ولم يشفقوا عليها فصوت شجارهم العالي بسببها وصل لمسامعها وأحرقها..

ظلت منتظرة كأني أنثى مقهورة آملة بهدوء الأوضاع وانكشاف الغيمة السوداء ولكن
قد وصلت الأمر لإهانتها فكيف تتحمل بحق الله!

- عادل إنت مدرك لي بتقوله..جايلي واحدة من الشارع وتقولي دي مراتي وده ابني..
والأم من كانت تتحدث وعادل يصرخ بهم بعصبية..يدافع عنها وعن واجب احترامهم
لقراراته ولكن كل هذا لن يفيدها ولن يعيد إليها كرامتها المهدورة..

أخذت طفلها وهمت بالرحيل فركض خلفها عادل منادياً..استوقفها بذراعه فجذبها بعنف ثم اخبرته بعصبية وسيل من الدموع..

- أنا مش قادرة اتفهم إزاي تحطني في موقف زي ده..

وحاول أن يحتوي عصبيتها ولكن لا جدوى..اعتذاره غير مقبول والنار التي تشتعل داخلها بسببه لا توصف..

أضافت بينما تنهره:

- كان لازم تقولهم قبل ما نيجي يا عادل مش تحطنا قصاد بعض بالمنظر ده..

واستمرت بطريقها وهو لحقها..يناديه كي تسمعه ولا تتوقف وبالنهاية هي محقة وهو يعلم..كيف وضعها بهذا الموقف وتركها فريسة لرفض أمه لها وخشونة ابيه المعتادة..اوقفت سيارة أجرة فأشار له بالرحيل ثم قال لها بأسى:

- رودينا أنا اسف بجد معاكى حق..

وفتح فمه كي يكلم حديثه ولكنه توقف بسبب رؤيته لسيارة خرجت منها امرأة كانت له منذ الصغر تسير بمساعدة آخر يعلم ويدرك جيداً مشاعره نحوها منذ أول مرة تلاقى أعينهم فيها..

خرجت من السيارة بينما كانت مازالت واجهة..

صدمها بطلبه بالزواج منها بالعين السخنة ثم بالطريق قام بإخبارها بأمر سفره للرياض للضرورة القصوى وهي سألته دون تفكير:

- هتطول هناك!

وهو صمت لبرهة مفكراً ثم أجابها:

- هحاول أصفي كل الأمور هناك في أقرب وقت..

وكلمة الوقت مائة..يوم ،شهر وربما سنة..

ليتركها في النهاية تعاني من النقيضين..

زواج وهجر..

خوف من مستقبل يحويه وحاضر بدونه ولو لبعض الوقت..

وخوفها طبيعي ومستحق..

هي تثق به دون شك ولكن جروحها مازالت في طور الشفاء وهو يعلم لذا لم يطلب منها

إجابة ولكنه يضع إطار معين لتلك العلاقة وأنها في النهاية لابد أن نتوج بزواج..

ومخاوفها بشأن الحاضر بديهية فمازالت تتذكر حياتها الجامدة قبل أن يملأها هو..

والفراق قريب للغاية.. كان اليوم ساحراً لدرجة أن ينتهي بدموع منها وكأنها نهاية منطقية

لكل ما هو جميل فهو سيسافر غداً وهي لم تتمكن من أن تطالبه بالبقاء معها..

تدرك أنه أيضاً لديه حياة أخرى ومسئوليات ولا تتحمل فكرة أنها حمل ثقيل يثقل كاهله

ويعطله عن حياته ولو كان هذا مجرد وجهة نظر خاصة بها وحدها..

اقتربا من بوابة الفيلا ولم تكن تعلم أن الماضي بأكمله يقف أمامها ويأسر لم يخبرها بشيء

فقط رمق عادل بنظرات نارية محذرة من الاقتراب منها ثم ضغط على أصابعها بتملك وكأنه إعلان صريح منه أن الفيروز باتت له في النهاية..

ما زال يتذكر اليوم الذي جاء إليها فيه مصرحاً له بحبه وجاء هو واقتحم حديثهم بكلمة وجهها له وبأحقية منحته هي إياها بعد أن أعلنت للجميع عشقتها له..

جاء إلى هذا المكان مقهوراً وخرج مكسوراً والآن انعكست الصورة..

خطى معها عبر البوابة ومن نعمة الله أنها فقدت بصرها وإلا لكان مشهد خيانتها لها قد تكرر بحذافيره وتجسد أمام عيونها من جديد..

هو والفتاة التي استوقفتهما يومها تحمل بين ذراعيها طفله! وما أقسى هذا المنظر بعيون امرأة تجرعت كأس الخيانة دفعة واحدة ولو كان مجرد ماض وانتهى بالنسبة إليها..

حاوط يأسر كتفها بذراعه كي يقودها للأمام ولكنها فجأة توقفت.. تجمدت مكانها تشتم عطراً لطالما كرهته.. وأخبرته أنها تكرهه وكان يغیظها به، توقفت والنبرة أعلنت بمجود:

- عادل!!

الفصل الخامس والثلاثون

- عادل!

وخرجت منها تحمل دهشة من وجوده، صدمة من التقاءه بعد كل تلك الفترة ووجع يوازي قهرها منه بالماضي في تلك الليلة الكبيسة..

وبالنسبة إليه كانت قاتلة حد قذيفة رصاص، مؤلمة كالواقع وصادمة كالحقائق او لنقل حقيقة واحدة جالت ودارت بعقله..

لو كان مجرد ماض وانتهى، صفحة وانطوت من دفتر مشاعرها، لو كان عبارة عن لا شيء فكيف شعرت بوجوده ولماذا همست بإسمه بهذا الشكل المثير للريبة داخل قلب أي رجل جعلته الأقدار رقم اثنان في حياة امرأته..

كل تلك الأفكار مع غيرته عليها وغضبه من هذا الرجل الذي سبقه إليها تأخذه نحو منحى واحد..

" أنها.. أنها ما زالت تحمل له بعض المشاعر ولم تستطع مهما حاولت وأدها والتخلص منها "

زاد من ضغطه قبضته على يديها رغبة منه في جذبها بعيداً عن هذا الرجل الذي يبدو أنه سيظل ينافسها عليها أبد الدهر ولكنها تأبى التحرك، صامته بشكل غريب، جامدة في مكانها ومنكسة رأسها وكأنها تستوعب فكرة وجوده بجانبه، تفكر بشيء ما وربما هذا ما يثير جنونه الآن..

ترى بماذا تشرد.. أتحن!..أتشاق!

تملكته العصبية وظل يرمق عادل بنظرات اختلط فيها غضبه مع تحذيره بعدم الاقتراب منهم والآخر لم يفعل بل كان هو أيضاً يغرق في بحر من الحيرة.. ظل يتجول بين فيروز ورودينا للحظات ثم استقرت عيناه على يد ياسر المسكة بيد فيروز وشعور بالغيرة عليها بدأ يتسلل إلى قلبه وندم من جرم مشين ارتكبه في حقها وتسبب في خسارتها وضياعها منه للأبد..

وأما عن رودينا فكانت على الأغلب تحتضر.. هي كانت تعلم أنه مازال يغرق في حب تلك الشقراء حتى أخفض قدميه ولكن أن ترى انعكاس ذلك بنظراته، أن تلمس ضياعه بملامحه، أن ترى أمنيته بشأن العودة إليها بكل جوارحه كان وقعها عليها مثل أن تأتي بمنشار وتجتز كل طرف منها بتلذذ ومنتهى التعذيب ثم بعدها توجهت بنظرها نحو فيروز وللتواكتشفت أنها..

أنها عمياء لا ترى..

شهقة قوية خرجت من فمها نتيجة صدمتها..ماذا حدث؟!..وكيف ومتى حل بها هذا؟! ما هذا اليوم يا إلهي؟!

خرجت من شرودها على صوت ياسر الذي أحاط فيروز بذراعه بينما لسانه يردد..
- فيروز يلا ندخل..

وعلى ما يبدو أنها استعادت وعيها المفقود، استوعبت المفاجأة واستدارت نحوه مواجهة ومرددة بمنتهى الثبات..

- إنت جاي هنا ليه وعاوز إيه؟

وعادل لم يتفوه بكلمة.. تظن أنه جاء لمنزلها ولا تعلم أنه قد جاء لبابها آلاف المرات ولم يستطع مواجهتها..

لو تعلم كم هو نجل من نفسه؟! كم هو نادم بشأنها وكم يشتهي عودتها ما كانت تحدث معه بتلك النبوة وبهذا القهر..

ولكن ها هي المواجهة الحتمية تحدث رغماً عنه وما لا يتوقعه أنها تحدث بحضور زوجته ومنافسه عليها وما يراه أنه قد امتلكها عوضاً عنه وحل محله بحياتها..

مر كل شيء أمام عينيه، ماضيه الحافل بحبها وعرضه المرفوض من قبلها بالزواج، خيانتها لها ومجيئها إليه تزف إليه بشرى كان لا يتمنى سواها بالحياة ثم في النهاية خيبة أملها به .. فقدان نظرها..

- فيروز.. أنا..

خرجت من فمه جامعة كل مشاعره فهي ستظل رغماً عن كل شيء أمنيته الوحيدة بالحياة ووردته التي تفتحت على يده ..

عشق الطفولة والحب الأول والوحيد..

وأما عن رودينا فلقد تبادلت النظرات مع ياسر وكأن كلاً منهما يخبر الآخر أن لا مكان لهم بذلك الحديث أو بالأصح بحياتهما ثم في النهاية رحلت مستقلة أول سيارة أجرة قابلتها فلم تعد تحمل جرعة زائدة من اللوع والإهانة..

- فيروز يلا..

قالها ياسر بينما كانت النبوة تزداد تعصباً والموقف يزداد اشتعالاً برأسه وثباتها بمكانها يثير جنونه..

ألتك الدرجة لا تريد الابتعاد عنه بينما هو يتفوه بإسمها بكل هذا الحب والاشتياق!
 والتفسير المنطقي الوحيد الذي قفز برأسه بأنها هي الأخرى تبادله اشتياقه، متأثرة بصوته
 ولا ترغب بالرحيل عن محيطه دون أن تهتم بوجوده!
 حتى المرأة التي كانت بصحبته لم تتحمل شعورها كدخيلة عليهم فرحلت تاركة إياهم
 لتوثق شعوره الشخصي بأن هناك مشاعر مازالت تحملها بقلها لذلك الأرعن رغم كل ما
 فعله بها وما مرت به بسببه..
 وهي كررت سؤالها بإصرار وانفعال بدأ يستقر بجنجرتها فخرجت الأحرف مهتزة بعض
 الشيء..

- عاوز إيه؟!

واقترب عادل منها رغم نظرات ياسر ورغم نجلة منها وكأنه بات يحلم بفرصة ذهبية
 تمنحها إياه الشقاء وبصك غفران يتحرر هو عن طريقه..
ولكن يا عزيزي الأحلام لا تتحقق على هوى مُنشدٍها..

- أنا آسف..

وفيروز غرقت في بحر من الآلام بمجرد أن استمتعت لتلك الكلمة منه..استعادت أحداث
 اليوم المشئوم كاملاً في مخيلتها..انهيارها ثم دمارها وفقدانها لروحها قبل بصرها..
 ما تلك الوقاحة التي يمتلكها؟! كيف استطاع نطقها ألا ينجل وكيف يقف أمامها بعدما
 قتلها وتركها تتخبط جريحة من بعده!
 وأما عن ياسر يحترق حرفياً..فقد عقله..مازالت تقف معه..تبادله الحديث..تسمع وتعاتب
 بصمت وحتى أنه شعر أنها على مقربة من قبول أسفه!

يظلمها في مخيلته ويتجنى عليها بأحكامه ويحلل الموقف على طريقته..

اقترب عادل خطوتان فاعترض ياسر طريقه ليفصل بينهم وثنواري هي خلف جسده
كإعلان صريح منه أنه باتت تخصه..

والآخر ركز بنظره نحوه بتحدى بمعنى أنها ستختاره هو في النهاية كما يحدث دائماً ثم اقترب
من فيروز من جهة أخرى متخطياً ياسر والتي تحركت خطوة للأمام دون أن تعلم بوجود
ياسر أمامها فاصطدمت بجسده لتلمس تصلب عضلاته وتستشعر ارتفاع حرارته!
حينها أدركت الصورة كاملة فهمست بإسمه وكأنها ودت أن تؤكد بأنه هو الوحيد الذي
تهتم بأمره في ذلك المكان وأن شعورها نحو عادل ما هو إلا تجديد لآلام لم تشفى بعد
بقلبها لا أكثر..

- ياسر..

ولكن لا حياة لمن هو عاشق..

الغيرة جنون والعشق جوادٌ أعمى..

لقد فسر ندائها عليه برغبة منها بأن يستكمل عادل حديثه دون أي مقاطعة سخيفة منه
فالتفت لها يرمقها والصدمة قد صنعت من ملامحه تمثال حجري جامد بلا روح..
بتلك اللحظة كان عادل يقف أمامها تماماً وأخبرها:
- أنا آسف على كل حاجة..

واستطرد بعدما وضع ذراعيه على كتفيها فانتفضت هي عائدة للخلف خطوتان لا إرادياً..
- ممكن تسمعي؟!.. وياريت لوحدنا..

لم يتحمل ياسر كلمته الذي ثقت طيلة أذنه، اقترابه منها وأصابعه التي لامست

كتفها..جن جنونه فلكنه لكمة قوية وقع هو الأرض بسببها وقبل أن ينهض ويتطور
الشجار بينهم أخبرته فيروز صارخة:

- عادل إمشي..

وهو تاه بها..شرد بعيونها الجميلة رغم ظلامها وتمنى للمرة المليون لو عاد به الزمن ما كان
سمح لأي شيء بأن يفرق بينهما ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه فالأمنية لا بد أن
يصاحبها إصرار ومحاربة وعدم استسلام وتلك أشياء هو لا يمتلكها..
صرخت به فيروز مرة أخرى فمازالت رائحة عطره التي تكرهها كما باتت تكرهه وتنفر منه
تخترق أنفها فتخنقها حتى في النهاية بكت مخبرة إياه ببعض الدموع ومنتهى الضعف
والاشمئزاز من نفسها لأنها اختارته يوماً..

- امشي..اعمل حاجة كويسة في حياتك وامشي..

وبينما فيروز كانت مازالت تصرخ به ،تزعق و..تبكي..

ياسر كان يقوده الا عقل..الا منطق..

دموعها وعصبيتها كانت برأيه محل اتهام ،شبهة تخص مشاعر مازالت تحملها نحوه

واحتمالية عيشها على أنقاض عشق قديم..

وأما عن عادل فقد لبى طلبها أخيراً ورحل بعد أن نظر لياسر نظرة أخيرة تأرجحت ما بين

رغبته في تحديه وانتصاره عليه بالمستقبل القريب وبين خسارته أمامه في الوقت الحالي

ففيروز قد أعلنتها صريحة أنها لا تريده هو بل أرادت غريمه..

وكان من قرارة نفسه يعلم أنه يستحقها أكثر منه ولكنه كان يكابر، يتمنى السماح فنال

الرفض المتوقع..

- يلا..

قالها ياسر ونبرة صوته أخافتها منه للمرة الأولى ثم قام حرفياً بجرها خلفه بعنف دون أن يأبه بتعثرها بالسير ولكن كل ما كان بعقله أن يوصلها حتى باب منزلها ويرحل قبل المزيد من فقدان الأعصاب وهي توقفت فجأة لتخبره:

- ياسر فيه إيه أيدي وجعتني..

وحينها جاءت أسماء والتي لمحتهم من شرفة غرفتها بالصدفة راكضة وتساءلت بنظرات وزعتها بين ياسر وفيروز:

- روز! حصل إيه؟!

ثم أخذت يديها كي تدخلها للمنزل بعدما اكتشفت من ملامح ياسر أن هذا الحديث يجب أن يتوقف قبل أن تتفاقم المشكلة بينهما..

هي لا تعلم ماذا حدث.. فقط لمحت رحيل عادل وشاهدت ياسر بينما يقوم بجر فيروز خلفه ولكن لم تفهم من ذلك أي شيء..

وضعت يديها عليها كي تصطحبها للداخل ولكن فيروز أبعدت يديها عنها بينما تخبرها بعصبية:

- أسماء سيبينا لوحدنا لو سمحت..

واستجابت أسماء باستغراب.. لكن مع عصبية أختها لم تجد حلاً آخر خاصة مع نظرات المصاحب لها المشتعلة بغضب مخيف..

وبعد رحيلها توجهت بحديثها لياسر الغاضب منها دون ذنب مرودة:

- هو أنا عملت حاجة تضايقك عشان تزعق فيا وتجبرني بالشكل ده هو اللي...

وحينها هو استعاد الموقف من بدايته.

لقد شعرت بوجوده دون أن تعلم..

إذا هو مازال يحتل مكانة خاصة لديها..

لقد استمعت لحديثه فترجمها هو على أنها ترغب بالعفو من داخلها..

سمحت له بأن يقترب منها ويلبس أكفأها **إذا هو ليس مجرد ماض قد ولى بالنسبة إليها..**

إذا هي مازالت أسيرة عشقه ووضع ياسر بحياتها كان مسكاً لجروحها لا أكثر..

لقد فعل المستحيل من أجل أن يكسب قلبها ولكن على ما يبدو أن المستحيلات في

هذا العالم تظل مستحيلات..

- كل ده وهم.. أنا عايش بوهم..

وخرجت منه تحمل خيبة أمل فيها، ورغبة في تحطيم الكون على رأسه ورأسها عله ينال

الراحة ..

وحينها سألته فيروز مصدومة.. هي لا تفهم عن ماذا يتحدث.. ظنتها غيرة منه ولكنه

يتحدث عن شيء آخر.. شيء مخيف لا تتحمل مجرد توقعه..

- إنت بتتكلم عن إيه!

وهو اقترب منها ممسكاً كتفها وكأنه يوثق حقيقة:

- إنتي لسه بتحبينه..

وهي شعرت بألم مفاجئ بصدرها.. الكلمة نفسها أكبر من قدرة مشاعرها على التحمل..

أهكذا يراها.. تحب غيره وتقترب منه!.. هل هذا ظنه بها!

خائفة تتلاعب بقلبه وتستغله!

ودمعة ملتاعة سقطت من عينيها تنعي به آلام قلبها..
وهو أكد لها:

- إحساسك بيه من غير ما بيتكلم.. صدمتك.. طريقة كلامك..
وأضاف بعدما مسح دموعها بإصبعه وكأنه يلتقط دليل اتهام..
- دموعك دي .. كل ده مش بيقول غير كده..

وهي حاولت التغلب على حالة القهر نتيجة ظلمه فتحدثت:
- إنت شايف كده؟!

- اللي حصل بيقول كده..
وحاولت الحديث مبررة:

- اللي حصل ده تفسيرك إنت.. أنا مش....
فقاطعها هو.. لا يتحمل أي كلمة منها.. يقبض على أصابعه بقوة رغبة منه في السيطرة على
نوبة غضبه ولكن لا فائدة فأخبرها بينما يرحل:
- تصبحي على خير..

- ياسر استنى..
ظلت تناديه بيأس على الرغم من غضبها منه بسبب سوء ظنه بها إلا أنها لا تتحمل أن
يرحل بهذا الشكل..

أهكذا كان وداعها لها قبل سفره!
ما ذنبها! ولم يحملها أشياء لم تفعلها!
- اسمعني طيب..

وتجاهلها هو.. تجاهل نبرة التوسل.. والألم.. بل تجاهل نداء قلبه الخاص الذي يأمره بالعودة إليها..

وابتعدت خطواته وتكررت نداءاتها..

لكنه كان من حسم الموقف واتخذ القرار ورحل فتراخت قدميها لتجلس على الحديقة بقهر وبدموع بإمكانها أن تسقى الورود فتتحول لأشواك كالتي تشعر بها تغزو قلبها وتؤلها وفي النهاية استسلمت لأسما التي احتضنتها دون أن ترهقها بالمزيد من الأسئلة لتنفجر في البكاء وتمزق قلبها بحدة شهقاتها..

كانت تقود سيارتها بجنون، تتحرك بالطريق بسرعة تتجاوز الحد المسموح وتمرد على وجع قلبها بالدموع..

المشهد لا يفارق مخيلتها.. مواجهة وقيلة وتحدي وفجأة...!

كارثة..

صدمتها كانت أكبر من توقعها.. واقعه فاق حدود تخيلها وجرحها منه تعدى قدرتها على التحمل..

لقد تشبثت الطفلة برقبتة وظلت تقبله بحميمية وهو استجاب لها باحتضانها بقوة ثم اقترب من المرأة ذات الخصلات الشقراء ليسلم عليها نائراً قبلتين على وجنتيها بالتبادل وبعدها نظر لها نظرة لن تنساها طالما حييت مخبراً إياها:

- دي لوجي بنتي..

وأكل بينما تبادل التعارف بينهم:

- سهى مامت لوجي ودي بشرى..

وكانت بشرى فقط دون إي إضافة ولو من باب المجاملة ليؤكد لها مكانتها في حياته بأنها لا شيء وأنها هي اللي تفرض نفسها عليه بوجودها بمحيطه..

نكرة.. كتصنيفها الطبيعي بمحيط كل الأشخاص الذين تتعامل معهم..

لا شيء.. كشعورها بنفسها..

جرثومة ومتطفلة كما رأت شخصيتها بعيون عمر..

عمر.. الرجل الذي من أجله كانت مستعدة للتحرر من كل المشاعر السلبية الغارقة بها والذي كانت بخيلتها تعويض الحياة لها وبداية جديدة أو نهاية لا فارق طالما لن تكن وحيدة شريدة كحالتها منذ صغرها..

أخذت حقيبتها ورحلت راكضة قبل أن تذرف دموعاً تزيد من إهانتها وظلت قابضة بالسيارة على الأغلب ساعتين تنتظر نزوله أو بالأصح نزولهم كأسرة سعيدة ولا تفهم سبب محدد وكأنها ودت أن تضع الصورة بخيلتها لوقت أطول كي تصدقها وربما هي أرادت أن تعذب نفسها بها كعقاب برأيها تستحقه..

غبية هي لأنها ظنت أن قاموسها الشخصي يحتمل فكرة الفرصة الثانية وأن الحياة ربما تمنحها فارس ينتشلها من ضياعها على بساطه الخاص لتسقط بنهاية المطاف مرتطمة بصلادة واقعها القاسي عليها على الدوام..

لا تفهم لم يحدث هذا معها دائماً وأبداً وهل هو قدرها ومقدرها أم أنه عقاب لها على ما تفعله بفيروز منذ الصغر وختمها لذنوب اقترفتها بحقها بكارثة ودمار بشع لها..

وإن كان كذلك لم ذنوبها بشأنها رغم ندمها لا تغتفر من الخلق رغم أن الخالق يغفر

ذنوب البشر!

حتى فيروز نفسها تبدأ حياتها من جديد وهي تعلم، رأتها عدة مرات مع رجل يساندها ويبدو من تصرفاته أنه يحبها، تحيا عن طريق تجربة جديدة رغم إعاقتها ومع كل هذا لا تقبل مساحتها فتحررها من ذنبها الذي يأكل عظامها ويسود حياتها ويجرها جراً لدائرة الضياع..

خرجت من شرودها بسبب رؤيتها لعمر والذي أخيراً قد ظهر بصحبة عائلته السعيدة ومعهم شقيقته لتقود الشقراء السيارة وينطلقا بهم وهي تبعهم وكأنها تودعه لتتوقف في النهاية أمام عقار وكان منزله..

ظلت تدور بالشوارع لساعات أخرى ثم في النهاية لم تجد ملجأ سواها، صالتها العزيزة وإدائها اللذيذ والتي جعلتها مهرب لها من صدمات الحياة المتتابة عليها..

لم تستطع الشرب كعادتها فبمجرد أن لامس الكوب شفيتها تذكرت قبلتها له فوضعت الكوب جانباً ثم استمرت في اختيار أرقاماً ليست متحمسة لها وكأنها قررت الخسارة لتستكمل هيئتها الانهزامية..

أخبرت " الديلر " والمسئول عن طاولة الروليت الجالسة أمامها بحدة بعد أن ناولته آخر ما تملك من نقود:

- هاتلي بيهم فيش..

وهو أعطاهم لها ثم أخبرته أنها ستلعب على نفس الرقم:

- thirteen (13)

وهو تعجب مازالت تختار رقم النحس وسوء الحظ كما هو معروف عنه رغم أنها لم

توفق باختيارها له في كل المرات السابقة وبالنهاية استجاب لها فخرجت من الجولة خاسرة أيضاً..

كانت حينها كالجنونة، تلعب فقط دون هدف، تبحث عن أي طريقة تجد بها أموالاً تستأنف بها جولاتها وكل اللعنة عليها لأنها لم تستعد لمجيئها إلى الصالة مسبقاً..
لم تكن تعلم أنها ستأتي إليها فمئذ إصابة عمر وهي تنتقل بين المنزل والمشفى لتمنح أمها قليل من الراحة بشأنها ظناً منها أنها قد استعادت عقلها بعد مواجهتهما الأخيرة..
لم تجلب معها أموالاً تكفيها وبطاقتها اللعينة لا تعمل ولا ترتدي سوى قرط بسيط لن ينفعها بشيء..

فجأة وجدت أمامها رجل تراه للمرة الأولى يناديها وينحني لها ثم يقبل يديها وبالنهاية يجلس على المقعد المجاور لها ويخبرها..

- شرفتينا ياهانم المكان كان مضلم من غيرك بجد..

وهي نظرت له بحيرة بمعنى " من أين تعرفني؟! ومن أنت بالأساس!"
وهو أجابها على الفور:

- أنا كامل الأهواني.. صاحب الصالة دي والزباين المهمين اللي زي حضرتك لازم أجيلهم أسلم عليهم بنفسي..
وأضاف بسؤال:

- المهم اختفائك اليومين اللي فاتوا يكون لخير..

وهي أعادت خصلاتها للخلف بارتباك واضح ثم أخبرته:

- مفيش.. كنت مشغولة شوية..

وهو ابتسم داخله.. هي لا تعلم أنه يضع عمر طوال الوقت تحت مراقبته كما يفعل مع أي شخص يستدن منه أموالاً وبالتالي فهو يعلم أنها طوال تلك الفترة كانت معه ولا يهمله طالما في النهاية عادت لتجعل من نفسها بحماقتها صيد ثمين له..
ثم أخبرها متسائلاً:

- حضرتك وقفتي لعب ليه فيه مشكلة ولا حاجة!

ولم ينتظر إجابتها وأمر الرجل الواقف بجانبه بأن يحضر لها كم هائل من الفيش يكفيها للعب حتى حلول الصباح مقابل توقيعها على ورقة استدانة لا تفهم كيف أقنعها أنها مجرد إجراء روتيني لا أكثر..

وظلت تلعب وتخسر ومرة وحيدة كسبت وبعدها خسرت لتترك ما تبقى من فيش على الطاولة بملل وإجهاد وترحل..

لو رأيت حالتها لظننت أنها تجرعت برميلاً من الخمر.. تترنح من التعب وتفقد السيطرة على أطرافها فتسقط مفاتيح سيارتها من يديها بعجز..

وفي النهاية بكت.. ركبت سيارتها ووضعت رأسها على المقود واستكملت وكأنها للتو فقدت شعور الخدر فاستعادت آلامها من جديد..

كان الوقت قد اقترب من الفجر تقريباً والشوارع باتت هادئة وهي من اعتيادها لم تشعر ولو ببذرة خوف ومن قهرها قررت الذهاب إليه!

- عمر!

نادت عليه ومع هدوء المكان وتأخر الوقت كان صوتها مدوياً وبالتعبير الأصح " فضيحة" ..

ركضت علا نحو الشرفة ولحق بها عمر بخطوات بطيئة بعض الشيء وبملل واضح وبمجرد أن لمحته بشرى أخبرته بنبرة ثملة وليس من الكحول ولكن من القهر..

- أنا عملتلك إيه عشان تعمل فيا كده؟!

وشهقت علا من صدمتها بالموقف ككل ثم نظرت لعمر بعيون جامدة.. تلك المجنونة التي لا تفهم عمّ تحدث ستفضحهم بالمنطقة وسيصبحون علكة من الغد بألسن الجميع..

وكانت بشرى مازالت تحدث.. تبكي وقلها ينزف دماء..

- ليه خلتنى اتعلق بيك أوي كده؟

حينها صرخ عمر بشقيقته قبل أن يرحل للداخل:

- سكتيها بدل ما أقسم بالله انزل اقتلها..

وضعت علا وشاحاً على شعرها على عجلة ثم نزلت إليها راكضة وأمسكتها من خصرها بينما تنهرها بصوت منخفض بعض الشيء بسبب حرجها من جيرانها الناظرين نحوهما..

- إنتي مجنونة عاوزة تفضحيننا..

وأضافت بينما تحاول دفعها نحو سيارتها:

- من فضلك امشي وكفاية لحد كده..

وبشرى لم تتحرك راحلة بل العكس سقطت بأحضانها بانهييار تام.. هي حتى لا تعي

تصرفاتها.. مقهورة لدرجة اليأس ومحطمة بامتياز وكانت مازالت تهمس..

- ليه يعلقني بيه أوي كده..

وأضافت:

- مش هقدر أعيش من غيره.. طالما متجوز وليه حياته مقاليش ليه من الأول!

وأكلت بقهر:

- ليه سابني لحد ما وصلت للمرحلة دي؟!!

رقت علا لحالها.. لا تعلم ما حدث معها ولكن ما فهمته من كلامها أنها قد علمت

بشكل ما عن سهى وطفلته.. قالت لها بعدما قامت بهزها عليها تسترد وعيها:

- سهى مش مراته.. سهى طليقته.. منفصلين من أكثر من سنة..

وحينها توقفت دموع بشرى.. كررت كلامها بهمس:

- مش مراته!

وهي أومأت برأسها ومؤكدة بلسانها:

- مش مراته..

وأضافت:

- بس عمر ما ينفعكيش.. لازم تنسيه..

ولم تستمع بشرى لجملة الأخيرة وتوقفت كل حواسها على أنها ليست زوجته بل

وتجددت داخلها آمنيات بشأنه كانت قد نحرتها في الصباح من صدمتها وقهرها منه..

لقد باتت متيمة به عن حق.. سموت لو لم يشعر بها.. سنتني حياتها إن لم يكن بها..

ورغبة في امتلاك قلبه بدأت تطفو في محيط صدرها..

مسكينة فهي لا تعلم ماذا ينتظرها بمنزلها..

قبل أن يخرج مفتاح الشقة من جيب بنطاله وجده انفتح لتطالع عيناه هيئتها الغاضبة

وشعرها الغير مهندم والذي ظهرت خصلاته من وشاحها الغير محكوم قيده..

تلجم للخطات ثم انتبه للحقيبة التي بيديها فأعطتها له مخبرة إياه دون أن تنظر لوجهه:
- كنت هبعتها لك على الفيلا مع البواب..

- نعم!

وأكل:

- انتي بتطرديني؟!

وهي قالت بينما تنهره:

- وطي صوتك هتصحي الجيران..

ويظنها هو تعاقبه، تدلل عليه ربما وتسترد جزءاً من كرامتها التي هدرها اليوم دون قصد منه حسناً هي محقة بغضبها وهو يشعر بخطئه في حقها ولكن ما تفعله قد فاق كل قوى تحمله وكل طرق الدلال..

هو لا يعلم أنها تهرب من مواجهته قدر الإمكان وتحاول أن تنقذ قلبها من التماذي بعشق لا أمل فيه ولا حق لها به..

**اليوم استفاقت.. صدماتها المتتالية منحتها ترياق مضاد لحبه فاستعادت بعض قوتها كي
تجابهه وتنجو..**

أطفالها بحاجتها وكرامتها تطالبها بأن تستيقظ من حلم يدمرها رويداً رويداً..
لقد قتلتها نظراته لها عن حق، أوجعها شعورها بأنه لا يهتم سوى شقراءه وقد ازداد شعورها بالذنب نحوها لدرجة لم تتحملها حتى أنه قد تفاقم على غيرتها منها..
لقد شاركت بدمارها وبدماره أيضاً.. فرقت بين اثنان عاشقان وإن كانت مرغمة وحاولت التغاضي عن كل هذا بأنانية كي تبال حبه وسنده..

دخلت لداخل الشقة وهو لحقها بغضب.. سألها مباشرة:

- إيه الجنان اللي على المسا ده!

وهي أخبرته باكية:

- اللي لازم يحصل من زمان.. أنا اكتشفت إني كنت بضحك على نفسي..

وأما عنه فلقد دار بالغرفة وحول نفسه وكأن ثعبان ما لدغه، اقترب منها وأمسكها من ذراعها بعدما أخرج زفيراً حاداً محاولاً عن طريقه استجداء الهدوء صعب المنال..

- رودينا بلاش كلام ملوش لزمة.. إنتي عارفة مكانتك عندي إيه بالظبط..

وهي كتفت ذراعها بتحدي.. شهقت بخفوت داخلها ساخرة:

- لا تصدق معرفش..

وأكلت بنبرة جريئة:

- أنا بالنسبة ليك إيه يا عادل؟ وإيه مكاني بالظبط!.. مراتك ولا أم ابنك اللي لولاه

مكنتش هتتجوزها ولا الست اللي غلطت معاها في يوم من الأيام!

توحشت نظراته.. لا يجد جواباً يجيبه عليه.. مازال لا يعرف مكانتها ولكنه واثق أنه لا

يريد خسارته ولكن مشاعره المتقدة بسبب فيروز مازالت تتحكم بأفعاله وتلجمه..

حتى الآن يرى صورتها أمامه.. صوتها بأذنه ويديها التي تحتضن يد غريمه لا تفارقه..

ستظل هي حلمه ولكن رودينا واقعه.. استقراره وأمانه فكيف له أن يشرح لها كل هذا

بحق الله وهل إن استطاع ستفهمه هي..

مستحيل..

- رودينا ممكن تهدي شوية..

ثم اقترب منها محاولاً احتضانها، السيطرة عليها واحتواء غضبها ولكنها ابتعدت.. اتخذت قرارها ولا تراجع..

كيف تناسى صورة فيروز أمام عينيها الباكية الجريحة أمام عينيها والذي استعادت معه مشهد آخر قبل أشهر طويلة بالساحل الشمالي..

صدمتها، قهرها ووجعها كل هذا كان بالأصل بسببها وهي على ما يبدو تجاهلت.. قررت أن تصنع لها حياة على حسابها وبررت بأنها كانت مرغمة وأن الحياة أجبرتها.. قررت الاستمرار مع عادل بأنانية من أجلها ومن أجل طفلها وأراحت ضميرها بشأنه بعد أن اقنعت نفسها أن كانت ستصارحه بما لا يعلمه عن طريقة تعارفهما والمؤامرة التي اشتركت بها مع بشرى وأنه هو من رفض الاستماع إليه..

وإن نجحت بهذا من قبل فالآن لا يمكن أن تكمل في تلك المهزلة بعد رفض أهله لها، نظراته العاشقة لشقراءه وضياعها هي بالمقابل لتزرع ذنبها في مخيلتها من جديد.. سألته بعد أن وصلت أفكارها لتلك النقطة:

- هي.. هي اتعمت إزاي؟

وهو زفر بجدة.. مازالت تذكره بها.. تفتح الدفاتر المغلقة وتدمر ما تبقى بينهم..

- رودينا.. قفلي على السيرة دي..

وهي أصرت.. كررت سؤالها ولن تقبل سوى بإجابته ففي النهاية أخبرها:

- عملت حادثة وهي راجعة القاهرة بعد ما شافتنا مع بعض..

وضعت يديها على فمها مصدومة بعد أن تقهقرت خطوتان للخلف.. دموعها كانت تسيل تلقائياً وكرهها لنفسها تفاقم الحد المسموح به حتى انهارت..

ظلت تضرب وجهها بجدة.. تلعن نفسها وتتمنى أن تنشق الأرض وتبتلعها بينما لسانها يردد بهذيان:

- أنا عميتها.. أنا دمرتها.. أنا السبب..

ثم تراخت قدميها وجلست على الأرضية بنفس الحالة المقهورة فجلس بجانبها هو الآخر بينما يتحدث من عالمه الآخر:

- مش إنتي.. أنا.. أنا السبب مش حد ثاني..

صدمتها جملته.. شعرت بالذنب نحوه هو الآخر.. يحمل نفسه مسؤولية الأمر برمته! فجأة توقفت دموعها.. جمدت حالتها.. وقررت أن تخرج له ما هو بصدرها..

- متحملش نفسك حاجة ملكش ذنب فيها..

وأضافت بثبات أثار رييته وكأنها تحولت لامرأة تقف أمام منصة الإعدام وتعلم أنه لا خلاص فقررت الجمود والاستسلام..

- أنا كنت عاوزة أحكيك قبل ما نكتب الكتاب وإنت اللي رفضت..

وحينها سقطت بعض الدموع أثارت حيرته.. هز رأسه بعدم فهم وملاحه ممتعضة تريد تفسير للألغاز التي تتفوه بها..

- تحكي إيه!

وبكت بحرقة.. تعلم أنها ستخسره للأبد وتندم لأنها خاضت بتلك اللعبة الملعونة من الأساس..

ليتها ما وافقت.. وليتها نامت وهي وطفلها على الأرصفة بالشوارع بدلاً من كل هذا العذاب..

سمعته يصرخ وقد نفذ صبره:

- تحكي إيه يا رودي..

لتستسلم في النهاية وتخبره:

- كل ده من الأول كانت لعبة دبرتها واحدة إسمها بشرى..

وهو كررها خلفها بنبرة مصدومة:

- بشرى أخت روز!.. ولعبة إيه دي؟!!

وهي تلجمت.. تلعثت.. توقف عقلها عن التفكير..

- هي.. هي تبقى أختها..

نهض عادل فجأة من مكانه.. وقف منتصباً ومن حالته كان يبدو أنه لا يتحمل المزيد في

الألغاز فنهضت هي الأخرى وقررت الاعتراف بكل ما تحمله داخلها من أسرار..

بداية من التقاءها مع بشرى بمجل الملابس الذي كانت تعمل به، عرضها الذي قدمته لها

ورضوخها لها بعد أن انغلقت جميع الأبواب بوجهها..

لقاءهم المدير، محاولة إغواءه وابتزاز بشرى طوال الوقت لها حتى تستكمل الخطة..

- اللي حصل كان غصب عني.. أنا بعت نفسي عشان احى ابني من البرد والجوع والنوم

على الأرصفة.. أنا بموت كل يوم صدقي..

ثم استطردت عندما صدمها بصلاذته ونظراته الحادة:

- ساكت كده ليه!.. قول أي حاجة..

وقوله كان على شكل صفعه دوت على صدغها بقوة ثم رحل يحمل معه لعناته وثوراته..

لقد كان دمية بيد امرأتين تلاعبوا به، حرموه من فيروزه وفرقوا بينهم وهو بكل سذاجة

استجاب لها وساعدهم..

اللعة..

وما كان يجول بخاطره هو لماذا تفعل بشرى شيئاً مقززاً كهذا وما غرضها! ورغبة في اقتلاع رأسها عن جسدها تسيطر على حواسه..
ولا تستحق أقل منها.. فلقد دمرته عن حق..

الجنون حق من حقوقه والتغاضي عما فعلته من سابع المستحيالات..

كان الشرار يقدح من عينيه قدحاً، كذبيح ليلة أضحية.. يدق الباب بحدة، يمضي نفسه بحاسبتها ويشتهي الانتقام منها..

لماذا فعلتها؟! وكيف استطاعت وما الذي استفادته لا يعلم ولا يفهم ولن يغمض له جفن قبل أن يجد إجابات أسئلته..

فتحت الخادمة الباب فأبعدها عن طريقه ثم سأها:

- بشرى فين؟!

وقبل أن تنفوه الخادمة بكلمة انتبه لحورية التي أخبرته بينما تنزل من على الدرج:

- عاوز بشرى في وقت متأخر ليه! مبصتش في ساعتك قبل ما تخطط وترجعنا في ساعة زي دي..

وهو حاول التحكم بثورته قد الإمكان ثم قال بعملية ونبرة رتيبة:

- محتاجها في موضوع مهم..

قاطع دهشتها وسكونه اللحظي صوت احتكاك عجلات سيارة بالأرض فأخبرته حورية

بعض التحدي وبجدس أمومي استنتج ما جعله يأتي لمنزلهم بكل هذا الهياج ليسأل عن بشرى بالتحديد..

- طب أهو محي جيه تقدر تحكيه إنت عاوز إيه..

وبعد ثوان فتحت الخادمة الباب ولم يكن محي بمفرده بل كان معه إبراهيم يحمل بيده حقيبته ليعود للعيش أخيراً معهم بعد اصرار أبيه على الذهاب معه لمنزله كي يجمع أغراضه على الرغم من أن اليوم بالعمل كان مرهق بالفعل على كلاهما ولكنه اضطر كي يمنعه من التسويف والمماطلة بالأمر كما كان يفعل بآخر يومان..

بمجرد أن لمح محي عادل الواقف أمام حورية بمنتصف الصالون ذهب نحوه متسائلاً:
- خير!

وقالت حورية على الفور:

- يقول عاوز بشرى..

حينها تدخل إبراهيم غاضباً:

- وعاوزها في إيه؟!

قال عادل بتحدي ونظراته الغاضبة وجهها لإبراهيم:

- فيه بينا حساب لازم نصفيه..

وحينها انقض عليه إبراهيم ممسكاً بتلابيبه ولسانه يردد:

- حساب!.. ما تحترم نفسك وتأخذ بالك من ألفاظك.. لو عندك مشكلة اتكلم معايا أنا..

وأضاف بوعيد:

- وخذ بالك أنا اللي عندي حساب مصفيتهاوش معاك..

وهو فهم ما يرمي إليه بحديثه.. يتحدث عن فيروز وعن خيانتها لها وعن قهرها هي بالمقابل..
انتزع ياقة قميصه ثم قال قبل أن يرحل:

- الحساب ده تصفيه مع أختك المحترمة اللي راحت اتفقت مع واحدة عشان تفرقنا أنا
وفيزوز..

وإبراهيم لم يتحمل كان سيذهب إليه ويبرحه ضرباً رغم أن كلامه يحوي حقيقة الكل
يحاول تجنبها ولكن محي صنع من جسده حائلاً بينه وبين عادل ليقول لكلاهما:
- بس انتو الاتنين وبلاش كلام ملوش لزمة..

ثم وجه كلامه لعادل دون أن ينظر لوجهه وربما لأنه يشعر بالنجل منه بسبب ما فعلته به
ابنته المصون:

- خلاص يا عادل الموضوع ده اتقفل.. هي حلت الموضوع مع اختها..
وهو أصر:

- وأنا حقي فين!

وحينها تدخل إبراهيم ساخراً وملاحه تكتم الضحك:

- ليه هي كانت شربتك حاجة أصفرة!

وحينها زعق محي به:

- إبراهيم!

ثم نظر لعادل مكرراً ببعض الضيق والكثير من الآلية والتحذير:

- وإنت يا عادل أنا بعذرلك بالنيابة عنها وهي خلاص عرفت غلطها ولو فيه أي كلام
حبيب تقوله قولولي أنا ومتفكرش نتعرضلها..

- وهو يقدر أصلاً..

ونظر إليه أبيه مرة أخرى بغضب دون أن يتحدث فلكرته أمه مخبرة إياه بهمس:

- اهدي انت كمان خرينا نلم الموضوع..

حينها لم يجد عادل جدوى للحديث أو لانتظاره فرحل صافقاً الباب خلفه بعنف ولسانه يتلفظ بالعديد من الشتائم والوعيد أيضاً..

وبعدما رحل سأل إبراهيم أمه عن بشرى.. بالأصل يريد لها.. لقد وصله التقرير المالي الشهري اليوم وللتو انتبه أنها قد سحبت أموالاً طائلة من حسابها على دفعات حتى نفذ تماماً..

ظل حينها يقلب الأمر بعقله، لم تبدل سيارتها ولم تبتاع عقار أو ما شابه فماذا إذا فعلت بكل تلك الأموال!

- هي فين نايمة ولا إيه؟!

وحينها تنحنت حورية ثم قالت بشبه سعال وخوف حقيقي من حريق سيندلع الليلة بمنزلهم:

- هي لسه مجاش من برة.. راحت فرح واحدة صحبتها..

- دي بتهرج الساعة داخله على اتنين بليل..

ثم أمسك هاتفه وقام بالاتصال بها وكانت لا تجيب أيضاً فأخبرته حورية:

- أكيد مش سامعة من الدوشة دلوقت تيجي..

وأكلت:

- روح غير هدومك ووضب حاجتك على ما اخلي زينب تحضر العشا..

وكان يبدو من نبرة صوتها أنها تخفي عنهم شيئاً، تلهيهم بطريقتها فتبادل محي وابنه النظرات بعد رحيلها ثم جلس كلاهما بالصالون بانتظار السندريلا المتأخرة عن موعد قدومها الطبيعي..

عقارب الساعة تتحرك ببطء..

ربع ساعة فنصف فساعة فساعة ونصف وبالنهاية نهض محي:

- كده كثير هو الفرح ده فين و....

و..انفتح الباب لتطل هي من عليه باستحياء بعد أن صدمها وجودهم جميعاً بانتظارها..

اقترب منها إبراهيم وسألها زاعقاً:

- إيه التأخير ده كله ياهانم؟

وحينها أخبرها محي:

- كنتي عرفينا أخوكي يميلك ولا نبعثك السواق حتى..

وهي أجابتهم جميعاً ساخرة من التحقيق الذي بدأ معها:

- خير هو فيه إيه انهاردة!

وحينها تدخلت حورية رغبة منها في سحب الحديث لمنحني آخر:

- عادل كان هنا وبهدل الدنيا..واضح إنه لسه عارف نخفنا ليكون اتعرضك ولا حاجة..

وهي ضحكت ساخرة:

- خايفين عليا أنا من عادل..ده آخره يهش قطة..

ثم صمتت عندما لاحظت نظرات الحانقة والمركزة عليها..

مخطئة وتهزأ..

آثمة وتكابر..

- يابجاحتك وليكي عين تترقي كان..

وخرجت من فم إبراهيم الذي أمسك ذراعها بقوة ليعتصر ذراعها بقبضته:

- كنتي فين؟!..ده مش منظر واحدة كانت في فرح..

ملا بسها نهارية وزينة وجهها قد تشوهت بسبب دموعها وحالتها فوضاوية..

وهي أخبرته بعد أن انتزعت قبضتها منه:

- كنت خارجة مع صحابي..

- وصحابك دول بتخلصي عليهم الفلوس اللي في البنك بردك!

وأضاف متسائلاً:

- صرفتي مليون ونصف في إيه!

وحينها تدخل محي مصدوماً:

- كام!

وأما عن حورية فلقد كانت واجمة تحاول أن تتقبل ما تسمعه بينما محي رmqها بمعنى أنها

كانت تحاول التستر عليها كل الفترة ولسان حاله يردد دون حديث ولكن بالنظرات..

" ادي أخرة تربيتك ياهانم "

- حاولت بشرى التخلص من المأزق بقولها:

- ضاربت بيهم بالبورصة وخسرتهم..

وحينها ضحك إبراهيم بسخرية ليخبرها:

- إنتي تعرفي إصلاً يعني إيه بورصة!

وجذبها من شعرها بحدة صرخت هي على أثرها:
 - عملي ايه ثاني! مش مكفيكي المصيبة الأولانية..
 وهي تملصت منه بأعجوبة وصرخت به بقولها:

- **هو إنت طلقت مراتك وجاي تقعد معانا تقرأنا!**

وتوحشت نظراته.. لا يجب أبداً أن تأتي سيرة فريدة في موقف كهذا..
 يتلبسه الشيطان وتقسو نظراته وتحدد ردود أفعاله كما حدث تماماً..
 صفعه قوية دوت على وجهها فأسقطتها أرضاً لتحتضن هي الأرضية بجبينها باكية..
 وقبل أن تركض نحوها حورية والتي قلبها يتمزق على ابنتها أوقفها محي يديه..
 لقد كان حانقاً عليها وبشدة..

مازالت حالة الخزي التي شعر بها أمام عادل تتمكن منه..
 خيبة الأمل فيها تسيطر على كل جوارحه وشعوره بأنها ما تخفيه بشري أكبر بكثير مما
 فعلته بفيروز..

وأخذته أفكاره لمنحني أكبر أنه ربما تلك الفتاة ستجلب لهم العار والفضيحة..
 أخبرها زاعقاً:

- اطلعي على أوضتك دلوقت ولينا كلام لسه مع بعض كثير..
 وتدخل إبراهيم مضيفاً بوعيد:

- وأوعي تفكري تكذبي لإن أصلاً محدش هيصدقك..

وأكمل:

- وزى ماقلتي أنا طلقت مراتي وفضتك بقا وكل نفس هتطليه من هنا ورايح هيكون

بحساب يكون بعلمك..

بعد عشرة أيام

قرقعة حذاء مدوية ورائحة عطر نفاذة أيقظته من سباته اللحظي على مقعد بالمشفى بسبب
انها كه الشديد..فرك عينيه بإجهاد..

أيحلم هو!

يتخيل!

- إزيك؟

ولم يسعفه الكثير من الوقت كي يأخذ ويعطي بأفكاره وكي يتقبل صدمته برؤيتها أمامه
بعد كل تلك الفترة وبعدما فقد الأمل برؤيتها فلقد أخبرته الواقعة بابتسامة مرحبة:

- وحشتني على فكرة..

الفصل السادس والثلاثون

حزن يغتالي
 وهم يقتلني
 وظلم حبيب يعذبني
 آه! ما هذه الحياة التي كلّها آلام لا تنتهي
 وجروح لا تبيري ودموع من العيون تجري جرحاً خدي
 أرقت مضجعي وسلبت نومي
 آه يا قلبي يا لك من صبور على الحبيب
 لا تجور رغم ظلمه الكثير وجرحه الكبير الذي لا يندمل
 ولا يزول ما زلت تحبه رغم كل الشرور
 ما زلت تعشقه رغم الجور والفجور
 ما زلت تحنّ إليه رغم ما فيه من غرور قلبي
 ويحك قلبي إلى متى، إلى متى؟؟
 أخبرني بالله عليك إلى متى؟؟

نزار قباني

- وحشتني على فكرة..

والجملة ثقت أذنيه والنبرة سلبت عقله من رأسه..

والصدمة قد حولت جلده لأسمت فبات بجمود الحجر ومن الداخل بلى العجين..

وأكلت هي حديثها بعد أن لامست يديه بأصابعها المطلية أظافرها حديثاً والدموع اللؤلؤية خاصتها كانت ضرورة حتمية:

- أنا سبت إبراهيم.. انفصلنا خلاص..

واقتربت أكثر منه والاقتراب كان يوازي زيادة دهشته:

- مروان أنا عرفت إني مقدرش أعيش من غيرك..

وهو للتو أدرك ما يحدث.. لقد عادت.. أحلامه بشأن الماضي تحققت ورحلة انتقامه انتهت بنجاحه..

لقد تركت ابن السلطان ونظراتها النادمة على كل ما فعلته به ارتكزت بعينها وارتجافها وتوترها يوثق كلامها..

لقد تنازلت وأخيراً وتركت المال والجاه من أجله..

هو الجربوع.. اللا شيء..

النكرة بجانب من كان زوجها!

لم يشعر بنفسه سوى وهو يحتضنها، يلمس أحلامه ويستعيد ماضيه بالكامل أمام عينيه وينتشي بفعل انتصار قد حققه في النهاية بعد أن تخطى أقصى مراحل اليأس..

لا يعلم كم دقيقة مرت بينما هو على تلك الوضعية ولكن ما يدركه أن صورتها لم تفارق مخيلته رغم أن ذراعيه تحتضن امرأة غيرها..

هي الملاك.. مخلوقة النقاء.. هي ذنبه المتحرك وإثمه المضاعف..

ضميره الحي ونقطته البيضاء التي تحيا رغم السواد..

الذهب وسط النحاس..

زوجته... و.... من ينبض لها قلبه الميت أو ما ظنه كذلك..

وكأن ما فعلته فريدة وعودتها إليه نفض عن قلبه الأتربة وأزال من عيونه غشاوة الانتقام..

وكأن باحتضانه لها قد تحرر من قيود انتقامه ومن أحقاده..

والآن بات يضع كل شيء بحله الطبيعي والذي يستحقه.. هو بات يكره تلك ويندم على ما فعله بالأخرى..

الأخرى التي لم تفارقه بأحلامه والتي كان يحارب نفسه طيلة الوقت كي ينتصر على تأثيره بها ولكنه في النهاية مهما عاملها بقسوة لا يستطيع أن يمحي ندمه وخزيه من نفسه ورغبته العارمة بإعادة الماضي من جديد فحينها ما كان سيطفأ حبها له بيده بل كان سيبي من مشاعرها النقية والمخلصة أسواراً يحجب بها عن مرمى عيونه صلادة الواقع وقسوته وبشاعته..

ابتعد عن فريدة فجأة تعجبت لها هي، حاولت أن تستعيد كبريائها من جديد بعد أن رفعت رأسها وأخبرته بترفع بعد أن مسحت دموعها التي تناثرت على وجنتيها بعد احتضانه لها:

- أنا مش مصدقة..إنت بتحبني أوي كده!
- وأضافت ولكن الإضافة كان مفعولها عكسياً:
- عملت كل ده وقربت من أسما عشان تنتقم من اللي خدني منك!
- وهو فجأة جلس..أشعل سيجارة رغماً عن اللافتة الكبيرة المرتكزة على الحائط المقابل بأنه ممنوع التدخين ولكن درجة توتره قد بلغت أقصاها وهو بالتبغ فقط يسيطر على أعصابه..
- أه عملت كده عشان انتقم منك عن طريقها وأبوظلك حياتك..
- وأكل بعصبية ظهرت جلية على ملامحه قبل صوته:
- بس بعد كده حبيتها هي واكتشفت إن اللي كنت فاكره حب عمري انتهى أول ما شوفت وشك الحقيقي وبقيتي مجرد حاجة كنت عاوزها واتاخذت مني..
- وهي نهضت فجأة، أحمر وجهها وتجهمت ملامحها وخرجت الكلمات منها بدون تحضير أو ترتيب..
- مروان إنت بتلعب بيا!
- وأضافت بعدما اقتربت منه:
- مفكرني هغير منها مثلاً أو حتى هصدقك!
- وابتسم مروان ساخراً من تفكيرها..على أساس أنه يفكر بها ويهتم بأمرها!
- صدقيني مش فارقة معايا..
- وأضاف بعدما أشار لها على قلبه وحنقه منها كان جلياً:
- بسببها ده لسه عايش ويمكن بسببها بردك إنتي كمان لسه عايشة..
- وأكل:

- هي اللي عرفني أن الدنيا مش كلها سواد وإن زي ما فيه الأسود فيه الأبيض كان بس المشكلة كانت في الاختيار..

والضيق يعتلي صدره والذنب الذي تأخر ندمه عليه يقتله:

- كانت سارقاني السكينة واكتشفت كل ده بعد ما للأسف دمرتها..
وهي مازالت مشدوهة، مصدومة و...مجروحة..

ولكن ليس وقته..استفيقي يا غبية سيضيع من يدك هو الآخر..
جلست بجانبه وقالت:

- مروان أنا عارفة إني غلطت أما سبتك زمان..عاندت مع قلبي والنتيجة أبدًا مكنتش سهلة فبلاش تعاقبني دلوقت وتندم إنت بردك..

وهو نظر إليها بتعجب..أمازلت لا تفهم!

لا تعي ما يقول أو أن كبريائها لا يسمح لها بتصديقه!

ولكن في النهاية النتيجة سيان..هي لم تعد تشكل أي فارق معه بعد عودتها له خاضعة ونادمة على ما اقترفته في حقه بيوم من الأيام..

أخبرها مباشرة:

- بس أنا بحبها هي..

وأضاف:

- إنتي اختارتي وأنا كان اختارت وكل واحد مشي في طريقه..

وإضافته وازت تعمقه بعينها التي اغرورقت بالدموع:

- افهمالك ازاي!..خلاص خلصت اللعبة..مروان وفريدة انتهوا..أنا كنت بقرب منك

عشان كنت مستني اللحظة اللي هتجيلي فيها راحة وأهي حصلت وخلاص.. أنا من دلوقت مبقتش شايفك.. إنتي بقيتي في نظري ولا حاجة.. ولا حاجة فاهمة ولا أعيد تاني!

وضعت فريدة يديها على أذنيها.. أصمت يا أنت.. لا تقتلها بتلك الصورة البشعة.. لا تدميها بالكامل.. اترك لها بقايا كرامة كي تستطع التنفس من بعدك.. وفي النهاية حملت حقيبتها ورحلت باكية وجرت معها أذيال الخيبة وأسواط الندم تجلدها دون رحمة..

وأما عنه هو فلقد تنهد براحة بعد أن اقتلعت من صدره بتوسلها له احساسه بالنقص والفقر والعجز وأعادت له جزء من آدميته دون أن تعلم هي ذلك.. أغمض عينيه مستعيداً ما حدث آخر خمس دقائق والكلام الذي خرج بحق أسما من فمه دون ترتيب وتنقيح وفجأة..! فتح عينيه المنهكة ليلمحها..

هي ذنبه وجريمته المتحركة تخرج من غرفة أمه وعينها الباكية أكدت له أنها قد استمعت لكل شيء من خلف الباب..

التقت أعينهما لثوانٍ وفي النهاية ركضت نحو الخارج وهو لحق بها..

استمعت لاعترافه بحبها ولا مفر من بعد الآن من مواجهتها..

كانت تركض بهوان، بتخبط.. وبدموع كانت ترثي بها حالها..

لقد دخلت للغرفة كي تطمئن على والدته كعادتها كل عدة أيام بينما هو كان جالساً على

مقعد أمام الباب غارقاً بغفوته وأثناء رغبتها بالرحيل من المشفى استمعت لحديثه معها وبدلاً من أن تذهب إليهما وتصفع كلاهما تجددت عند كلمة " بحبها " التي نطق بها.. غبية.. ساذجة وكل الصفات الشبيهة تستحقها وعن جدارة واستحقاق وانفراد..

هل يظن أن بإعلان حبه قد محى الجراح!

رباه .. ما فائدة الحب بعد أن تجرعت على يده أقسى أنواع العذاب!
بعد أن كان يقتلها كل يوم متلذذاً بعذابها..

ما فائدة أي شيء بعدما أدمها وحوّلها لضحية له تعيش بفعل التظاهر باللامبالاة!
وكانت دموعها توازي قهرها على نفسها.. تشتتها وضياعها وكأنها غريق بوسط البحر كلما يجد أمل يتشبث به كي ينجو عن طريقه يكتشف في النهاية أنه ما كان إلا مجرد وهم وسراب..

وهي قد اكتفت.. أوجاع قلبها وصلت للحد الأقصى وقدرات تحملها أوشكت على النهاية..
يا ليتها تمتلك القدرة على اقتلاعه من قلبها.. إزالته من جذوره..
ويا ليتها لم تكن بهذا الضعف تجاهه..

توقفت أسما عن الركض بسبب ذراعه الذي قيد حركتها وظلت هي تحاول التخلص من قيده وفشلت بهذا أيضاً..

أخبرها وما زال يجد نفس الصعوبة بالتفوه بها ولكنها تستحقها رغم سخافتها فما فعله بها لا يمكنه الاعتذار عنه وبأي شكل من الأشكال:
- أسما أنا.. أنا آسف..

وكلمة الأسف في حالتها لا تداوي بل تجرح..

تذكر وتوجع..

تقتل مرة أخرى..

لم تستطع سوى أن تخبره:

- طنط بقت كويسة..أنا مش ها...

ووضع هو إصبعه على فمها كي يمنعها من الحديث فانتفضت هي للخلف..

مازال جسدها ينبذه ويذكره ببشاعة ما فعله بها..

وبعدها لم يعد هناك مجالاً لأي حديث فقط صمت مطبق قابله انهيار لها..

تراخت قدميها بمنصف صالة استقبال المشفى ونحيبها الذي داهمها صدم كلاهما..

وكأنها باتت بهشاشة الورق فنالت السقوط بالتصوير البطيء..غريق في عرض البحر

تتقاذفه الأمواج يمينا ويساراً ويعلم أنه في النهاية سيغرق لا محالة..

وهو جلس بجانبها رغم تجمع الجميع حولهما..يتأملها ويشعر بضياعه فيها..

لقد تأخر وهو يعلم ولكنه لا يملك سوى عبارات الأسف..

ظل يراقبها..تبكي بحرقة ويديها وعينيها متشبثة بالأرضية..

- أسما!

وهي أشارت له بالتوقف..لا تريد الاستماع لصوته..

مازال قهرها منه لم يضمحل ومازالت تشعر بطعم العصير المنكه بعقار الاغتصاب داخل

حلقها..

مازالت لم تنسى رغم نطقه للكلمة التي انتظرتها منه سابقاً ورغم أنها ماريونت مروان..

وفي النهاية الملت أشلاءها ورحلت وتلك المرة لم يمتلك القدرة على اللحاق بها وظل قابلاً

بمكانه لعدة دقائق أخرى..

أيام صعبة اقتربت من شهر قضتها في جحيم عقابه.. اختبرت غضبه ورأت كيف ستكون الحياة من دونه..

وهو غاضب لدرجة تفوق تحملها.. يقتصر في اتصالاته الهاتفية على عدة ثوان كل عدة أيام يطمئن عليهم فيها بروتينية قاتلة ولا يترك لها المجال للحديث عن أي شيء متحججاً بأشغاله التي لا تنتهي..

وهي تعترف.. لا حياة لها من دونه..

وحده من انتشلها من بؤرة الضياع وجعلها تحبو في طريق الحياة والأمل من جديد.. مازالت تتذكر شعورها بعد رحيله دون أن يستمع لمبرراتها.. المخاوف قتلتها ورغبة في الركض خلفه كانت تسيطر عليها وبسبب ظلامها الدامس شعرت بالعجز أيضاً.. ظلت تفكر منذ ذلك الحين.. ما هو بالنسبة إليها؟!

هل هو مجرد سند.. شخص وثقت به كي يكمل معها مشوار حياتها! والإجابة كانت ببساطة أنه أكثر من هذا بكثير..

قلوبها يرقص فرحاً بحضرتة وضياع ونقص تغرق بهم في غيابه.. حتى أنها عندما قارنته بعادل شعرت أن مشاعرها الآن نحو ياسر أكبر بكثير من كلمة حب..

كانت تشعر طوال فترة وجودها مع عادل أن تلك العلاقة تضغط عليها وتخنقها أكثر مما تعطيها.. كانت وكأنها القبطان فيها وعليها أن تفعل كل شيء وفي المقابل لو لم تفعل إذاً هي لا تحب، لا تريده وإلخ.. إلخ..

أما مع ياسر فروحها وكأنها تشبث به وانسجمت معه وقلبها كانت تقوى نبضاته ودقاته فقط بقربه..

هي معه وصلت لمرحلة عشق الروح.. باتت تعشق روحه، كيانه، وجوده مثلما يشعرها هو على الدوام..

ليته يصدقها وليته يعود فاشتياقها له يقتلها وخوفها من فراق قريب قد يحدث يدميها..
"ياسر.. أنا بحبك"

جملة رسمتها بأصابعها على هاتف شاشتها كعادتها كل ليلة منذ رحيله عنها فلا هي تستطع إرسالها له ولا تمتلك الشجاعة كي تصارحه بها وبالنهاية ظلت هكذا حبيسة صدرها..

هي الآن تشتاقه أكثر مما يجب ولا تعلم إلى متى ستتحمل جفاءه وظلمه لها!
 طريقة خفيفة أخرجتها من حالتها الهائمة وجعلتها تضع الهاتف بجانب سريرها وكأنها تخفي عن العيان تلك الجملة ولكن من توترها واستعجالها سقط الهاتف..
 التقطته أسما من جانبها ثم نامت على قدميها وسألتها:

- مالك؟

حركت فيروز رأسها وأخبرتها نافية:

- مفيش..

سألتها أسما بعدما رفعت جسدها حتى لامست وجنتيها وداعبتها:

- إنتي بتجيبه أوي كده؟

والأخرى تلعثمت.. هربت من السؤال وتلونت وجنتيها بشتي ألوان الطيف وتحدثت بتعجب وكانت كاذبة:

- أنا مش عارفة عن بتكلمي عن مين!
- لتقول أسما مازحة معها:
- ليه هما كتير؟!!
- وأضافت بجملة تصلب لها جسد فيروز بالكامل:
- ياسر رجع.. هنا بقاله يومين..
- والتكرار من جانب المصدومة فرض عين:
- رجع!!!!!!
- وسؤالها حتمي:
- وعرفتي منين?!!
- رميت وداني على إبراهيم وهو بيكلمه..
- والاستنكار قد وصل أقصى مراحلها معها..
- بقاله يومين هنا وأنا معرفش!
- ولم تقل أسما سوى:
- صارحيه بمشاعرك يا روز قبل ما يفوت الأوان.. لو مجاش روحيله انتي.. فيه مواقف
- مينفعش فيها التأخير وإلا إنتو الاتنين هتخسروا كتير...

هل للبحيم أنواع..

أشكال..

يقولون ولكن ماذا لو تذوقت جميع أنواعه دفعة واحدة!

صورتها أمام المرأة باتت مخيفة.. شعر أشعث وعيون متورمة من البكاء والظلال القائمة اتخذت من تحت عينيها سكنى ومستقر..

شحب وجهها واضح ومجرى دموعها على وجنتيها بات ملحوظاً وكان هذا تطوراً طبيعياً لما تعيشه من نبذ ومعاملة جافة..

هي الآن معاقبة.. محرومة من الحياة.. من التنفس..

لا هاتف.. لا خروج.. لا مال فقط مجرد ملاليم تقتطع منهم كل فترة وتستعين بخادمة أسما في السر كي تجلب لها علب سجائر رديئة الصنع..

الطعام يأتيها أمام الباب وكأنها جرثومة.. الحديث معها ممنوع والشكوى غير متاحة وحتى الصراخ في سبيل الراحة مرفوض وتشعر أنه في الخطة القادمة سيغلقون الباب عليها بالملزاج..

وهناك هو أيضاً.. قرابة شهر لا تراه.. لا تعلم عنه أو العالم الخارجي أي شيء.. تفكر.. ماذا يفعل!

هل مازال يتذكرها أم أنه مكتوب على جبينها عبارات النسيان!

ظلت تنفث دخان سيجارتها بتوتر زائد واهتزاز قدميها بات لا إرادياً بفضل الضغط النفسي والحصار المفروض عليها من قبل زعيم العائلة أبيها ونائبه إبراهيم.. شعرت بصوت أقدام تقترب من بابها ولكنها لم تمتلك وقتاً كافياً إلا لإخفاء علبة السجائر تحت وسادتها..

ولكن ماذا عن رائحتها التي عبأت غرفتها!

بمجرد أن وقعت عيناها على أمها نامت على سريرها دون حديث وكأنها تخبرها كالعادة أنها لا تريد منها أن تتحدث معها بأي شيء..

لقد أصابها نفور قاتل من العائلة بأكملها وأقصى أمنياتها الآن أن تحظى بالفرار من تلك الحياة السوداء ومن ذلك العقاب الذي لا تتقبله بأي شكل وأي صورة..

قالت لها أمها مستنكرة:

- سجاير يا بشرى هي حصلت!

وهي لم تفعل سوى أن دفنت رأسها بالفرش أكثر ثم أخبرتها بنبرها جامدة رافضة لوجودها جانبها من الأساس:

- سييوني لوحدي.. اطلعي..

مسدت حورية يديها على شعرها وداخلها يتعاطف معها.. تعلم الضغط الهائل الذي تعيش به ولكنها أخطأت كثيراً ماذا تفعل وربما هذا العقاب يجدي معها نفعاً ويكن سبباً بتصليح أحوالها الضائعة..

تنهدت.. تغرق هي بين الخطأ والصواب.. لا تعلم ماذا تفعل ولا كيف تتصرف ولكن ما تعلمه الآن أنها باتت قلقة عليها عن حق..

أخبرتها في النهاية:

- تعالي نقعد في الليفنج نتفرج على التلفزيون سوا..

- مش عاوزة..

وقالتها بضيق جعل أمها تسألها:

- ليه؟

- عشان آخر مرة طلعت بيها من الأوضة بابا عمل معاكي مشكلة كبيرة..
وأضافت بآلية:

- روجي يا ماما نامي..أنا لسه عايشة متخافيش..

- بابا مش جاي انهاردة لا هو ولا إبراهيم..

واعتدلت بشرى لتسألها ببطء:

- اشمعني!

- راحوا بورسعيد يقولوا عمال المصنع هناك عاملين وقفة وهيباتوا هناك..

- طيب.

وخرجت منها ببطء شديد وإحباط آثار البكاء لدى الأخرى..

- مش هتطلعي تقعدي معايا يا بنتي!

ورمقتها بشرى بطرف عينيها ثم جال بخاطرها شيء ما وأخبرتها:

- ماما أنا عاوزة موبايلي إنتي أكيد عارفة مكانه..عاوزه أكلم صحابي على انت أنا حاسة
إن العزلة دي هتموتني..

وانتهزت شرودها بالتفكير بالأمر كي تقنعها وتضغط عليها:

- ماما بليز أنا حاسة إني هطق من الخنقة وهيجرالي حاجة سييلي موبايلي انهاردة وقبل
ما يرجع بابا هكون رجعتو لك..

ومنحتها ما تريد عن مضض ولم تكن تعي أنها منحتها فرصة ذهبية للتهور فهي أستاذة
ورئيسة قسم به عن حق..

استغلت وجود والدتها بالطابق الأرضي ودخلت غرفتها خفية جامعة كل مجوهرات أمها

الثينة في حقيبة ولم تنسى بالطبع بطاقة البنك والتي تعلم أن رقبها السري عبارة عن تاريخ ميلادها ثم وضعت معهم بعض الملابس والأغراض الهامة خاصتها وتظاهرت بالنوم حتى اشتد سواد الليل وغرق الجميع في سباته..

ارتدت ملابسها وتسلت على أطراف أصابعها حاملة أغراضها ثم استقلت سيارتها بعد أن حذرت السائق بأنه لو أخبر أي مخلوق عن خروجها بتلك الساعة ستطرده أشر طردة والمسكين قرر الصمت خوفاً على لقمة عيشه..

توقفت عند أول محطة بنزين دون أن تعلم بوجود السيارة التي تراقبها منذ خروجها من الفيلا ثم ذهبت لما كينة البنك بعد أن عبأت سيارتها بالبنزين اللازم وقامت بسحب أقصى مبلغ قبلت بسحبه الماكينة ولم يكن بالضخم ولكنه سيعينها على العيش حتى تستقر وتستطع التصرف بمجوهرات أمها وتلك هي الثروة الحقيقية فعلياً.. عادت لسيارتها ووضعت سماعة الهاتف في أذنيها واكتفت بالقول..

" عمر أنا مستنيك بعد بنزينة----- اللي في طريق اسكندرية بشوية.. الموضوع حياة أو موت ومينفعش في التليفون بليزيا عمر الموضوع مهم جداً "

وألقت هاتفها على المقعد الذي بجانبها وقامت بصف السيارة في وسط الظلام دون أن تخاف أو تأبه من أي شيء..

فند متى وبشرى تخاف أي شيء بالعالم!

الشيء الوحيد الذي خافت منه يوماً هو أن تبتعد عن عمر بعدما وجدته أخيراً وعادت إليها نفسها المشردة الضائعة..

ظلت منتظرة قدومه لقراءة الساعة وهو جاء مستقلاً سيارة أجرة وبمجرد أن لمحته خرجت

من السيارة وهو لم يقل سوى:

- مش هنخلص بقا من حوارتك دي!

توقفت أسما أمام العقار المنشود ثم قالت لفيروز والتي من توترها تعرقت يديها وظلت تمسحها بطرف بلوزتها:

- فيه إيه يا روز مش هننزل؟

وقالت فيروز بعصبية:

- أنا مش عارفة إيه اللي خلاني أطاوعك واجي هنا وفي الوقت المتأخر ده؟

وأجابتها أسما ببساطة:

- عاوزة تفضلي للصبح تهري وتنكتي في نفسك! يلا نطلع وحلوا الموضوع بقا عشان وشك الدبلان ده ينور تاني..

وفيروز قالت بتردد:

- بس الوقت اتأخر.. لا يلا خيلنا نرجع..

- يا ستي كلميه من الباب ونمشي..

وقالت فيروز ببعض التردد بين الرغبة في الصعود إليه والعودة:

- أصلاً المفروض هو اللي يصالحني.. هو اللي ظلمني مش أنا..

ولم تمهلها أسما الوقت لمزيد من المماطلة فهي تعلم أنها لن تتم بعدما علمت أنه بالقاهرة ولم يخبرها وستظل طوال الليل تحرق أعصابها..

خرجت من السيارة وساعدتها هي أيضاً بالخروج بينما فيروز قد ثقلت أطرافها من شدة

التردد والخوف من ردة فعل غاضبة منه أو خيبة أمل تنالها في حال عدم استماعه إليها....

رباه ماذا تفعل لو فعلها!

هل بإمكانها التحمل؟!

" خيلنا نهرب ونسب كل حجة ورائنا "

وهو رمقها بغضب.. أي غباء هذا اللي يستقر برأسها ولا يقبل مفارقتها..

وإذا أرادت الرحيل فلتذهب إلى الجحيم ما شأنها به؟

وإضافة بشرى كانت مهمة لديه أكثر بكثير من كلامها السابق:

- أنا عرفت إنك مديون لصاحب الصالة بفلوس كثير وإنه هو اللي بعثك ناس يتعدوا

عليك وعارفة كان إنه مش هيسيننا في حالنا...

وأضافت بعدما اقتربت منه أكثر:

- وأنا معايا مجوهرات ماما ودي لوحدها ثروة.. نقدر نهرب ونبدأ حياتنا من جديد طالما

الراجل ده مش هيسيننا في حالنا في عمر..

والشرار تجمع بعيونه فجأة وصدمته بكلامها تخطاها بعد ثوان..

انقض على ذراعها كأب يعاقب طفله المذنب..

- انتي عملي إيه؟.. أوعى تكوني استلفتي منه فلوس!

ودموعها سقطت تلقائياً قبل أن يتحرك لسانها بالنطق بأي شيء.. وقالت بينما كانت تحرك رأسها لتؤكد شكوكه..

- أيوة..

- الله يخربيتك..

وخرجت منه أوتوماتيكياً.. ألم يحذرها من هذا الأمر! ألم تتعظ مما حدث وسيحدث له! ألم يخبرها أن تباعد عنه وعن طريق الهلاك الذي يسلكه!

- انتي اتجننتي وبستنصحي وفاكرة إنا لو هربنا مش هيعرف يجيبنا لو نزلنا تحت الأرض حتى!.. لأ حقيقي برافو..

وقالت مستنكرة لشعورها بمبالغته بالحديث عن هذا الرجل:

- ليه يعني هو شرلوك هولمز!

وهو صمت فجأة والتفت يراقب جانبي الطريق وحينها لمح سيارة سوداء يعلم هويتها جيداً..

أمسكها من ذراعها وكان يقودها نحو سيارتها بينما يقول:

- روعي دلوقت..

هزت بشرى رأسها بشدة رافضة ما يقوله..

ماذا يقول هذا!.. فهي بالكاد استطاعت الخلاص من الجحيم المفروض عليها بمنزلها..
 ماذا يطلب منها!.. هل يريد منها أن تضيع الفرصة الذهبية التي أوتها الليلة وتعود إليهم
 بقدميها!

مستحيل.....

وبينما هي غارقة في نزاعها ورفضها الداخلي كانت بالطبع لم تنتبه لعمر الذي كان حرفيا
 يصرخ بيها كي تباعد بسيارتها وترحل..

- بقولك امشي يلا..

حينها فقط انتبهت له.. ورأت عيونه المرتكزة على أشخاص قادمون في اتجاههما..

لا تفهم.. من هؤلاء.. وماذا يحدث والمخيف سؤال آخر..

" ماذا سيحدث؟! "

وبدأ أحدهم بالحديث ومن النظرات المتبادلة بينهم وبين عمر فهمت أنهم يعرفون بعضهم
 البعض من قبل..

- أنا قلت أسيبكم ثفافهموا مع بعض من غير عزول وأما أتاخرتوا قلت مفيش مفر بقا
 يظهر لازم تتدخل..

وتجاهله عمر بل ورمقه بحق ثم أخبره مباشرة:

- عاوز إيه؟

- أنا هقولك..

وأمر رجاله بأن يقوموا بتفتيش السيارة وأحضر له أحدهما حقيبة بشرى الثمينة..
فتحها وذهل مما بها بينما لسانه يردد باندهاش:

- أووووه.. ده كده الباشا هيفرح أوي.. دول تمن الفلوس اللي عليكم وزيادة حبتين..
وتدخلت بشرى زاعقة به بينما كانت تتجه نحوهم لولا ذراع عمر التي قيدتها ومنعتها من
الاقتراب..

- سيب شنطتي يا حيوان وإلا هوديكم في ستين داهية..

واستدار لها عمر ناظرا لها بغضب.. تلك الحمقاء مكانها لا يجب أن يكن بين البشر
الطبعيين.. يجب أن يقومون بحبسها بقفص حديدي طالما هذا العقل معطل ولا يعمل..
ألتك الدرجة تفتقد تقدير المواقف!

والآخر كان يرمقها بنظرات مختلفة..

وحقة على أقل تقدير ومعجبة بشراستها ولسانها الطويل..

وفجأة اقتحم آذان كلاهما جملته الأخيرة وكان يقولها بنبرة مقززة:

- وعاوز الحلوة دي كمان..

والثلاث رجال الذين كانوا معه التفتوا له بتعجب متفاجئين بما قاله.. لقد أمرهم ولي
نعمتهم بعدما أخبروه بأمر خروج بشرى من المنزل بشكل أقرب إلى الهروب بأن يأخذوا

منهم ما معهم من أموال وفي حالة عدم كفايته يعودوا له بهم كي يأخذ هو حسابه بطريقته الخاصة..

ولكن طالما معهم ما يسد ديونهم وأكثر فلماذا يريد الفتاة إذا! وشعور داخلي ملاً صدرهم بأن الأوضاع لن تمر بسلام أبداً..

وأما عن عمر فلو كان صامتاً حتى الآن سيكون بسببها.. لا يريد التهور فيتسبب بأذى لها بالمستقبل..

يقيده وجودها معه ولا يتمنى أن شيء الآن غير أن يرحلوا وبعدها سيعلم كيف يلحق تلك المعتوهة درساً لن تنساه طيلة حياتها وحينها ستفكر ألف مرة قبل أن تقترب من محيطه.. تقدم أحدهم ليخبر صاحب النظرات الوقحة بصوت خفيض وكان يلومه:

- يلا نمشي..

وكان تجاهله متوقعاً.. غمز لبشرى بطرف عينيه بعدما اقترب منهما فتوالت هي خلفه وارتكز الرعب في كامل أوصالها..

توقف عمر أمام بشرى تماماً ثم قال له محذراً:

- اسمع كلامه وامشي..

وهو قال له بابتسامة مقرزة:

- مالك محروق كده ليه ياعم؟ المزة تخصني سيديها واتكل على الله..

وهو قال دون تفكير وبوجه قد أسود من شدة الغضب:

- على جثتي.. خذ الفلوس وارميها لسيدك إنما هي على جثتي تقرب منها..
ولا يعلم لم يدافع عنها.. أهل هو بسبب بقايا شهامته والتي لا تختفي على الرغم من
مستنقعات القذارة التي يغرق بها!
أم أنه بسببها هي بالتحديد؟!

هو لا يملك الوقت كي يفند ويحلل مشاعره ولكنه كان خائفًا عليها عن حق..
وليس الآن من البداية جدًا يمتلك شعورًا لا إراديًا بحمايتها وردعه لها بكل المواقف كان
لأجل إبعادها عن طريقه وكى لا تتحرق بالنار وتنتهي وتحول لمطاردة مثله تنتظر الموت
بأي وقت ولحظة..

هو كان يحاول حمايتها على الدوام بقسوته عليها وبوأسد أملها به والآن سيحميها ولو كان
اثمن روحه وإلا لن يسامح نفسه لو تأذت شعرة منها..

وأما عن بشرى فقد توقفت كل حواسها عند جملة..

" هي على جثتي تقرب منها "

هو يحميها ولو سيفديها بنفسه..

هو يهتم بها.. يهتمه أمرها.. يراها..

هي ليست كائن مهمش كما اعتادت أن ترى نفسها بعيون الآخرين..

هو.. هو.. فارسها..

توارت خلفه أكثر.. هي الآن مطمئنة بوجوده.. الآن هي فقط تعيش وتنفس وتحيا..
الآن وجدت نفسها التي كانت على الدوام ضائعة منها.. نفسها التي تاهت بين أب يحب

أخوتها أكثر منها وبين أخت تحبها وتكرهها بنفس الوقت وبين أم لا تستطع مساعدتها رغم علمها بتمزقها وسطهم..

- بقولك أبعد عنها يا بني آدم وامشي وخلي اليوم يعدي..

وكان هذا صوت عمر الصارخ بوجه الرجل المجهول والتي تحولت ملامحه لأكثر شراسة.. لا تعلم كيف تطور الأمر ليصل لشجارهما فهي فجأة وجدت عمر ممسكاً بتلابيه وعينه تحذره بالاقتراب ولو خطوة واحدة..

وبالنهاية دفعه بعيداً عنه ثم أشهر سلاحه وصوبه ناحيته ومن طريقة حديثه كان يبدو أنه لا يمزح أبداً وأنه سيطلق عليه النار لا محالة..

تدخلت بشرى وأمسكت يد عمر بارتجاف وخوف وصل كسيول عصبية لمنتصف قلبه ومنحه قوة إضافية كي يدافع عنها ببسالة..

وقبل أن يتحرك نحو الثلاث رجال أوقفه الرجل بمسدسه بينما يقول:

- طالما على جثتك يبقى هاخذها بعد ما روحك تطلع يا....

وهي ترجمت الكلام بعقلها بسرعة الصاروخ..

هو سيموت..

هو سيرحل..

هو سيتركها..

وهو باختصار ما تملك بتلك الحياة..

هو الوحيد الذي معه تشعر بأنها إنسانة من لحم ودم ومعه فقط ينبض قلبها فرحاً من وجوده بحياتها ولو كان ينهرها على الدوام والوحيد الذي يفهمها بهذا العالم..
عمر يعد مفهوم الحياة بنظرها وعدم وجوده معناه انتهاءها هي الأخرى..
عمر الحب والنبض والعشق والنفس الذي يخرج من صدرها..

فجأة بعد أن كانت متوارية خلفه تلقائياً أصبحت أمامه لتستقبل الرصاصة بصدرها
عوضاً عنه وسقطت بين ذراعيه لتتعلق عيناها به رغم أن روحها تنسحب من جسدها
ببطء ولكن قبل أن تنطفئ اللوعة بين جفونها كانت مقلتهاها تهمسان بسكون ما قبل
الرحيل..

" أحبك "

ولا يهم موتها فطالما هو بخير، يعيش ويتنفس سيظل قلبها يخفق من أجله ولو من أعماق
أعماق الأرض..

الفصل السابع والثلاثون

هناك أوقات نشعر فيها أنها النهاية ثم نكتشف أنها البداية،
وهناك أبواب نشعر أنها مغلقة ثم نكتشف أنها المدخل الحقيقي...

د/ إبراهيم الفقي رحمه الله..

" الحياة مليئة بالمفاجآت "

جملة طالما نسمعها، نردها، ننشدها وأحياناً نهابها..
وفي النهاية لمفاجآت الحياة رهبة وطملة ووقع خاص بها..
ولكن ماذا عن مفاجئتها هي الخاصة؟
وجودها أمامه بوقت متأخر من الليل وأبعد ما يكون عن توقعه..
لقد صدمته حقاً بوجودها أمامه.. اندهش بالفعل من حضورها ولسانه قد وضع عليه
لجام من نار فلا هو يتحدث أو حتى يكتبني بمحاولة..
مازال رغم دهشته حائق عليها، متأثر بما حدث آخر لقاء جمعهما وبمجرد أن رآها اندلعت
نيرانه من جديد داخل صدره هذا إن اعتبرنا أن سكونها كان يعني نهمودها..
وماذا... ماذا عن اشتياقه لها رغم غضبه البالغ منها!

مازال ساحرته حتى ولو قرر الجفاء..

متمردته ولو كان يفكر بالابتعاد..

حبيبته.. رغماً عن أنفه وعن أنف كل الظروف والتفسيرات..

رغماً عن المستقبل الذي كان مؤخراً لا يثق بوجودها ضمن حدوده..

أتلك مؤامرة؟!

غضبه واشتياقه اجتمعوا عليه وسلبوه القدرة على فعل أي شيء فبات بقسوة الصخر ونال صمته أيضاً..

وهي لم تفعل أي شيء، للوهلة الأولى حيال صمته ولكنها اعتصرت قبضتها وأكلت فرغبتها باستعادته الآن، اشتياقها لوجوده وضعفها في بعده أقوى من أي اعتبار أو مشاكل قد تركت داخل نفوس كلاهما أثر ليس بالعادي أبداً.. وهو.. هو يستحق أكثر من مجرد محاولة منها تراضيه عن طريقها..

- إزيك؟!

وضع يديه على وجهه ليتنهد بعدها بصمت وفي النهاية وجد نفسه يخبرها بآلية:

- الحمد لله.. وانتي؟

والإحباط يبدو قد انتقل إليها لذا تفوهت بحشرة خفيفة ونبرة حاولت قدر الإمكان

الحفاظ على ثباتها ولكنها قد اهتزت رغماً عنها:

- مش عارفة.. يعني تقريباً كويسة..

وكانت مازال تتحدث..

- أخبار السفرية إيه؟

- الحمد لله..

- والشغل؟

- ماشي الحال..

- وطنط وأونكل؟

- كويسين..

اللعنة ما باله يتحدث بآلية وكأنها غريبة عنه؟!!

تلك الرسمية التي تغلف حديثه قاتلة عن حق، جامدة ومميتة وهي لم تعتد منه سوى على الحنان والتفهم والدفع الذي قتل جمودها وأحيائها بيوم من الأيام من جديد.. تنهدت وقررت انهاء ما بدأت فتلك المشكلة يجب أن تنتهي اليوم وفوراً قبل أن تفقد عقلها هي بالمقابل..

- رجعت إمتي؟

وهو صمت قليلاً ثم تحدث بنفس النبرة والآلية:

- أول امبارح..

وكان السؤال حتمياً:

- وأنا آخر من يعلم مش كده!

وهو أغمض عينيه.. لا يريد أن يحزنها، أن يجرحها ولكن ماذا يفعل بشكه بانتماء قلبها لرجل آخر كان هو العشق الأول والفرحة الأولى وله الدقة الأولى والاعتراف الأول لذا لا يستطيع التخلص من قيده رغماً عن خيائته وعن موتها هي بالمقابل.. ولو أظهرت هي له غير ذلك ولكن للقلوب أحكام أخرى لا تدرج تحت سياسة المنطق والأفضل وهذا ما لا يرضاه على نفسه أبداً..

- ملحقتش بس ..

- ياسر هو فيه إيه؟

وخرجت منها تلقائية وأظهرت مدى نفاذ صبرها بينما هو قد استدار بجسده ناظراً للباب ثم عاود للنظر نحوها وكانت تتحدث بجدية:

- ماشي..أنا تفهمت ردة فعلك والي قولته وقتها وعارفة أن الموقف مكنش سهل علينا كلنا بس اللي مش قادرة أفهمه البعد اللي قررته والسور اللي عمال تبنيه وتخنقني جواه.. وسألته بحسرة وبدموع بدأت تشتعل وسط ظلام عيونها:

- هو ده كان وعدك ليا؟..هي دي مش هسيبك أبداً وقصاد أول اختبار كله الكلام اتبخر!

ليفتح ياسر عينيه على اتساعها!..تتهمه بكل بساطة بينما هي المذنبه.. هي من قهرته..

علت نبرة صوته والغضب صنع من ملامحه سكنى والحديث خرج دون تفكير ووعي.. - فيروز متضحكيش على نفسك إنتي بتخ...-

لا لن يقولها..لن يجرحها هكذا مرة أخرى..لن يتجنى عليها بتلك الصورة.. ألا يرى أنها جاءت إليه!..كي ترضيه؟ ألم يلح مشاعرها التي لاحظها الجميع عداه في دموعها!

ألتلك الدرجة جواد الغيرة والشك أعمى! حتى الأعمى يرى ..يلاحظ ويشعر وهي تعرف ذلك خير معرفة فماذا عنه هو؟ بل من بات هو؟!

لم تجد نفسها بعد أن بدأ جملة القاسية سوى أن تقاطعه رغم تدافع أفكارها لتخبره وقد خرجت الدموع من سجن مقلتها بمنتهى الحرية..

- ياسر أنا مبهتس بحبه و حياة بابي اللي هو أغلى حاجة في حياتي أنا حتى مش بفتكره بيني وبين نفسي..يومها كان أول مرة أقابله فيها بعد الحادثة وهو خلاني استعيد اليوم اللي اتدمرت وانتهت فيه مش أكثر..دموعي اللي انت اعتبرتتها حينن ليه كانت حاجة أبعد منها كثير..

وأضافت ودموعها ازدادت:

- كنت حاسة إن نفسي صعبت عليا يا ياسر..أول ما اعتذر حسيت إن نفسي صعبت عليا قوي وإن نظري مكانش تمن لخيانته وإني كنت عامية من يوم ما اخترته.. وهو رق لحالها..تظل لدموعها التأثير الأقوى عليه ولكن ربما هي نفسها لا تشعر بما شعر به ورآه هو..

أخبرها بنبرة خاوية من أي معالم كحاله:

- فيروز.. إنتي عرفتيه من قبل ما تشوفيه..حسيتي بيه..ده شيء طبيعي في نظرك!!..أقولك أنا!!..انتي عرفتيه لإن الحب الفظيع اللي بينكم خلاكي تحسي بيه من غير ما ينطق.. وهي وضعت يديها على أذنيها..هل يظنها إلى متى ستتحمل استجوابه؟..إلى متى سيقفلها بحديثه المفعم بالشك وبأفكاره التي يظنها وحدها الحقيقية والجميع على خطأ!

- ياسر..بس متكلمش..متكلمش..

وبكت..بكت بشدة وهوان وضعف و....احتياج إليه رغم أنه مسبب أساسي لتلك الدموع..

وهو جمده حالته..آخرسته دموعها..

بات تأثماً..أظلمها؟ أم أن دموعها كانت بسبب صحة كلامه ولأن الحقائق دائماً مزعجة!

وفاجئته بالقول بعدما التقطت أنفاسها لتسيطر على دموعها وتتمكن من الحديث، الدفاع والنفي..

- أنا شمت البرفيوم بتاعه محستش بيه ولا حاجة.. طبعاً إنت دلوقت هتقول إزاي فاكراه بس أنا مش هقدر أمحي حياتي اللي فاتت وطفولتي وذكراياتي بجرة قلم..
والآن حسناً لقد وضحت الرؤية.. لم تشعر به كما ظن ولكنها اشتمت رائحة عطره والمفترض أن يرضى.. أن يسعد ولكن لم يحدث.. أساساً قد شعر بكلامها أن غضبه قد ازداد الضعف..

كيف له أن يتحمل!.. صورته التي في ذكرياتها! وبالأساس وجوده ضمن حياتها ولو نالت لقب سابقة..

ولكن ألم يكن يعلم من قبل!.. قبل أن يتقرب وقبل أن يخوض الحرب ضد استسلامها لليأس!

بلى كان يعلم ولكن ما كان لا يعلمه هو شدة صعوبته وقسوة تحمله..

وبينما كان هو يصارع أفكاره كانت هي تذوب من صمته..

تتناثر أشلائها أمامه وتتبعثر روحها حوله..

وكرامتها.. يا الله إلا كرامتها.. هي لم تسمح لأي شخص بأن يهين كرامتها مثلما يفعل هو الآن معها..

لقد جاءت إليه تشرح له.. تبكي جفاهه وتنشد سماحه رغم أنها هي ضحية عدم ثقته بها وشكه لا هو..

وفي المقابل هو يتهم، يشكك ويصد فتتجمد..

وقبل المزيد من الانهيار وجدته ينتشلها ويستقر بها داخل أحضانها!
لم يتحمل ما فعلته.. وكان ذلك بمثابة صفة له..

عن ماذا هو يفكر وبأي شيء يحاسب بعدما جاءت إليه؟! وكيف يسمح لنفسه أن
يحزنها ويقهرها بتلك الصورة حتى تتركه وترحل دون مساعدة منه وتضيع وشحوب وجهها
يزداد بصورة بشعة!

كيف يضعها بنفسه وبسبب غضبه منها في موقف كهذا!
أزاد من احتضانها مستنشقا خصلاتها بقوة.. يقربها من قلبه كي يحميها من هالة التيه ويحكي
الخوف من جسدها الذي ينتفض تحت ذراعيه وكي يلبي رغبة قلبه المشتاق إليها..
بينما هي لم تعد تسيطر على دموعها لئب تلقي فيه وفي النهاية استسلمت لاحتوائه لها
لتحتضنه هي الأخرى بذراعيها وتشب على قدميها لتستقر رقبتها على كتفه الأيمن ويديها
التفت حول رقبتها بالكامل كإعلان صريح منها أنها باتت منه وهو منها ولا فائدة للوع أو
الفراق أو أي حسابات تخص كرامتها أو كبريائه..

ولكن التصريح لا يصح بالصمت فلقد اكتفت منه وحان وقت الحديث..
وهو.. هو بات ببساطة كل شيء.. النور وسط كل هذا الظلام.. هو النبض، الحياة هو
المستقر والسكن..

هو... الحب..

تحرك لسانها ليترجم مشاعرها بتلقائية تسببت في سيلان دموعها على رقبتها:

- ياسر أنا بحبك.. بحبك قوووووووي ومقدرش أعيش من غيرك..

ليتصلب هو فجأة وتنشج رقبتها تحت أصابعها لتزيد هي من احتضانها له ثم تكل حديثها

مخبرة إياه بلوم:

- متعملش فيا كده..أوعى تسبني تاني..مش هقدر بجد..

لتغلق هي صفحة عادل من رأسه تماماً بعد اعترافها له وتشبثها به ومشاعرها التي وصلت إليه دون حديث وكانت الأقوى بالمشهد..

- معادش ينفع أبعد..خلاص اتدبست..

ولم يشعر بنفسه سوى وهو يتمسك بها أكثر، يدور بها سريعاً لترسم ابتسامة حية على وجهه وتبدل دموعها رغماً عنها من فرط سعادتها وتحل محلها ضحكات متصلة سلبت قلبه وعقله أكثر من ذي قبل..

وكان الصباح بالنسبة إليه بعيد جداً ومن أبعد ما يكون ولكنه مضطر، مجبور على الانتظار وبعد أن حل وأخيراً حادث إبراهيم وأخبره عن رغبته في التقدم لخطبة لفيروزه وهو بدوره روى لأبيه الذي يجاوره بالسيارة بطريق العودة للقاهرة عن ياسر صديقه وجاره وعن أخلاقه ونسبه والأهم حبه لفيروز وأنه سيكون خير سند ومعين لها بأزمته..

وبالطبع ابتهج وانفرجت أساريره..كيف لا يفرح وقد اطمئن أنها لن تواجه مصيرها وحيدة من بعده..كيف لا يسعد بل يطير من السعادة وهي وجدت من يكملها وستعيش حياة طبيعية مثلها كمثل كل الفتيات..

وهي غير..خوفه عليها غير وفرحته بها غير..

لقد عاش طيلة حياته ينتظر اليوم الذي سيسلمها فيه بالأبيض لمن يستحقها ويحقق وعده

لجويل زوجته والذي لم تطلب منه سواه وهي ترحل عن الدنيا بأكلها..
 ففي يوم زفافها سيشعر أنه قد أتم رسالته وسيفي بوعده لها..
 عاد برأسه للخلف تاركاً الابتسامة تصف مدى ارتياحه الداخلي وبهجته ولكن كالعادة
 وكأن تيار الفرحة ممنوع عليه التحرك باتجاه تلك العائلة فبعد اتصال ياسر بنصف ساعة
 تقريباً داهم هاتف إبراهيم اتصال آخر من حورية يحوي بكائها وصراخها المستيري وما
 استطاع تمييزه بصعوبة جملة وحيدة أصابتهم بالخرس..

"بشرى..بشرى بموت"

كارثة..مصيبة لا فارق..
 الاثنان يحملان نفس الأعراض..
 ذهول تام تمكن منه بعدما أجفلته ووقفت أمامه كي تأخذ الرصاصة عوضاً عنه وبعدها
 استلقت على ذراعيه لتودعه بنظرة أخيرة لن ينساها طيلة عمره قبل أن تغلق جفونها
 وتستسلم..
 حتى أنه من شدة صدمته كان يشاهد هروب الأربع رجال من أمامه بينما هو بعالم آخر
 لا يعي ما يحدث ما حوله..
 مازال أسيراً ومغيباً بفضل نظرتها القاتلة له..نظرتها المتمسكة به والقوية رغم صعوبة
 الموقف ودماؤها التي غرقت ملابسه ويديه زادت من تسمره وتجمده..
 وكأنها كانت سعيدة بموتها بين ذراعيه!
 وكأنها أخبرته بأنه طالما بخير هي ستكون كذلك..

وهو قلبه قفز من حدود صدره خوفاً عليها وبرغبة عارمة في انقاذها ولو كانت نبضات القلوب مسموعة لكانت سمعت نبضات قلبه تشكل جملة واحدة وحيدة..

ماذا فعلت أيتها الحمقاء! ماذا؟!

وحينها ترجم لسانه ما يتردد داخل صدره وبصوت على كان يدوى في الفراغ من حوله..

- ليه؟ عملي كده ليه؟ بشرى.. بشرى فوقى..

ثم وضعها جلس وقام بإسنادها على الأرض بينما وضع رأسها لتستقر على قدميه..فتح عيونها المغلقة ولكن لا تستفيق ولسانه مازال يصرخ منادياً عليها وهي لا تستجيب.. وبتلك المواقف الصعبة السيطرة على الدموع تعد المستحيل بعينه..

احتضنها ليقربها من صدره كي يستمع لنبضها..

رباه فلتحمها.. لا تعاقبه بها.. لن يتحمل أن تموت بسببه وهو من أدخلها من البداية لتلك الدائرة..

والنبض كان ضعيف، خافت يكاد يكون معدوم ولكنه يكفيه أنه مازال موجود.. مازالت حية لم تموت..

حملها على ذراعيه ووضعها بسيارتها وانطلق بها لأقرب مشفى بأقصى سرعة ممكنة بينما عينيه كانت تتابعها كل فينة وأخرى وتفادى عدة حوادث كارثية باللحظات الأخيرة بسبب عدم استطاعته التركيز بالقيادة أو حتى بأي شيء..

أفكاره كلها تجمعت حول نقطة واحدة..

" ماذا سيفعل لو ذهب بها للمشفى وأخبروه أنها قد فارقت الحياة! "

وبتلك اللحظة خرجت منها همسة خافتة ضعيفة استطاع تمييزها بالكاد..
 "روز"

وهو لا يفهم ماذا تقول هي ولا يريد..يكفيه أنها مازالت لم تمت..مازالت ضمن الأحياء
 ومازال هناك أملاً يخص إنقاذها..
 وهو لم يقل سوى:

- بشرى..حببتي سامعاني استحلمي شوية خلاص هنوصل المستشفى..
 "حببتي!"

أصابته بتجمد ما بعد الإدراك..
 هل نطقها حقاً! والأهم هل كان يعينها أم أنها كانت مجرد كلمة عابرة خرجت من فمه
 بسبب خوفه وقلقه عليها!
 لا يعلم أي شيء..ما يعلمه أنها يجب ألا تموت..حتماً ولا بد وإلا سيعيش ملعوناً بها طوال
 حياته..

وصل لأقرب مشفى أخيراً وصرخ بطاقم التمريض كي يتعجلوا بإنقاذها وبسبب شهرته لم
 يتعطل كثيراً بسبب الإجراءات المادية وخلافه.

وأمام المشاهير التفاني في العمل يكن واضح وضوح الشمس والإنسانية تتخذ محلها
 الصحيح فأى إجراءات يتحدثون عنها بحق الله أو حتى أي محاولة منهم برفض الحالة
 بسبب خطورتها أمام عمر سليم والذي من نظراته لهم علموا أنهم من الممكن أن يقاضهم
 بل ويذهب خلف الشمس وينفيهم عن الوجود في حال أصابها مكروهاً بسبب تلگهم
 أو إهمالهم..

" ادعولها "

كان هذا رأي الطبيب المعالج بعد أن سأله عمر عن حالتها الصحية بوجود أمها التي أتت مهرولة منذ قليل فقط ولا تفهم ماذا يحدث ولا إلى أين ستصل الأمور ولا حتى تعلم هذا الرجل الذي يحدث الطبيب ويسأله عن ابنتها لتنال هي حالة عدم الاستيعاب بينما هو نال الصدمة بأكملها.. وحينها استعادت بعض من وعيها المغيب لتنظر لعمر بعيون قد انتفخت من كثرة ما تجمعته فيها من دموع ثم سألته:

- هو إنت بتتكلم عن بشرى محي الدين أبو العز! ونطقت الإسم ثلاثياً وكأنها تبحث عن أي فرصة تنفي بها عن طريقها ما استمعت إليه آذانها وما رأته بوجه الطبيب المنكس الذي قال الكلمة بكل احباط ويأس وكأن موتها قادم لا محالة وعليهم أن يستعدوا لهذا الاحتمال الأقرب إلى الحقيقة..

- أيوة..بشرى..

وأضاف بتأكيد وبعض التيه:

- بشرى..

بينما هي قد اقتربت منه أكثر والترقب كان يشكل أحرف كلماتها:

- حصلها إيه؟

والسؤال التالي قد تم بتره من فم أم لا تحتل خروج كلمة " الموت " عبر شفاهها أو حتى احتمالية أن يدق باب عائلتها..

- هي هتم!

وهو لم يقل سوى:

- ادعيها..

مرة أخرى تستمع لتلك الكلمة.. رباه ماذا يحدث؟!.. أألن يشرح لها أحد؟! أألن يساعدها أحد..

وفي الحقيقة أن قدرها المشترك وقع مع رجل غريب لا تعلم عنه أي شيء ولكنه يبدو أنه يملك جواباً لأسئلتها لذا أمسكته من ذراعه وهو كان يعلم ماذا تريد وعن ماذا ستسأل وهو ليس بمستعد الآن..

بالأساس عقله بالداخل.. بتلك الوحيدة التي تصارع أشباح الموت الآن.. لم يشعر بنفسه سوى وهو ينتزع ذراعه من يد حورية ثم يتجه لغرفة العناية فاتحاً إياها رغماً عن الممرضة والتي أمرته بالخروج ولكنه تركها تزحف وجلس على المقعد لبشرى وقال لها دون أن ينظر لها:

- خمس دقائق بس وهاطلع.. خدي الباب واطلعي..

والأخرى فعلت ما طالبها على مضض وأغلقت الباب خلفها باستسلام ورحلت لتترك له المجال كي يتحدث ويخرج ما بجعبته ففي النهاية ما سيسمعه عبارة عن مجموعة أجهزة وأسلاك متصلة بجسد غائب عن الحياة..

أمسك يديها ولمس برودتها.. وعينيه لاحظت زرقة شفيتها وشحوب وجهها المخيف والغريب أنه مازال يشعر بلزوجة دمائها بين كفي يديه..

رباه إنها تبدو كالموتى.. تبدو وكأنها رحلت لتترك ذنبها يعلق برقبتة مدى حياته..

رحلت بصورة ستجعله سجين لها مدى الحياة..

قام بفرك أصابعها بأصابعه وكأنها محاولة منه في إعادة الدماء والحياة لأوردتها مرة أخرى ثم أخبرها بنبرة حملت صدمة اليوم بأكملة بداية من اتصالها به لشجاره مع أحد رجال الأهواني ليشهر المسدس بوجهه فتفديه هي بروحها بعدها..

أخبرها بعد فترة صمت قد طالت:

- تعرفي.. أنا عملت كل حاجة غلط ممكن تتخيلها ماعدا حاجة واحدة..

وأضاف بعدما ضغط على أصابعها:

- عمري ما أذيت حد.. كل ضرر كان يكون لنفسي وكنت مستعد استحمل اختياراتي لحد ما آخر نفس ليا في الدنيا يطلع..

ونبرة صوته قد علت والاستنكار بخصوصها بات زيادة عن الحد المسموح..

- ليه؟..ظهرتي في حياتي ليه ومرضيتش تطلي ليه رغم كل اللي بعمله معاكى وكان جاية في الآخر تنقذي حياتي عشان تكلمي عليا!!

والنظرة القاتلة خاصته مازالت تداهمه ودموع قد هربت من بحيم عينيه ترثيا..

- اوعي تموتي..مش هسمحك..إنتي عملي فيا إيه..لخبطيلي حياتي..تعرفي إني ما قررتش أسيب الأرف اللي ماشي فيه إلا بعد ما لقيتك دخلتي فيه..

واقترب أكثر بمقعده منها ووضع رأسه على كف يديها التي مازال متشبثاً بها ليكمل اعترافه لها وكأنها تسمعه:

- بقيت عاوز أطلعك من المستنقع ده بأي طريقة وساعتها كرهت أوي نفسي وكرهت البوكر وقررت أطلع أنا كمان وأسدد ديوني بأي شكل..إنتي عالجيتني من حاجة بقالي سنتين مش عارف أطلع منها وخسرت ناس كتير عشانها بسببها وأولهم بيتي..

وتنهذ ليستطرد:

- بس جنانك وطريقتك الغريبة في إنك تتقربي مني وإصرارك على ده واللي كنت بقابلهم بإني أصدك عشان أحميكي من نفسي قبل أي حاجة رجعوني واحدة واحدة لعمر القديم اللي لسه عنده شوية قلب وإنسانية ويحس مش الثاني اللي كان لا فارق معاه ولا أي حد ولا أي حاجة وكل اللي يفكر فيه الكورة اللي خسرها وخسر نفسه معاها.. إنتي عارفة رغم إني كنت بصدك إلا إنك كنتي دائماً بتقترحي تفكيري..عاوز أخلص منك بأي شكل وفي نفس الوقت بفكر هل لو كنت قابلتك في ظروف مختلفة كان ممكن أحبك!!

والسؤال منه والإجابة منه أيضًا فالطرف الثاني مستسلم وغائب عن الحياة..

- فكرت كتير ولقيت إنه صعب..يمكن إنتي مختلفة في نظري عشان ظهري في أسود أيام حياتي وكنتي مصرة تقربي رغم إن الكل كان يبعد وعلى فكرة أنا فاهمك من غير ما نتكلمي..تعرفي إنتي كنتي بتصرفي كده ليه!..أنا هقولك..إنتي لقيتي فيا هروب من حياة مش عاوزاها ومن ناس مش حابة تكوني ضمن حياتهم وكنتي مستعدة تعملي أي حاجة عشان تستغلي حالة الهروب دي حتى لو كانت هتضيعك..عنيكي فيها جرح كبير وفيها دموع مستخبية مش راضية تنزل وفيها حاجة بتصرخ وبتقولي إلحقني يا عمر وكل ما كنت بشوف الحاجة دي بتكبر جوة عنيكي كنت بخاف استسلم ليها أكثر..

وتنهذ مازال يلف ويدور بالحديث حول نقطة واحدة يهرب منها كعادته ولكن لم يعد هناك وقت. فالأعمار من أقصر ما يكون وهو بنفسه اختبر ذلك منذ لحظات..

وماذا عن لو ماتت قبل أن تعلم الحقيقة التي كان يخبئها عن نفسه قبل الجميع؟!..ماذا

سيفعل!!

تنهد ومسح يديه المتعركة بفضل التوتر والقلق عليها على صفحة وجهه ثم أخبرها:

- أنا..أنا بحبك باين ولا إيه..

وأضاف بعدما أمسك يديها وحاصرها بكفي يديه تلك المرة:

- أوعي تمشي وتروحي في أي حطة فاهمة..أنا موجود ومستنيكي ومش هعرف أعيش من

غير واحدة مجنونة زيك..

ثم ترك يديها وخرج من الغرفة مندفعاً فجأة ليجد حوله مجموعة أشخاص لفت نظره أن

كان من بينهم امرأة عمياء ويبدو أنهم عائلتها وكانت نظراتهم الصامتة تسأله عن تفسيراً لم

حدث لها ووسط كل تلك النظرات آتاه شخص انقض على رقبته ممسكاً بتلابيبه وكان

يعلم أنه هو نفسه عمر سليم اللاعب السابق للنادي الأهلي وما لا يعلمه هو ما علاقته

ببشرى وماذا حدث البارحة تحديداً وهذا الشيء يثير جنونه ويكاد أن يفقده عقله..

سأله غاضباً:

- إنت عملت إيه في أختي؟

ليقتحم صوت آخر لفتاة جاءت من بعيد ركضاً إليه وكانت علا ثم أمسكت ذراع

المعتوه الذي كاد أن يختنق أخيها ثم أخبرته زاعقة وبعيون شرسة ومحدرة:

- إبعد عنه يا بني آدم..هي اللي نزلته في نص الليل من بيته واحمد ربنا إنه بعد الفضائح

اللي عملتهاله لحد دلوقت هو مرضيش برده يتخلى عنها..وكان جاين تحاسبونا لا سبحانه

الله بجد..

لينظر هو للخلف موجهاً نظراته الحانقة لها بينما هي نكست رأسها نجلاً..تعلم أنها قد

تطاوت بالحديث ولكن ماذا تفعل!

هي هكذا تتحول وتمتلئ شراسة وتخرج أنياباً طالما أخيها بالموضوع..

والآن هي قد منحته دون أن تعي دوراً بطولياً جعلهم يصدقون نصف الرواية التي رواها لهم..

هي أرادت الهروب فحادثته وهو طلب منها العودة للمنزل ولكن لسوء الحظ تعرض لهم قطاع طرق أخذوا حقيبة المجوهرات وكانوا يريدونها أيضاً وبسبب رفضه أرادوا قتله ولكنها جاءت أمامه وأخذت الرصاصة بدلاً منه..

هل تحدث عن دين القمار؟! والأهم عن طريقة تعارفهما؟!

بالطبع لن يتحدث فلو علم أهلها أنها سلكت هذا الطريق المهلك بسببه لن يجعلوه بجانبها دقيقة واحدة زائدة..

وهو.. هو لن يتركها مهما كان..

حينها نظرت أسما لفيروز وقالت لها:

- روز تعالي اقعدى..

وكانها طفلة تخشى أن نثوه منهم وسط الزحام وفيروز اعتادت تلك التصرفات مؤخراً ولم تعد تأخذها بحساسية كما السابق..

استجابت لها وتوقفت بعد سمعت لصوت أحدهم يناديها:

- إنتي روز؟! بشرى قبل ما تغيب عن الوعي فاقت بتنادي عليكي..

لتسمر هي مكانها واللون الشاحب يحتل وجنتها فجأة!

عشرة أيام من سعي..

هي مازالت رافضة العودة وهم سيموتون بسبب إحساسهم بالذنب..

وخاصة محي..الأب..السند..الدعم...و...و...القاتل..

نعم لقد اكتشف ذلك ولو كان متأخراً بسبب جملة قالتها له في لحظة انهيار وقهر على ابنتها النصف حية..

"إنت السبب يا محي..هي كانت بتصرف كده عشان تلفت نظرك إنها موجودة وعالشة

وأنا كمان السبب عشان معرفتش أحميها من ظلمك ليها وتفضيلك على روز عليها"

ومن ذلك اليوم وهو يجلس بأبعد زاوية عنهم..يتأملهم جميعاً ويراقبهم بعيون مليئة

بالحسرة وشعور بالذنب تحول لها جس وحرمة النوم بل وحرمة التنفس والحياة..

كل شيء حوله يخنقه.. كل نظرة منهم يستشعر اتهامها ولو كان مجرد وهم بخياله وحده..

والأهم من هذا كله باله المشغول على ابنته والتي مازال يراها كطفلة صغيرة تتحرك

وتركض حوله..

متى كبرت؟! بل ومتى حاسبته بخيالها؟!

هل كان مخطئاً بعقابه الأخير لها والذي أدى في النهاية لكارثة حقيقية؟!

ولكن ما المفترض منه أن يفعل بعدما اعترفت لهم هي بأنها رصيد البنك خاصتها قد

استهلكته بلعب القمار! ما المنتظر منه أن يفعل حيال تصرفاتها المريبة تلك؟!

ألا يعاقب الآباء أبناءهم؟! حتى أنه لم يقم بضربها فهو لم يفعلها مع أي من أبناءه وحتى

وهم صغار فهل سيفعلها الآن؟!

لقد رأي بأن حبسها بغرفتها سيعيد إليها عقلها ولكن لقد جاءت بنتيجة عكسية فربما هي

كانت بحاجة أبسط بكثير..

" الاحتواء "

الآن فقط أدركت محي.. وهل نحن دائماً يجب علينا إدراك الأمور بعد انتهاءها!
لم دوما الصفحات تأتي قوية ومتأخرة وربما بعد فوات الآوان؟!
هو الآن لا يتمنى سوى أن تعود إليهم من جديد.. أن تفتح عيونها المغلقة تلك والتي لم
تفتحها ولو مرة منذ أن أزالوا الرصاصة اللعينة من صدرها..
وهمسة قوية خرجت من تنهيدة حادة من صدره تحوى كلمة من أربعة أحرف..

" يارب "

ورغبة عارمة في البكاء تسيطر على كل حواسه ولكنه صامد.. متماسك حتى إشعار آخر
أو حتى نفاذ الصبر وبتلك اللحظة أنه أسما مهرولة وقائلة بسعادة:
- بابا.. بشرى فتحت عنيا.. فاقت..

وهو نهض وتحرك وتوقف لبرهة مفكراً ولم يتحمل أكثر وذهب إليها مهرولاً دافعاً الجميع
من أمامه ليقبل يديها بدموعه مخبراً إياها بندم واضح:
- حمد الله ع السلامة..

وهي أومأت بعينها ممتنة وكانت تلك أقصى قوى تمتلكها بتلك اللحظة وكان محي مازال
يتحدث وخرجت منه الكلمة بعفوية ودون ترتيب:
- سامحيني..

لتسقط دموعها رغماً عنها وعن حالتها الضعيفة المنهكة..

وبالخارج كانت وحدها..تقف وتستمع إلى أصواتهم ولا تقبل التحرك للداخل
مثلهم..حسناً هي كانت طوال الأيام الفائلة قلقه عليها بل كانت على وشك فقدان
عقلها.. كانت طوال الليالي تدعو وتبتهل الله أن ينقذها ولكن بمجرد أن اطمئنت عليها
عاودتها مشاعر قديمة تخص ماضى ليس بالجميل يجمعهما وهدمار حل بها ومازالت تعاني
منه بفضلها..

وهي الآن تتعجب من نفسها..

هل السماح ثقيلًا على القلوب لتلك الدرجة أم أنه على حسب درجة الأذى؟!
وهي تأذت منها منذ الصغر بما يكفي حقًا..

جاورها ياسر والذي كان سينال لقب الخطيب لولا الظروف على مرأى ومسمع
أسماء..ناولها زجاجة مياه شربت منها هي القليل ثم أخبرها:
- حمد الله على سلامتها...

وهي كانت مازالت شاردة..تفكر وتحلل وتؤنب نفسها وبعدها تؤيدها وتعطيها كل الحق
بغضبها منها..

وأجابته بنبرة أظهرت مدى شرورها وتوترها الداخلي:
- الله يسلمك..

- مش هتدخليها؟

وهي صمتت لبرهة ثم قالت:

- هاه..شوية كده الدنيا عندها زحمة..

اقترب ياسر منها أكثر ليخبرها:

- فيروز إنتي لازم تسامحيا.. عشان تعرفي تعيشي لازم ترمي الماضي ورا ظهرك..

وهي تلعثمت بالقول مرددة:

- ياسر.. أنا.. إنت مش فاهم..

عن ماذا تشرح له.. عن طفولة عاشتها وحيدة بفضل صدها لها بكل الأوقات أم عن غربة كبرت معها بسبب تعاملها الحاد لها وتذكيرها بكل الأوقات بأنها فرع أبو العز الغير مرغوب به أم عن خيانة وحسرة قلب عاشتها كانت بتديير منها!

كيف بإمكانها أن تسكب أكثر من خمسة عشرة عاماً من دفتر حياتها بلحظة ولو أرادت؟!

أخبرها ياسر بتفهم:

- حاولي يا روز.. مين عارف يمكن..

واستغل شرودها وسكونها فأمسكها من ذراعيها وقادها إلى غرفتها دون أن يلاحظ تلك الساكنة التي تتأملهم بعيون دامعة لأكثر من ربع ساعة وكانت أسما.. أدخلها الغرفة فقالت بصوت متحشرج:

- حمد الله على سلامتك..

والأخرى اكتفت بإيماءة صامتة ممتنة من رأسها لم تصل تأثيرها لفيروز بالتأكيد..

وبصباح اليوم التالي عندما تمالكت بعض قواها طالبت برؤيتها.. قام أبيها بإيصالها إليها وأجلسها على مقعد قريب منها ثم أغلق الباب وتركهما سوية..

أخبرتها بشرى بمجرد أن رأتها:

- تعرفي أنا فكرت في إيه وأنا بموت؟!

واستطردت:

- فكرت فيكي انتي ياروز..

وسالت دموعها بغزارة ونبرة صوتها باتت باكية بشكل يرق له أي قلب بشري طبيعي :

- خفت أوي أموت قبل ما تسامحيني..

وأكلت بعدما مسحت دموعها بيديها:

- أنا عارفة إن اللي عملته كان....

وقاطعتها فيروز لتخبرها قبل أن تكمل:

- مسامحاكي..

وتحسست بيديها على مهداها حتى وصلت ليديها وأمسكتها بقوة لتخبرها:

- خوفتينا عليكى..

وهي سألتها بدهشة:

- سامحتيني؟!

وكانت فيروز قد سامحتها بالفعل من داخلها..لقد ظلت طوال الليل تفكر بما قاله ياسر

واتفقت في النهاية مع ما قاله لها..

هي لن تنال حياة طبيعية دون أن تلقي بالماضي خلفها وبشرى لن تولد من جديد سوى

بعد أن تلقي ذنبها عن كاهلها..

وهي تستحق أكثر من فرصة وليست واحدة فقط طالما يجري بعروقهما نفس الدماء..

قالت فيروز مؤكدة:

- سامحتك..إحنا مهما حصل هنفضل إخوات..اتحسني إنتي عشان نطلع من هنا..

وهي لم تتمالك نفسها واقتربت منها لتحضنها بقوة..
يا الله لقد حررتها تلك الرصاصة من أكبر ذنب أثقل كاهلها طوال الفترة الماضية وجعلها
تبحث عن حياة بديلة تهرب عن طريقها منه ومن كراهيتها لنفسها بسببه..
لقد أعادت تلك الرصاصة بناء حياتها من جديد..
نالت عن طريقها مساحة روز وقرب أبيها وقلب عمر..
ماذا ستريد أكثر؟!

حقاً خلف كل شر خير.. وهي كانت طوال حياتها تبحث عن فرصة تعيش عن طريقها
وهم لم يساعدوها أبداً وربما كانت هي السبب فبسبب لسانها الحاد مع الجميع هجموها عليهم
من غيظها كانت قد وقعت بيديها صك البعاد والوحدة والآن هي استفاقت.. تحررت
ووجدت فرصتها وستتشبث بها بكامل قوتها..

وليتها تنجح..

ما هو الحب؟!

ما هو التعلق؟!

ما هو الألم؟!

كلمات وردت بقاموس حياتها آخر فترة وتسببت في تشتت فطيع وجداني ونفسي وكل
التعابير المشابهة..

كلها يطالبها العقل والمنطق بقرار حتمي يتدخل القلب لينحه التردد..
وكلها يقرر القلب يذكرها جسدها الذي أدماه وقتل خلاياه خلية خلية ودون رحمة..

وأما عن الألم فهو عبارة عن مسحوق قابل للذوبان منحه إياها على جرعات حتى اكتفت..

ماذا تفعل؟!.. يجب عليها أن تتخذ قراراً خاصة بعد خروج والدتها مروان من المشفى وانتهاء صلاحية حجتها..

والقرار سيخرج من فمها وحدها بعد أن قررت فيروز عدم التحدث بشأن هذا الموضوع لأنه غالباً كان ينتهي بانهيائها وبعد أن تعمد إبراهيم التعامل معها بكل سطحية وبرود وكأنه يخبرها بأنه سينفذ تهديده ويعتبرها غير موجودة في حال قرارها للبقاء معه.. وأما عن أبيها وأُمها ورغم غيابهم عن كل التفاصيل إلا أنهم بعدم سؤالهم عن زوجها الغائب منذ فترة يوثقون رغبتها بعدم ارتياحهم لتلك الزيجة وهي تعلم أنه من الأساس لولا إصرارها وإصرار إبراهيم ما كانوا سيسمحون لها بزيجة تملك!

وفي المقابل رأت فرحة أبيها بياسر.. سعادة فيروز لأنه موجود معها ويساندها بكل القرارات رغم ظروفها الصعبة.. مباركة أخيها لهذا الارتباط وبهجته لحدوثه..

حقاً للأهل نظرة خاصة يجب أن يأخذها بالاعتبار كل من هو معصوب بأمر العشق؟! وعاد عقلها للشروء بجملة طيبها التي اختتم بها حديثه آخر جلسة..

"هتقدري تسامحيه ده الأهم حالياً؟!"

وجواب هذا السؤال كان على شكل سكين وضعت في حقيبة يديها يضمن لها الأمان في حال تعرضه لها بأي شكل من الأشكال..

ياله من شيء يدعو للسخرية ويثير التعجب؟!

ارتدت ملابسها بشروء وكأنها ذاهبة لمنصة الإعدام لا لمنزله كما اتتوت.. استقلت سيارتها

وكانت تقودها بمنتهى البطء وكأنها تريد تأجيل المواجهة قدر الممكن والإمكان..
صعدت الدرج وكانت مع درجة يزداد تعرق يديها وتضيق عيناها وتشرد أكثر..
وبمجرد أن فتح الباب ابتسم لها فلقد كان متوقعاً عودتها إليه بالقرب العاجل وحينها
داهم صمت المكان الذي بات يغلف حتى أنفاسهما صوت أمه المسنة التي كانت تناديه
من غرفتها بالكاد:

- مين يا مروان؟

وهي قال بعد أمسكها من ذراعها وأدخلها للداخل وهي لا تعلم لم تمكن منها الجمود
لدرجة الشلل والخرس أيضاً:

- دي أسما يا أمي رجعت وهتنور بيتها..

الفصل الأخير

"رد الفعل يجب ولا بد أن يكن على مقدار الفعل"

وفي حالته رد الفعل كان يجب أن يكن قتل، دمار وتعذيب نفسي وجسدي كالذي تجرعه على يديه من أجل انتقام أحق لا ناقة لها فيه ولا جمل ولكن رد الفعل خاصتها تأخر والسبب غير معروف..

ربما لأن القلب خائن للجسد وربما لأنه عبارة عن كتلة متشابكة من العقد لا تستطيع حلها مهما حاولت وربما لأن الضعف تمكن منها فجعلها كطير مسكين بات يصدق أن التحليق صفة خارقة يخشى تجربتها فينال سقوطاً مميتاً ولو كان فقط نظر لأجنحته لأدرك أنه من فصيلة الطيور!

وبتلك اللحظة كانت واجهة بدرجة زائدة عن الحد، مندهشة من الموقف ككل ويديها تتحسس موضع السكين بحقيبتها.. تتساءل..

لما جاءت ومتى بل وكيف وهل لو كان من أجل مواجهة فلم لا ينطق هذا اللسان ويحررها من ضعف يتلبس بها كلما كانت على مقربة منه.. خرجت من اسئلتها اللانهائية بعدما استمعت لأمه تخبرها بينما هي مسطحة على فراشها بود:

- حمد الله على السلامة يا بنتي ..

لقد باتت تشعر وكأن أسما تعويض القدر عن ابنتها التي ضاعت منها في خضام صراع

دام سنين مع المرض حتى امتص آدميتها..

كانت عينيها حنونة مثلها رغم الألم..ترغم نفسها على الابتسام كي تقاوم الدموع وما يقهرها أنها تشعر أن سبب عذاب تلك المسكينة في الحياة هي ابنها البكر والوحيد ولكنها لا تمتلك سوى الصمت درباً ولعل الزمن يستطيع حل المشكلة التي بينهما والتي لا تعرف ماهيتها بعد..

لاحظت أن مروان أمسك يديها فانتزعتها هي بعيون متوترة وبنفس الوقت غاضبة ثم قالت فجأة:

- أنا لازم أمشي..

وهو توحشت نظراته رغم حضرة أمه بل وتعدى الأمر بأن جذبها من يديها بعنف دون أن يأبه بتلك الهزيلة التي تنادي عليه وتطالبه بالتفاهم معها وحل المشكلة بهدوء ظناً منها أنه خلاف عادي قد يمر به كل من ربط بينهما عقد زواج..

أدخلها الغرفة وأغلق الباب خلفها بالمزلاج ومؤكداً أن كرات دماء وجنتيها الحمراء لا بد وأن انفصلت عن مثيلتها البيضاء حتى أكسبتها هذا اللون وتلك السخونة..

وهو لم يبالي أساساً هو يشعر بالفوران بسبب تصرفها الغريب أمام والدته وتفوه بعصبية بالغة:

- جيتي ليه طالما عاوزة تمشي!! هاه جاية ليه؟!

وهي تراجعت عدة خطوات اختصرهم هو بعد أن أمسكها من ذراعها:

- أنا عارف إنتي جاية ليه..أساساً كنت مستنيكي فكفاية يا أسما كفاية أوي..

وكان يقصد بحديثه عن الاكتفاء تلك الدموع اللعينة الحبيسة داخل عرين عيونها فتزلزله

وكان يقصد أيضاً ردود أفعالها المذعورة منه والتي تذكره بحيوانيته هذا غير غفرانها الذي يعلم أنه رغم الحب صعب المنال..

- كفاية..أنا عارف كويس إنك بتحبيني..

وبينما هو يقاوم خزيه بنظرات مستوحشة وجهها نحوها كان ذراعها يتجمد رويداً رويداً تحت قبضته ولا مجال للسيطرة على دموعها بعد..

والدموع علامة القهر والقهر يجب ولا بد ومن المتوقع أن يصاحبه انتفاضة فلم الصمت يغلفها حتى ذابت هي من خلفه!؟

والحقيقة هي ذابت من شيء آخر.. تحللت روحها لتنفصل عن جسدها بفعل دمية كانت قد ابتاعتها له يوم نحرها..دمية تشبهها وتذكر يومها أنها قد أسمتها على اسمها..

والبكاء كان بفعل قوى جبرية لا اختيار منها فلقد أعادت تلك الدمية تفاصيل لم تحي رغم الأيام ولن تنسى رغم امتلاكه لسلطة القلب..

" أنا من ساعة ما قابلتك وأنا مسلبالك قلبي ومشاعري وكل حاجة.. بقيت ماريونت مروان ونفسي أنت كمان تكون ماريونت أسما "

رنت تلك الجملة بأذنيها لتستمع لدويها بوضوح وكأنها تفوهت بها البارحة..
تتذكر كل كلمة تفوهت بها كي تقربه منها..رغبتها في الوصول لقلبه وحبه وخوفها المبطن من غدره ولو كان خيالها لم يسعف حينها إلا فكرة أنه سيبتعد عنها بعدما تعلق هي بحباله..

وتفوهت بهمس لم يصله بالكامل فلقد كان أقرب للهيان:

- كنت باقول إن الحب من حقه يتحكم فينا وإن الصبح نسيب له اللجام، يتحكم ويؤمر

وإحنا نطيع.. نكون مجرد ماريونت ليه.. قررت أكون ماريونت ليك يا مروان بس
خلاص ما بقاش ينفع لا إنت من حقك تمسك الخيوط ولا أسما بقا فيها حيل للحب..
ومع نهاية جملتها استعادت أسوأ تفاصيل الليلة مازالت برودتها تسري بعروقها مجرى
الدماء...

تذكرت براءتها التي لوثها..

قلبها الذي كسره..

الحب الذي دمره..

قسوته التي مزقتها..

انتكاهها الذي عاشته لحظة بلحظة..

نظراته التي أرعبتها وباتت تلاحقها بكوايسها بعدها..

تذكرت نفسها التي كانت قبل معرفتها به ولم هي لا تشبه تلك الدمية المكسورة التي
تحولت إليها سوى بالملاح..

تذكرت بفضل الدمية كونها مجرد ماريونت كان يحركها بفعل انتقامه..

" طلقني "

وخرجت منها بطريقة تعادل هوانها أمامه، كسرة نفسها بفضلها وأطراف أصابها الشلل
بسببه وحتى أنها الآن أصبحت تتمنى أن تخرج السكين من حقيبتها وتغرسها بمنتصف قلبه
عل هذا العذاب الدائم اللانهائي والحصري عليها ينتهي بتوقف أنفاسه عن الحياة..
وفي المقابل كان هو يتبعثر من ضياع ملامحها ويموت غرقاً ببحر دموعها الذي لا يجف
ويقتله الندم بفضل الرجفة التي سرت بأطرافها عندما لمحت دميته معلقة بجائط غرفته..

يعلم بماذا شردت وماذا اشتيت..

يدرك حسرتها على براءة أسالها هو بدم بارد..

يشعر بالنصل الذي يخذش رقبتها ببطء شديد فلا النزيف يتوقف ولا الروح تخرج
وينتهي العذاب..

هو يعلم ويدرك كل هذا وليس الآن بل من قبل أن يرتكب تلك الجريمة في حقها
ولكنه مع تبدل الأوضاع ازدادت الأمنيات بشأن غفران توقع هي على صكه فينال هو
راحة ويمحي من رأسه بشاعة كوابيسه التي تلازمه في اليقظة قبل الحلم..
والأمنية تبخرت بفعل أسوأ كلمة قد يسمعها بحياته.. الآن تريد هي الانفصال عنه وتركه
بعدها وجد نفسه عن طريقها..

وتلك الحقيقة.. النقطة البيضاء خاصتها التي خبأها ظلت تقاوم مستنقع السواد حتى
تغلبت على جزء كبير أحقادها..

لم يبدأ بالتنفس والعيش إلا بعدما اعترف لنفسه قبل أن يعترف لها أنه بات أسيراً في
شباك حمقاء بعيدة كل البعد عن دهاء البشر..

نقية كالألماس وبريئة كالملائكة رغم معاشرتها لشياطين الإنس..

والآن تطالبه هي وبعد كل ما تنطق به عيونه تجاهها قبل لسانه بأن يتركها ويحررها من
عبودية حبه..

كيف تطالبه بهذا بعدما بات ابتعاده عنها يوازي ضياعاً زائداً وموت متوقع!!
- ما أقدرش..

ورد فعلها كان عفويّاً بدرجة مميتة.. لوت شفيتها بمرارة وسخرية ولسانها نطقها تلك المرة

بنبرة أقوى وأشد إصراراً:

- طلقني..

والدموع كانت من نصيبها والقهر من ناحيته.. قتل دميته وما زال يريد الاحتفاظ بها رغم تفتت مكوناتها!

- أنا خلاص مبعثش قادرة أكل دور ماريونت مروان..

وانفعالاتها باتت أكثر قوة وعنفوانينة بفضل قهرها من ردة فعله..

- لعبتك اتكسرت واللي اتكسر مش هيتصلح عارف ليه؟! عشان إنت بكل وقاحة بتقول ما اقدرش..

وهو اقترب منها.. وضع يديه على كتفها فأزاحتها.. رباه كيف يشرح لها.. كيف تفهم أنه هو أيضاً يتبرأ من هذا النذل اللي استمتع بتعذيبها من أجل انتقام أعمى راح هو ضحيته قبلها!

- اللي خلاك تدبح بالقسوة دي يجبرك تحاول تداوي الجرح اللي كنت السبب فيه.. مش يمكن البعد يخلي جرحي منك يلم!!

وهو قال بنبرة وازتها وجعاً وألم:

- ما اتعلمتش الطب عشان اداوي الجروح يا أسما.. ادوني مشرط واجبروني أجرب فتحت ولقيت نزيف معرفتش اتحكم فيه وأوقفه..

وهي تفوهت بإصرار:

- مطلبتش منك توقفه.. أصلاً إنت آخر واحد في الدنيا يقدر يعمل ده.. سيبه ينزف بس
ابعد وخليني أحاول أنا أداويه..

ومن بعدها شعرت أن أقدامها لن تتحملها دقيقة أخرى..

جلست على حافة سريره ويديها تحتضن وجهها لتستكمل وصلة بكاؤها المكتوم..

بكاؤها التي عزفت مع نبرة الوجع الحادة التي خرجت من حديثها لحن عذاب وحدها
من تستمع اليه.

لحن أسمهان..

تنفست بالكاد ومسحت دموعها مكحلة حديثها بإصرار:

- اعمل حاجة واحدة بس كويسة في حقي تخليني التمسك أي عذر وأقول يارب
ساعدني عشان أسامحه وأعرف أبدأ سطر جديد.. إنما كده ده اللي انا فيه ده اسمه تعذيب
وأنا خلاص تعبت..

وتلك المرة نطقت بها بمنتهى اليأس منه:

- مروان طلقني..

وهو طال صمته.. كان كلما يريد التفوه بها عله يمنحها راحة يجد فمه تلقائياً يغلق ولسانه
يتجمد..

كيف له الابتعاد عنها وهي باتت المتنفس الوحيد له!

كيف يسمح لخروج لنقطته البيضاء الرحيل من حياته للأبد بينما هي تمثل له الجيد الوحيد بتلك الحياة..

وكأنه متهم بالإعدام يأمرونه بان ينطق الحكم بلسانه وياله من تعذيب!
فهي النور الوحيد وسط غابات من السواد.. الأمل بين اليأس وطاقة الخير والحب
المزروعة بصحراء الجشع..

- انتي..

وأغمض عينيه ملصقا بها فرمان قتله:

- إنتي طالق..

الإسم: فيروز محي الدين أبو العز..

الزمان: بعد ستة أشهر..

المكان : الفور سيزون..

الحالة الإجتماعية: أعزب وبعد قليل متزوج..

الحالة النفسية: قمة التوتر..

والتوتر صفة تلتصق بأي عروس وبالنسبة إليها كان الوضع أضعافاً مضاعفة..

كانت تفرك يديها وهي جالسة على مقعد ما بحجرة الفندق بينما أسما كانت بالقرب منها
ممسكة بورودها البيضاء والتي وقعت بغرامها منذ أول طلة وظلت طوال الوقت تتأملها
وتشتم رائحتها بينما بشرى كانت أمام المرأة تكمل زينة وجهها فما فعلته خيرة التجميل

برأيها لم يكن لائقاً عليها فقررت هدم مجهودها والبدأ من جديد على طريقتهما..
سألت فيروز أسما للمرة المليون على التوالي هذا اليوم..

- طالعة حلوة؟!

وقالت أسما على الفور بعدما توجهت لها تلك المرة وجلست على حافة مقعدها لتحتضن رأسها:

- وربنا المعبود زي القمر..

وأضافت:

- روزيا حبيبي إنتي أصلاً قمر مش محتاجة يعني..

ضمت فيروز يديها وقالت بنبرة متوترة وواضحة:

- ربنا يستر..

وحينها دخل محي للغرفة وظل يتأملها بعيون دامعة لبرهة فوضعت أسما زهور فيروز على

الطاولة التي كانت بالقرب منها ثم قالت لبشرى:

- يلا بينا..

وأجابتها بشرى من خلال المرأة:

- لسه مخلصتش..

أمسكتها أسما من يديها بينما لسانها مازال يردد:

- تعالي كلمي في الأوضة الثانية.. أنا أصلاً مش عارفة مسحتيه ليه الميكب كان حلو جداً

وجديد عليكى..

توقفت بشرى لتسألها بتردد:

- بجد كان حلو؟!..طب أعمل إيه؟

- خلاص بقا اللي حصل حصل..

ثم جذبتها والأخرى كادت أن تتعثر بكعبها العالي ثم أغلقت الباب خلفها لتسمح للأب وابنته العروس بوقت بسيط قبل الزفاف على انفراد..

وقفت فيروز بمجرد أن استشعرت وجود أبيها وقالت بعدما ارتسمت على شفيتها ابتسامة سعيدة:

- بابي!

وتأملها هو بفخر..جمالها وكأنها هي التي أضافت للأبيض رونقه، تاج الملكات خاصتها أكسبها سحراً على سحرها ونجلها الذي أكسب وجنتها حمرة رائعة وسعادتها التي تنطق بها كل جوارحها..

ذهب إليها واحتضنها وكان لسانه ينطق ببطء:

- عيون بابي!

وخرجت عبرة وحيدة من عينيه تصف اشتياقه لها..هي جويل نصف روحه، من منحته مع قلبها أروع فتاة باتت اليوم عروس وسيزوجها في غيابها مع الأسف ولكن ورغم غيابها إلا أن عبقها يحيط بهما وفي أنوفهما..

- كان نفسي مامي تكون جنبي أوي انهاردة..

وما كان منه إلا أن يزيد من احتضانه لها ولسانه يتفوه بشرود:

- هي شايفانا..معانا وفرحانة أوي كمان أنا حاسس بيها..

ثم ترقرت دمعة صغيرة من عينيه سقطت على كتف فيروز فسألته:

- بابي!

وهو مسح وجهه بطرف عينيه ثم أخبرها:

- خلاص هتسبينا ياروز!

وهي قالت له مفتعلة المزاح:

- لأ أسيبك إيه وأنا أقدر وبعدين أنا وافقت على ياسر عشان شبك أصلاً..

وهو أخبرها مستنكراً:

- لأ مش شبني خالص على فكرة.. إنتي بتستهيلي عليا.. أنزل دلوقت أقوله معندناش بنات للجواز..

فأمسكت هي يديه بعدما ضحكت بشدة:

- خلاص خلاص.. أصلاً هو ما هيصدق عمال يقولي أنا اتدبست خلاص..

وسألها هو بعدما وضع يديه على وجهها:

- بتجبيه!

وابتسمت ابتسامة نجولة ثم قالت:

- عادي يعني..

وتأملها هو لبرهة ثم قال:

- على بابي!

فتفوهت هي وكان النجل طغى على نبرة صوتها:

- يلا يا بابي نزل بقا الفرح هيخلص وإحنا بنرغي هنا..

ثم تأبطت ذراعه ونزلت معه حتى سلمها لياسر الذي قبلها من جبينها ثم أخبرها بهمس:

- إيه القمر ده..

وكانت رغم ظلام عيونها مذهلة فنور قلبها المتيّم به كان كوقود ذاتي متجدد لهرمونات

السعادة بخلاياها..

فنكست هي وجهها وابتسمت ليتجه هو بها نحو القاعة التي خصصوها لعقد القران..

ظلت تفرك فيروز بإبهامها الذي صبغ للأزرق بعد بصمها على عقد الزواج.. حسناً هي لا تراه ولكنه تشعر بتغير ما طرأ عليه كالذي حدث لها فهي الآن باتت حرم/ ياسر الحريري..

دموعها لم تستطع السيطرة عليها وقتها وتجمعت كل الفتيات عليها يتبادلوا احتضانها حتى فسدت زينة وجهها تماماً..

يا إلهي ما أروع لحظات الفرح بعد طول العذاب!
دقات قلبها الآن تشعر وكأن دويها سيصل لآخر شخص بالقاعة وإحساس السعادة الذي يملأ جوارحها جعلها وكأنها طائفة وكأن قدماها ليست على الأرض وكأنها ليست معهم..

قامت أسما بعدما قامت بتطييب زينة وجهها قدر ما استطاعت ثم قادتها لياسر والذي كان يتأملهما بسعادة وقالت له مازحة:

- خد يا عم مراتك دي قبل ما تفضحنا..

وهي شعرت أن الكلمة اخترقت قلبها مباشرة فأزادت من معدل نبضه وكأنها لم تمر على قنواتها السمعية أبداً..

فرحتها مختلفة.. فمن يصدق أن الفتاة التي انتهت وظلت تشتهي الموت في الصباح والمساء
تفتح حياتها الداكنة مرة أخرى..
تحب.. تتزوج.. تحيا وتزدهر من جديد..
للحياة مفاجآت الخاصة لا نستطيع أبداً توقعها أو تخمينها..
وما كان من ياسر إلا أن أمسك يديها من أسما وقبل باطنها بحنان أسال دموعها من
جديد بينما لسانه يردد :

- مبروك يا مدام ياسر.. ربنا يخليكي ليا..
وهي قالت رغماً عن دموعها:
- ويخليك ليا وميفرقناش أبداً..

ثم تأبطت ذراعه بشعور مختلف تلك المرة.. هوبات الزوج والروح والقلب والعقل وهي
تابعة له بكامل إرادتها وبأمر الحب..

بجرد أن اقتربا من قاعة الزفاف اشتعلت الأجواء بأغنية " طلي بالأبيض "
أثارت الرهبة بقلوبهم وحمست المدعوين ونقلت سعادتهما المنعكسة على ملامحهما إليهم..
هما بالمنتصف بينما يحيط بهما شخصان ممسكان بمشاعل متقدة بالنار ويقفان بمنتهى
الكلاسيكية..

طليّ بالابيض طليّ

يا زهره نيسان

طليّ يا حلوي وهليّ

بهالوج الريّان

وأميرك ماسك ايديكِ

وقلوب الكل حواليكِ

والحب يشتي عليكِ

ورد وبيلسان

شعبيّ متل هالطرحه

يا اغلى البنات

بصليّ تعيشوا بهالفرحة

لباقى الحياة

وربيّ من السما يبارككن

كيف ما توجهتو يرافقكن

بايام الصعبي ينصركن

عَ كل الاحزان

قلّك نعم من قلبو

وفرّح كل الناس

ردّيهاع قلبو وحبو

شعلاني احساس

لو رأيته لتوَقعت أنه مجرم حرب، ارهابي هارب من العدالة على أقل تقدير..
 كانت نبتة ذقنه غير مهندمة بالمرة، ملامحه باتت أكثر حزنًا وعينيه الغائرة تحولت لمتاهة
 أو بحر عميق لا نجاة منه بل غرق محتوم..
 أساسًا تلك حالته منذ سبعة أشهر.. يستيقظ لأن النهار حل وينام كي يهرب من الحقائق..
 أو حقيقة أهم ألا وهي خسارتها..
 تجر لحلم الطفولة وندم ونجل ينخر عظامه حتى تهشمت..
 هي اليوم ستتزوج.. ستكون ملكًا لآخر له كل الحق وهو بات حتى تذكرها ذنب وإثم..
 لقد كان يتابع أخبارها وأحيانًا يراقبها وربما أكثر ما يؤلمه هي سعادتها والحب الذي
 جعلها كوردة متفتحة الأوراق في موسم الربيع..
 أن يدرك رجلًا أن امرأته انتهت من حياته ربما أمر محتمل ولكن أن يعلم أنها أطوت
 صفحته بنفسها وتحررت من قيوده منتهى الألم فقلب الرجل بكرامته ورجولته على
 عكس المرأة قلبها ينبض بفعل عاطفتها التي تتأثر بأي نقص قد يطرأ عليها وتشعر
 بالاكتفاء في حال فيضانها..
 حتى فراشه لم يعد يسعه.. ظل يتقلب يمينًا ويسارًا محاولًا النوم ولكن دون جدوى..

وهل هناك أي شخص طبيعي ينام في تلك الساعة المبكرة من الليل والتي بالكاد تقترب من الساعة مساءً!

نهض بملل ومسح صفحة وجهه بضيق ثم تذكرها ولا يدري لم الآن تحديدًا..
هي رودينا إثمه وملاده..هروبه من عذاب الوقائع ومن التفاصيل المجعدة..
ويديه امتدت لتلتقط سيارة "كوكي" الرمزية من تحت وسادته ليتأملها..
مازال يتذكر نظراته لها..امتنانه الذي ظهر في عيونه الصغيرة واشتياقه إليه هو وطفله..
ظل لفترة من بعد اعترافها لها بلعبتها يهتم بهم من وراء الستار..يرسل أموالاً وأغراض للطفلين مع سائقها فتعيدها إليه حتى توقف والعجيب أنها لم تحاول الاتصال به كي تطلب الانفصال عنه كما توقع بل تركت الأوضاع عائمة مثله..
وحقيقة يدركها بكل جوارحه الآن أنه يحتاجها بشدة..يحتاج لملاذه كي يعيش بعد رحيل الفيروز ويحتاج للدفع الذي لا يجده سوى بأحضانها كي تهون عليه..
يحتاج لعائلته ويعلم أنهم بحاجة إليه..
إذا لم الانتظار..

الوجع قد بلغ منتهاه والاحتياج وصل للذروة والوضع بحاجة لمحاولة وسيكفيه شرفها..
ارتدى ملابسه ووضع السيارة البلاستيكية بجيبه ثم توجه نحوها..
فتح الباب ليستمع لطفله يصرخ تحت أناملها والأخر يتذمر لأن برنامجه لم يبدأ حتى الآن على "سيس تون " !!

وهي ملاحها عبارة عن كتلة هائلة من الضغط على وشك الانفجار..
ماذا كان يظن بحق الله وهو ترك لها كل المسؤوليات ويأليته الشيء الوحيد الذي ينتهك

روحها فهناك قلبها الذي يئن كل ليلة مشتاقاً لحضن دفيء يهون عليه آلامه وجراحه منه.. وهي بمجرد أن لمحته ورغم الدموع التي تراكت بمقلتيها لم تعيره اهتماماً وكأنه لم يأتي أو تراه..

زعقت بإبنها الأكبر كي يتوقف عن الصراخ وعندما بدأ في مرحلة البكاء لم تتحمل فذهبت إليه وتركت الرضيع بين ذراعيه وذهبت لتبكي هي الأخرى خلف باب غرفتها بأريحية قبل فقدان عقل متوقع..
رباه.. لم تركها ولم عاد ليجدد آلامها!!

ومن جهته هو فقد كان مصدوماً من تصرفها.. غارقاً في نلمته واضطرابه فهي تركت مسؤولية الطفلان الباكيان برقة طفل يكبرهم بالعمر لا أكثر وليست لديه أي فكرة عن التصرف بتلك المواقف..

وهي بعد عدة دقائق عندما استعادت نفسها بالبكاء خرجت بعيونها المنتفخة لتحمل عنه الطفل مرة أخرى وتقوم بإرضاعه حتى هدأت أنفاسه وهو تكفل بأمر كريم وأخذه لغرفته واعداً إياه بأن يسرد له حدوته تعوضه عن برنامج المفضل الذي تأخر ورغم أنه حكى له قصة السندريلا والأمير والتي تجذب انتباه الفتيات عن الصبية إلا أن الطفل نام مستنداً برأسه على ذراعه قبل أن يصل حتى لمنتصفها..

خرج ووجد أخيه على عكسه.. عيونه مفتحة على آخرها لتظهر عسلية مقلتيه والتي ورثها عن أمه..

حمله عنها وظل يلاعبه من شدة اشتياقه إليه لبعض الوقت قطعتة هي بسؤالها الذي وصل قمة الاستنكار..

- جيت ليه؟!

وهو رmqها ببعض الترقب ثم وضع الطفل في مهده بغرفة نومهما وتبعته هي وعينها مازالت تصر على إجابة منه..

التفت لها ليخبرها بطريقة اثار استفزازها وكأنه يقر وقائع ويوزع أوامر..
- رجعت البيت..

- بجد؟؟

ثم صفقت يديها وقالت بنبرة موجهة:

- والمطلوب مني إني أفرح وأرقص مش كده؟!

وتوحشت نظراته.. اقترب منها أكثر ولسانه يهاجمها كرد فعل طبيعي لسخريتها..

- رودينا بلاش الطريقة دي إنتي كويس مين اللي غلطان فينا في حق الثاني..

وهي أغمضت عينها بألم تعتصر به تذكرها بذنبها الوحيد الذي لن يغتفر على ما يبدو.. ذنبها الذي ارتكبته مرغمة وتحاسب عليه مجبورة..

حسنًا هي تتقبل العقاب ولكن لم لا يعاقب غيرها على جرائمهم بحقها..

زوجها الأول.. المجتمع الذي يدهس عليها وأخيراً هو..

فهل لأن العقاب صفة مذكرة فقرر التعصب وبات يتجبر على فصيلة الإناث؟!

- عادل أنا عارفة كويس غلطتي وندمانه واعترفلك وحتكلك إني عملت كل ده عشان

احمي ابني فبلاش نتكلم معايا بالطريقة دي ولو عاوز..

ثم توقفت فجأة عن الحديث لتسأله:

- ولا إنت مش مصدقي.. مفكرني بنت ليل وإني...

وهو تلك المرة من قاطعها واضعاً إصبعه على فمها..

- لو عندي شك مكنتيش هتبقى على ذمتي يوم واحد زيادة..

وتلك المرة هي بكت.. هانت عليها نفسها فكررت سؤالها:

- جاي ليه يا عادل؟!

واكتفى هو بالقول بعد أن احتضنها بشدة وهي كانت رغم غضبها منه إلا أنها كانت

تشتاقه وتحتاجه وروحها كانت تتعذب بغيبابه فلم تقاومه بل على العكس ازداد معدل

البكاء حتى باتت تنتفض من شدة الشبهات..

- جيت عشان مليش مكان في الدنيا يسعني غير هنا..

ومن بعدها لا حديث.. وكأنهم أدركا سوية نفس النقطة بنفس اللحظة..

هي الملاذ..

هو الأمان..

وليخرج الحب من الحسبة كي تتزن المعادلة..

ومن سعادتها ظلت ترقص بأقصى طاقة لديها..

الإنسان عندما يقرر التغيير يتحرر.. يطير ويحلق بالسماء..

منذ خروجها من المشفى بعد حادثة إطلاق النار وهي قررت أن تكن أخرى.. باتت أكثر

تعقلاً حتى لا تخسر علاقتها مع أهلها وتضيع من جديد.. تمسكت بعمر أكثر من ذي

قبل واعتبرته بوابة أمانها في المستقبل وأصرت عليه حتى يذهباً سوية لطبيب نفسي

يستأنفا معه رحلة علاج للتخلص من إدمان القمار اللعين وطوال الستة أشهر لم تفوت جلسة واحدة ولم تفيدها تلك الجلسات بالتخلص من القمار فقط بل وساعدتها على فك عقدها الشخصية التي لازمتها منذ الصغر رويداً رويداً حتى شعرت مع الوقت أنها باتت أخيراً تنفس ليملاً الأوكسجين محل الضيق الذي كان يحتل صدرها ويحرمها من لحظات السعادة والفرح كأني بشر طبيعي..

لا تعلم كم مر من الوقت بينما هي تتمايل مع الموسيقى بانسجام ولا تنتبه حتى لدقات قلبها المتعبة.. لقد كانت ترقص بسعادة ومرونة بالغة خطفت أنظار الجميع نحوها دون أن تنتبه لذلك الذي يشتعل خلفها ككفافة تبغ والذي من حسن حظها أنه جاء للتو وإلا كان أجلسها على مقعد بآخر القاعة منذ بداية الحفل..

وجدت من يمسك يديها ويجذبها معه دون أن يأبه وكأنه زوجها أو حتى خطيبها لا مجرد شخص سيقراً فاتحتها بعد أسبوع فانتفضت هي متفاجئة:

- عمر!

ثم تبعها بالقول:

- عمر بليز استنى أكمل رقص على الأغنية دي بحبها جداً..

وهو لم يأبه لها جذبها معه والغيط منها تمكن من نبرة صوته:

- ياست شيريهان كفاية وإدي فرصة للأجيال الصاعدة خدتي الستديج كله لحسابك..

وبعد أن خرجا خارج القاعة حتى يستطيعا سماع بعضهما البعض سأله بتعجب:

- إنت بتغير عليا ولا إيه؟

- يا شيخة بلاش كلام فاضي..

وهي لوت شفتيها بإحباط.. لن يتغير أبداً وكأن نهرها بات عادة يومية بالنسبة إليه..
وقررت هي تغيير الموضوع وتحدثت إليه بعدما رسمت على شفتيها ابتسامة عريضة
وبالأحرى كانت " منشكحة " ..

- أنا فرحانة أوي لروز.. ياه الواحد حاسس إن البيت ده كان مكتوب عليه ممنوع الفرح..
وأكلت مشاكسة إياه عندما انتبت أن غيظه منها لم يتأثر بحديثها:
- عقبالنا يا عمر..

- لسه بفكر..

- والله!!

واتجهت عازمة الرحيل بينما حديثها اتخذ منحني الغيظ منه وكان قد انتقم منها..
- هروح أكل رقص..

وأوقفها هو بعدما قبض على ذراعها:

- تعرفي إنك احلويتي بعد الرصاصة..

ورد فعلها كان في البداية ابتسامة سرعان ما انفجرت من الضحك بعدها ووضعت يديها
على خصرها والتحدى بات واضحاً بعينيها:

- طول عمري حلوة..

وهو اقترب منها لدرجة كافية لإرباكها وهمس بالقرب من أذنيها:

- وأنا مش معترض..

ثم تراجع خطوتان عندما تذكر أنه ربما يراهم أحدهم وخاصة أخيها العصبي والذي من
الممكن أن يقوم بإلغاء مشروع الزيجة نتيجة اقترابه الزائد منها فقط..

- بقولك إيه ريتي ناشف مفيش حاجة تشرب..
- وهي اتسعت عينيه لتقول بدهشة بالغة:
- عمر!.. إحنا مش قولنا هنبطل الكلام ده ..عاوز بابا يشوفك ويفركش الجوازة..
- وما كان إلا أن يخبرها:
- إنتي فهمتي إيه..عطشان عاوز عصير حاجة ساقعة ببسي كده يعني..
- والله!؟
- ثم سألته:
- وبعدين مجتش ليه الجلسة امبارح الدكتوراة سألت عليك..
- كان عندي شغل..
- وأضاف عندما وجدها تنظر نحوه بشك:
- مية مرة أقولك إني لازم أسدد ديوني لمامتك..مش معنى إنها متعرفش إن مجوهراتها
- كانت تمن ديوني وإنها أنقذت حياتي كمان إني أوافق على كلامك ومسدد هومش..
- يا عمر افهمني .. ماما مش فارق معاها أهم حاجة إننا كويسين و....
- وقاطعها هو بالقول:
- أنا يفرق معايا وياريت منتكلمش في الموضوع ده كثير..
- وعلاجك يا عمر هتكلمه!؟
- وخرج منها السؤال تلقائياً والنبرة كانت مرتعدة لحد قاتل..
- عمر متخوفنيش..
- وهو تنهد لتنبسط ملامحه المنكمشة ثم أمسك يديها مطمئناً إياها:

- متخافيش أنا عمري ماهر جمع لي كنت فيه..
- وما كان منها إلا أن تبسم أحق ابتسامة في التاريخ ليضحك هو دون سبب..
- كم هي تلقائية وغير متكلفة والأمور لديها من أبسط ما يكون وربما تلك التلقائية هي السبب الأساسي لإذابة جبال الجليد من قلبه وإعادته للنبض مرة أخرى..
- جذبتة من يديه مرددة بحماس:
- يلا ندخل نرقص..
- وربنا مجنونة..
- وقد أن يدخلنا للصالة استوقفهم رجلاً رفيع القامة لدرجة مثيرة للانتباه ويرتدي نظارة لا تليق على وجهه على الإطلاق..
- كابتن عمر..
- أيوة..
- بعيداً عن أي حاجة ممكن صورة ده إنت كنت بتلمس الكورة تجيب جون..
- وهو ابتسم له ثم ترك بشرى ليقف بجانبه منتظراً أن يخرج هاتفه ليتلقوا سوية "
- السيلفي" كما طلب ولكن لم يحدث..
- إيه هنطول كتير مش هتصور؟!
- لأ أنا موبايلى بايظ صورني إنت..
- ثم بعدما مد يديه مصافحاً:
- أنا صديقي صاحب ياسر العريس ألا هي فين القاعة؟
- وحينها تدخلت بشرى لتقول بالكاد بسبب ضحكها الهستيري:

- اول ما تدخل على ايدك الشمال..

ثم توجهت لعمر ممسكة بذراعه كي تقوده معها بينما كان هو مازال متعجباً من الرجل الذي كان يمزح معه بينما هو لا يعرفه..

- إيه ده؟؟؟؟؟؟

وهي قاداته للداخل بالكاد وقالت بعد أن تجددت هستيرية الضحك لديها مجدداً..

- متركزش..الفرح هيفوتنا...

" حسن "

إسم ليس مع مسمى اطلاقاً مطلقاً..داكن البشرة وصاحب العيون الجاحظة المخيفة نوعاً ما والتي يحوطها أطنان من السواد يطلقون عليها عند الأناس الطبيعية " هالات " ..أسنانه الأمامية تحتاج لتقويم كي تصل للمستوى المقبول ولكنه مهمل بمظهره بل ومهمل بكل شيء وأولهم نظافته الشخصية..

المهنة الأصلية والتي لم يستطع التنصل منها مهما وصل مستواه المادي وزادت أرصده البنكية أموالاً هي جزار..

سيظل مهما تمدن جزار..تصرفاته، ملابسه ويكفيها المنديل الكارثي الذي يزين جيبه وكأنه سقط من حقبة الخمسينات!

وياالله على تصفيفة شعر عماد حمدي التي انقضت منذ الثمانينات وياليتة يشبهها فمع نعومة شعره الزائدة عن الحد أكسبته تلك التصفيفة سماجة وثقل دم وكأن ما يمتلك منها لا يكفيه..

هو حسن الغندور .. صاحب محلات الجزارة بحارتها والزوج الحالي لفريدة مختار..
" زوج الندامة! "

وهل مازالت تتذكرين الآن فريدة!

أين كان عقلك عندما وافقتِ على تلك الزيجة المدمرة للنفسية قبل الأحاسيس!...بالله
 عليكِ هل يستحق الأمر من أجل منزل نفخ وسيارة وخادمة سخرها لخدمتها!
 وكأنها فجأة انقسمت لشقين كل منهما يلقي اتهاماته على الآخر وكانت إجابتها على نفسها
 نعم يستحق..

كيف لها أن تعتاد على العودة لحارتها وحياتها البسيطة بعدما تذوقت النعيم وتجرعت
 الحب وتدللت كملكة! كيف لها أن تصل لمرحلة الاعتیاد القاتلة بكونها خسرت كل
 شيء وباتت لا شيء!

وربما كان هناك جانب آخر من موافقتها على تلك الزيجة والتي ندمت عليها أشد الندم
 وهي لم تكمل الشهران بعد ألا وهو معاقبة نفسها!

لقد رأت في هذا الرجل عقاب تستحقه بعدما خسرت إبراهيم ومروان معاً والحقيقة أن
 حسرتها على إضاعتها لإبراهيم أقوى وأكبر بكثير من نجلها من نفسها بسبب انصياعها
 وراء أوهام مروان حتى بالأخير أسرع بانهاء اللعبة لصالح فاز مروان وخرجت هي
 من الدائرة موشومة بالضیاع ومكبلة بقيود الخسارة..

مسحت دموعها بطرف إصبعها.. لا مجال للبكاء أو العويل لقد اخترت كل هذا أيتها
الساذجة..

وبتلك اللحظة رن جرس الباب وفتحت له الباب خادمتها الفليينية المنشأ.. حملت عنه
الأغراض التي بيده فمازال هو رغم يسر أحواله المادية لا يتنازل عن شراء أغراض
المنزل بنفسه فعاني الرفاهية خارج حسبته وهو هكذا يشعر بالراحة..

وجدها جالسة بالصالون أمام التلفاز فجلس بجانبها والتصق بها دون مقدمات ليخبرها
بأسوأ غزل يمر على أذني أنثى:

- وحشتيني يا عسلية..

ثم قام بصفعها بقبلة على الخد أثارت شعورها بالغثيان فأخبرته زاعقة:

- يا حسن.. يا حسن مية مرة أقولك اول ما تطلع من المحل تستحمي الأول ريحة اللحمه
بتقلبي معدتي..

وهو كأنه لم يسمعها أو ربما أراد ككل مرة معاقبتها على تطاولها بالحديث معه بإثبات
رجولته عليها..

حملها بمنتهى البدائية حتى غرفة نومهما دون أن يأبه بوجود الخادمة.. وضعها على السرير
ثم أغلق الباب بعنف وهي صمتت كالعادة كي لا تستفزها أكثر..

فليأخذ ما يريد منها سريعاً ولينتهي هذا الأمر بدلاً من طول العقاب والأذى النفسي
لها..

ووصف الأذى أفضل تصنيف لعلاقة حميمة تعيشها زوجة يشعرها زوجها بالغثيان كلما يقترب منها.

تكرهه أكثر بكل مرة وبعدها تكره نفسها لأنها أهانتها لهذا الحد بعد موافقتها عليه.. ومع زيادة معدل الكره بات الاستسلام فرض عين..

الامتهان يبدو وكأنه التصق بها والسعادة تركت ملامحها للأبد.

وهي.. هي استسلمت لتمنح نفسها عطية يلتهمها كيفما يشاء ويتركها متى شاء..

وبعد ما ملّ منها تركها واستدار مولياً ظهره لها لتسقط من عينيها دموع تواسي بها نفسها الذليلة المقهورة..

لا تعلم ماذا أصابها خاصة بآخر يومان.. وكأنها باتت تنفر منه أكثر وربما أصبحت عاطفية أكثر مما تسبب في زيادة منسوب كرهها له فهذا الكائن أبعد ما يكون عن عواطف بني آدم فباختصار هو من فصيلة البقر..

ظلت تبكي وتبكي وهي تتذكر اقترابه منها ورائحة اللحم خاصته استعادته بأنفها حتى ازداد غثيانها.. ركضت للحمام وتقيأت كل ما تحويه بها حتى شعرت أنها في المرحلة القادمة ستتقيأ دماءً ستنتج عن تهتك جدار معدتها!

وجأة.. فجأة توقفت الدموع بل وتوقفت الحياة في نظرها على فكرة أخرى مرعبة ومخيفة ومدمرة للأعصاب.. خرجت من الحمام سريعاً وكتبت للخادمة ورقة وأمرتها بأن تجلب لها ما كتبت من الصيدلية وبعد ربع ساعة عادت لها باختبار حمل للاستخدام المنزلي.. توقف قلبها عن النبض وسكنت حواسها عن الحركة عندما لمحت الخطان العريضان

متلاصقان بكل وضوح ليخبرها ببساطة أنها باتت حامل لطفل تكره أبيه.. أب لا يستحق
أو يليق به أن يكن والد أطفالها هي..

طفل ليت أبيه كان الآخر الذي عاشت بمنزله أجمل سنة بحياتها والذي أيضاً كل يوم
تدم على إضاعته من يديها أكثر من اليوم الذي يسبقه..

حامل!!

مازالت لا تصدق.. لا تستوعب.. رباه لقد زاد العباء والتف الحبل حول عنقها فسلبها
الأنفاس ببطيء مميت.

حتى الخلاص منه بات سراياً هو الآخر.. حلم لن يتحقق ورغبة ستحتفظ بها داخل
صدرها حتى تقتلها خنقاً قترتاح..

وكان يراقبها طوال الحفل وهي بحدسها الأنثوي الطبيعي كانت تشعر أنها تحت أنظار
أحدهم وهذا الشعور يعد قمة الارتباك وعندما وجدته أمامها فجأة تصلبت حواسها
واكتشفت أن شعورها السابق لم يكن أبداً من فراغ..

كان واقفاً أمامها بالضبط وهي لا تفهم لم بكل مرة تراه بها يصيبها كل هذا التوتر وتزايد
ضربات قلبها لهذا الحد!

هل هو نجل منه بسبب هجومها عليه بالمشفى اثناء شجاره مع أخيها!

ربما.. ولكنها اعتذرت له باليوم التالي وهو اكتفى بإيماءة متفهمة برأسه ومع ذلك التوتربات مصاحباً لها بحضرتها في كل مرة تقابله بها مصادفة رغم أنها لم تتخطى الخمس مرات من بعد خروج بشرى من المشفى منذ ستة أشهر تقريباً!

إذا.. ماذا يحدث!

ربما سبب ارتباطها أمامه نظراته لها..

نظراته وهم وعينه تسرد حدوده غير مكتملة تجذب أي قارئ مدمن يعيش بعالم رائع من الخيال!

ماذا علا! وما تلك الأفكار الغريبة! ومنذ متى وأنت تركزين على تفاصيل لا ينتبه لها سوى المراهقات التافهات والتي كثيراً من الأحيان تكن خيال حالم نسجه عقولهن لا أكثر!

هل جنت!

إذا ألف ألف مبروووك..

سمعته يقول أخيراً بعدما طال الصمت:

- إزيك يا آنسة علا؟

وهي فتحت فمها ثم أخبرتها ببطء وكانت مازالت تحت تأثير تفاجئها به:

- الحمد لله..

ثم لصقتها بالقول بعدما نكست وجهها بالأرضية لتمنح له فرصة عظيمة لتأمل جفونها المطلية بذهبية رائعة تنتهي بأهداب شديدة السواد عزفت سيمفونية جمال مع حجابها الراقى وملاحمها الهادئة نوعاً ما..

- مبروك لروز.. ماشاء الله زي القمر..

وهو اكتفى بقوله بعدما سعل سعالاً زائفاً:

- الله يبارك فيكي..عقبالك..

والأخيرة كانت مسبب هائل لتورد وجنتها ونجلها ومع صمته زاد الوضع سوءاً ولم تجد ما تقوله لذا فضلت الانسحاب دون حديث زائد من جانبها هي الأخرى ولكنه استوقفها منادياً عليها..

- آنسة علا..

- أيوة..

- بالمناسبة لقيت رواية فرط الرمان الي كنتي بتكلمي عنها امبارح وسبتالك مع بشرى..

وهي ابتسمت وقالت ببدايات سعادة اشتعلت بعيونها ومنحتها طفولية لذيذة:

- بجد لقيتها فين! أنا بقالي اسبوع بلف عليها في المكتبات..

ثم فجأة انتبهت لشيء خطير.. غريب وصادم فمن أين علم هو أنها كانت تبحث عنها!

يتحدث عن البارحة! فهل هل هو يتابع منشوراتها على الفيس بوك!

سألته واستغرابها كان واضحاً:

- إنت فريند عندي!

- لأ..

- أومال شوفت كلامي عنها فين!

وإجابته كانت سيئة لدرجة غير مقنعة..

- شوفته بالصدفة..

وهي ابتسمت ببطء ثم قالت له ممتنة:

- عامة ميرسي لإهتمامك..

والتفت مرة أخرى عازمة الرحيل ولكنها توقفت بسبب جملة قالها ولم تتوقعها:

- لا ميرسي على واجب.. خلاص هنبقى عيلة واحدة..

واستدرات ناحيته ومازالت صدى الجملة يتردد داخل أذنيها فألزمها الصمت بل والنفس

وكل شيء!!

وهو قال مفسراً:

- مش عمر هييجي يقرأ الفتحة آخر الأسبوع هو مقال كيش ولا إيه؟

ورسمت هي بالإجبار ابتسامة على شفيتها ولا تعلم لم أصابها كل هذا الإحباط وكأنها

سقطت من فوق عرش الأحلام فجأة وبدون تمهيدات..

- آه عمر.. عمر قالي طبعًا..

وتلك المرة انتوت الرحيل حقا ولن يوقفها أي شيء فلقد زاد منسوب المنجل لديها حد
التشبع أو الفضيحة!

- آنسة علا..

وتلك المرة أثار عصبيتها وأخرج شيطانها الراكدة ولا تفهم لمَ ولا هي باتت غاضبة لهذا
الحد والأهم لماذا لا يتركها ترحل من قيود نظراته المربكة لها!

- هاه..

وهو اكتفى بالقول:

- تجوزيني!

لو سألتها عن أقصى أمنياتها بتلك اللحظة لأجابت دون تردد أن تستعيد نور عيونها ولو
دقائق فقط معدودة..

ربما اعتادت على عدم الرؤية.. اطمأنت بوجوده معها ولكنها الآن تتمنى استكمال علاجها
النفسي عليها تتمتع عيونها برؤيته وتسجل بخيلتها أفضل يوم في حياة أي فتاة على شكل
ذكريات يدق لها القلب فرحاً كلما نتذكرها..

نادمة ربما لأنها بعد العملية الجراحية التي خرجت منها خائبة الأمل والرجاء أصرت على
العودة..

فطالما لم يعد هناك أي سبب عضوي كما أخبرها طبيبها يمنعها من الرؤية ومع ذلك لا

ترى فلقد كان التأقلم حلاً منطقياً ومريحاً لكل الأطراف بوجهة نظرها..
ولكن الآن هي مختلفة.. نظرتها للأمور باتت أعمق وصبرها على الصعاب بات أكبر
وحدسها بات أقوى..
الرؤية لا تقتصر على العيون فقط.. هي تراه الآن بكل جوارحها.. ولكن فقط تفتقد
عيونها كي تكتمل الصورة بذهنها دون خيال زائد منها..
هي باتت ترى بقلبها لا عينيها وصدقاً العيون سهل خداعها..
هي الآن على الرغم من عدم استطاعتها رؤيته إلا أنها تشعر به، تتخيله بحلته البيضاء
ورابطة عنقه الزرقاء والتي أختارتها معه بعدما وصفهم لها..
تستطيع أن ترى الابتسامة على وجهه كالتي تنير وجهها الآن..
من قال أن الحب نظرة، همسة ولمسة.. الحب أرواح تتحد وقلوب تنصهر وأنا تتحول إلى
نحن..

انسجمت هي مع رقصتها معه لدرجة تمس الأعماق.. أراحت رأسها على كتفيه مع
كلمات الأغنية والتي تسمعها لأول مرة إلا أنها تصف حالتها بالتفصيل وكأنها كتبت
خصيصاً لأجلهما..

بين أيديه

رجعتي روحي من ثاني وأنا بين أيديه

نساني خوفي ووحدتي وقربني ليه

هستی ایہ

أنا روعي فيه..

إهداء المبدعة " أماني عبد العظيم "

وبمجرد أن انتهت الأغنية التقطتها ياسر محتضناً إياها وظل يدور بها بقوة أثارت تصفيق البعض ودموع الآخر لينزلها في النهاية مقبلاً إياها بقوة تصف عمق مشاعره نحوها وسعادتها لأنه معها...

ومن حسن حظهما أن كاميرا المصور التقط تلك اللحظة بعدسته الخاصة وكانت خلفيتها مصادفة اللوحة التي رسمها لها رسام المشى برحلة " بورتو " والتي كان طلب منها الزواج فيها..

كانت لوحة مميزة.. تحمل تعابير خاصة جداً على ملامحها.. تجذب الأنظار وساحرة مثلها فلذا أسماها على اسمها ..

" سحر الفيروز "

الختامة

نهار غير عادي بالمرة.. آلام صاحبها كعادتها آخر يومان بفضل شقاوة ابنتها الزائدة عن الحد وحرمتها النوم بل وحتى مجرد التسطح بأريحية..

رباه إنها تتحرك في كل الاتجاهات تقريبا وكأنها تمارس عادة رياضية ما بالداخل أو " الزومبا " كتعبير أدق!!

واليوم وصل إرهاقها للحد الأقصى ولكن ماذا أن تفعل عليها أن تخفي تألمها على ياسر كي يسمح لها بالذهاب لحفل الأوبرا المسائي والذي مازال لا يجذب ذهابها إليه ليس من أجل شيء بل من أجل خوفه عليها وهي رغم تعبها الواضح على ملامحها إلا أنها مصرة على العزف الليلة وكأنها لو ما ذهبت لذلك الحفل ربما ستنتهي أحلامها الموسيقية!!

حسنا ذلك الحفل كونه سيتم اذاعته على التلفزيون يعد نجاح لها وتكليل لمجهودها خلال سنة تعلمت فيها فن البيانو بل استشعرته بكامل جوارحها اتخذته غذاءً لروحها وتعويض عن هواية الرسم والتي كانت غارقة بها حتى أنفها قبل الحادث إلا أن في النهاية ستظل صحتها هي الأهم والأولى بتفكيره ويجب عليها أن يكن هذا الأهم برأسها المصفح أيضاً..

وهي حيال رفضه لم تجد سوى المحايلة بديلاً:

- ياسر أنا كويسة والله.. عشان خاطري..

وهو أخبرها بينما كان يناولها أدويتها المقوية:

- بعدين يا روز.. وشك أصفر أوي انهارة متستعجلش بعد الولادة كمي واعز في كل يوم في حفلة لو تحي..

وهي هل ستستسلم تجاه رفضه؟!

مؤكدًا لا فهي في العناد أستاذة ورئيسة أكبر قسم وهو يعلم ويدرك أنها لن تستسلم بسهولة أيضًا وكان منتظرًا بقية حديثها والذي سيكون أكثر تأثيرًا عن ما قبله..

- بس أنا هتقهر لو الحفلة دي فاتتني.. إنت عارف أنا بقالي شهر بحضر ليها وساعتها بقا اللي هيجرالي حاجة بجد وكان طنط وأونكل جاين من الرياض بدري قبل الولادة مخصوص عشان يحضروها..

وشردت قليلًا عندما تذكرت بداية علاقتها مع أهل ياسر.. كانا والديه متحفظين بالتعامل معها بشكل كبير.. لم تستشعر فرحتهما بهذا الزواج وأعطتهم العذر واكتفت بإحترامها لقرار ابنهما وعدم التدخل أو محاولة جرحها بأي شكل وصورة ومع الأيام تحسنت العلاقة بينهما لدرجة أنهما أصبحا يعتبرونها كإبنة أخرى لهما ولها نفس معزة ياسر في قلبيهما بعدما تأكدوا أن سعادته وحيدهما اكتملت بوجودها بحياته..

استمعت لياسر يقول:

- مفيش حاجة أهم من صحتك..

فأخبرته بالحاح:

- دي آخر حاجة بعد كده لحد الولادة مش هتحرك.. عشان خاطري.. لو ليا عندك خاطر صغير وافق بليز..

وهو مقابل محايلتها لم يستطع الصمود كثيراً.. يعلم أهمية ذلك الحفل لديها ويعلم أنها تشتاق للعزف فعه وكأن روحها تحلق بسابع سماء وتخترق غيومها..

- ماشي.. بس لو حسيت إنك مش قادرة هرجعك ع البيت علطول..

وقالت هي بسعادة طفلة بالابتدائية:

- اتفقنا..

ثم أخبرته بعدما لوت شفتيها ببعض الدلال:

- ممكن تلبسني الفستان.. آخر مرة البنت الجديدة لبستني كانت هتموتني مخنوقة..
ونهض هو مليباً طلبها بكل رحب وسعة.. قام بمساعدتها بتبديل ملابسها ثم شرع بتمشيط شعرها وبعد أن انتهى طبع قبلة بمنتصف رأسها وكأنها ابنته التي يهتم بأدق تفاصيلها
وبعدها ذهب ليبدل ملابسها هو الآخر..

بعد ساعة تقريباً كانا بالأوبرا.. لم يسمح لأحدهم بالبقاء معها ومساعدتها بل اهتم هو بها بنفسه وظل بجانبها حتى قام بإيصالها لمقعد العزف أمام البيانو الضخم..

وهي دقات قلبها كانت من أسرع ما يكون.. خوفها من اخفاقها بالعزف بلغ ذروته ورغبتها في النجاح زادت للضعف..

وبمجرد ان بدأ البث أخبروها كي تشرع بالعزف وهي فعلت ذلك بمنتهى الحماس على أغنية تعشقها لأنغام بل وأهدتها خصيصاً لياسر زوجها والذي لا تجد كلمات العالم تصف حجم الحب الذي تحمله له بقلبها ولا العشق الذي يجمعهما..

حتى أنها أصرت على حضورها الحفل كي تفاجئه لا من أجل حصد نجاحها كما
أدعت..

في جوه في قلبي مكان مفتحتوش يوم غير ليك
وحاجات حصلتلي معاك ومحصلتليش قبليك
مبقتش بخاف ولا عاملة حبيبي لبكرة حساب
وان خفت في لحظة بيبقى الخوف يا حبيبي عليك

انا ساندة عليك، لو يوم الدنيا بتيجي عليا انا بتحامي فيك
وفي عز البرد بلاقي دفايا في حضن عنيك
انا ساندة عليك، ده ساعات يا حبيبي انا ببقى لوحدي وبحتاج ليك
قبل ما بندهلك بفتح عيني قصادي ألاقيك

مكذبش عليك، انا قبل ما اقابلك ياما قاسيت
انا تهت سنين قبلك في حياتي ورحت وجيت
انا كنت وحيدة وعالشة في غربة ومش برتاح

ولقيت يا حبيبي في حبك ظهر وقلب وبيت

وبعد أن انتهت منها ملأ التصفيق بالقاعة ولمحت الفرحة في عيون كل أحبائها لتبكي هي من نشوة سعادتها..

النجاح ولو طال سيظل الأمل، المستقبل الذي نسعى إليه والغاية التي ترتوي بها ارواحنا لتحررنا من غياهب الحياة ومصاعبها..

ومع شدة بكاء الفرح ودقات قلبها العالية فاجئها آلام المخاض باكراً عن مواعده بعشرة أيام تقريباً!!

فجأة وسط التصفيق خرج صراخ حاد أثار ذعر بالمكان وهرج ومرج بالأجواء حتى أتت أخيراً سيارة إسعاف نقلتها إلى أقرب مشفى..

بعد ساعة..

- مدام فيروز سامعاني؟!... حاولي تساعدينا شوية..خدي نفس لتحت..

وهي صرخت بها بقوة:

- مش قادرة..ياسر فين..اااااه..

ومنحتها الطيبة حقنة بالمحلول الوريدي كي تزيد معدل الطلق لديها على الرغم من طلب فيروز أكثر من مرة برغبتها بإنهاء هذا العذاب عن طريق عملية قيصرية إلا أنها كانت في قرارة نفسها مقررة عدم اللجوء إليها إلا بالضرورة القصوى..

وبعد لحظات..لحظات فقط امتلأ المكان بصوت صغير جداً يبكي ليعلن قدومه للحياة..

وكانت " نور" طفلتها التي تمت آلاف المرات أن يعود إليها نظرهما المفقود كي تنعم برؤية ملاكها وهي تتبدل ملامحها وتكبر ويزداد غلاها في القلب يوماً بعد يوم..

ابنتها التي دعت بكل طاقة ودمعة تمتلكها بمنصف الليالي كي يمنحها الله القدرة على تربيته والاهتمام بها كأبي أم طبيعية من الله عليها بمولود..

وبعد ثوان معدودة من قدومها بكت بحرقة لم تبكي بمثلها أبداً حتى في أيامها الحالكة الصعبة وكان من حولها من أطباء ومساعدین يتوقعون سبب هذا البكاء فأبي أم طبيعية تمتلك طفلاً تبكي فرحاً لقدوم صغيرها للعالم وبسبب ظروفها الخاصة والتي تمنعها من رؤيتها لا بد وأن يتضاعف معدل البكاء وتزداد حدة الشهقات..

وبالنسبة إليها كانت تبكي لسبب آخر أبعد ما يكون عن توقعهم فلقد استجاب الخالق لرغبة أم اشتت بشدة رؤية طفلها بعد ميلاده..

جاءت نور وأعادت لها النور لينتهي الظلام ويحل محله دموع فرح بعد طول عذاب..
وغياب..

وكانها استخرجت من ظلام رحمها ترياقاً منحته إياها بعد التقاء أرواحهما..

ولله في كل ذلك حكمة وموعظة وله بالغ الحمد الشكر..

وهي حتى الآن لا تصدق تنظر فقط تبكي..تنظر لصغيرتها ولا يسعفها لسانها كي تطلب منهم أن يجلبوها إلى حضنها..

رباه هل عادت البصيرة فذهب لسانها وولى؟!!

وحينها توقفت طبيبتها أمامها ولاحظت تحرك مقلتها مع ابنتها فسألتها بدهشة:

- إنتي شايفاه؟!!

وهي أومأت برأسها دون حديث فالتفتت الطبيبة للخلف ناظرة إلى مساعدتها بدهشة بالغة والتي وجدت دموعها تخرج من مقلتها بسرعة وتلقائية وجسدها كان يقشعر من عظمة الموقف..

عظمة الخالق وكرمه..

لقد فقدت بصيرتها يوماً بسبب اليأس وعاد إليها مع الأمل..

مع نور..

وهل هناك أعزّ منها كي يمنحها الأمل وكي يضيء بحر ظلماتها؟!!

حينها دخل ياسر للداخل غير مصدقاً ما سمعه من إحدى الممرضات..

هل فتحت فيروزه؟!..هل عاد إليها نظرها حقاً أم أن هذا مجرد حلم جميل ستوقظه هي منه بعد قليل؟!!

وهي بمجرد أن لمحته تجدد بكاءها من جديد.. كم اشتاقت رؤيته وكم تشعر هي الآن أنها ستموت من شدة السعادة..

نظراتها له كانت لا توصف..تحمل إمتناناً..حباً وعشقاً جارفاً و..احتياج أيضاً فهو سيظل

أمانها وسندها ولم يتغير شيء..

إذا أردت أن تمنح أحدهم وسام الرجولة فلتنظر إلى وجه امرأته باللحظة التي تراه بها..
إن ابتسمت بصدق والسعادة سكنت ملامحها اعلم أن هذا الرجل رجل حقيقي
وإن لم تتغير ملامحها فهو نصف رجل لم يستطع امتلاكها بعد..
وإن امتعضت.....

سأترك التعليق لكم

ومؤكدًا لكل قاعدة شواذ.....

وكان من نصيبه أول نظرة ومن نصيبها قبلة مشتاقة التقط بها دمعة خرجت من مقلتيها
لتُسيل دموعه هو الآخر معها...

تمت بحمد الله

سحر الفيروز

٢٠١٦-٨-٧

وإلى لقاء في الجزء الثاني قريباً

" لحن أسمهان "

"لحن أسمهان"

الجزء الثاني من سحر الفيروز

مراقبتها من خلف دخان تبغه الكثيف باتت عادة وخاصة بعدما رأى معها هذا السمج أستاذها بالجامعة والذي يلتصق بها بحجة مساعدتها بدراساتها!!
أسوأ حجة وهي ستظل أحق فتاة بالتاريخ حتى ولو أظهرت على وجهها قوة العالم..
يبتسم لها وهي تبادله الابتسامة!!... يخبرها بشيء وهي تشير برأسها ممتنة!!
اقترب منهما بهدوء ماكر سرعان ما فقد قدراته على التحكم بعدها بسبب صوت ضحكته العالية فهو لن يظل خلف الستار لفترة أطول يمتلك قلبها فيها هذا الأرعن..
هي يجب وحتماً ولا بد أن تظل ماريونت مروان..
أخذها من يديها بدون مقدمات بعد أن قام بلكمه بقوة على وجهه وهي من شدة صدمتها بوجوده أمامها بحظت مقتليها حد مفارقة عينيها.. بالكاد استجمعت نفسها وأمرت لسانها بالنطق..

- مروان إنت اتجننت!

ونفض الرجل سريعاً وأمسكه من ذراعه ليسأله:

- إنت مين يا بني آدم أنا هوديك في ستين دهية..

واستوقفه مروان بكلمة وحيدة لجمته:

- أنا جوزها..

ثم اقترب من أسما حد توقف الأنفاس ليسألها بغضب جلي:
- مين ده؟!

وكتفت هي ذراعها بتحدى بعد أن ابتعدت للخلف خطوتان..
- تقريباً خطيبي ..وبعدين إنت بتسأل ليه..أنا قولتك مية مرة خلاص خلصنا..
وهو فقط تفوه بكلمة وحيدة مخيفة وشرسة كنظراته:
- قبل ما يكون خطيبك هكون قتلتة..

إهداء

أصدقائي الغوالي

متابعين الرواية

شخايط وردية

لا تكفي كلمات الشكر كي تعبر عن امتناني وشكري لكم

وكلمة وحيدة

لولاكم ماخرجت الرواية بهذا الشكل..

أحبكم في الله